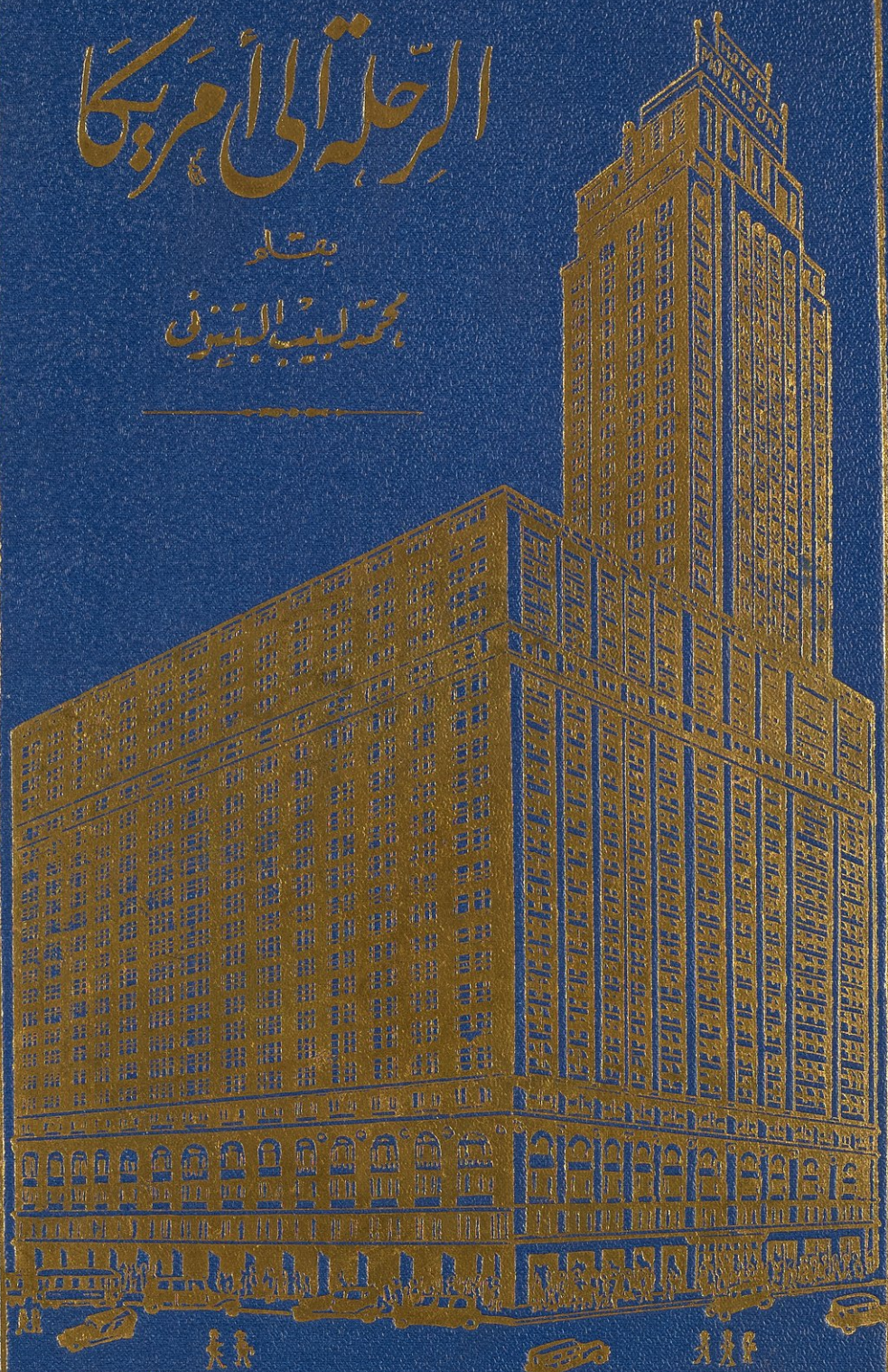
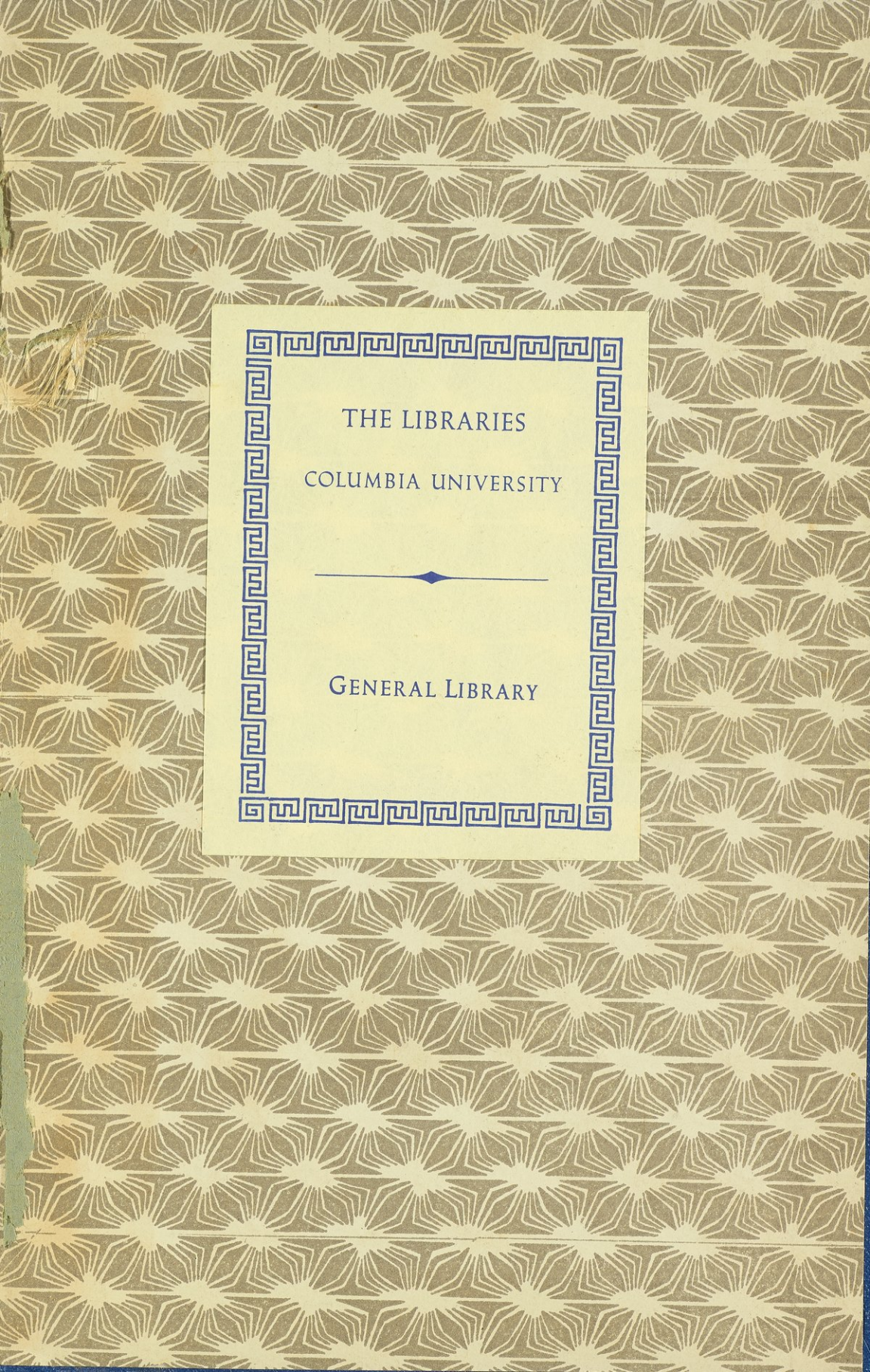


الرحلة إلى أمريكا

مجلد
بمقدّم البشير



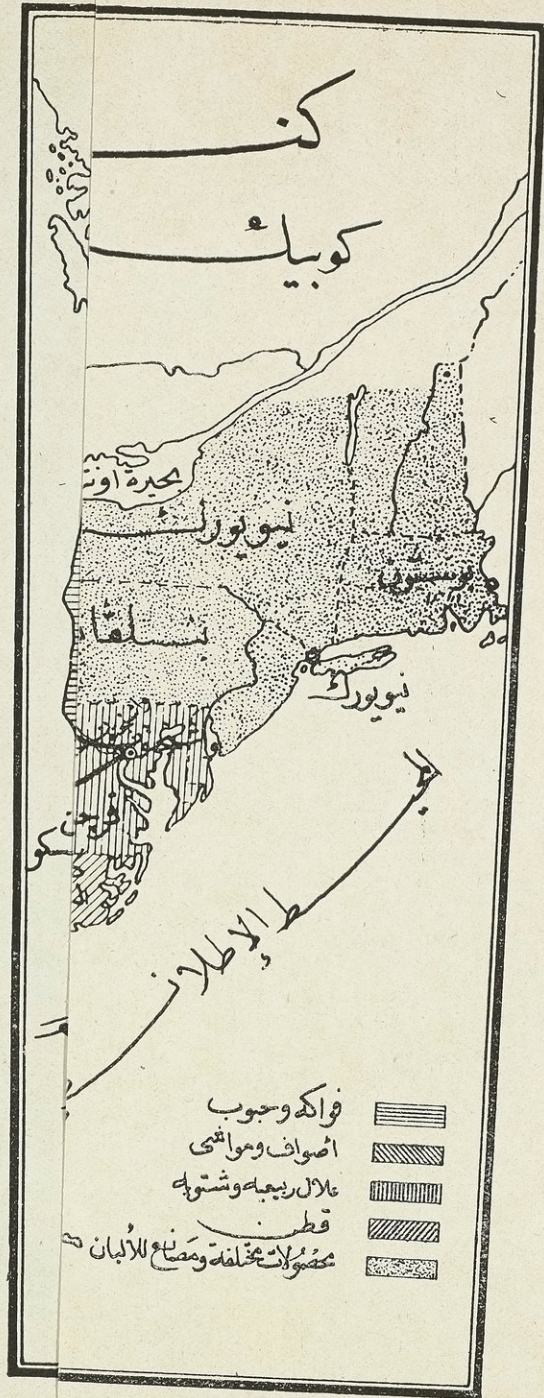
مكتبة الخانجي شائع عبد العزيز بيضتر * تولى احمد كرويف



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY





الرحلة إلى أمريكا

بقلم

محمّد لبيب البتوني

﴿ الطبعة الاولى ﴾

حقوق الطبع محفوظة

E
169
.B35

قامت بطبعها ونشرها

مَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِ
الصحابة أولاد محمد وأهل بيته
بشاعة عبد العزيز بمصر

(صندوق البوستان مصر ١٩٢٥)

١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ م

١٧٦٢-١٧٦٣ Exd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه .

وبعد : فأني كنت أمني نفسي من زمن بعيد بالسفر الى الولايات المتحدة لاشاهد بها حقيقة ما كنت أطلعه في الجرائد والمجلات ، مما كان يستعصى على الخيال تصويره وتصديقه ، من طفرتهم في المدينة وسرعة عروجهم في درجات الحضارة على صغر سنهم القومي وعدم إرتكازهم على مدنيات أهلية قديمة في تلك البلاد التي لا يرجع تاريخ حضارتها ومدنيتها الحاليين الى أكثر من قرن ونصف تقريبا ، وهو عمر قد يتجاوز عمر الأفراد . كل هذا كان يستحثني الى تخصيص وقت من أوقاتي لزيارة هذه الديار النائية الناهضة ، والتي بلغت الغاية التي لا ترام في صناعتها ، وزراعتها ، وثروتها ، وماليتها ، حتى أصبحت - وخصوصا بعد الحرب العظمى - صاحبة المنزلة المحترمة في دول المسكونة ، والكلمة التي لا ترد في سياسة العالم ، والقرار النافذ في اشقاء الأمم واسعادها !!!

وفي أواخر ابريل من سنة ١٩٢٧ بينما كنت أفكر في الرحلة الى بلاد أروح فيها نفسي من عناء عملي ، والجا إليها هربا من قيظ الصيف في مصر ، قرأت دعوة الى مؤتمر التربة الزراعية الذي تقرر انعقاده في مدينة

واشجبتون في ١٣ يونيو من سنة ١٩٢٧ فلبيت هذا النداء بغبطة كبرى،
وقصدت في الحال أوروبا، وسافرت منها الى العالم الجديد مع بعض
أعضاء المؤتمر من الممالك المختلفة

ولقد رأيت كما هي عادتي في رحلاتي أن أشرك بني قومي معي في
مرئياتي ومشاهداتي، وفي كل ما كنت أحس به من كمال في تلك
البلاد ونقص في بلادى، رغم ما كان يصيبني من تعب ونصب في التحرير
والتحجير والبحث والاستقصاء والترجمة، في وقت كان حقيقا بان ارتاح
فيه من عناء السفر المطرد ليلا ونهارا في مسافة شهر تقريبا.

وكنت أبعث اليهم برسالاتي التي كانت تنشر في جريدة الأهرام
الغراء. ولم أكن أرجو من ذلك كله غير قيامي بالواجب القومي. ولما
كثر على طلب إخواني حفظهم الله بجمع هذه الرسائل لبیت أمرهم
وضمنت اليها ما يتسر لى جمعه من صور تلك البلاد التي يجب أن تسمى
بحق ببلاد العجائب والغرائب.

وبينما كنت أفكر في تنفيذ ارادتهم طلب منى حضرة السيد
محمد أمين الخانجى الكتبي القيام بطبعها فسمحت له شاكر اهتته
والله تعالى ينفع بها وهو الموفق للخير والسداد، الميسر للرشاد والاسعاد.
محمد ليب البتتوني



احدى نساء سكان الولايات المتحدة الاصليين ص — ٤

من العالم القديم الى العالم الجديد

أذاع جناب المستر هوبسن مندوب الولايات المتحدة المستديم في معهد الزراعة بروما، دعوته بمصر، لمن يريد الالتحاق بفرقة من العالم الزراعى بأوربا، للسفر الى واشنطن، للاطلاع على أعمال مؤتمر التربة الأرضية بالولايات المتحدة، ثم التنقل في ولاياتها الوسطى الى سان فرانسيسكو ومنها الى كندا، متتقلين في جملة ولايات منها ثم يعودون الى نيويورك في مدة لا تقل عن شهرين. سمعت هذا النداء فأسرعت بالكتابة الى المستر هوبسن بروما فأجبنى بأن القاه في يوم ٢٧ مايو على رصيف احدى شركات الملاحة الامريكية بلندرة. فسافرت من الاسكندرية يوم ١٤ مايو على احدى مراكب الشركة الفرنسية وكان معنا على هذه المركب جناب مسيو وديع هرمس المدير الوطنى لبنك مصر في باريس ومعه بعض موظفيه من شباب مصر. وهنا ارجو القارىء يسمح لى بان لا أترك هذا المقام من غير أن أبدي آيات الشناء على همة حضرة النابغة العظيم طلعت بك حرب وحضرة العامل المجدفؤاد بك سلطان مديرى بنك مصر، للمشاريع الاقتصادية الجملة التى يقومان بها ولا يزالان يزيدان كل يوم حجراً متيناً فى أساس عظمة البلاد المالية والصناعية. تركت باريس الى لوندرة فى يوم ٢٦ مايو. وفى اليوم التالى ذهبت الى المرفأ الذى نركب منه مراكبنا الى نيويورك، ولقد كان سرورى عظيماً عند ما عرفت ان من اخواننا المصريين فى هذه السياحة. حضرة محمد ذوالفقار بك وعمر راتب بك. سار بنا المركب فى نهر التاميز بعد الغروب، وكان سيره وثيداً لتكاثف الضباب الذى غطى صفحة الجو واتصل بدخان آلاف المراكب التى كانت تسير أو ترسو فى مياه النهر، بما أصبح معه التنفس شاقاً على الرئتين، وفى الصباح حمدنا الله على رؤية كوكب النهار يملأ الجو بنوره. وهنا رأينا رجال فرقنا مؤلفة من عشرين انساناً من المان وتشوكو سلوفاك وطلين واسبانين وكان الأولون

أكثرهم عددا . استمر البحر يومين وهو مسالم لنا بما كان فيه من وداعة تملأونا غبطة وسعادة ، وإذا به قد تغير من غير انذار سابق !! وقد صار لون الماء اسود قائما ، وكان الامواج كانت تتسابق الى مركبنا وعلى رأسها ذلك الزبد الأبيض الذى لا أدرى اذا كانت ترفع به رايات السلام أو الاستسلام . وقد ظهر الاقيانوس أمامنا وسمات الغضب بادية على وجهه الذى كنت تقرأ فى اساريه كل علامة من علامات الخطر . وإذا نظرت الى الأمواج وجدتها قد فغرت افواهها لا ابتلاع كل ما يصادفها فى طريقها . فوالله ما الاسد مد اليك ببرائته ، ولا النمر كشر عن أنيابه ، ولا النيران قد اندلعت اليك السننها ، بأشنع منظراً ، ولا أبعث على الخشية من رؤية جبال هذه الامواج ، تترامى بعضها فوق بعض ، كأنها تقصدك بيد القضاء لتجرك الى عالم الفناء . وبينما ترى رأس مركبنا تغوض فى الماء وذنبها فى الهواء ، اذا بجانبها يغترف من اليم والجانب الآخر يحذو حذوه ، واذا هي بجملتها تطير فى الجو فتطير معها العقول وتصعد الأرواح بحركتها الى الحناجر ، والصفراء فيما بين هذا كله قد انفرزت الى المعدة ، وكأني بها قد تحجرت وأصبحت لا يزحزحها عن مكانها إلا يد القدر ، وكادت بها أحشاء كل إنسان تخرج من بين شفتيه . وقد استعصت على المرء كلماته وخطواته ، فلا تسمع أذناه كلاما ، ولا يستطيع فكره مراما ، ولا يقبل فيه غائما ، ولا تقوى رجله على خطوة واحد تنقله من مكان إلى مكان آخر .

قلوب واجفة ، وأرواح مرتعدة ، متشعبة بكل أنواع الجزع والفرع ، تنقلها الى جسوم كادت تفارقها حياتها ، ولا أدرى الى رحمة الله أو الى قمته !!

وكان كل شئ فى المركب يتحرك بحركتها !! ولو نظرت الى الصالون والى من فيه من الجلوس ، وقد أخذت كراسيهم تتحرك شمالا وجنوبا وشرقا وغربا متتبعة حركة المركب ، لعرفت أن كل شئ حتى الجمادات منزوعة الارادة ، مروعة فوق سطح الاقيانوس !! وبالجملة فقد كنا بين رجلين : متجلد تجرى أحشاؤه بين أذنيه وأخضيه !! ومتمدد لا يدرى أهو من الأحياء أم من الاموات !! وما كنت أعتقد

قبل اليوم أن هذا المخلوق الضعيف الهين اللين غير المتمتع ، الجماد الحى ، الساكن المتحرك ، يستحيل الى هذا الوحش المفترس الذى يمثل الموت فيه ، ويتشكل الفناء فى فيه . وهل يمكن هذا الانسان أن يشعر بعظمة الوجود بقدر ما يشعر بها وهو على سطح الاقيانوس؟؟ نعم قد يشعر الانسان فى وقت من الأوقات بقوة فيه وعظمة !! لكنه إذا كان فى وسط هذه اللانهاية المائتة لا يقع نظرة فيها إلا على ما يحده بصره من هذا الأفق البسيط ، شعر بمقدار ضعفه وبصغر هويته التى تكاد تضمحل أمام عظمة الطبيعة المائلة أمامه . وما كان أشد ما تجسم لنا من خطر هذه السفرة وأن نصيبنا منها سيكون نصيب التيتانيك (١)

(١) التيتانيك هى أكبر سفينة عرفت للآن ، تجلت فيها عبقرية الصانع الى الحد الذى توهمه الناس مما لا يمكن لقوة الطبيعة أن تؤثر عليها بل حال من الاحوال وحسبك أن تعلم أن حمولتها كانت ٤٦ الف طن ، وتفرغها ٦٠ الف طن ، وكانت تتركب من خمس طبقات يتصل بعضها ببعض بواسطة مصاعد كهربائية ، وكان بها صالونات للاجتماع ، والتدخين ، والاستراحة ، والالعاب المختلفة وغيرها ، وغرفة للمائدة طولها ٣٥ مترا ، وعرضها ٢٩ مترا ، وكلها من أحسن ما وصلت اليه يد الابداع الصناعى وكان بها حديقة فضرة ، وحمام بحرى ، وملعب للتنس ، وقاعات للالعاب الرياضية . وكان الكثير من غرف النوم بها حماماتها وصالوناتها الخصوصية . وبالجملة فتد أنفق على انشاء هذه السفينة ٢ مليون جنيه !! وسافرت لأول مرة فى ١٠ ابريل سنة ١٩١٢ من بلاد الانكلترا قاصدة نيويورك ، وعليها من الركاب ٢٤٠٠ مسافر ، جلهم من اصحاب الاموال والكتاب والعلماء ، وفى بريدتها اكثر من ٧ ملايين مظروف . وبعد اربعة أيام من سفرها كانت تقطع فى اثنائها عشرين عقدة فى الساعة انقضت على أتم ما يتصوره الانسان من الهناء والصفاء ، قلبت لها الطبيعة ظهر المحن قبل وصولها الى نيويورك بيوم أو بعض يوم ، وقطع عليها طريقها

ولكن نجاح لنديرج في وصوله سالما الى باريس يوم قيامنا منها ، كان بيعث
فيما الآمال ويذهب عنا بعض ما كان بنا من رهبة .

أمضينا يومين ونحن بين غضبات الاقيانوس التي ما كانت تقطع دقيقة
واحدة ! . وما كان أسعدنا عندما دخل علينا خادم المربك في صباح اليوم الثالث
مبشرا بجمال الوقت وهدوء البحر ! فأخذنا في لبس ثيابنا وصعدنا الى ظهر السفينة
التي ثبتت قدمها ، وثاب اليها عقلها ، وأخذت تسير على وجه الماء بخطوات الرزاة
والثبات ، وكان البحر في حاله كالرجل العظيم : عظيما في غضبه ، كبيرا في حلمه :
وهنا انتشرت أمامي صفحة التاريخ وما صادفه الرحالون والمكتشفون من الاخطار
مما نقرأ عباراته ولا نغير ادنى تقدير لما صادفوه من عناء ولا لمالا قوه من صعوبات
وأخطار ! ! ذكرت أولئك الرحالين من العرب كابن بطوطة والادريسي وابن
جبير وغيرهم ، وقد تمثلت أمامي تلك الفلك التي كانوا يركبونها في اكتشافاتهم ،
تلك الفلك التي هي عبارة عن جملة قطع خشبيه تتصل بعضها ببعض ، وليس فيها من
مستلزمات الراحة من شئ . وما كانت تمنع من خطر أو تقوى على رد بلاء من
مكدرات الايام ! ! يالله لهذه الفلك وما يحتزمونها به من الجبال التي تتلاشى أمام
أية رطمة أو صدمة ! ! تلك الفلك التي ليس فيها من قوة تسيرها غير قوة سواعد
ركابها الذين كانوا يتبادلون مجاذيفها حين يقلب الريح ظهره لما فيها من شرع لا
يدين له على مدافعة شئ من التيارات الهوائية فضلا عن تلك العواصف التي كثيرا
بل كثيرا جداً ما نراها على سطح الاقيانوس .

تذكرت كولومب وهو في سفينته مع نفر من قومه لا يتجاوزون عدد أصابع
اليدين ، وهم يتبادلون المجاذيف ولا بوصلة تقودهم ، ولا بخار يسيرهم ، اللهم الاعلمهم
البسيط بسير النجوم . ذكرت هذا الرجل العظيم وهو في طريقه الى جهة الغرب

جبل من الثلج يرتفع بنحو ٣٠٠ متر فوق سطح الماء ، فصدمة جعلت عاليها
سافلها واصبحت هي ومن فيها حديث العبرة والتاريخ ! !

ليصل في يوم ما الى الجهة المقابلة لاسبانيا من العالم الارضى ، وقد كان يريد أن يتحقق مما شاع وذاع في تلك الايام من فكرة دوران الأرض أو كرويتها . تذكرت تلك الصعاب التي قابلته في طريقه ، وتلك الأخطار التي كانت تحف بسفينته ، وتلك العقبات التي كانوا اذا جاوزوا واحدة منها تمثلت لهم أخرى أشنع وأفظع ، حتى وصل بهم حظهم الى جزر خليج المكسيك !! وهنا أرجو أن يسمح لى حضرات القراء بذكر كلمة بسيطة عن تاريخ هذا الرجل العظيم :

كرستوف كولومب

كرستوف كولمب بحار طليانى من جنوه ، التحق بخدمة الملك فرديناند باسبانيا . ولقد كانت تقوم بخياله فكرة كروية الأرض وهو مذهب كوبر يكون الذى خالف به مذهب بطليموس ، وصادف فى طريقة ما صادفه شهاداء العلم فى الأزمنة المنصرمة .

وفى ٣ أغسطس من سنة ١٤٩٢ أبحر كولمب ومعه ثلاث سفن شراعية من مرفأ فالوس باسبانيا ، وسار الى جهة الغرب ليعود الى اسبانيا من جهة الشرق . وفى ١٢ أكتوبر وصل بعد جهاد كبير الى بعض جزر خليج المكسيك ثم عاد الى بلاده من الطريق الذى جاء منه ليجهز نفسه باستعداد أكبر لرحلته الثانية التى اكتشف فيها بعض سواحل أمريكا الجنوبية . وقد تكررت روحاته الى اسبانيا وجيئاته منها . وفى رحلته الرابعة كاد يموت هو ومن كان معه جوعا لطول الزمن الذى قضوه على سواحل القارة الجديدة بما كان سببا لوقوع الخلاف فيما بينهم فاضطروا الى العودة الى بلادهم فى سنة ١٥٠٤ وهنالك سعى به الى الملك فرديناند الذى غضب عليه ونكبه ، ومازال فى نكبته حتى مات بائسا فقيرا . وكان له من جهاده فى كشف هذا العالم الجديد حظ طارق بن زياد ، وموسى بن نصير فى فتح اسبانيا !! ذهب كل منهم اطعمة لئيران الحسد والوشايات وجهل الملوك واستبدادهم !

هل الحظ للحاسبين ؟

لقد قد كان باسبانيا في ذلك الوقت بحار طلياني اسمه أمريك فسيبس (ولدى فلورانس في مارس من سنة ١٤٥١) وكان قد التحق بخدمة عائلة مديشى النبيلة في اشبيلية عند معاد كولومب من إحدى سفراته ، وسمع أمريك من كولومب شيئا كثيرا عن هذه البلاد ، فعن له أن يسافر اليها . وفي سنة ١٤٩٩ ركب البحر حتى وصل الى القارة الجديدة وقطع على ساحلها الشرقى جملة اميال وكتب مذكراته عماشاهده فيها . ولما عاد الى اسبانيا في سنة ١٥٠٠ قدمها الى احد امراء مديشى . وفي سنة ١٥٠١ انتظم أمريك في خدمه ملك البورتغال الملك عمانوئيل ، فطلب اليه أن يرسله في رحلة الى سواحل البرازيل ، فجهزه اليها وكتب وهو هناك تقريرا عما شاهده فيها وأرسل به اليه ، ونشرت هذه الرسائل وذاع أمرها بين الناس فنسبوا اليه كشف هذه البلاد الجديدة وسموها باسمه (أمريك) أو أمريكا . وقد أصبح اسمه اليوم ملازما لما في هذه البلاد من العلم والفن والجلال والعظمة والمال والقوة والمنعة ، بل رمزاً لهذه المدنية وهذه الحضارة التي بذت كل حضارة قبلها ، وهي لا تزال راقية في مدارج سموها لا تقف في طريقها موانع الزمان ولا صعوبات الطبيعة إلا تغلبت عليها بما لها من تلك الارادة الهائلة التي تراها في شذوذها وقوتها كأنها صادرة عن عالم آخر غير هذا العالم الانساني .

وبعد يومين من سيرنا في هذا الجو الجميل والهواء العليل ، اذا بأبخرة الضباب تتصاعد الى جونا بما أصبح معه النهار أشبه بليل حالك ، حتى صرنا لا نبصر أبعد من (دريزن) السفينة . وهنا أخذت المركب تصغر باستمرار خوفاً من وجود سفينة أخرى تكون في طريقها ، والحمد لله لم تقابل شيئا من ذلك . واستمر الضباب الى نصف الليل ، وهنا شعرنا ببرد شديد أيقظنا من نومنا ، والتزمنا معه سرعة التدثر

والتزمل ، وكان صغير المركب يزداد بما لم نعلم له من سبب . وفي الصباح علمنا مع شكرنا لله أننا مررنا بقرب خمس قطع ثلجيه كبيرة (آيسبرج) ، كانت تعوم على سطح الاقيانوس . وما كان صغير المركب إلا ليتعرف به قومندانها من قوة رجوع الصدى مقدار بعدها عنا أو بعدنا منها ، والحمد لله الذى جعل اتجاهها الى غير جهتنا . وما كان أكثر ثنائنا على الله تعالى أن لم يكن نصبنا منها ما كان نصيب الطيار ولنجسر مع طائر الأبيض الذى يزعمون أن برودة هذه المثالج هى التى تجمد معها زيت طيارته ، فوقفت عن العمل وسقطت حيث لم يعثروا لها على أثر للآن . ذهبت برودة الجو وبدأ الحر بغته يذكرنا بما كنا نسמעه عن جو أمريكا وخصوصا فى أمريكا الوسطى وما إليها ، ولم نعلم لذلك من سبب إلا ما عرفناه أخيرا من أننا كنا نجتاز بمركبنا تيار (جولف ستريم) الذى حرارته أكثر من درجة الغليان وهو يصدر من خليج مكسيكا ويعمل دورته فى المحيط الاطلانطى حتى يصل الى بحر الشمال .

ويقال إن أحسن وقت للسفر فى الاطلانطى هو شهر يونيو وأغسطس ، أما يولييه فتثور فيه رياح الانقلاب الصيفى ، وسبتمبر تثور فيه رياح الانقلاب الخريفى . أما الشتاء فليس فيه من ثبات للبحر الخضم : فالمرآك تكون فيه عرضة لتقلبات العواصف كلما وجدت وهى تكاد لا تنقطع فى هذا الوقت .

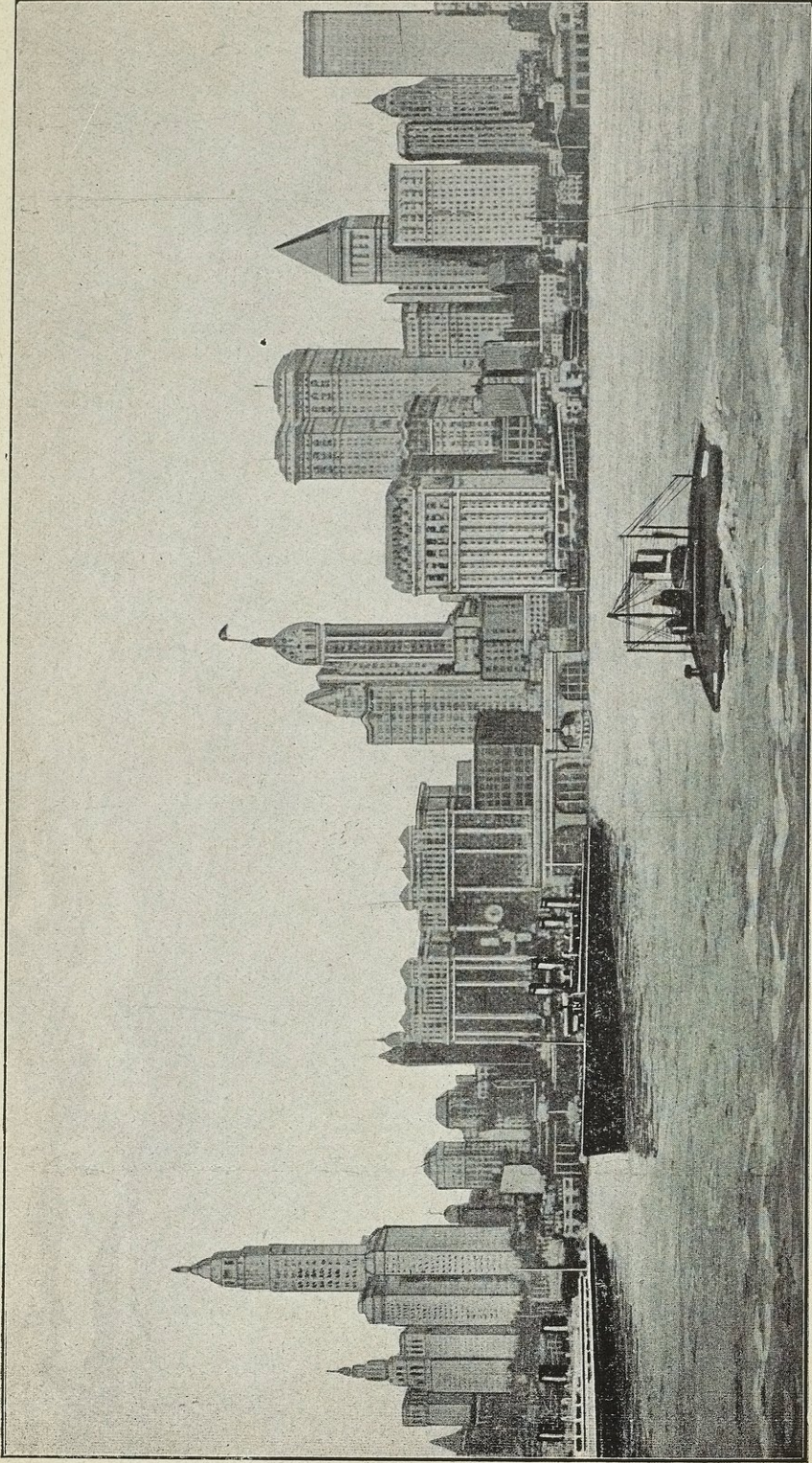
ومازلنا سائرين بين تقلبات من غيم الى صحو ومن جزع الى اطمئنان ، حتى وصلنا الى مياه نيويورك والحمد لله بعد تسعة أيام من قيامنا من لوندرة .

وأول ما ظهر لنا من هذه المدينة العظيمة تلك الكتلة البنائية الهائلة التى كانت فى نظرنا تصل الارض بالسما . ولما اقتربنا من الشاطئ رأينا فى وسط مينائها تمثالا للسيدة الحرية : وهو تمثال قام على صخرة فى وسط الميناء وقد رفع يده اليمنى الى السماء كأنه يشير الى القادمين الى هذه البلاد بالدخول اليها متمعين بحريتهم ، تلك الحرية

التي هي شعار هذه البلاد ، والتي قامت عليها حيويتها وعظمتها . وهل قامت الامم في طريق مدنيها وعظمتها إلا على الحرية الصحيحة التي تطلق للمرء زمامه في دائرة القوانين الدينية والاجتماعية ؟ لا كما يفسرها بعضهم من أنها إطلاق الارادة فيما لاحد له ولا قيد ، وهو تعريف باطل . وهل وصل عربى البادية الى تلك المدنية التي كانت من أرقى مدنات العالم إلا بما كان له من تلك الحرية البدوية ؟ كما أن الامريكى المتحضر إنما وصل بحريته الى مدينة هي أرقى المدنات والى حضارة لم يسمع بمثلها فبات .

ومن داخل المنياء قريبا من تمثال الحرية جزيرة أليس . وهي جزيرة صغيرة فيها بناء كبير خاص بنزول المهاجرين اليه ليكشف عنهم طيبا ، وبعد فحص أوراقهم قانونيا إما أن يسمح لهم بالدخول أو يبقون في مقرهم حتى يعادوا إلى بلادهم ، ومن ينزل منهم إلى أرض هذه البلاد يكون تحت رحمة القضاء والحظ إما صعود إلى السماء أو بقاء في الخضيض ، وليس من وسط بينهما في هذه البلاد .

ولقد كانت قبل الحرب الأوروبية أبواب البلاد مفتحة على مصاريحها لكل من أراد الهجرة اليها ، فخشى الامريكى بعد الحرب أن يشمر الناس في أوروبا للهجرة إلى أراضيها وربما وصل عددهم إلى حد يخشى منه على بلادها ، فسنوا قانونا في سنة ١٩٢١ يقضى بان لا تقبل الولايات المتحدة في بلادها من كل دولة الا ما كان مجموع المقيمين فيها لا يزيد على ثلاثة في المائة من أهلها . وفي سنة ١٩٢٤ سنوا قانونا آخر يقضى بان تكون هذه النسبة اثنين في المائة فقط . وقد منعوا هجرة اليابانيين بناتا كما منعوا قبل ذلك هجرة الصينيين ، ومع هذا كله فصعوبة الكشف الطبى على المهاجرين من شأنها رفض عدد غير قليل منهم فيعودون الى بلادهم مقهورين ، وهم يلعنون الساعة التي مرت فيها بخاطرهم فكرة الهجرة .



منظر مباني نيويورك من البحر ص — ١٢

ولما نزلنا الى البر وجدنا اعمال الجمرک فى انتظارنا فأخذوا فى فتح حقائبنا جميعها
عليهم يعثرون على شئ يأخذون عليه مايزيدون به ذهبهم . والحق يقال ان الجمرک
عندهم ليس على مايمحمد من النظام رغما فيه من الشدة التى لامعنى لها !! وربما
كانت هذه الشدة للبحث عن مهربات المشروبات الروحية
ولما انتهينا من الجمرک ركبنا الاتوموبيلات الى اللوكندة التى كانت تنتظر
حضورنا وقد أدهشتنا لأول مرة حركة الآلاف من الاتوموبيلات فى شوارع
المدينة بما لم نر له مثالا فى مدينة أخرى فى مدن أوربا .
وهنا أحدثك عن نيويورك : هذه المدينة العظيمة التى تعدادها الآن هو تعداد
القطر المصرى فى أوائل القرن العشرين .

نيويورك

هى مدينة . . . لا أجدر وصفا يفي بعظمتها !! ولكن اذا كان الحاسبون
وضعوا الصفر على يمين العدد فنقله من درجة الاحاد الى العشرات الى المئات الى
الآلاف ، فانا اشير عليك أن تضع الى جانب لفظ « عظيمة » كلمة جدا مكررة ثلاث
مرات لتنقلها الى درجة الآلاف وهى أول الوحدات العددية عند الأمريكان ،
وبالجملة فهى أكبر مدينة فى العالم كله .

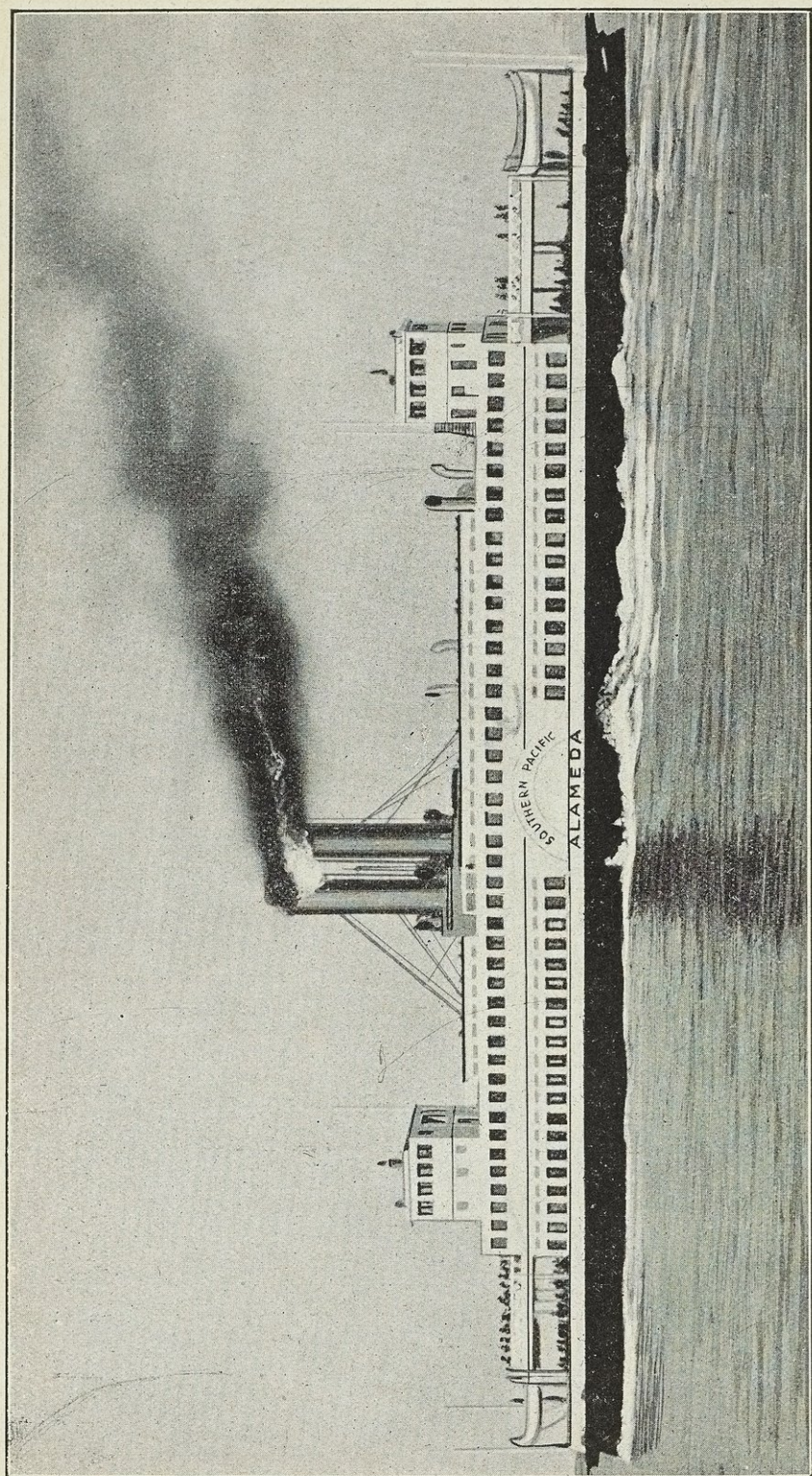
أما شكلها فمستطيل بين نهريْن : النهر الشرقى من جهة الشرق ، ونهر هدسون
من جهة الغرب ، وهما النهران العظيمان اللذان لا تهدأ فيهما حركة المراكب البخارية
التي تنقل صادرات البلاد الشمالية والغربية الى ثغرها العظيم ، وتنقل واردات
البلاد الاجنبية الى داخلية الولايات الشرقية والشمالية من الاتحاد الأمريكى . والقسم
الذى بين نهريْن الى المحيط الاطلانطى هو المدينة القديمة ويسمونه المدينة الواطئة
أو الجنوبية ، أما ما فوقه الى الشمال فيسمى (منهاتن) .

وأول من استكشف هذا المكان البحار الانكليزى هدسون فى سنة

١٦١٠ م وسمى النهر باسمه . ثم بنى فيها الهولنديون أمكنة يأوون إليها وسموها « امستردام الجديدة » . ولكن الانكليز أجلوهم عنها فى سنة ١٦٦٤ وسموها نيويورك ، وكان عدد أهلها فى ذلك الحين ٢٥٠٠ نفس ، وكان فى حرب الاستقلال (سنة ١٧٦١) ٢١٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٠٠ — ٦٠٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٥٠ — ٥١٥٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٩٧ — ٢٠٠٠٠٠٠ نفس . وهى الآن تتوج بالسكان الذين لا يقل عددهم عن تسعة ملايين نفس ، منهم مليونان يسكنون خارج المدينة . وسكانها اليوم وإن كانوا يستظلون براية واحدة ، هى راية الولايات المتحدة ، فهم خليط من انكليز وفرنسيين والمان وارلنديين وبولونيين وطلين وروسين وغيرهم .

وعلى يمين هذا القسم النهر الشرقى ، وفى ضفته الشرقية مدينة بروكان ، وفى شمالها مدينة لونج أسلاند ، وهما ضاحيتان عظيمتان من ضواحي نيويورك . ويصلها بالمدينتين المذكورتين جملة أنفاق تحت النهر وكبار فوقه ، أهمها كوبرى بروكان الشهير ، وهو هذا الكوبرى المعلق الذى ليس له نظير فى الدنيا وطوله ٦٠١٦ قدما وعرضه ٨٦ قدما ، وتكليفه ٢٦ مليون ريال تقريبا ، وهو يرتفع عن مياه النهر نحو ١٣٣ قدما . ويبعد عنه بقليل كوبرى (منها تان) وفى كليهما طريقان للراجلين وطريقان للترام الكهربائى وآخران للمركبات المختلفة ، ويمتاز الأول بطريقين للقطر الكهربائى .

وعلى الشاطئ الغربى من نهر هدسون مدينة (نيوجرزا) ، وفى شمالها مدينة (هوبكن) ، وتتصل بهما مدينة نيويورك بمواصلات عديدة بعضها تحت النهر وبعضها فوقه خصوصا بواسطة المعديات البحرية الكبرى . وهاتان المدينتان من ضواحي نيويورك وكأنى بهذه الضاحيات الأربع كلها معامل لصناعات مختلفة وسكانها من العمال بطبيعة الحال .



احدى العدييات فى نهر الهيدسون من شاطئ الى آخر ص — ١٤

والمدينة الواطئة شوارعها ضيقة وخصوصا شارع « وول استريت (١) » الذي هو أكبر نقطة مالية في العالم كله ، ويقولون إن نصف ذهب العالم مكس بين أركانه ، وفيه العمارات الشاححات تلك التي يسمونها « ناطحات السحاب » . ومما يلفت نظرك في هذا القسم أن ترى الناس يسرون فيه وأعينهم في أم رأسهم، متجهة الى ذلك السمو الذي يذكرنا بقصة صرح الغرود الذي بناه ليصل به الى السماء . ومن هذه البنائيات بناية لشركة اسمها « شركة وضع الامانات » ، في دورها الارضى ٢٥ الف خزانة حديدية بين ظلام حالك بطبيعتها ، وأرضها من الكاوتشوك من تحته أجراس كهربائية تدق في مقر الحارس عند أية حركة من غير أن يسمعا من حدثت منه . ولهذا المحل باب لا يفتح إلا بحالة ميكانيكية ينزل بها الباب مع ما يحيط به من كتل الرخام مسافة ٣٠ سنتمترًا ، والباب من الصلب سمكه ٥٠ سنتمترًا وقبل الدخول الى هذا المحل يجب على الداخل أن يقول كلمة المرور السرية الى الحارس ، وقد يصل ارتفاع بعض هذه الخزائن الى ٣ أمتار . وبالجملة فهذه الخزائن من الصلابة بحيث لا تعمل فيها قلال المدافع ، وقد وضعوا في سقف المكان أنابيب اذا فتحت من مكان معلوم للحارس ملأت المكان بخارا حارا يقتل الذين يجرواؤن على الدخول فيه مهما كان عددهم ، كما أن بابه لو قفل لا يكون للتيران ولا للماء سبيل للدخول فيه . وأغلب البنوك في « وول استريت » مشتركة في هذا المحل ولها خزانة أو جملة خزائن تضع فيها ذهبها .

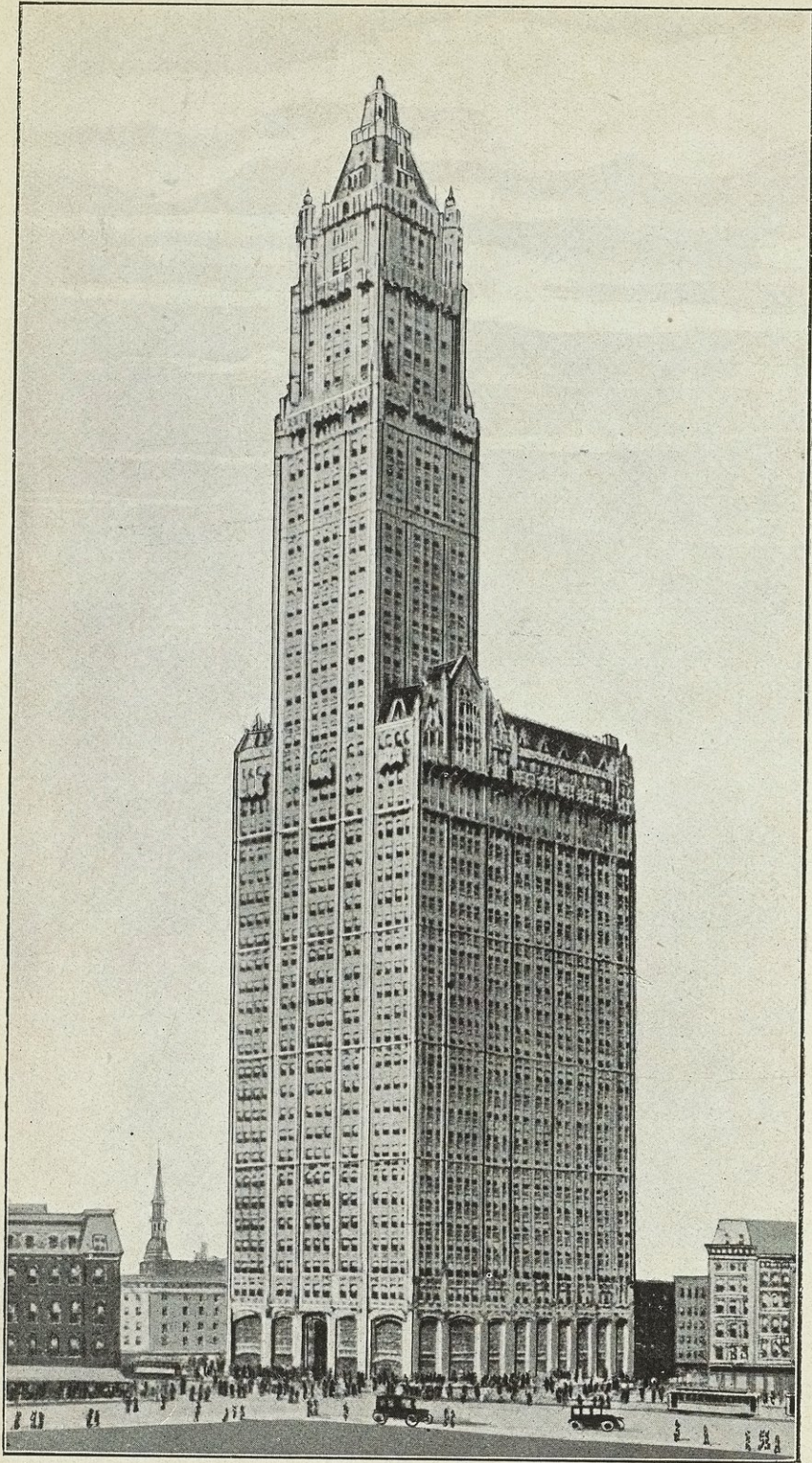
واذا كان في الولايات المتحدة ١١ الف مليونير منهم ٧٤ إيرادهم أكثر من مليون ، فسوادهم مقيم في نيويورك ، وأعظم البنائيات الموجودة في المدينة الواطئة هي : وولورث بلنج ، ادامس بلنج ، كينار بلنج ، تريتي بلنج ، ويتال بلنج ، سنجر بلنج . الخ !!!

(١) أظن ان حضرات القراء يدكرون كثرة ورود هذا الاسم اخيرا في جرائد العالم كلها لانه كان مسرح النكبات المالية التي أثرت تاثيرا سيئا على الحالة الاقتصادية العامة في انحاء العالم .

وكان أعظم البنايات في نيويورك الى سنة ١٩١٣ هذا البناء الذي يسمونه حديدية المكواة لأنه على شكلها ، وهو في ميدان مدسون وفيه عشرون طبقة . وكان الى ذلك الوقت محل إعجاب كل من وقع نظره عليه ، أما الآن وقد وصلت البنايات الى ستين طبقة ، وهم يصلون الآن فيما يصل الى مافوق المائة ، فقد أصبح بناء انقلاط أسرا عاديا صرفا . ويجمل بنا هنا أن نذكر لك البناء الذي يقابله من النهاية الأخرى بميدان مدسون وهو مايسمونه « متروبوليتان طور » ، وهى كنيسة على نظام كنيسة سان مارك بفنسيا ، ومنارتها تصعد في الجو الى إرتفاع مائتى متر . وفى هذه المنارة أكبر ساعة في العالم قطرها ثمانية أمتار ، وارتفاع أرقامها عن قاعدتها متر ، وعقرب الدقائق طوله خمسة أمتار وزنته ٥٠٠ كيلو جرام ، وعقرب الساعات طوله ٤ أمتار وزنته ٣٤٠ كيلو جراما ، وحركة هذه الساعة بالتيار الكهربائى وتدق كل ربع ساعة بواسطة أجراس تسمع صوتها من بعد جملة كيلو مترات من محيطها ، وما أشد عجبك اذا رأيت هذه الساعة ليلا وقد ظهرت أرقام ساعاتها ودقائقها وثوانها وعقاربها كلها منارة بواسطة مصابيح صغيرة كهربائية ذات ألوان مختلفة تأخذ بالالباب . وهنا نكتفى أن نذكر لك إحدى هذه البنايات حتى تكون على علم بشئ من عظمتها :

ولورث بلدينج

هذا البناء العظيم سمي باسم صاحبه ، ذلك العصامى الذى كان في أول هذا القرن عاملا بسيطا في دكان صغيرة ، فأشار على صاحب الدكان بأن يتجر في الأشياء الصغيرة التى لا يزيد ثمنها على عشر الريال ونصف عشر الريال ، ذلك بان يضع مائدة في وسط محله ويضع عليها هذين الصنفين من الأشياء ، فسمع الرجل هذا الرأى ونجح فيه بعض الشئ ، وبعد مدة يسيرة ترك وولورث هذا المحل وفتح له محلا مستقلا صغيرا يبيع فيه هذه الأشياء بنوعها ، فلم يفتح له باب النجاح ، فنقل مركز المحل الى



بنایة ولورث بنیویورک ص — ١٦

جهة أخرى فنجح نجاحا عظيما ، فأضاف الى ذلك محلا ثانيا فنجح ، ثلثا فربا
فخامسا ، وكلها كانت فى منتهى النجاح . وهى الآن محاله وبعبارة أخرى محال
تجارته الواسعة فى كل جهة من جهات الولايات المتحدة ، بل وفى انجلترا نفسها
وكلها على سعتها وكبرها وعظمتها لا تتبع إلا بهذه القيمة التى أفاضت على صاحبها
مئات الملايين ، بحيث أصبح من أعظم سرارة البلاد . وتجد فى هذه الدكاكين
الهائلة كل مايلفت نظر الناس اليها من اصوات فونوغرافات جميلة ، وصور بألغات
رشىقات ، ونظافة ورواء وبهاء ، حتى لكأنك فى محل (الماس يدره) . وهذا البناء
يتكون من ستين طبقة (١) فيما فوق القاعدة الهائلة التى يرتكز عليها : وهى شبكة
من الصلب تنزل فى هذه الأرض الصخرية الى مسافة بعيدة باعمدة من الصلب ،
مفرغة من الوسط ملئت بالاسمنت ، حتى اذا تثبتوا من كونها تحمل هذا الجسم
الهائل أقاموا هذا البناء الذى كاه مكاتب للأعمال التجارية التى لا حصر لها .
وقاعدة هذا البناء تتكون من ثلاث طبقات فى باطن الأرض ، وضعت فيها
الآلات التى تولد الكهرباء للمصاعد التى تراها على الدوام فى حركة لا تعرف للراحة
وقتنا ، لا ليلا ولا نهارا .

وكثلة البناء فوق الأرض ارتفاعها ٢٤١ مترا ، وبها ثلاث وجهات ، بها تسعة
مداخل ، إثنان منها يتصلان بمحطة السكة الحديدية التى تحت الأرض . وفى هذا
البناء خمسة آلاف شباك فى وجهاته ، وضعها فى غاية الجمال والتناسب ، تحيط بها
تلك النقوش القوطية العجيبة .

أما داخله فخوائط من الرخام الجميل الملون الذى أتوا به من بلاد اليونان ، وسقفه
من الفسيفساء المذهبة البديعة الصنع .

وفى البدروم غير الآلات الكهربائية محل فيه بركة كبيرة للعوام ، وإلى جانبها

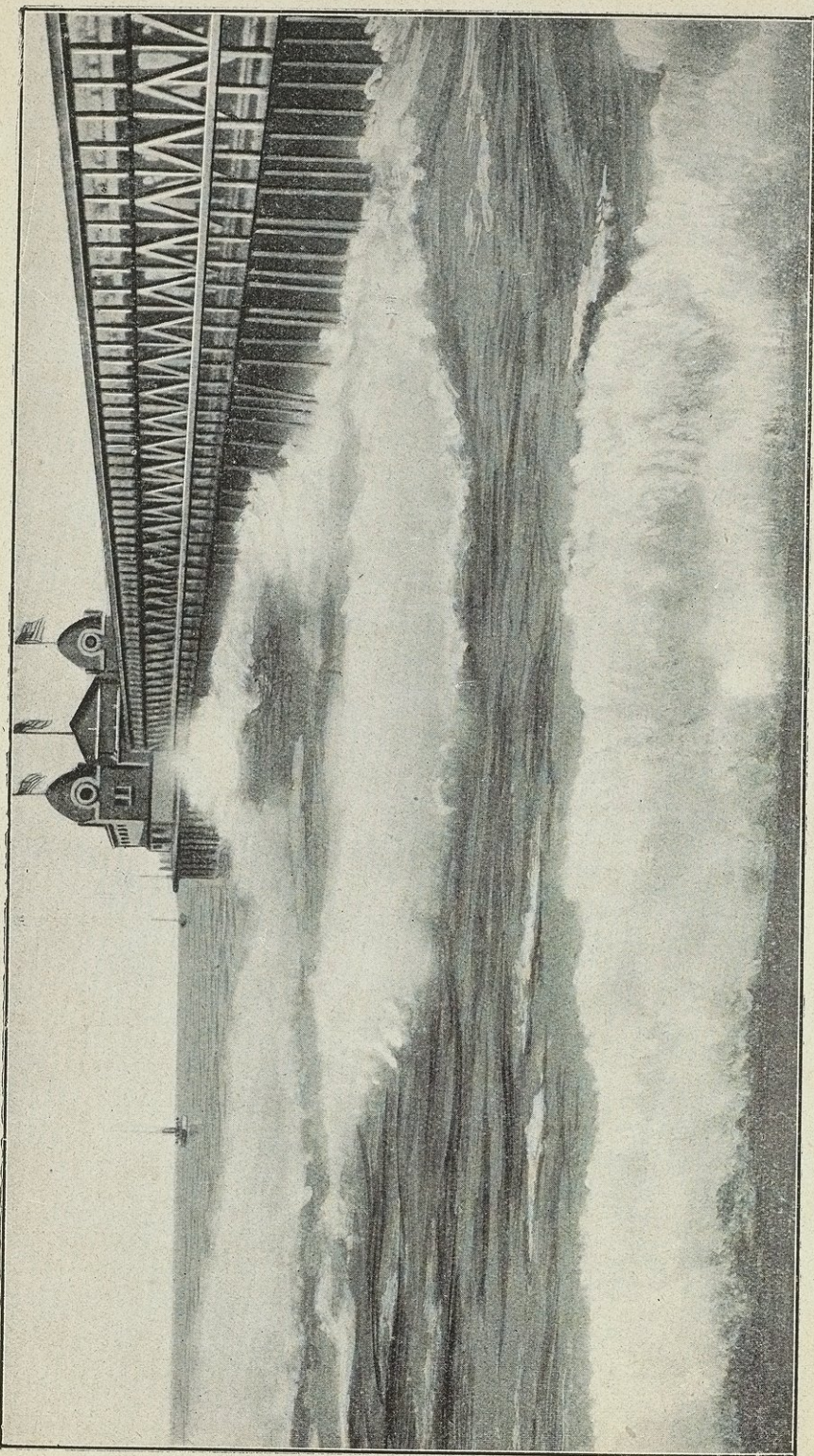
(١) والآلآن يتمون بناء فى وسط نيو يورك من ٨٥ طبقة وقرروا ان يعمل فوقه مطارا تنزل
اليه الطيارات التى تقطع الاقيا نوس بدل نزولها فى المطار الحالى الذى يبعد ٧٥ كيلومتر عن المدينة

حمامات تركية مفتوحة أبوابها ليلاً ونهاراً لمن يريد الاستحمام بها ، وفيه أيضاً أمكنة للأكل والزينة .

وفي هذا البناء ٣٤ مصعداً منتشرة في جميع جوانبه ، يصعد واحد منها كل نصف دقيقة وجركتها مستمرة ليلاً ونهاراً ، بحيث ينتقل فيها كل يوم خمسون ألف نفس . ومنها مايسير بصفة إكسبريس لا يقف إلا في الادوار الهامة ، ومنها مايقف في جميع الأدوار .

وقد احاطوا هذه المصاعد بما يحفظها من كل خطر فيما لو قطعت أسلاكها الرافعة ، ذلك أن قاعدة المصعد اذا نزلت أرتكزت على مرتبة لينة ركبت على منطقة فرغت من الهواء لتحمل عنها صدمة الضغط الشديد بحيث لا يحس فيها بهزة ولا بوكزة . وقد وضعوا أثناء تجربة هذه الحالة في قعر المصعد كوبة مملوءة بالماء ، فلم تسلم منها قطرة واحدة على جدر الكوبة في نزوله بعد قطع اسلاكه !!
وقد احاطوا هذا البناء بما يمنعه من الحريق بحيث لو اشتعلت النيران في مكتب من المكاتب لا يمكن بأى حال أن تتصل بالمكتب المجاور له ، ذلك لأن جدر المسكان كلها من البناء المسلح ، وأبوابه من الصلب ، وشبابيكه مغلقة بشبكة من الحديد . وفي أسفل البناء مضخة عظيمة أنابيبها واصله الى الطبقه الستين فاذا فتحت فوهتها تفجر منها الماء بنسبة ٢٠٠٠ لتر في كل دقيقة .

ومجموع من يشتغل في هذا المكان خمسة عشر ألف نفس ، وفيه ٢٠٠٠ تلفون ، والبريد يحمل اليه يومياً ١٥٠ ألف مظروف ، ولكل مكتب اسطوانة يلقون فيها بكتبهم فتنزل الى مخزن في أسفل البناء يصل اليه عمال البريد فيأخذونها منه ٢٧ مرة في كل أربع وعشرين ساعة ، وفي هذا المكان نقطة بوليس وفيه من عمال الصيانة والنظافة من يقوم بجميع حاجاته ، وفيه مستشفى للعمال وطبيب وممرضة . وقد صعدت الى قمته مع صديق لى هو حضرة الفاضل امين افندى رستم ولكن كان الضباب من تحتنا كثيراً بحيث لم تتمكن من مشاهدة منظر المدينة .



مرفأ منزله على الشاطئ، الاطالانطى ص - ١٨

واجرة الصعود فيه لكل شخص نصف ريال ، ومجموع ما يحصل من هذه الاجرة سنويا مليون ريال .

والى زاوية من هذا القسم يبدأ شارع برودوى ولا يزال الى النهاية الشمالية من المدينة ، وربما كان اطول شارع فى الدنيا ، وطوله اكثر من اثنين وعشرين كيلو مترا . وفى هذا الشارع الحركة التجارية بمعناها الحقيقى ، وفيه اكبر المحال التجارية فى نيويورك ، واكبرها واعظمها هى محال وناميكير ، ومحال جميل ، ومحال ميسى ، وهى تماثل محال البون مارشيه والوثر والبيراميد فى باريس ، وان كانت الاولى اكبر والحركة فيها اكثر . ترى كل شئ فى هذه المحلات حتى السينا ، حتى التمثيل حتى المطاعم من أى صنف ، وبالجملة ففيها من كل معنى طرب . وقد أذاع احدها عهدا بانّه اذا أتى اى انسان وطلب اى طلب لم يكن موجودا فى محل تجارته اعطاء المحل خمسة آلاف ريال ، ومن هذا تعرف ان كل واحد من هذه الامكنة فيه كل مايدور حتى بالخيال من كل شئ يصح وجوده . والدكاكين الكبرى والبنوك وغيرها ماعلى شاكلتها ليس لها حراس ليلا ، بل لها اجراس او توماتيكية فى ابوابها ومنافذها اذا مستها يد انسان قامت قيامتها بما له اتصال بمرکز البوليس ، فيحضر لوقته ويضبط الواقعة من غير مبلغ الا صوت صدى هذه الطبيعة الراقية .

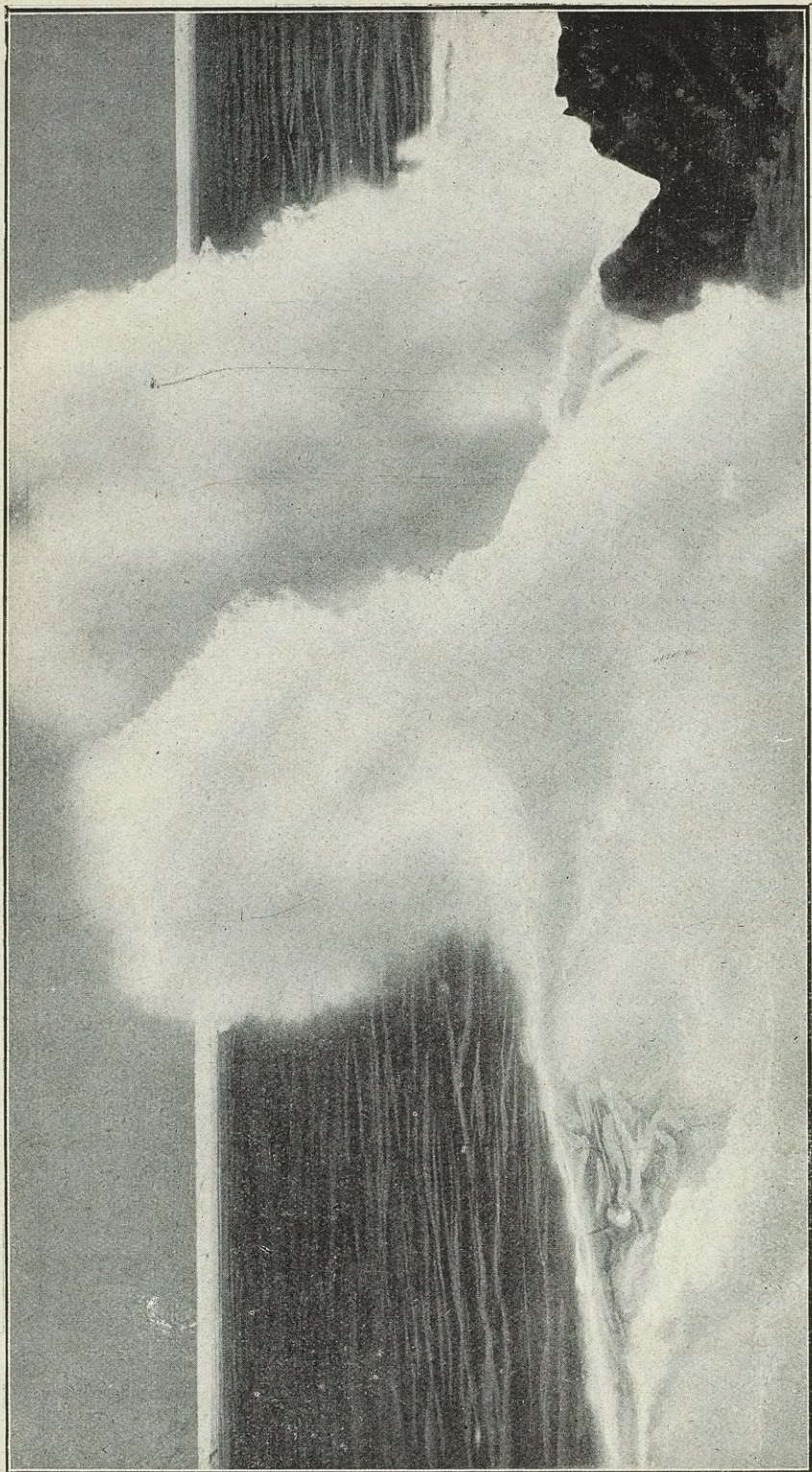
وثنى الارض فى هذا الشارع غالية جدا وخصوصا الى جهة وول استريت وقد بيعت به قطعة خمسون ياردة مربعة تكون زاوية على شارعين بستة ملايين دولار (هذا اخبرنى به احد كبار التجار السوريين بنويورك ، وهو الخواجا شالوم نمره ٢٤٤ بالشارع الخامس) .

وفى هذا الشارع قسم لاخواننا السوريين لهم فيه فنادق ومطاعم وامكنة تجارية ، منها الكبير ومنها الصغير ، ويقدرّون عددهم بهذه المدينة بثلاثين الف نفس ، وصل غير واحد منهم الى دائرة الملايين ، ولهم بها بيوت تجارية كبيرة من اشهرها محل تجارة ملوك اخوان بالشارع الرابع ، وشغلهم فى الحراير ، ومحل بردويل

اخوان بالشارع الخامس وعملهم في الحرير والسجاجيد . والسوريين بنك في الشارع الخامس بنيويورك اسمه بنك لبنان ، والتجارة السورية هنا محصورة في الحرير ، والخيشات والمطرزات والاوانى النحاسية الشرقية المنقوشة وغير المنقوشة ، ولهم بنيويورك جريدتان عربيتان « البيان » و «مرآة الغرب » .

وهاتان الجريدتان القيمتان لهما فائدتان : الأولى نقل أخبار الشرق الى بنى اللغة العربية الذين في امريكا ، والثانية نقل اخبار امريكا الى بنى اللغة العربية في الشرق مما لا يتيسر العثور عليه في غير هاتين الجريدتين . وهذا يدل على ان السوريين هنا لهم روابط قوية ، واعتبارهم لقوميتهم - حتى مع تغيير جنسيتهم الى الامريكانية - يدل على ما فيهم من روح حية لا تزال تناجى مثنوى الآباء والاجداد . وهذا غير ما في قوتهم المعنوية من مساعدة من يفد عليهم من أهل جنسهم ، فيمهدون له الطريق للعمل ، ويخففون عنه اثقال الغربة حتى يجد الى الحياة بمجهاده سبيلا .

وعلى ذكر الجرائد العربية هنا اقول : إن للصحافة في امريكا مركزها من الاجلال والاحترام ، ولا برهان على ذلك أظهر من ان رئيس الولايات المتحدة مستر كوليدج كان يرأس جلسة من جلسات نقابتها في شهر يونيه الماضى . ولا غرابة في هذا فان أغلب الرجال العظام بامريكا يمتنون بصلة الى الصحافة في مبدأ أمرهم وفي نيويورك جرائد كثيرة جدا من سياسية وتجارية وصناعية ورياضية وتمثيلية وغيرها من مجلات اسبوعية وشهرية . وأهم الجرائد اليومية هي : نيويورك تيمس - ونيويورك هرالد - وقد نكتفى بذكر شئ عنهما لتعرف شيئا عما يقال له جريدة هنا : فنيويورك تيمس ، يطبع منها يوميا ٣٥٠ ألف نسخة ، والنسخة مؤلفة من ٢٤ صفحة ، وتطبع يوم الاحد ٦٠٠ ألف نسخة ، والنسخة مؤلفة من ٦٠ صفحة ، والاشراك في الجريدة بنسبة ١٠٠/٧ من الاعداد المطبوعة ومطبعة الجريدة تطبع في الساعة الواحدة ٤٠٠ ألف نسخة مطبقة ومعنونة ، وعدد العمال بها ٢٢٠٠ عامل ، ومصاريف المطبعة يوميا ٤٠ ألف دولار .



منظر الامواج العالية على شاطئ المحيط الاطلانطي ص — ٢٠

وأما نيويرك هرالد — فتطبع يومياً ٣٣٠ ألف نسخة ، ذات ٨٠ صفحة ،
وتطبع يوم الأحد ٤٠٠ ألف نسخة ، ذات ١٨٠ صفحة ، وفيها من العمال ١١٠٠
عامل ، وتستهلك يومياً من الورق ٢٠ طناً .

ولقد كنت أظن أن إخواننا المصريين أبعد الناس عن الهجرة ، وأنهم لا يحبون
الرحلة ولا يميلون الى الاغتراب ، حتى علمت بأنه يوجد في ناحية شيكاجو رجل
مصرى اسمه أحمد حسنين ، هاجر الى الولايات المتحدة واشتغل فيها حتى وصل
من طريق التجارة الى ثروة غير قليلة ، وقد علمت أنه يتخاطب مع قنصلية مصر
بنيويورك لمساعدته في إرسال ولده الى إحدى مدارس القطر المصرى حتى لا يحرم
من لغة آباءه ، فهل كان السيد احمد حسنين هو الشذوذ الوحيد الذى ثبت به
قاعدة عدم ميلنا الى الهجرة ؟ والأرمن هنا كثيرون ، وقد وصل منهم شخص
أسمه بول آدم الى أن صار له بنك خاص فى شارع ٤٩ ، ومنهم كثير من ذوى
النفوذ وقد حاولوا بنفوذهم وشدة قوميتهم بين الولايات المتحدة وما كانت تريده
من عقد معاهدتها مع تركيا .

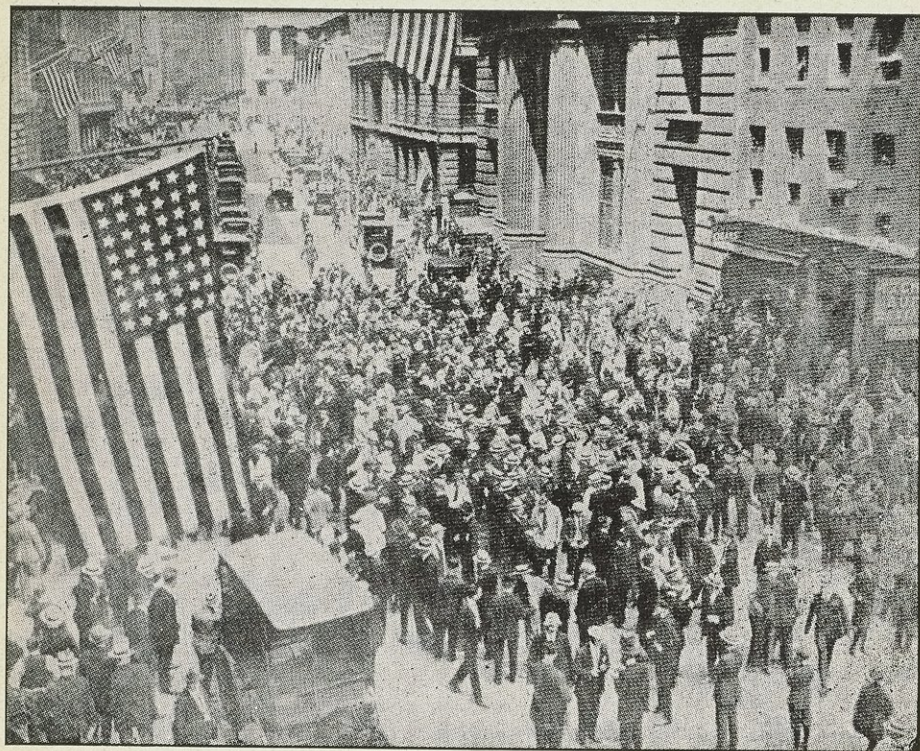
ومع فخامة المباني فى وول استريت فمجموعها ليس فيه شئ من التناسب ،
لأنك تجد العالى منها بجوار الواطئ ، والشكل الحديث بجانب القديم ، مما جعل
بين هذه الشامخات فراغاً لا بد أن يمتلئ يوماً من الأيام بما يزيد فى تشاكله وتناسقه
وكيفية بنائهم لهذه الشامخات أن يحفروا فى أرض هذه المدينة الصخرية قاعدة
عمقها ثلاثة أو أربعة أمتار ، ثم يحفرون فيها حفراً بعيدة القاع فى زواياها الاربع ،
وفىها يضعون كتلاً كبيرة من الحديد وهذه الكتل تكون أركان العمارة الخارجية ،
ويقومون فى داخلها كتلاً أخرى ربما كانت أصغر منها لىكل تربيع كبير تتكون
به المداخل والطرق ، ثم مربعات أصغر تتكون منها الغرف ويصعدون بهذه التخشيبية
الحديدية الى الارتفاع الذى يرغبون فيه ، وهنا يبدو أن وضع سقف كل دور على
حدته مع بناية محيط البناء بالمادة التى يرغبون فيها من رخام أو آجر أحمر أو أبيض

حتى اذا اكتمل البناء وضعوا أبوابه ونوافذه ثم طلوه بما أرادوه من ألوان مختلفة غالبها من اللون الذهبي الذي يكاد يكون شعار هذه المباني الهائلة ، تلك المباني التي لا تمضي بضع سنوات على نيويورك حتى تراها عمت شوارعها جميعها ، لأنهم من الآن يهدمون البنايات التي من الشكل القديم ليقيموا مكانها شيئا من تلك الشاحات . وكثرة الصلب في هذه الشاحات يرى أثره في المراكب الداخلة الى نيويورك والخارجة منها ، فانها تحدث بها اضطرابا في بوصلاتها على مسافات بعيدة . والسبب في التجأهم الى هذه البنايات الهائلة ، هو زيادة السكان زيادة مستمرة وزيادة العمل طبعا مع غلوارض نيويورك وضيقها لأنها محصورة بين النهرين ، ولأن صخرية الأرض تساعد عليها وهم الآن يهدمون المباني التي على النظام القديم مهما كانت جديدة ومهما كانت لا تقل عن ست أو سبع طبقات ، لينبئوها على نظام الشاحات .

وفي هذا القسم أكبر بورصات العالم نذكر لك باختصار مازرنه منها

بورصة الأوراق المالية

زرنا « أعضاء المؤتمر » هذه البورصة بدعوة من غرفة نيويورك التجارية ، وهي مكان عظيم دخلنا اليه من بابه العمومي وصعدنا الى دوره الثاني أو الثالث مع مندوب هذه الغرفة ، ومنه دخلنا الى إيوان يشرف على متسع مربع في الدور الأرضي يبلغ طوله نحو ٥٠ متراً في مثلها (أو تزيد) وهذا الوسط ممتلئ بالناس الذين تراهم في جيئاتهم وغدواتهم كالنمل أزعجها شيء في جحرها فاذا بها تغدو وتروح بسرعة هائلة وهي في شدة الاضطراب ، والفارق بين هؤلاء وبينها أن الناس في حركاتهم في هذا الوسط تراهم يصرخون هنا وهناك بأثمان الأسهم المباعة أو المشتراة ، وفي حائط البناء لوحان كبيران أحدهما في اليمين والأخر في الشمال ، وهما مقسمان الى مربعات صغيرة (تقريبا عشرة سنتمترات مربعة) وفي وسط



اجتماع المضارين خارج بورصة نيويورك ص — ٢٢

المربعات علامات حمراء أو خضراء تراها على الدوام متحركة بحركات أو توماتيكية بمختلف الاسعار فى كل وقت (وذلك بواسطة تيار كهربائى) .

وفى هذه الصالة عشرون مكتبا للتغراف منتشرة فى وسطها تأتى فى كل دقيقة باسعار جميع الولايات المتحدة ، كما أن فى جهتي الصالة مكاتب للسماسة الذين لهم حق العضوية فى البورصة ، وكل مكتب له تلفون خاص يذيع به الأخبار الى عملائه فى وقتها . ورسم العضوية فى هذه البورصة أربعون الف جنيه لكل من أراد أن يكون عضوا فيها .

وهذا المكان فيه أكبر حركة مالية فى العالم كله ، ويكفى أن تعرف بأنه يباع فيه فى اليوم الواحد ثلاثة ملايين من مختلف الأوراق والسندات المالية ، وهو محل إسعاد الالوف من الناس وإشقاؤها فى كل ساعة بل فى كل دقيقة من دقائق الزمن ، فيينا ترى الرجل بجوارك غنيا لا يتكلم إلا بمئات الالوف ، اذا به بين كلمة وأخرى ينفذ وفاضه بكل غضاضة !! واذا بالاخر قد رفعته يد الحظ مرة واحدة الى مكانة ما كان يحلم هو بها ، وهما نتيجتان لازمتان للتهور والمخاطرة اللتين هما من صفات الرجل الأمريكى ، وكثيراً ما ترى ملوك الأموال أنفسهم ينزلون عن عروشهم وسط هذه المعارك !!!

بورصة القطن

أما صالة بورصة الأقطان بنيويورك فهى عبارة عن ٢٥ مترا فى ١٥ مترا ، وفى وسطها دائرة فيها البائعون والمشترون وفى جانب منها هؤلاء الذين يكتبون الاسعار . وبحركة أو توماتيكية تكتبها آلات فى لوح كبير على إحدى حوائط الصالة بحيث يطلع عليها من يعنى بالنظر اليها .

وفى جانب منها على ارتفاع نحر مترين ونصف ألواح خضراء يكتب فيها الاسعار التى تأتى من الخارج بالطباشير عمال على آذانهم سماعات التغراف

اللاسلكى ، وفى الصالة لوح مبين فيه قوة الرياح واتجاهاتها فى مناطق القطن ، وكذلك حركة السحب والامطار فى الجهات التى تنزل بها من الولايات القطنية ، وفى هذا اللوح علامات حمراء وصفراء وزرقاء ذات اتجاهات مختلفة ، وهى تبين حركات البارومتر : فاللون الاحمر للصحو وتحتته درجة الحرارة مبينة ، والاصفر للمطر ومكتوب تحته مقدار الكمية التى نزلت منه ، والازرق - وأظنه - للرياح وتحتته مقدار قوتها واتجاهاتها . وهذا اللوح يغير مرتين كل يوم مرة فى الصباح ومرة بعد الظهر ، وعمل هذه البورصة خاص بالقطن الأمريكانى ، أما القطن المصرى فالعمل فيه خاص ببورصة نيواورليانس . وفى الجملة فحركة العمل فى هذه البورصة قل منه فى بورصة السندات المالية .

بورصة المحاصيل

مكان هذه البورصة فسيح جدا وفيه جملة موائد عليها المحاصيل المختلفة ، فترى فى جهة المحاصيل الزراعية من قمح وذرة وشعير وبطاطس وما الى ذلك من شحم وزيتوت مختلفة ، وإلى جانب منها المحاصيل الارضية من فحم وحديد وقصدير وبتروول وغير ذلك . وفى هذا المكان سمسرة يعرضون العينات على المشترين ، وعلى كل حال فالبيع والشراء فى هذه البورصة بطبيعته - لأنه مرتبط بأسعار العالم كله - وهى أبعد البورصات عن المخاطرة .

وقد أخذت صورتنا فى إحدى غرف هذه البورصة وفيها وزعت علينا الغرفة التجارية (على اعضاء المؤتمر) أوسمة شرف ، وقدم البنا رئيس هذه البورصة الأخيرة طعام الغداء فى مطعم قريب منها جزاه الله خيرا .

وفى شارع برودوى نمرة ٥٧ ادارة للبوليس السرى لجميع الولايات المتحدة ، اسمها (بالكيرتون) وهى فى وسط المحال التجارية والبنوك والمصارف المالية ، وعملها لحساب هذه المحال فى الغالب ، ويصح أن يكون لبعض من يكلفهم أمره من الأفراد .

ومهمتها البحث وراء اللصوص الذين ينشلون من البنوك والعصابات التي تهاجم قطر السكك الحديدية والتي تهجم بما لها من قوة على بنوك الارياف وخصوصا التي لم تدخل منها في هيئة الادارات التي تمون هذه الفرقة البوليسية ، والا مريكان يسمون هؤلاء اللصوص Zeggs وهم فئة شريرة تصل بها الجرأة الى غايتها والقسوة الى نهايتها ، وكيفية سرقتهم للبنوك أن يضعون في ثقب الخزانة جانبا من . . . ثم يغلفون الثقب بمادة . . . وبواسطة كبسولة ينفجر الباب ، ولهم تحايل غريب في غش الحوالات المالية وقبضها مما لا معنى هنا لذكره (أرجو معذرتي في عدم ذكر هذه المواد لخطرها) .

ورجال الفرقة البوليسية تساعدوا مصلحة تحقيق الشخصية مساعدة هامة ، وأفرادها من جميع الطبقات بحيث يوجد منهم من يمكنه أن يدخل في الصالونات المعتبرة ، ومنهم الظرفاء والادباء الذين يماكون ناصية الحديث بفكاهاتهم ، وهم في كل مباحثهم في حزم وسكينة من غير أن يشعر أحد بصفتهم الحقيقية ، وهنا الفتك الى ما يسمونه عندنا بالبوليس السرى المكتوب على وجهه تلك الياقطة « حضرته بوليس سرى » كفانا الله شر تليفقاته !!!

وبمناسبة الكلام على البوليس السرى أقول لك إنه يوجد في نيويورك ناد خطره جسيم ، وشعاره وخيم ، هو « نادى الاجرام » يجتمع فيه أولئك الذين لا قلب لهم ولا رحمة فيهم ، ويقررون القتل أو الفتك بكل فريسة أوردها سوء حظها بين أيديهم . وهذه الفئة المنحوسة متنبئة في كل الولايات المتحدة وخطرها في نيويورك ربما كان أقل من خطرها في جهة أخرى ، وضحايا هذه الفرقة الشريرة في البلاد الكبرى نسبتها هكذا في كل مائة الف نفس :

نيويورك ٥ ونصف فيلادلفيا ٨ شيكاغو ١٢ منفيس ٧٠

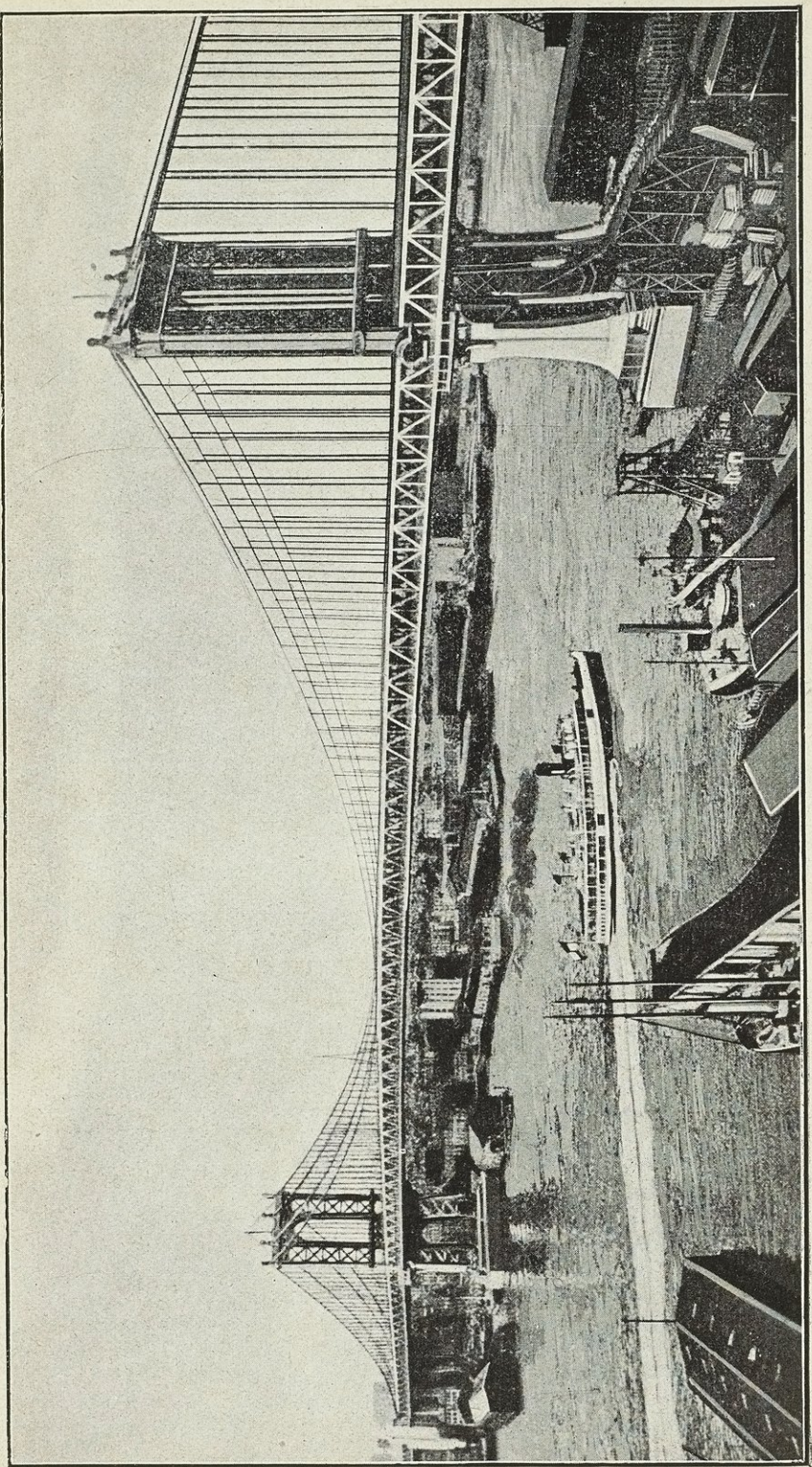
والبوليس ينسب هذه الجرائم الى الاساليب التي يتعلمونها من مناظر السنا التي لا تنطبق على مصلحة الجمهور ، وعلى الكتب الساقطة ، وعلى عدم سرعة

بت القضاء فى قضاياهم .

وبمناسبة الكلام على هذا النادى أقول لك : أن بنيويورك ناديا من السخافة
بمكان هو « نادى المنتحرين » هذا النادى يجتمع فيه كل من وقفت به آماله عن
الوصول الى غايتها من حب ، أو زواج ، أو ثروة ، أو أية صفة من صفات الحياة .
وأعضاء هذا النادى يجتمعون من وقت لآخر ويعملون قرعة عن الذى لابد وأن
ينتحر منهم !!

وقد ينتحر منهم فى نيويورك كل سنة ما يقرب من الف شخص نحو ثلثهم
من النساء والاطفال ، ويبلغ عدد أعضاء هذا الكلوب ١٥ الف نفس .
وقد تألفت تلقاء هذا الخطر الانسانى « جمعية اسمها جمعية النجاة » ومهمتها
أن تكتب الى أعضاء هذا النادى الخبيث بكل نصحتها وإرشادها ، وتساعدهم على
الاقلاع عن فكرتهم بأية وسيلة من الوسائل .

وقصارى القول أن أهل نيويورك - بصفة عامة - لكل طائفة منهم أندية
يجتمعون اليها وقت فراغهم من أعمالهم ، فالطلبة لهم أندية كثيرة ، والعملة لهم أندية
مختلفة ، والتجار لهم أندية عديدة ، ولكل جالية أندية خاصة بها ، فالانجليز لهم
أندية ، والفرنسيون لهم أندية ، وهكذا . واذا كانت حالة البلاد العامة تلبس اللباس
الديموقراطى فى مظهرها ، فإن كثيرا من هذه الاندية تلبس لباسها الارستقراطى
فلا يقبلون فيها الا من كان فى درجتهم من الوجاهة وسعة المال ، وحتى الطلبة
لا يقبلون فى أنديتهم هؤلاء الفقراء الذين وإن جمعهم معهم قاعات الدراسة ، فقد
تفرق بينهم ما يقومون به من خدمتهم بعد فراغهم من الدرس ، وهى أنانية لا تتفق
مع الديموقراطية التى يدعونها ويرفعون عقيرتهم بها .



کوبری منہا ٹان ہنیو پورک ص — ۳۶

قسم منها ثان

هذا هو القسم العالى أو الشمالى من مدينة نيويورك وهو القسم الجديد ، ويتبدى من المدينة الواطئة متجها الى الشمال الى مسافة ثمانية أميال تقريباً ، أعنى الى قنال هارلن الذى يفصلها عن مدينة بروكس ، وهى ضاحية كبيرة فى شمالها ، ومتوسط عرضه فيما بين النهرين نحو ميلين . وتحترق هذا القسم جملة شوارع رأسية تقطعها جملة شوارع أفقية . وكأنهم فرغوا من الأسماء التى يسمون بها الشوارع عادة فوضعوا نمرا وصفية للرأسية ، ونمرا عديدة للأفقية . فيقولون عن الأول : الشارع الخامس أو السادس ، وفى الثانية الشارع خمسة أو ستة . وقد يبلغ العددي نمر الأفقية نحو المائتين . وأهم شوارع المدينة هو الشارع الخامس ، ويتلوه الرابع من جهة بارك أفنيو وفى الأول أكبر المحال التجارية وأخفها ، على أن جميع الشوارع سواء كانت رأسية أو أفقية لا تخلو من الحركة التجارية . وينتهى الشارع الخامس الى الحديقة المتوسطة ، وعليها فيما يلى هذا الشارع مساكن الخاصة ، مثل منزل استور وفندربلت ، وجرأى ، وفرنك . ويقدر أن يبت الاخير بخمسة ملايين وأربعمائة ألف دولار ، ويتدرون مافيه من الأثاث والرياش بخمسة عشر مليون دولار !!

والحديقة المتوسطة مستطيلة ، وأتجاهها من الجنوب الى الشمال ، وفيها أمكنة لبعض الحيوانات المفترسة كالسباع والذئاب والنمور والدباب وغيرها ، كما يوجد فيها جملة محال للالعاب الرياضية كاللتنس والجولف وغير ذلك ، وفيها بركتان للتجديف ، ومساحتهما ٣٥٠ هكتارا . ويقطع (منها ثان) التراموايات الكهربائية ، والسكك الحديدية التى تسير فى الهواء على قواعد من الحديد ترتفع عن سطح الأرض بنحو ثمانية أمتار أو أكثر ، ثم السكك الحديدية التى تسير تحت الأرض ، وهى هنا أقل جمالا من مثلها فى لوندرة وبرلين وباريس . ويسير تحت الأرض أربعة قطر ، الواحد تلو الآخر الى جهات مختلفة . ولا بد لمن يركبها أن يكون له علم باتجاهاتها ،

خصوصاً مع سرعتها الهائلة وعدم وجود خرائط لها بالقطارات تساعد المسافرين بها على تحديد سفره بها كمشيالهما في البلاد التي مر ذكرها .

وعند اتصال الشارع الخامس بالشارع ٤٢ تجد مكتبة المدينة ، ويقولون إن هذه النقطة أكثر بقاع الأرض حركة ، ويقدر الممارين فيها على أرجلهم يومياً بما يزيد على مائتي ألف نفس . أما حركة الاتوموبيلات فإن لها منظم يقيم في جهة مرتفعة وسط الطريق ليرشدها بواسطة أنوار كهربائية ، فلا حرج للوقوف والأخضر للمرور ، وكثيراً ما ترى هذا المنظم أو توماتيكي يعمل بواسطة آلة كهربائية وبهذه الطريقة أمكنهم أن يقللوا من الخطر الملازم لمثل هذه الحركة الهائلة . وبناء هذه المكتبة فخم وفيه أكثر من ثلاثة ملايين كتاب ، ويزورها يومياً ما بين ثمانية وعشرة آلاف زائر !!

أما حركة البريد فإني أكل اليك وصفها بعد أن أقول لك : إن متوسط ما ياتي الى مدينة نيويورك وحدها كل يوم مائة مليون من الخطابات . وينقل اليها البريد البري على القطارات ، والجوى على الطيارات .

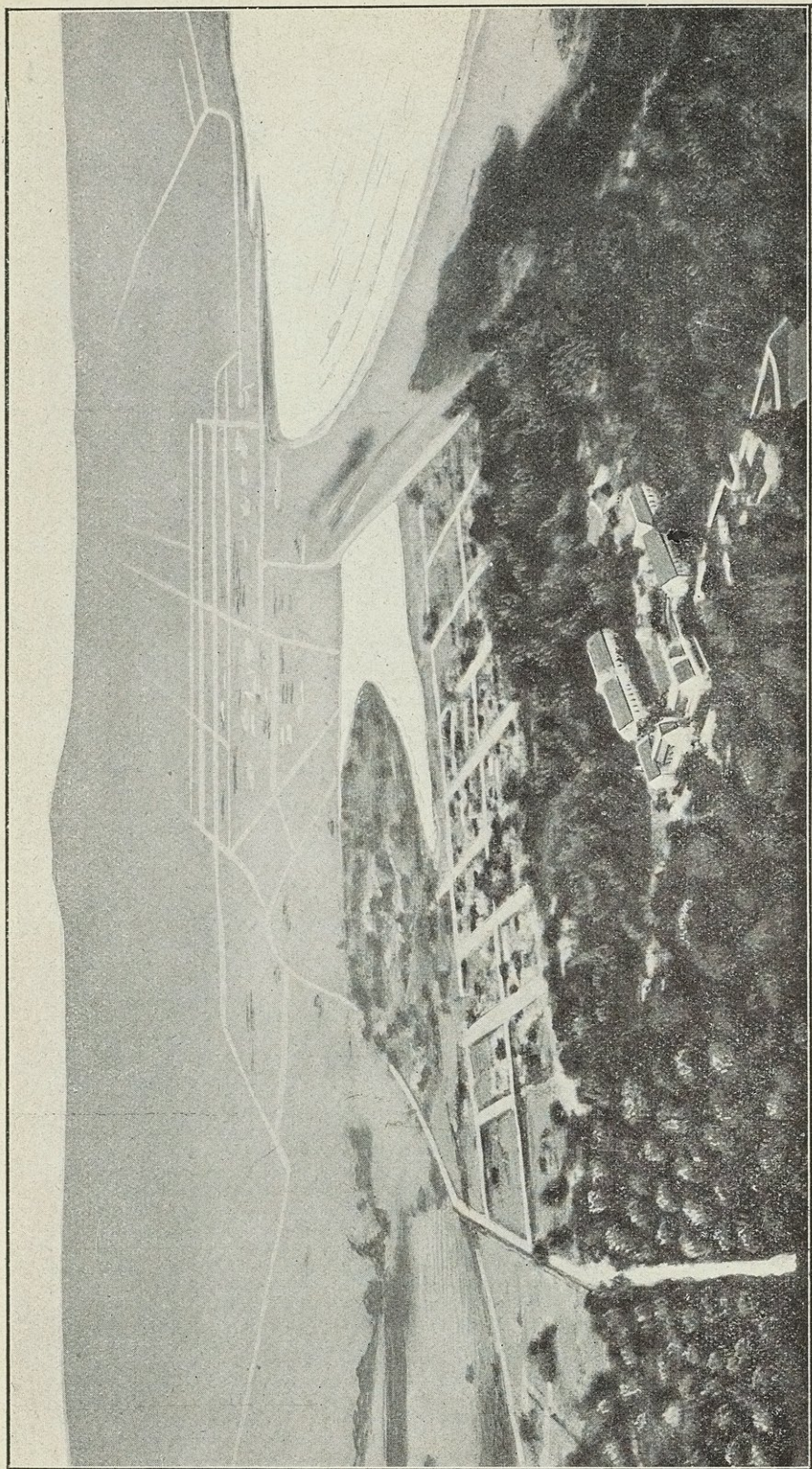
وأما السكك الحديدية فإنها تنقل كل يوم فيها نحو نصف مليون من الناس ، والتراموايات التي تسير على وجه الأرض تنقل سنوياً خمسة مليون من النفوس . أما السكك الحديدية العالية ، والتي تحت الأرض ، فهي تسير في المدينة بامتداد ٨٠٠ ميل ، وكان عدد من ركب فيها في سنة ١٩٢٥ بليونين وخمسمائة مليون نفس ، والأجرة التي حصلت منهم ١١٩ مليون دولار .

وفي نيويورك ٤٧ كبريا للحركة العامة على نهر هيدسون . وعلى النهر الشرقي وكانت حركة المرور عليها في سنة ١٩٢٥ كما يأتي :

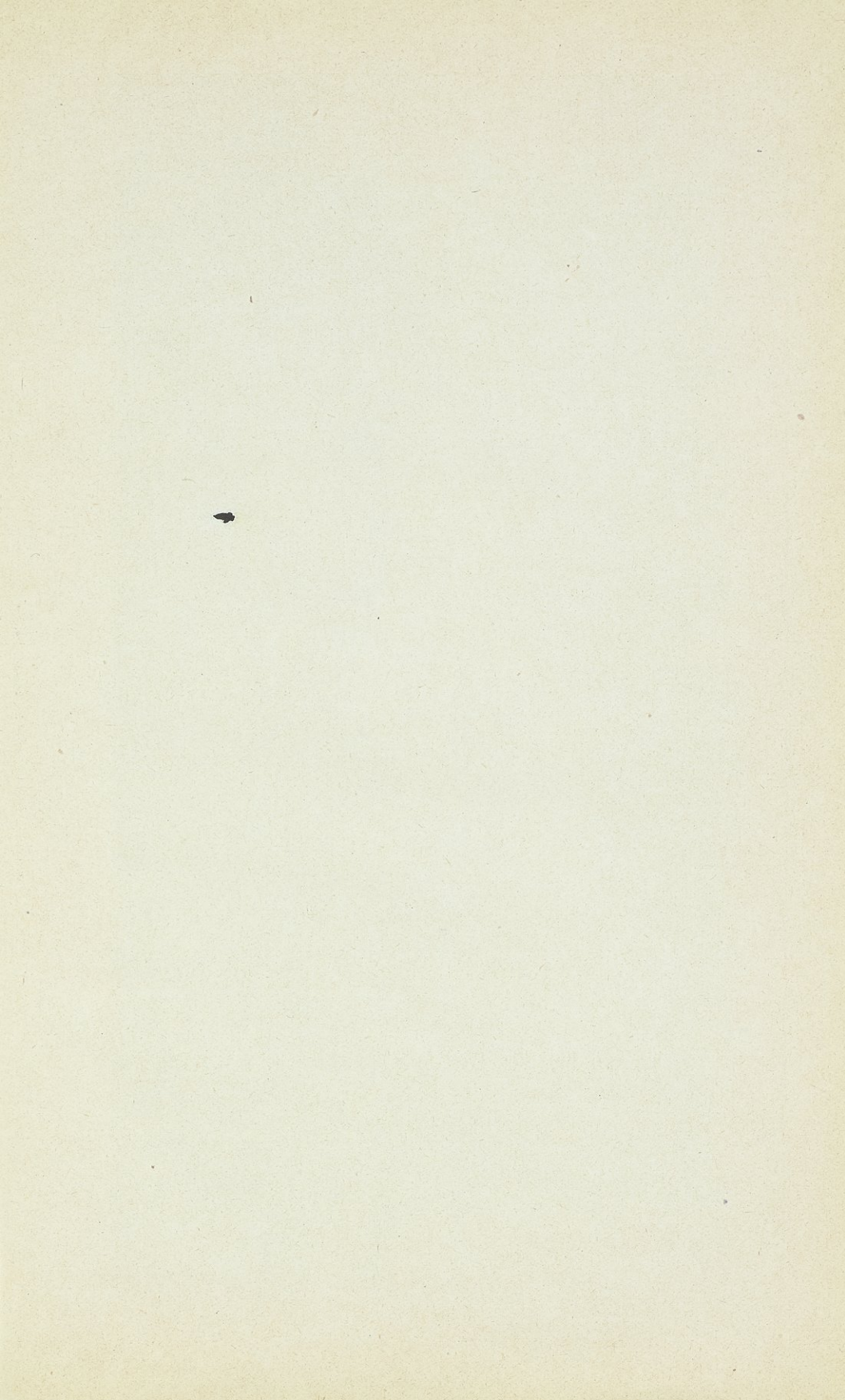
عدد

٨٢٠ ، ٤٩١ ، ١٤٠ قطر ترام وقطر كهربائية عالية

٧٢٠ ، ٧٧٠ ، ١٠٣ مركبات مختلفة الأنواع



أحد المناظر على شاطئ المحيط ص — ٢٨



٠٨٠ ، ١٥٩ ، ٦٥٨ عدد من مر عليها من الأنفس راجلين أو راكبين .
وكان نصيب كبرى بروكلن من ذلك :

١٢٠ ، ٢٠٢ ، ٠٠٣ قطر ترام وقطر كهربائية عالية

١٦٤ ، ٧٠٣ ، ٠٠١ مركبات مختلفة الأنواع

٧٤٠ ، ٠٧١ ، ٠٥١ عدد من مر عليه من الأنفس .

أما السكك الحديدية بمعناها المعروف عندنا فيمكننى أن أقول لك : إن فى (منهاتان) اثنتى عشرة محطة ، تنتهى إليها كل يوم مئات من القطر ، ويدخل منها الى المدينة يوميا أكثر من أربعائة ألف نفس ، وأكبر هذه المحطات هى محطة . . جنرال سنترال . . ويقال إنها أكبر محطة فى العالم ، ثم محطة بنسلفانيا ، وهما من العظم بحيث لا تتسع كلتى لشرح واحدة منهما ، ويصح أن أقول لك : إن محطة مصر كلها فى مساحة بهو من أبهائهما ، وحركة القطر فى هذه المحطات كلها تحت الأرض ، وكل قطار يخرج من المحطة تجره قاطرة كهربائية الى خارج المدينة ، وكذلك الداخل إليها تدخله قاطرة كهربائية خشية الدخان الذى ينشأ عن الفحم فى القاطرة البخارية .

وفى نيويورك ثلاث شركات لانارتها بالنور الكهربائى ، ولها فيها ثلاث مكينات هائلة ، مجموع قوتها ٦٠٠٠٠٠ ألف حصان بخارية .

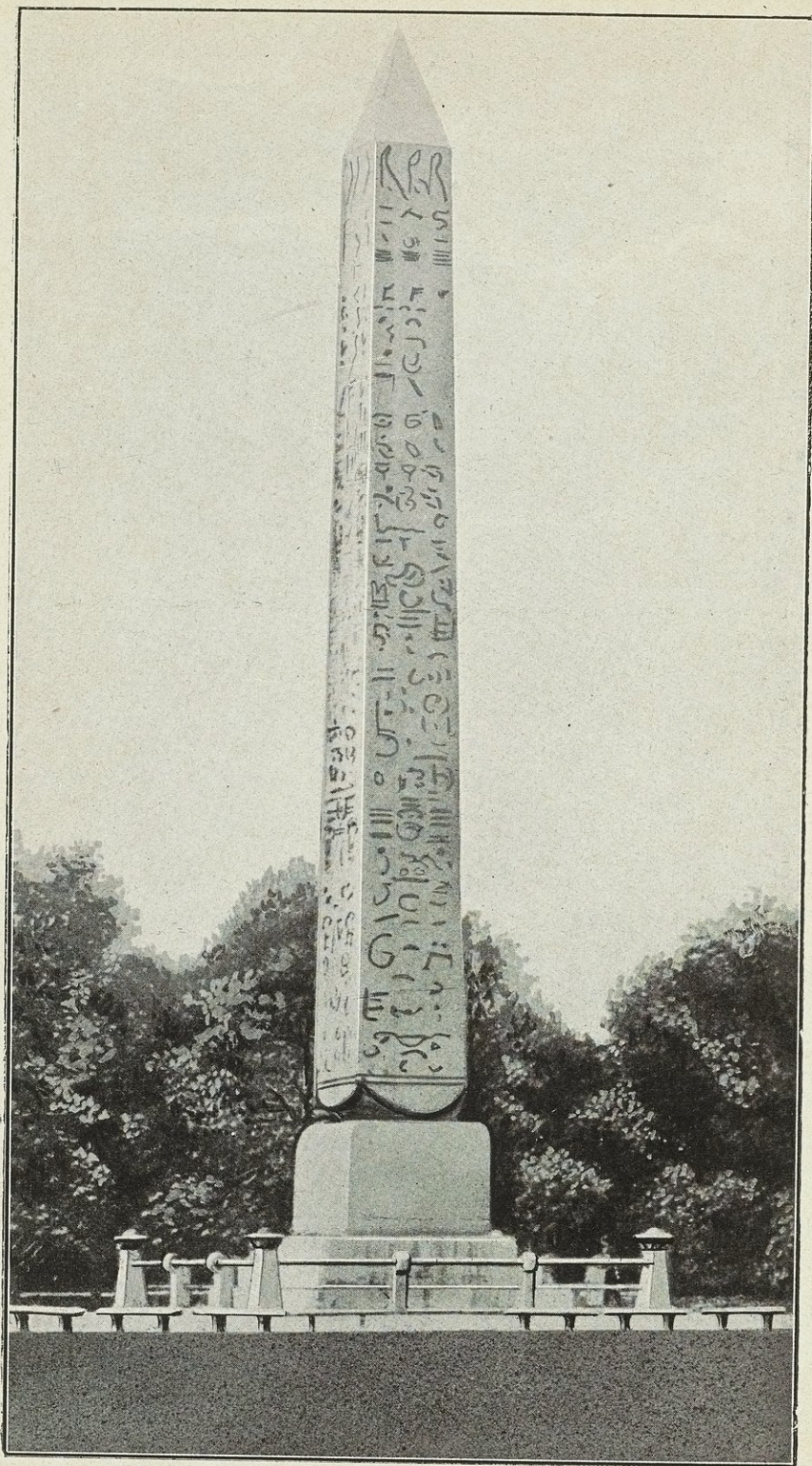
وفى شركة للتلفونات يبلغ عدد موظفيها ٦٣١٠٦ نفس ، والمشترون فيها يبلغ عددهم ١٢٠ ١٥٦٤ مليون وخمسمائة أربعة وستين ألف ومائة وعشرين مشترك .

ومن هذا وذاك تعلم أن الحركة هنا حركة هائلة ولكنها عملية صرفة ، وهذا يظهر لك جلليا من عدم وجود مكينات فى نيويورك تليق بعظمتها ، وأقصد بالمكينات تلك التى تباع الكتب للجمهور ، وتجدها بالقاهرة تملأ دائرة الأزهر والازبكية والظاهر ، سألت بعض المقيمين هنا عن مكتبة اشترى منها كتابا ، فقال لى بعد

تفكير : « توجد مكتبة في الشارع الخامس » ومن هذا تعلم أن ليس للقوم من زمن يقرؤن فيه شيئاً مما يذكرون في الكتب ، فكل قديم عندهم لا قيمة له ، بل الجديد هو المرغوب فيه ، لذلك ترى الجرائد عندهم لها المركز الأول خصوصاً التي تبحث منها عن المال والصناعات والتجارة ، وللمجلات المركز الثاني . وقد ترى لبعض سراة الناس غراماً بمجازاة الكتب ، ولكن لا يقرأ فيها بل ليندهبها ويجعلها ضمن ريش منزلة ليزيده جلالاً وفخامة .

ويكفي أن أقول لك عن حركة الناس في نيويورك : إنها وقت الظهر عند انصراف الناس من أعمالهم للغداء حركة هائلة ، خصوصاً في الشوارع الكبرى مما يلي المدينة الواطئة . أما في الصباح وفي المساء فإذا عرفت أن تعداد نيويورك هو تسعة ملايين نفس ، يقطعها منهم سبعة ملايين ، والمليونان يسكنان في الضواحي ، فيأتون إليها في الساعة الثامنة صباحاً ، وينصرفون منها في الساعة السادسة مساءً ، وفي هذا الوقت رأيت الحركة هائلة في شوارع السيتي (المدينة القديمة) وفي الشوارع التي بها المحلات التجارية الكبرى ، فالتراموايات والقطارات التي على الأرض وفوقها وتحتها تراها كلها مكتظة بالناس بعضهم فوق بعض ، وترى في الطرق الاتوموبيلات الخصوصية والاتوباثات والتكسات والموتسكلات كلها تراها في حركة لا يمكن وصفها . أما من يسير على أفاريز الطرق ، فهم في حركتهم أشبه شيء بحركة النمل في هيجانها ، وكنت أتحرك فيها بحركة المجموع حركة أتوماتيكية من غير ما إرادة ولا مقصد ، ولا تزال هذه الحركة العامة إلى الساعة الثامنة مساءً ، فتخف نوعاً بمن يقصد ابواب المطاعم والثيرات والسياتوغرافات وما إليها من محلات اللهو أو الرياضة النفسية .

وفي هذه المدينة تهيج أعصاب الإنسان بكل ما يضعفها ، حتى أن أعصاب الدماغ تضعف إلى درجة فقدان الذاكرة ، وهذا من شدة التعب الذي ينال الإنسان من كثرة الحركة ، وشدة ضغط الجو !! وهل تريد برهاناً على شدة



مسلة كليوباتره في سنترال بارك بنيويورك ص — ٣٠

هذه الحركة الجهنمية أظهر من أنك كثيرا ما تصادف من المارة من يأخذهم دوار الأرض بنفس الحالة التي يأخذهم بها دوار البحر ! !

وفي الجملة فنيويورك عالم وحده قد يفضل الانسان فيه عن كل شئ ، وقد يبحث فيه عن نفسه فلا يجدها ! ! خصوصا اذا كان مثلي من عابري الطريق .

وقد يأخذك العجب كل العجب اذا نظرت الى الناس وهم في حركتهم الكبرى في الطريق ووجدت أغابهم من النساء ، فهل نسبة الاناث هنا أكثر من نسبة الذكور ؟ واذا سلمنا بذلك فهل هذه النسبة تتمشى على كل الولايات المتحدة ؟ واذا كان هذا صحيحا فهل تعدد الزوجات عند طائفة المورمون من الأمريكانين وهم على دين النصرانية له أصل يتصل بذلك ؟ ؟

ومما يلفت نظرك في نيويورك أنك لا تجد إنسانا في يده عصاة مطلقا حتى ولو كان به عرج ، وفي وقت المطر تجد في يد بعضهم وخصوصا السيدات (مطريات) ولكن عامة الناس وعلى الاخص الشبيبة نساء ورجالا تراهم متمنطقين برداء خفيف من الكاوتشوك ، حتى اذا انقطع نزول المطر فلا يضره أن يمسك به في يده . أما الكنائس في الولايات المتحدة فلا حصر لها ، وفي نيويورك وحدها ١٧٠٠ كنيسة عدد القسس بها أكثر من ٢٤٠ ألف ، وفيها من اليهود ١٧٥ ألف ، ومن العبيد أكثر من ٢٠٠ ألف .

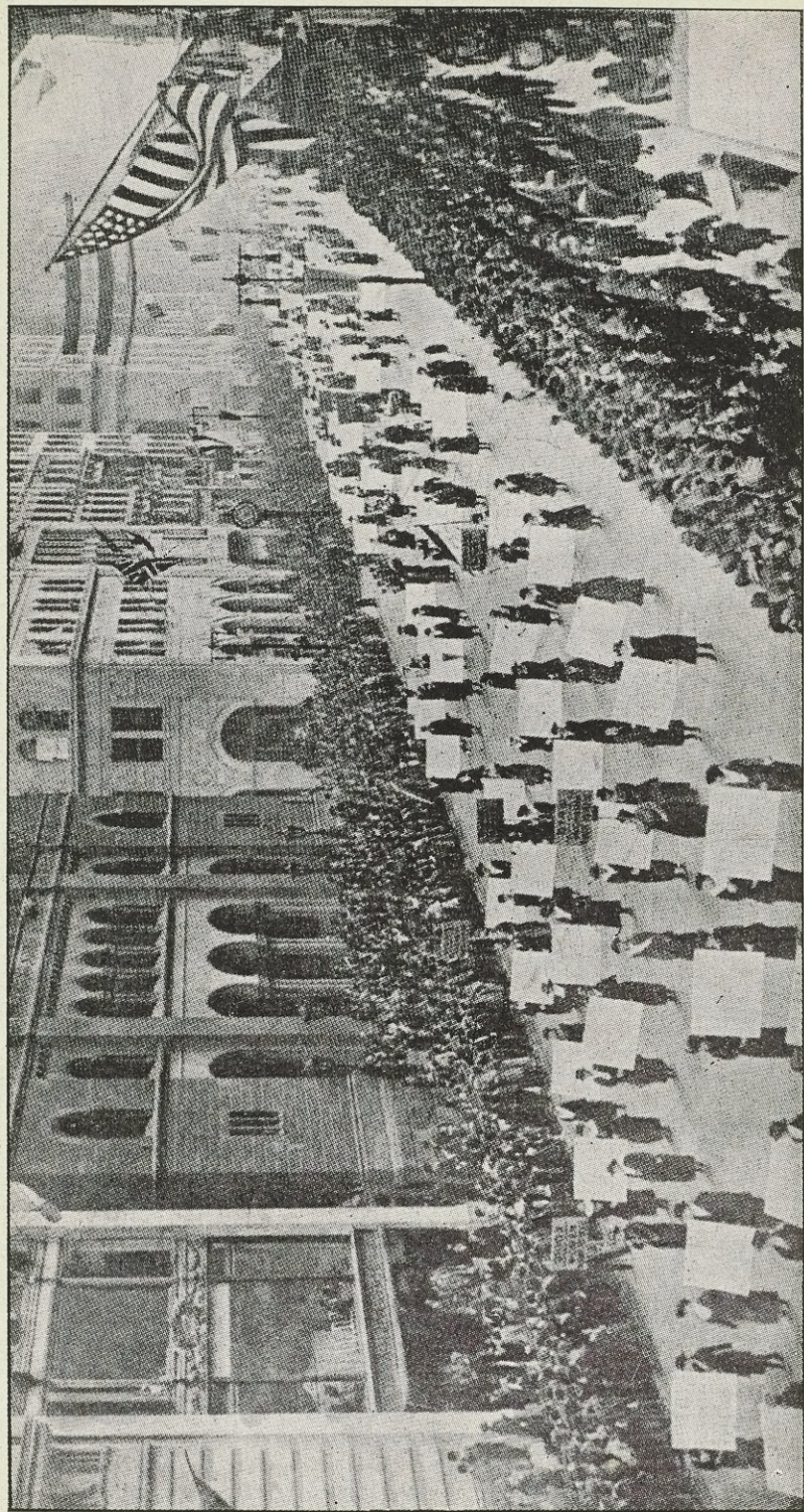
وخير ما تدهش له آداب الاجتماع في الطريق ، فإن النساء يسرن بحالة عامة محترمت لا أنفسهن ، بحيث لا يرتفع نظر امرأة أو شابة أو بنت في عين أى رجل في الطريق ، لذلك تراهن يسرن حيث شئن وهن في حماية القانون والشعب . واذا تعدى أى أنسان على واحدة بكلمة أو بنظرة كان البوليس ثالثهما .

وأهل نيويورك يخرجون عصر كل يوم في الصيف الى جهة على المحيط في بروكلن اسمها (كوتى أيلن) والمواصلات اليها إما بطريق الاقيايوس ، أو بالطريق

الحديدى الهوائى ، أو الذى تحت الأرض ، وهناك عربات كبيرة (أوتوبات) توصل من يريد الى هذه الجهة فى مسافة ساعة ، وأجرتها ريال فى الذهاب ومثله فى الاياب .

توجهت الى هذه الجهة فوجدت الناس قد حشدت فيها بمئات الآلاف ، ويتوفر فى هذه الجهة كثير من دواعى التسلية كما ترى صورة مصغرة منها فى لونا بارك بمصر الجديدة ، وبجوار هذا كله دكاكين كثيرة بها من أنواع المآكل (على الماشى) وترى الناس منكبة عليها نساء ورجالا ، يأخذون ما يشتهون ، وكل يده فى جيبه والآخرى فى فمه ، ولا يزالون يأكلون فى الطريق بكل قابليه ، وإن شئت فقل بكل شراهة لا فرق بين آنسة لطيفة أو شاب متأنق أو عامل من العمال . وقد يمشون فى الطريق بلباس البحر لأنهم فى مدده . ومن ضمن ما فى هذه المنطقة من الألعاب خيل يركبونها ويجرون بها أشواطا بعيدة فى دائرة مخصوصة لها ، وقد رأيت كثيرا من الشابات مع قصر ملابسهن يركبن مثل ما يركب الرجل ويجرين فى هذا الميدان رغم مخاصمة الهواء لملابسهن ، ولكنها قوة الارادة مع شدة الحرية التى قد ترجع بهم فى كثير من الأمور الى تقيض ما يقصد الشارع منها . وأما سراة الناس فيذهبون الى جهة اسمها اطلانطق سیتی ، فيقضون بها أيام عطاتهم ، وهى تبعد عن نيويورك ثلاث ساعات فى السكك الحديدية .

وفى نيويورك كثير من الحدائق العمومية ، ومن أكبرها حديقة بروذكس ومساحتها ٢٦٠ هكتارا ، وفيها بستان نباتي جميل جدا فيه كثير من الاشجار المختلفة التى لأهل الفن عناية بها ، أما قسمها الحيوانى ففيه كثير من أنواع الحيوان فى العالمين الجديد والقديم ، وشهرته على الخصوص فى الطيور والثعابين المختلفة الانواع وعلى الخصوص البوا . ويسافر من نيويورك أناس كل سنة الى أفريقية والهند لمشترى جملة من أصنافها . والبوا يعيش من ٢٠ سنة الى خمسين ، وهو فى شيخوخته لا يأكل الا قليلا جدا ، وربما مرت عليه ثلاث سنوات من غير أن



مظاهرة نسائية في نيويورك . ص - ٣٢

يأكل مطلقاً!! وفى هذه الحال لابد من تلقيمة غذاء من وقت الى آخر، وهو عبارة عن ست بيضات مضروبة فى لترين من اللبن، وتلقى فى حلق البوا بواسطة خرطوم. والبوا والبيتون لاياً كلان عادة الإمرة واحدة فى كل شهر، فيلقون اليهما بالحيوائل الصغيرة وهى على قيد الحياة فتتلقفها وتبتلعها بكل شراهة.

أما دور التعليم فى هذه المدينة فهى كثيرة: ففيها ١٢ جامعة وكلية بها نصف مليون من الطلبة، ثم ٥٥٣ مدرسة بها مليون تلميذ. وأكبر هذه الجامعات هى جامعة كولومبيا، وهى عبارة عن جملة أبنية فخمة على مرتفع على نهر الهيدسون ومساحتها ٢٨ اكر (فدان) وفيها من الطلبة ٢٩ ألف طالب ومن المعلمين ١٥٠٠ والدراسة فى هذه الجامعة مدة أربع سنين لمن أراد أن يحصل على درجة (دجرى) أو على درجة (بكالوريوس فى الفنون)، أو فى الهندسة، أو فى المعار (أرشتكتور)، أو الحقوق، أو الطب، أو العلوم السياسية، أو الفلسفة، أو العلوم. أما جامعة نيويورك فيعلم بها العلوم والفنون المختلفة، وبها قسم للتعليم العملى، وقسم للاشغال، وقسم للإدارة. والتعليم نهاراً وليلاً، وفيها قسم للتعليم مدة الصيف. وفى نيويورك مدارس أخرى كثيرة، منها: مدرسة للصحافة فيها مكتبة بها عشرة آلاف كتاب!! ويأتى إليها كل يوم خمسون من الصحف اليومية الكبرى، وفيها مجموعات للصحف بها نحو مليون صحيفة.

والجامعات والمدارس فى نيويورك لا تتسع لتعليم الفقراء الذين لاقدرة لهم على مصاريفها، ومن من الطلبة لا يمكنه دفع المصاريف يشتغل فى أوقات الفراغ بنفس الجامعة فى أية خدمة، فمنهم الفراشون، ومنهم السفرجية، ومنهم من يكسب مايدفعه للجامعة من عمل فى الخارج بعد مواعيد الدراسة، كأن يشتغل فى محل تجارى، أو فى مطعم أو غيره، وقد رأيت طالبا فى الطب يشتغل بصفة فراش فى قنصلية مصر بـنيويورك. وهذا شأن الطالبات أيضاً: يشتغلن فى المحلات التجارية أو غيرها بما يحصلن من أجرة تعليمهن، وهى همة نذكرها بالشكر لهؤلاء الافراد. وكان يجب

على الاغنياء هنا أن يعنوا بمثل هذا الأمر لولا أن في دمهم الهرب من كلمة فقر ، ومن كل ما يتصل بها كفقير أو بائس أو مسكين ، وهى كلمات عندهم لا يقابلها غير كوليرا ، أو طاعون أو سل ، مما تجب محاربتة والهرب من وجهه .

وفى هذه المدينة كثير من المتاحف العمومية ، منها ما هو للتاريخ الطبيعى ، ومنها ما هو للآثار العامة ، ومنها ما هو للجغرافيا والتاريخ ، ومنها ما هو للفنون الجميلة ، وكلها آثار قيمة ولكنها فى مجموعها لاتصل الى مثلها فى عواصم أوروبا الكبرى .

وقد ترى فى هذه الاخيرة تمثالا على شكل عربى بين يديه الى صدره لوحة قرأت فيها لفظ محمد - الله ، وأظن أن بها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومكتوب تحت اسم الجلالة لفظ محمد ؟؟

وفى (منها ثان) وحدها الف وخمسة لو كندة من مختلف الدرجات ، فهى هنا كمثلها عندنا ، تجد الكونتيناتال وليس بيعيد عنها لو كندة كتكوت . والأجرة هنا تتراوح بين ريال واحد ، وعشرين ريالاً لللاودة فى الليلة الواحدة . وسند كر لك شيئاً عن بعض اللوكندات لتكون عندك فكرة عامة منها .

لو كندة ولدورف

تشرف هذه اللوكندة على الشارع الخامس ، ولها أبواب على شارعى ٣٣ و ٣٤ — وتكون من سبع عشرة طبقة ، وفيها ١٥٠٠ غرفة — منها ١٢٠٠ فى كل واحدة حمامها ، وكانت كلفة انشائها ٤٠ مليون دولار ، وصلاتها وباراتها ومطاعمها وغرف التدخين بها تحت تصرف عموم الناس ، وفيها تياترو ودكاكين لكل ما يريده المسافر ، مما هو للفوتوغرافيا ، والزهور ، والزينة ، والسجائر ، وعيادات لثلاثة أطباء ، ومكتب للصحف ، وآخر لتذاكر التياترات ، ومكتب للتلفراف ، وآخر للبوستة ، ولكل غرفة فيها صندوق بوستة خاص بها ، حتى اذا

ورد مكتوب لصاحبها فتختم عليه الساعة والدقيقة التي وصل فيها ، واذا وصلت اليه بطاقة زيارة توضع في مظروف يختم عليه الثانية التي وصلت فيها وترسل في أنبوبة بواسطة الضغط الهوائى في نصف دقيقة الى الدور المقيم به ، وهناك عمال مخصوصون يوصلونها اليه في الحال ، أو يجيبون عليها بأنه غير موجود . وتوجد لكل طبقة مصاعد خاصة بها . وصلات هذه اللوكندة غنية بكل أنواع الرياش الثمين ، وفيه مايؤجر في الليلة بالف ريال لمن يريد .

ويوجد في هذه اللوكندة مساكن لاتزيد عن أودة نوم فاخرة ، وأودة استقبال صغيرة ، وغرفة للتواليت بحمامها ولوازمها ، وأودة صغيرة للسفرة وأجرتها في الليلة ٥٠٠ دولار .

وفيها ٨ آلات لتوليد الكهرباء اللازمة للإنارة والمصاعد والطبخ والتدفئة والتهوية قوتها ٣٠٠٠ حصان بخارية !! لها وحدها من العمال ١٥٠ شخصا بين مهندسين وغيرهم ، وعندهم على الدوام في جانب من اللوكندة عشرين الف طن من الفحم لإدارة هذه الآلات .

ومصانع الثلج في اللوكندة تصنع كل يوم ٥٠ طنا من الثلج ، يأخذون منه طلبهم والباقي له مشترون في الخارج . ولها آلات للغسيل ، وغيرها للتجفيف ، وغيرها للكي ، وكلها تعمل على الدوام بحال أوتوماتيكية ، والذي تغسله وتكويه يوميا لا يقل عن ٦٠ الف قطعة بين ملاءات فرش وفوط ومفارش وغيرها .

وفضلات الأكل توضع في براميل خاصة بها لها متعهد يشتريها كل سنة بخمسة آلاف ريال ليستخرج منها الدهن الذي فيها بالآلات مخصوصة .

وتستهلك هذه اللوكندة كل سنة من الفضيات بمبلغ عشرة آلاف دولار ، ومن البياضات ثلاثين الف دولار .

وتستهلك من ورق الخطابات كل سنة بمليون دولار .

وتدفع اللوكندة للبلدية ٥٠ الف دولار لأجل الماء الذي تستهلكه كل سنة

والماء الذى يستعمل فى حماماتها كله مرشح ، والذى يستعمل للسفرة مقطر .
ومجموع ما فيها من الخدم ١٦٣٦ بين طبّاخين وخبّازين وسفرجية وليوانجية وغيرهم
من يبلغ مجموع مرتباتهم ٨٠٠ ألف دولار فى السنة . وقد يبلغ إيراد هذه اللوكندة
فى بعض الأيام مليون دولار !! .

لوكاندة مانجر

وهنا أضرب لك مثالا بلوكاندة أخرى نزلنا فيها مع جماعة المؤتمر ، وهى لوكاندة
كبيرة جديدة فيها أكثر من عشرين طبقة ، وهى فى الشارع السابع ، ولكنها
تجارية بالمعنى الصحيح . ففى كل أودة منها حمام إما بمفرده أو هو مشترك بينها وبين
أودة أخرى ، وقد يكون الحمام مقتصرا على الدش فقط ، والماء فيها جميعا حار
وبارد ليلا ونهارا . وبجوار ذلك أداة التواليت بكل معناها ، ومن هذا تعرف أن
ليس لانسان أن يترك أودته لقضاء حاجته : لأن بها كل ما يلزمه . وفيها حنفية مسطرة
على حوض الغسيل متصلة بثلاجة الفلتر العمومى المخصص للشرب ، تأخذ منها ماء
مثلجا فى أى وقت شئت . وباب الغرفة عبارة عن دولاب له بابان محدودبان ،
أحدهما داخلها ، والآخر خارجها ، فتضع ملابسك التى هى فى حاجة الى التنظيف
من الباب الداخلى ثم تقفله ، فيأتى الخادم كل صباح ويفتح الباب الخارجى فينظفها
ثم يضعها مكانها من غير أن تشعر به ، وإذا فتحت باب غرفتك فى الصباح تجد
على عتبة أهم الجرائد اليومية ، فتأخذها وتقرأ فيها ماتريد . وفى دورها الأرضى
مصاعد خمسة أو ستة بجوار بعضها البعض لاتزال صاعدة نازلة بمن يريد .

وليس لاحد من الموجودين باللوكاندة صلة بالخدم ، بل عنده مكتب فيه جميع
أدوات الكتابة من حبر وورق وظروف وكرات وأقلام ، وعلى المكتب الكتاب
القدس من جهة ، ومن جهة أخرى مجلد ضخمة فيه جميع العناوين التلفونية التى فى
المدينة وضواحيها ، وبجوار هذا كله كرسى عليه آلة التلفون المتصل بعامل

اللوكنده ، فاذا اردت منه شيئا أمرته به فيأتيك في الحال ، واذا أردت أن يصلك
بنمرة أخرى باللوكنده أو المدينة فعل بكل سرعة فتتكلم ماشئت وأنت في سريرك .
وفي اللوكنده صالة للأكل كبيرة لمن يريد أن يأكل فيها . وأجرة الاودة
في الليلة تبدئ هنا من ثلاثة ريالات ومساحتها في الغالب ٢ متر عرضا في أربعة
طولا وفيها نصف هذه المساحة للحمام والتواليت .
وفي جوار باب اللوكنده محل يأخذون فيه الشاي والقهوة أو الأكل الخفيف
لمن يريد من أهل اللوكنده أو غيرهم .
وتجد الحركة في اللوكنده هائلة بحيث تجد الداخل أكثر من الخارج .

وفي نيويورك كثير من المطاعم ، ومنه ما هو للخاصة بثمنه العالي ، وما هو
للعامه بثمن محتمل ربما لا تصل الأكلة فيه الى ريال ، وهي في عمومها لا بأس بها .
وأغلب المطاعم هنا مايسمونه (الكافيتريا) ونظام الأكل فيها أن ليس فيها
جرسونات للخدمة ، بل اذا دخل المرء اليها أعطوه ورقة فيذهب بنفسه الى العامل
المختص بتوزيع الأكل ويتناول صينية وسكينة وفوطة من جواره ، ويطلب منه
مايريد مما هو معروض أمامه ، ولكل صنف ثمن معلوم يقبده العامل في الورقة
التي بيد الأكل ، فاذا أتم أكله حاسب صاحب الصندوق على ما فيها كثيرا
كان أوقليلا .

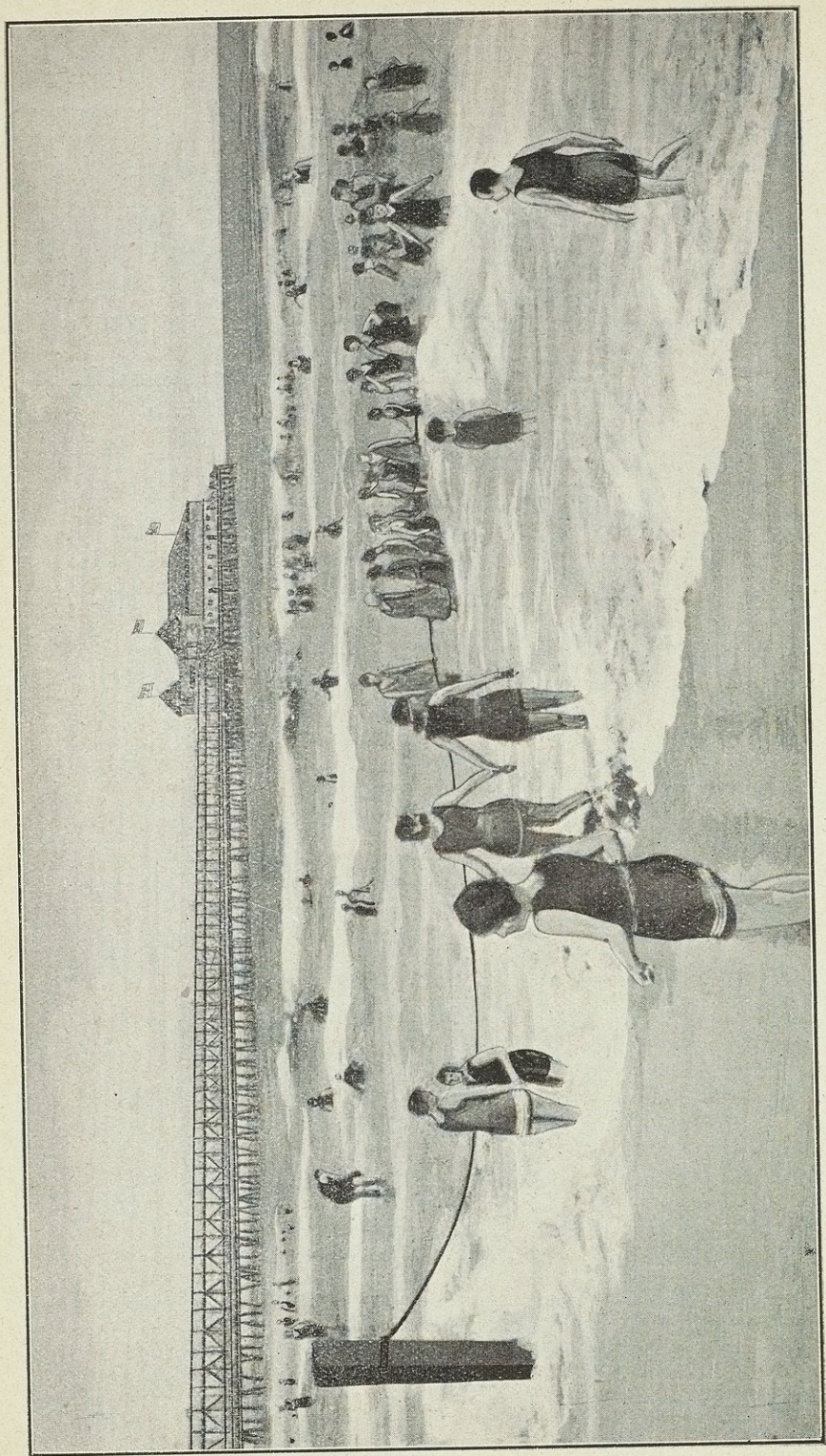
وليس في نيويورك شئ من تلك القهاوى التي كثيرا ما تجدها في عواصم
أوروبا (إلا لوندرة) مما يمكن أن يستريح اليه الغريب على الخصوص فيقضى في
دائرتة بعض الزمن . لذلك ترى الانسان هنا ان لم يكن له عمل في مصرف أو في
محل تجارى أو ما يشبه ذلك ، فانه لا يجد ما يستريح اليه الا الالتجاء الى لو كندته
أو الدخول الى أحد المطاعم أو التياترات أو السينما توغرافات ، وكلها هنا كثيرة
جدا ، وخصوصا في الشارع السابع . أما التياترات فاذا أردتها بمعناها هنا فهي :

الفاريتيه أو الهوثيل . أما التياترو بمعناه الحقيقي وهو الذى تبنى فصوله على العبرة التاريخية فيكاد لا يوجد هنا ، وليس من دليل على ذلك غير رؤيتك لدار الاوبرا وانها بناء قديم لا يصل بأى حال من الأحوال الى ما عليه سينما توغرافات المدينة من فخامة البناء وبديع الشكل ، وكأنى بك اذا زرت سينما برامونت أو روكس أو الكايتول ، وشاهدت ما فيها من الأبهاء التى جمعت لطافة الشكل الى جلال المنظر ، ورأيت هذه السالمة الرخامية الفخمة التى توصل الى الادوار العالية وما فيها من صالونات للاستراحة كلها موشاة بالذهب وغريب الالوان ، ورأيت ما الى ذلك من ثمين الاثاث وجميل الرياش ، وما يتلو ذلك من خدم وحشم جمعوا بديع الهندام الى حسن النظام ، لما ترددت لحظة واحدة فى أنك فى أعظم قصر من قصور الملوك .

فاذا دخلت الى قاعة السنا وجدتها فسيحة الأرجاء عظيمه الرواء ، تسع من النظارة بضعة الالوف وليس فيها كرسى واحد غير مشغول بصاحبه ، وكثيرا ما ترى العشرات بل المئات من المتفرجين واقفين على أبواب القاعة فى كل أدوارها ينتظرون خلو مكان لاحتلاله — والسبق للمتقدم : ذلك لأن التشخيص مدته ساعتان ، وآخره متصل بأوله من أدوار كثيرة من الساعة الخامسة بعد الظهر الى الساعة الحادية عشرة مساء .

أما التشخيص ذاته فقد وصل الأمريكان فيه الى الابداع فى الاختراع والاعراب فى كل باب : لأنهم يستقدمون من أوروبا أعظم المشخصين والمشخصات ويفضون عليهم ميازيب الاموال حتى يصلوا فى الرواية من جمال الاحسان الى كمال الأتقان .

وقد يتخلل التشخيص فصول من الرقص الصامت الذى لا يتكلم إلا بحركات صاحبائه ، يتلو ذلك شئ من الغناء والموسيقى ، وقد يبلغ عدد الاوركستر فى هذه السينما توغراف الى مائة كلهم من كبار الفنين ، اذا لعبوا دورهم وهم فى وسط تيارات تلك الالوان الكهربائية التى تتناسب مع القطعة التى يمثلونها ذهب بك الخيال



اسكاته لمام مجرى فى ضواحي نيويورك ص — ٣٨

كل مذهب ، وتصورت أنك في عالم آخر هو ما ترتاح اليه النفوس وتسمو اليه العقائد ؟؟ ومن هذا ترى أن السنا هنا في أرق درجاته وأتم آياته .

*
*
*

وجو نيويورك غير صحي بالمرّة : لأنّه شديد الحرارة صيفا مع ما يصحبها من الرطوبة التي تهيج الاعصاب وتكاد ترهق منها النفوس !! وفي الشتاء ترى جوها شديد البرودة بما تكاد تجمد منه الدماء في عروقها (وهي ومدريد على خط عرض واحد) أما هواؤها فكله متسمم بما يختلط به من البنزين المحترق من مئات الآلاف من الآتوموبيلات التي لا تنقطع حركتها فيها ليلا ولا نهارا .

ولشدة حرها تجدد فيها دكا كين خاصة كثيرة يبيعون فيها شراب البرتقال والأناناس ، حتى تراه في دكا كين البقالة والمطاعم والصيدليات وغيرها .

ولأدري اذا كانت شدة الحر هي السبب في كونهم يعضون اللبان بصفة عامة حتى وهم في الطريق ، لافرق بين رجل وامرأة وشاب وشابة وطفل وطفلة ، وكذلك يبصقون فيه من غير مبالاة !!

وعلى كل حال فالذي كتبته عن هذه المدينة لا يخرج عن مذكرات سائح وهو ليس بشيء يذكر بجانب ما لم أره من مشاهدتها ، وقد تمر هنا على العين في آن واحد صور كثيرة ومناظر جمّة لا يدري الكاتب ماذا يتخير منها :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

وماعساك تريد أن أكتب عن مدينة كان الثمان والأربعين الولاية المكوّنة للولايات المتحدة قد اندمجت فيها مع من انضم اليها من زوار وتجار ممالك أخرى ، بحيث تستلزم الاحاطة ببعض حقيقة ذلك تحديلا واسعا نفسانيا واجتماعيا وصناعيا وتجاريا واقتصاديا ، خصوصا في مدة يسيرة كالتي أقمتها فيها ؟؟

هذه هي نيويورك التي كل ما تقوله عنها كتب الجغرافيا بمصر هي هذه الكلمة :

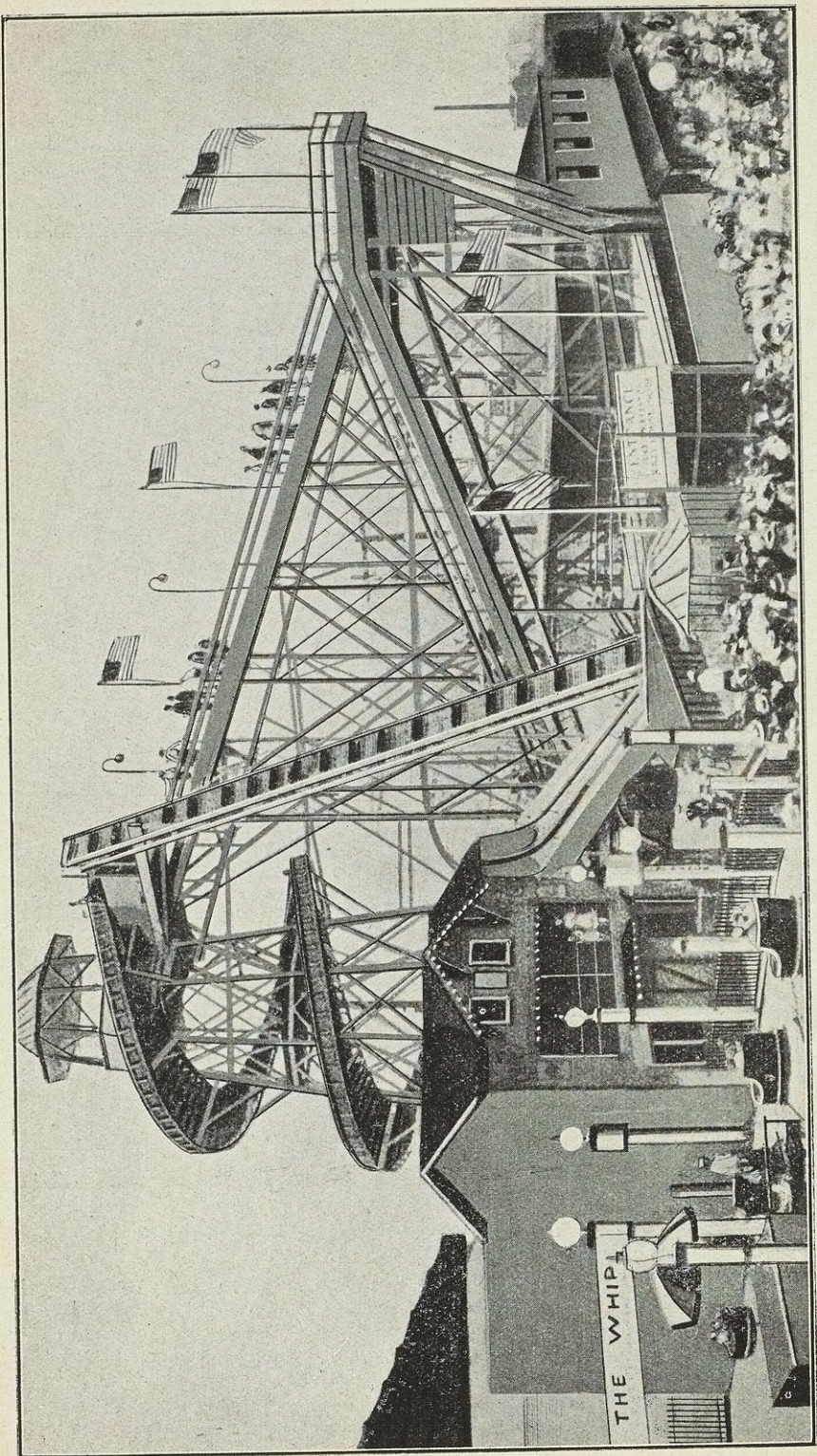
« ونيويورك مشهورة بكوبرى بروكان »

حول نيويورك

نزهة في النهرين

أعدت الغرفة التجارية نزهة نهريّة لأعضاء المؤتمر ، قمنا بعد الغداء الذي قدّم لنا وعدينا الى جهة نيوجرزي في السابوي (الطريق الحديدي الذي يمر تحت النهر) . وهناك رأينا يخبأ جميلاً أقلنا وسار بنا الى النهر الشرق ، وهنا ظهرت لنا نيويورك بعظمتها ، وكانت مراكب النقل تغدو وتروح أمامنا بكثرة هائلة . والذي لفت نظري منها بصفة خاصة مركب ذات سطح مستطيل تحمل سبع عربات من عربات السكك الحديدية لتقلها من شاطئ الى شاطئ آخر من هذا النهر العظيم ، ومن أعجب ما رأيته في محطة نيوجرزي عربات خاصة لنقل الفاكهة فيها مثالج تطف من حرارتها حتى تصل الى مواردها سليمة من كل مايؤثر فيها ، وهناك معديات هائلة ذات دورين لتعديّة الناس من جهة الى أخرى ، والدور الأول مخصص للعربات بجميع أنواعها ، والثاني خاص بالركاب . بهذا وذاك كانت عظمة المدينة تتمثل أمامنا في هدوء وسكينة حتى كأننا في حلم من الاحلام .

دخلنا الى النهر الشرق فرأينا على يمينه ويساره من مرافئ الشركات البحرية والنهرية مالا يحصىه العد ، وبعد قليل مررنا من تحت الكبرى العظيم التاريخي الذي يربط نيويورك ببروكلن (كبرى بروكلن) وهو يرتفع فوق رؤسنا باربعين متراً . وكانت حركة العربات والتراموايات والقطر الكهربائيّة تصلنا من ناحيته بملا يصم الاذان . وقد بدا لنا منظر هذا الكبرى بعظمته الحقيقية ، بل بدا لنا وهو معلق بين السماء والأرض في هذا الطول المروع ، ولا يتصل بالأرض إلا على قاعدتين من البناء قام عليهما من كل جهة عمودان هائلان يبلغ ارتفاعهما عن سطح الماء اثنين وتسعين متراً وعن سطح الشارع بنحو عشرة أمتار تقريباً ، وكل عمودين



ساقية الهواء في احد المنزهات بجوار نيويورك ص — ٤٠

متقابلين يربطهما جبل ضخيم من الصلب اتصلت به فروع مائلة تحمل هذا الكبرى العظيم . ثم مررنا من تحت كبرى (منها ثان) وربما كان أكبر وأعظم من سابقه ، ولكن الفضل كان على كل حال للمتقدم . وبعد ذلك مررنا من تحت جملة كبار تسير فوقها قطر السكك الحديدية لهائلة ، وكنا فى أثناء ذلك نرى فى جهة بروكنا شيئاً كثيراً من المصانع والمعامل الا يمكن وصفه ولا حصره إلا بعد مداخنه التى كانت تخترق الجو بكثرتها ، وتملؤه بدخانها المكثيف ، ويكفى أن تعرف أن فى بروكنا من المعامل ما يشتغل بها مليونان أو ثلاثة من العمال .

كما سرنا الى الامام تجلت لنا عظمة المدينة الصناعية والتجارية : هذه عن يسارنا ، وتلك عن يميننا ، هذه بما فيها من المحلات التجارية وما لها من المرافق الصغيرة على طول النهر — : وتلك بما يخيم على جوها من دخان معاملها التى لا تحصى .

ولكن لم كل هذه الدهشة ونيويورك هى مملكة فى مدينة قد انحصرت فيها بناسها ومصانعها ومتاجرها ومساكنها ؟

وكما سرنا الى جهة الشمال رأينا البنايات تضر ، والمساكن تصغر ، وتظهر من على يسارنا (جهة نيويورك) متراصة بعضها بجوار بعض ، كما يظهر من الجهة الأخرى فيلات كثيرة منتشرة على أرض قد فرشت ببساط الجازون الأخضر وأظنها مساكن خلوية لسراة القوم . ومن هذا تعرف أن لانسبة بين ما فى جنوبها من عظمة البناء ، وما فى شمالها من بساطته . وفى نهاية قنال هالم الذى يصل النهر الشرق بنهر هيدسون بدأت المباني الجميلة تظهر من الجهتين ، وكافت القطر الكهربائية بكثرة سيرها على الكبارى المتعددة التى على نهر هيدسون دلالة على كثرة الحركة فى هذه الجهة . وبعد قليل من سيرنا مررنا على جامعة كولومبيا حتى اذا اتصلنا بنهر هيدسون من جهة الجنوب وجدناه قد عظم فى اتساعه وظهرت على جانبه المباني الجميلة التى يسكنها سراة القوم خصوصا الجهة اليسرى (الشرقية) وهى أهدأ وأنظف جهة فى المدينة ، ويسمونها (ريف سايد) . والنهر فى هذه الجهة

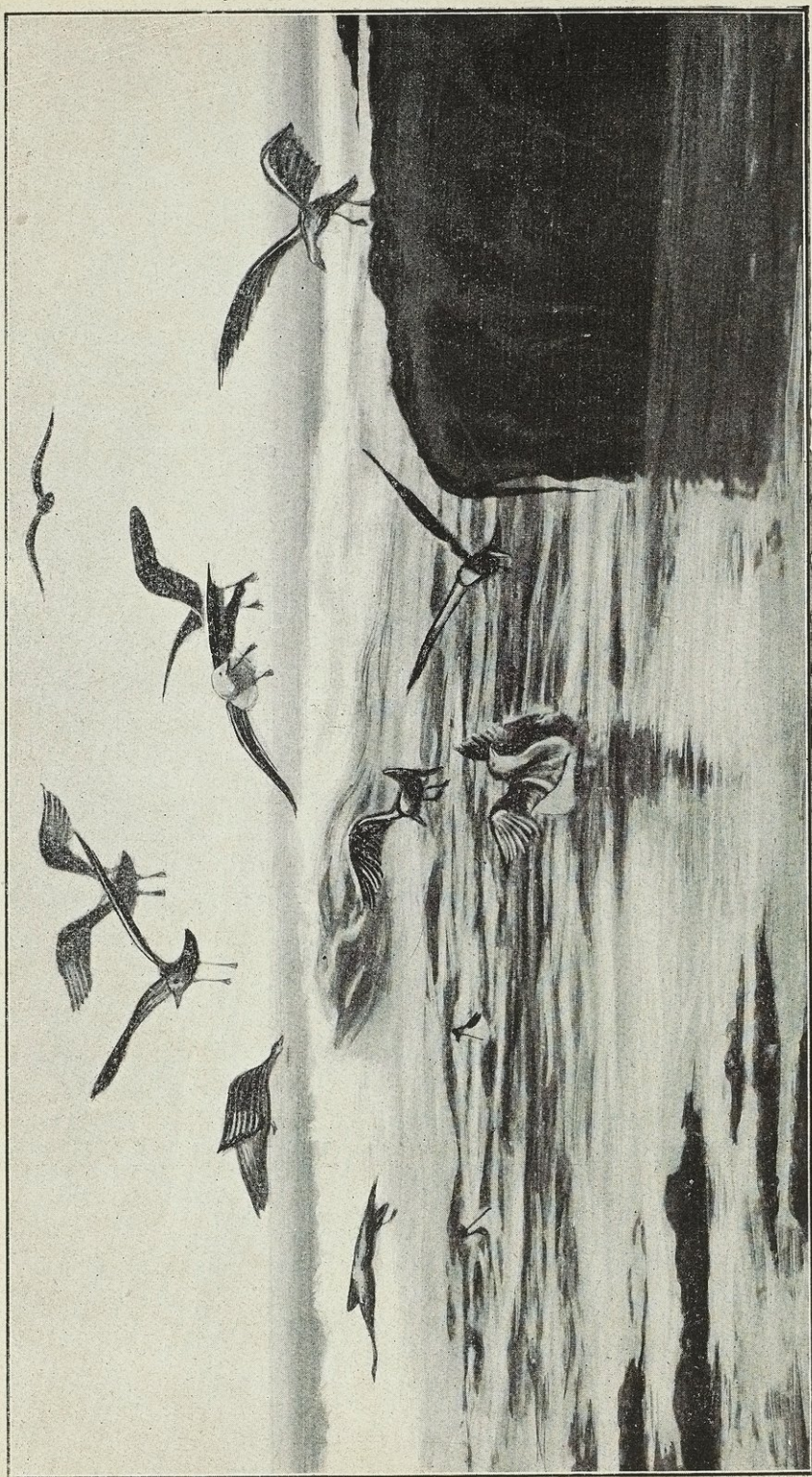
ضعف النيل مرتين . وهو فى فيضاته أو أقل من ذلك قليلا . ومازلنا سائرين بين فخامة هذه المعالم ومعالم هذه الفخامة حتى ظهرت لنا هذه المراكب الجسيمة التى تقطع الاطلانطى أو الباسفيك الى العالم القديم من جهته الشرقية أو الغربية ، وهى فى مرافئها على طول بضعة كيلومترات من جانبي الهيدسون ، وأعظم المراكب التى تسير الى أوربا : « لفياطان » وحمولتها ٦٥ ألف طن ، وكانت لالمانيا قبل الحرب والآن للولايات المتحدة ، ثم « ماجستك » وهى لانكاسترا وحمولتها ٥٥ ألف طن ، ثم باريس لفرنسا وحمولتها ٣٧ ألف طن .

وفى نهاية الساعة السادسة مساء وصلنا الى الجهة التى أنهرنا منها وعدنا من طريق السابوى الى فندقنا شاكرين للغرفة التجارية كرمها وحفاوتها .

وفى اليوم التالى دعتنا الغرفة الى نزهة خارج المدينة وأرسلت مركبات الاوتوبات الكبرى الى منزلنا ، فركبناها وسارت بنا تخرق شوارع المدينة حتى خرجنا الى آخر شارع برودوى ، وهنا لك سرنابين البساتين اللطيفة حتى وصلنا الى المعمل الكيماوى الزراعى للمدينة ، والذى أدهشنى فيه آنسات يعملن فى التحاليل الكيماوية ، ويدرسن طبيعة النباتات والزهور ، وقد رجوت أن يكون لشبابنا مثل هذا الحال ، والحق يقال إنى كنت أرانى فى هذا الوسط العلمى والفنى خجلا من وقوفى فى نقطة أقرب الى الجهل منها الى العلم ، إن لم تكن هى الجهل بعينه ، مع أن بلادنا زراعية ونحن محرومون فيها من كل شئ من هذا القليل .

وقد زرنا بهذا المكان محلا درجة الحرارة فيه عشرة تحت الصفر ، ثم آخر حرارته أربعون فوق الصفر يدرس القوم فيهما طبائع نباتات مختلفة ، وبعد زيارتنا عدنا الى منزلنا .

وفى صباح اليوم الثالث أعدت لنا الغرفة التجارية ما يلزم من الأتوموبيلات الكبيرة لزيارتنا جامعة « نيوبرونسويك » التى شيدت فى سنة ١٧٦٦ وكذلك محطة التجارب الزراعية بها ، وهى على نحو خمسين ميلا من نيويورك . فوصلنا إليها



قبيل الظهر ، وهناك خیرنا بین زیارة الجامعة أو زیارة معمل الأدوية ، فرغبت فی زیارة المعمل خوفا من أن أجد فی الجامعة لغة لا أفهمها !! كما هو الحال عندنا خصوصا وكانت فی آخر أيام دراستها ، وعلمت أنها فی يومها التالی ستوزع القاب الدكتوراه علی مائتین من طلبتها بین شبان وشابات !! فهل یأتی الزمن الذی نرى فیة هذه النتيجة عندنا ؟؟ هل یأتی الزمن الذی نرى فیة أمهات المستقبل عندنا فی مستوى هذه المرأة فی قیمتها النفسية وتفوقها العلمی ؟؟؟

دخلت مصنع الجواهر الطبیة (لاخوان جونسون) مع طائفة من رجال المؤتمر ، فبدأنا بزیارة المطبعة التی تطبع الأعلانات والعناوین التی یضعونها علی رجاجات أو صنادیق الأدوية وهی تقرب فی کبرها من مطبعة مصر ، وفیها تصنع علب الکرتون علی اختلاف أشكالها .

ثم صعدنا دوراً آخر فوجدنا آنسات ، هذه تملأ العلب ، وتلك تغلفها بورقة وتضعها علی سكة حديدية صغيرة تتحرك بحركة أوتوماتيكية فتقلها الی جهة أخرى فیاخذونها ویرتبونها فی صناديقها للتصدير . ثم صعدنا الی دور آخر فرأینابه القطن المخلوج الخاص بالصیدليات قد لف علی اسطوانات كبيرة تدور بسرعة . ومن دونها آنسات یقطعنه بمقادیر مخصوصة بسرعة تسایر سرعة الاسطوانة ، ثم یضعن ما یقطعنه علی شريط من الحديد متحرك الی جهة یاخذونها منه ویلفونه ویضعونه فی صناديقه ، وكل هذا بسرعة أوتوماتيكية . ثم تسیر هذه الصنادیق الی أفران درجة حرارتها ٢١٥ فرنهارد ، وتستمر فیها ساعة ونصف ساعة لقتل ما عساه یكون بها من المکروبات .

ثم زرنا دورا فیة اسطوانات كبيرة علیها القماش الخاص بالاربطة وهی تدور ومن دونها آنسات یقطعونه بحساب مخصوص ، ومن دونهن غیرهن یضعنه فی علبه ثم یدهب به الی أفران التعقیم .

وجميع الأیدی التی تشتغل هنا كانت تتحرك بحركة أوتوماتيكية مع حركة

الآلات حتى كأنها كلها مرتبطة بعضها ببعض مما يدesh له الناظر ، وعسى أن يرى بنك مصر ويفكر فى إيجاد هذه الطريقة فى عمل القطن الخاص بالصناعات ، فهو مع سهولة عمله من أحسن موارد الكسب .

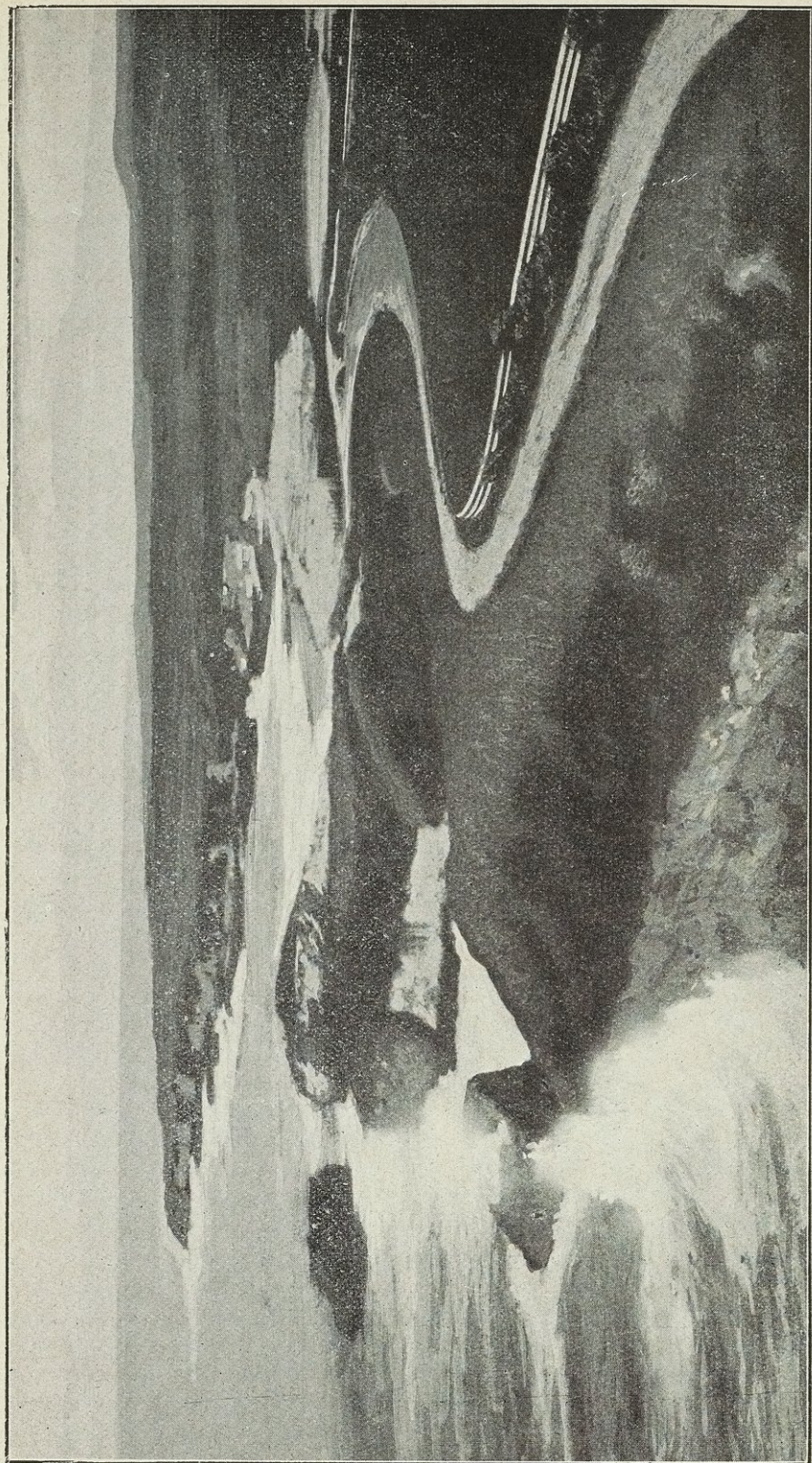
وبعد زيارتنا للمعمل اجتمعنا باخواننا الذين زاروا الجامعة وساروا بنا الى حيث قدم لنا طعام الغداء من محل إخوان جونسون أصحاب معمل الأدوية .

وبعد الغداء أخذ الخطباء يتكلمون من كل صوب شاكرين للجامعة ولاخوان جونسون ، ولم كنت أغتبط بنفسى وأنا بين هذه الاوساط العالمية التى كانت تفيض عبقريتها بتلك العبارات الضخمة من أنواع التبجيل والتعظيم لحكوماتهم الاوربية كل بلغته ، خصوصاً الدكتور ليمان رئيس الجامعة شاكرهم ولحكوماتهم !! وها تمشى فى عروق دم الغيرة عند عدم ذكر وطنى المحبوب بين هذه المجموعة الدولية ، وقت مستاذنا فى الكلام وقلت هذه الكلمة باللغة الفرنسية :

« كنت أود أن يباح لى الكلام بلغتى حتى كنت أكون أقوى منى الآن على التعبير عما يخالجنى من آيات الشكر لهذه الفرصة التى تشرفت فيها بالاندماج فى مجموعتكم الموقرة ، وإنى رغما عما اقتصرت عليه عبارة الدكتور ليمان من ذكر الجنسيات الاوربية المحترمة أرفع صوتى باسم مصر ووطنى المحبوب ببدء آيات الشكران والامتنان لهيئة الجامعة الجليلة ، ثم لييت جونسون الكريم ، وللجنسية الامريكية بصفة عامة على ما رأيناه من كرمهم وعنايتهم »

وبعد أن ترجمت عبارتى بالانكليزية قام الدكتور ليمان وشكرنى بكلمات رقيقة .

وبعد الغداء ركبنا الاتوموبيلات الى الأرض التى يعملون بها التجارب ، وهى أرض ملحية حمضية ، فرأينا جميع التجارب التى عملوها فيها تدور حول تسبيخها بالازوت أو الجير أو سلفات النشادر على نسب مختلفة ، إما بمفردها وإما باضافة بعضها الى بعض ، وكل هذه فيها نتائجها من ضعف أو قوة فى الانبات — :



طريق على شاطئ المحيط الاطلانطي ص — ٤٤

قهل عندنا تجارب من هذا القبيل تقوم بها وزارة الزراعة ؟ وهل اذا علمت ذلك تضيع النتيجة على الأمة ؟ حتى لا تحرم من الفائدة التى تنتج عن أبحاثها ؟ وبعد ذلك توجهنا الى عزبة يسمونها عزبة الابقار ، فوجدنا الابقار فى اسطبلاتها وهى ١٨٠٠ بقرة كلها حلب ، وكيفية وجودها هنا : أن توضع رؤسها فى مربعات مستطيلة من قضبان من الحديد عرضها نحو ثلاثين سنتيمتر بحيث يمكن فتحها من أعلاه ، وهذه المربعات مصنوعة بحالة تمكن البقر من أن تتحرك برأسها أنى شاءت وهى تتحرك بحركتها . وفيما وراء الابقار قناة مسقفة ينزل اليها روئها وبولها ، وفى أول القناة حنفية اذا فتحت تفجر منها الماء لغسيل هذه القناة ، ويسير الماء الملوث الى حفرة خارج الاسطبل ، ولهذا الحالة تجد رأس البقرة سليمة ، وأذناها لا شائبة فيها ، لا كحالتها عندنا !! وكل بقرة من هاته الابقار تعطى ٢١ الف رطل من اللبن فى كل عشرة أشهر !! واكل مائة منها اسطبل على حدة تربط فيه متقابلة ، وغذاؤها عيدان الذرة الجافة المقطعة قطعاً صغيرة ومعطونة بحيث تراها كتفل خشب العرقسوس بعد ثقبه فى الماء وقد ظهر فيه رائحة التخمر ، ويضعون عليه البنجر المقطع قطعاً صغيرة ، ولهذا وذاك آلات مخصوصة . أما البرسيم فانهم يحففونه بالآلات يضعونه فيها من جهة وهو أخضر فيخرج من الأخرى وهو مطحون كدقيق الحنطة ، فيملئون منه أكياسا يحفظونها لتغذية المواشى فى الشتاء . وتحلب الابقار ثلاث مرات كل يوم بواسطة رجال مخصوصين ، وبعد ذلك ينقل اللبن الى معمل قريب من الاسطبلات فيوضع فى زجاجات معقمة ويرسل بها الى نيو يورك .



وبعد أن زرنا النقطة التى فيها المباحث على طبيعة الأرض زرنا مكان التجارب على اشجار الفاكهة — وهم يرشون النيوكوتين على الشجر المصاب بالمكروبات وعندهم مربعات من قضبان الحديد مترين فى مترين ارتفاع ثلاثة أمتار مكسوة

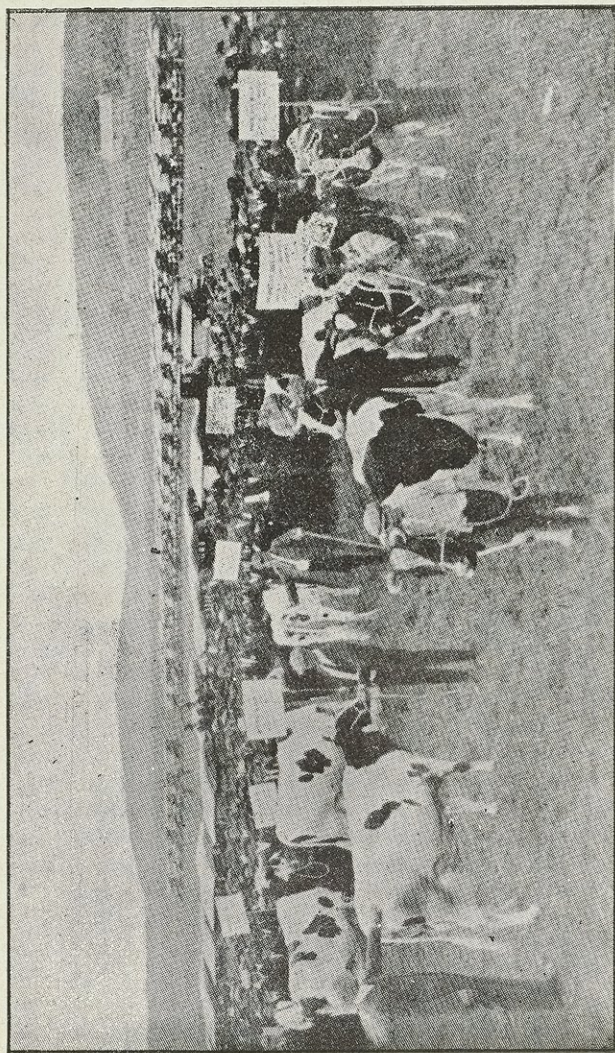
بالقماش وهى أشبه شئ بالبارافانه (الدروه) يحيطون بها أشجار الفاكهة وقت أزهارها لحمايتها من الرياح من جهة ، ومن جهة أخرى لحماية مادة التوليد التى يضعونها فيها : ذلك أنهم يأتون بزهرة من ذكور الاشجار الجيدة فيضعونها فى وسط زهرة شجرة من الانثى فيتم التلقيح ويجود الثمر .

وبعد أن فرغنا من زيارة الابقار ومكان الالبان سیربنا الى محل الادارة وهو مكان جميل فى وسط خضرة نضرة ، وهناك وجدنا صاحب العربة قد جهز لنا العشاء الخلوى فى هذا الهواء الخالص على نظام الكافيتريا الذى شرحناه لك فى مقدمة هذه الرسائل ، فاكلنا أكلة لا أتذكر أنى أكلت أحسن منها ، وكان موظفوا الادارة يدورون علينا من وقت الى آخر بكل مالد وطاب ، وبناتها يدرن علينا بأصناف الفاكهة والمثلجات ، ونحن بين يدى هذه الطبيعة الجميلة تحف بنا الأشجار وتظل لنا سماء أذ كرتنا بسماء بلادنا الزاهرة فى وقت غربت شمسها ، وكل أنسه ، وبالجملة فقد كان جمال الطبيعة وجمال الوقت وجمال الصنيع ، مما لا ينسى لهذا العالم الذى بلغت أريحيته الى مالا يمكن أن تراه فى عالم آخر .

وفى الساعة الثامنة مساء ركبنا أتوموبيلاتنا الى نيويورك فوصلناها فى الساعة العاشرة .

ونيو يورك عاصمة ولاية باسما فى طول المحيط الاطلانطى ، وهى أغنى ولايات أمريكا ومساحتها ١٢٧ ٣٥٠ كيلو مترا مربعا ، وقنال أريا يقسمها الى قسمين ، وفى شمالها جبال اديرونداك ، وفيها غابات غنية بالأشجار الجميلة ، وأرض هذه الولايات تشقها جملة أنهار منها : نهر هيدسون ، وموهاوك ، ودلاور ، وسيسكاهانا ، والنهر الأسود . وفى شمالها بحيرة أوتاريو يحيط بها جملة بحيرات صغيرة .

وفى ولاية نيويورك جملة مدن عظيمة : منها مدينة بافالو وهى مدينة عظيمة سكانها أكثر من نصف مليون ، وهى مشهورة بمصانع الحديد ومطاحن الدقيق ومدينة روشستر ، ومدينة سرقوسة . ويزرع فى هذه الولاية البطاطس والغلل



إبقار معرضة للبيع وبجوار كل منها لوحة بما تنتجه من اللبن والزبدة وفي ذلك أكبر ضئان المشتري ص — ٤٦

والدخان والبنجر بكثرة ، وفيها معامل كثيرة لكل أنواع الصناعات للنسيج والحديد والسكر وغير ذلك .

وقبل أن أترك هذه المدينة أو هذه المملكة في مدينة أقول :

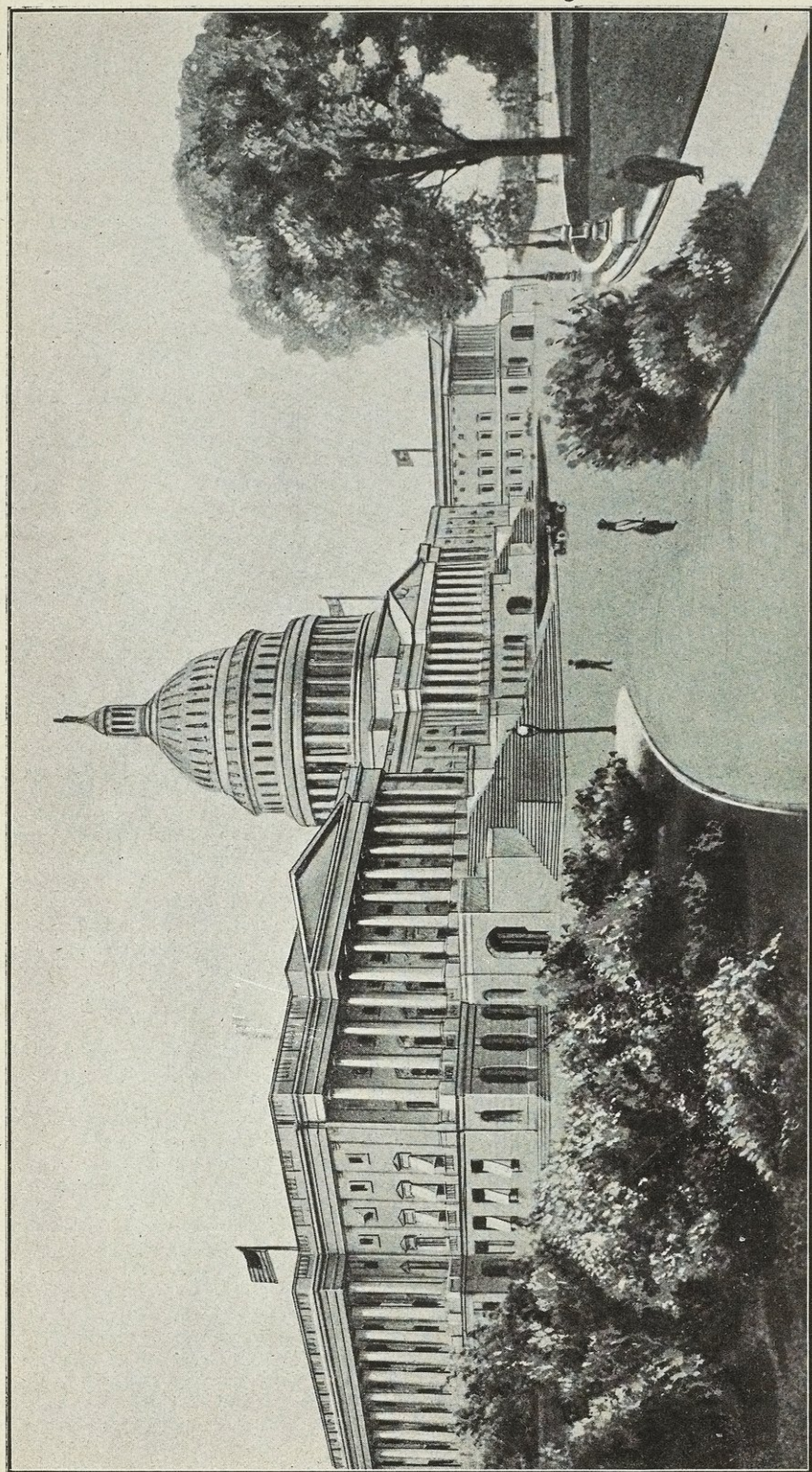
إنى زرت قنصليتها فوجدت قنصلها عسل بك من أرقى من يعهد اليهم بمثل منصبه ، وجدت فيه رجلا عاملا أديبا لطيفا والعمال الذين معه بصفة عامة ممن تنهأ بهم وزارة خارجيتنا ، وهنا أذكر شيئا أعجبني من حضرة القنصل ولا أريد أن أترك نيويورك من غير أن أذكر أهميته : عندما حضرت الى القنصلية لتوديعه كان عنده رجل من كبار السورين في نيويورك ، فلما قابلناه بعد خروجه من عنده أخذ يحدثنا بما كان يتكلم معه فيه هذا الرجل وهو ان يساعده في إيجاد معرض من الصناعات المصرية في نيويورك ، ولا شك ان الصناعات عندنا محصورة في المنسوجات البلدية التي تصنع في دمياط والمحلة الكبرى ومصر على الخصوص وفي عمل قطع المشريات والأدوات النحاسية التي تعمل في الخان الخليلي ، فاذا راجت هذه الصناعات في الخارج فلا بد أن تجرب اليها بعض الصناعات الاخرى التي قد يتحرك أربابها بعامل الرغبة في المكسب ، وربما جر ذلك الى تعديل وتحوير ترقى به هذه الصناعات مما يكون فيه خير البلاد . وهنا أقول إن مأمورية التمثيل لمصر في الخارج لا يصح أن تقتصر على وضع الامضاءات على جوازات السفر فحسب ، أو كتابة تقارير لا فائدة منها للجمهور ، بل يجب أن يكون مركزه مركزاً عمليا بالمعنى الصحيح ، يبحث فيه عن كل ما يرقى به بلده في تجارتها وصناعاتها ، بل في كل شأن من شؤونها الحيوية .

من نيويورك الى واشنطن

في الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٩٢٧ ركبنا عرباتنا الى محطة نيو جرزى على الضفة اليمنى من نهر هيدسون ، ومنها ركبنا قطار السكة الحديدية الى واشنطن ، وكان الحر شديدا بحيث يصل الى ٣٦ درجة سنتجراد ، وقد تحرك القطار فى الساعة العاشرة صباحا وسار يقطع أرضا ليست مستوية ، وفيها من العشب الاخضر ماهو غذاء للماشية ، كما فيها بعض مزارع القمح وكانت السنايل قد بدأت تتكون فيها . وقد ترى فى هذه الاراضى بعض أشجار الفاكهة منتشرة على طول الطريق وغيرها من أشجار الغابات ، ولكنها ليست بنضرتها الاوربية ، لأن الطقس هنا بين حر شديد أو برد قارس . وكنا نمر فى طول طريقنا على مدن عليها أثر الصناعة من كثرة ما عليها من دخان المصانع .

وأهم مدينة مررنا عليها فى طريقنا هى مدينة فيلادلفيا عاصمة ولاية بنسلفانيا ، وكانت عاصمة الاتحاد الأمريكى من سنة ١٧٩٠ الى سنة ١٨٠٠ ، وهى الآن من أكبر مدن الولايات المتحدة ، وعدد سكانها ١٨٢٥٠٠٠ وهى مشهورة بتجارها الواسعة مع الخارج ، وفيها كثير من مغازل القطن التى تستورد كمية كبيرة من القطن المصرى . وأهم مصانعها الحديدية مصانع بلدوين ، وهى أكبر مصانع للقاطرات البخارية للسكك الحديدية ، وفى هذه المصانع نحو ١٤ ألف نفس يعملون ليلا ونهارا ، ويشغلون أكثر من ٢٠٠٠ قاطرة كل سنة !! وهى من صنف القاطرات الجسيمة التى يبلغ ارتفاعها ٥ أمتار عن شريط السكة الحديدية ، وزنها ١٤٠ طنا . وفى هذا المعمل يحرقون نحو عشرة آلاف طن من الفحم الحبرى كل شهر ، وفى مكاتبه أكثر من عشرين مهندسا ومائة رسام .

وفى هذه المدينة أكبر مطابع الولايات المتحدة وهى مشهورة باسم « كارتس



بنایة البرلمان بواشington ص — ٤٨

« حوفيلادلفيا » ولا أدري كيف يكون مبلغ دهشتك اذا زرت هذه الادارة الهائلة ولم تر فيها شيئا من الكتب مقدما للطبع !! فى حين أنك تجد فيها شيئا كثيرا جدا من النشرات والمجلات .

وأهم ما يطبع فيها من المجلات الاسبوعية « المجازين الثلاث » ويطبع منها كل أسبوع مليونان ونصف مليون نسخة فى اثنتين منها ، ومليون ونصف فى الثالثة !! ومن باب الفائدة نذكر لك كلمة عن هذه الادارة لتعرف شيئا عما يقال له مجلات هنا كما عرفت بعض الشئ عما يقال له جرائد يومية فى كلامنا على نيويورك هذه المطبعة لها بناء مكون من إحدى عشرة طبقة فى أحسن ميادين فيلادلفيا ومسطحه أكثر من ثمانية آلاف متر مربع ، بحيث يكون مسطح جميع طبقاته نحو عشرين فدانا ، والطبقة التاسعة منه فيها مطعم العمال ومحل استراحتهم ورياضتهم ، ومكان للسينما ، ومكان للمحاضرات ، والعاشرة فيها المطابخ والمستشفى وغير ذلك مما يتعلق بلوازم العمال . وكل هذه المحال على أحسن ما يكون من النظافة والنقش وجميل الاثاث . وفى هذا البناء ١٤ مصعدا للرجال ، وعشرة للبضائع ، وفيه ثلاثة آلاف عامل ، ويطبع فيه كل يوم خمسون الف صفحة تستلزم نحو مائتى طن من الورق الجيد !! وفيه من الموتورات الكهربائية ما تزيد قوتها عن أربع آلاف حصان بخارية ، وذلك كله لادارة المطابع والانارة . وعند انتهاء طبع المجلات تشحن فى عربات توصلها بغاية السرعة الى أماكن تصديرها .

وحيث أننا تكلمنا هنا بشئ عن القاطرات فيجمل بنا قبل أن نترك أرض بنسلفانيا أن نتكلم عن مصانع قضبان السكة الحديدية فى (تسبورج) التى هى من أهم مدن بنسلفانيا والتى بها أكبر مصانع الحديد فى العالم .

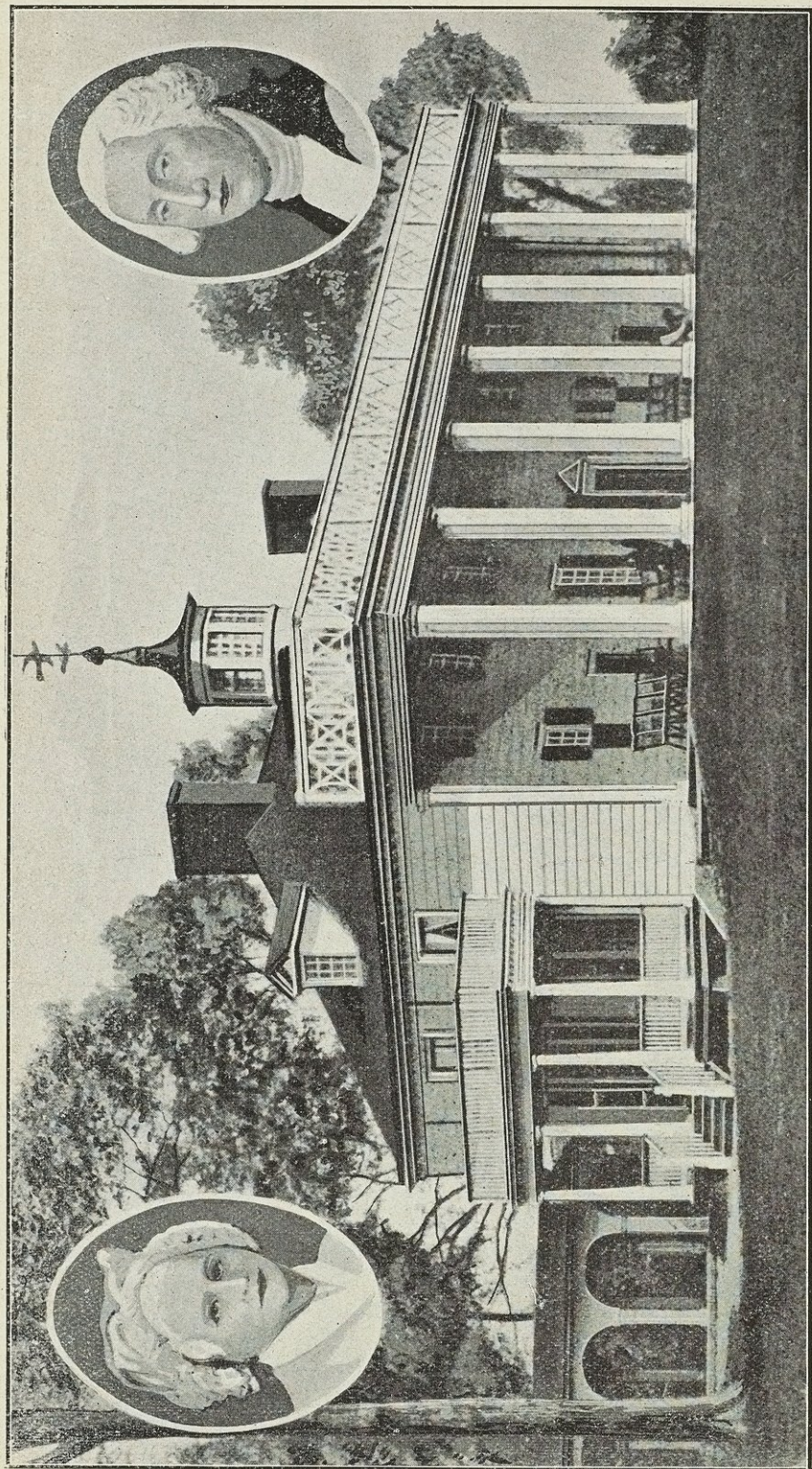
بتسبورج

ويسمونها مدينة الحديد ، لان فيها أكبر مصانع الحديد ، لافى الولايات المتحدة وحدها ، بل فى جميع العالم ، بحيث لا تذكر مصانع كروب (بالمانيا) بجوارها فى شئ !! وعدد سكانها ٦٠٠ الف نفس ، وهى على ملتقى نهري اللجاني - وموتجاهيميلا ، وتتصل بما وراء النهرين بجملة كبار ، وينتهى اليها ١٥ طريقا حديديا ، ويقوم منها ويدخل اليها كل يوم نحو أربعائة قطر من قطر السكة الحديدية وتبلغ صادراتها كل سنة برا ونهرا ٧٥ مليون طن ما بين حديد وفحم حجرى وبتقول !! وأرض هذه الجهة غنية جداً بهذه المعادن الثلاثة لدرجة أنهم يزعمون أن معادنها هذه تكفيها على نسبة هذه الصادرات سبعائة سنة أو تزيد ، وخصوصا فى البترول الذى يكثر فيها جدا ويصدرون منه كل سنة أكثر من ٤٥ مليون برميل ، ويصنع فى هذه المدينة ثلث ما يصنع فى الولايات المتحدة من قضبان السكك الحديدية ومن صفائح الصلب . ويصنع فيها غير الحديد الزجاج . وفيها معمل كبير للفواكه المجهزة تصدر فى علمها الى جميع جهات العالم . وبالجملة فالمدينة كلها مكونة من مصانع مختلفة ، وتراها بالليل والنهار كتلة واحدة ملتهبة تغلغل جذوتها فى الجو وتتصل أعمدة دخانها الى عنان السماء !!

ومن أكبر مصانعها التى تعمل الصلب كتلا وصفائح: مصانع (هو مستيد) وبها من العمال سبعة الاف وخمسمائة عامل ، وتصنع كل سنة أكثر من مليون طن من كتل الصلب ، ومن ضمن آلاتها مطرقة زنتها ١٢٥ طنا !!

* *

أما المصانع التى تعمل لقضبان السكك الحديدية فهى: مصانع (ادجار تومسون) وفيها من الآلات ما بها يمكن للعامل الواحد أن يصنع بمفرده فى اليوم كيلو مترا من القضبان العريضة التى طول الواحد منها ٣٠ قدما ، ويصنع المعمل كل يوم ما طولاهستين



منزل واشنطنون وهو اول رئيس للولايات المتحدة ص — ٥٠

كيلو مترا من هذه القضبان .

مدينة واشنطن

هى عاصمة الولايات المتحدة ، وواقعة على نهر بوتوماك ، وتعدادها نحو ٨٠٠ ألف نفس ، وشوارعها واسعة ونظيفة ، وتسمى الشوارع الكبرى التى تتجه من الكابيتول (مجلس النواب) بالحرف الهجائية ، والشوارع التى تقطعها بالاعداد فى الغالب ، فيقولون : شارع حرف ب مع شارع ١٥ مثلا . وهذه المدينة مركز سياسى وأدارى أكثر منه صناعى وتجارى ، لذلك تجد أهلها أرسنقراطيين لان غالبهم يعمل فى مصالح الحكومة .

وقد رسم كروكى هذه المدينة فى سنة ١٧٩١ ووضع أساسها (جورج واشنطن) الذى كان رئيسا للولايات المتحدة ، وصارت مركزا لحكومة البلاد المتحدة من سنة ١٨٠٠ وتسمت باسم رئيسها الموقر ، وقد أحرق الكابيتول سنة ١٨١٤ زمن حربهم مع الانكايز ثم شيد بعدها على ماتراه من العظمة والجلال ، وكان القوم يتبركون باسم واشنطن حتى أطلقوه على ولاية فى الشمال الغربى من الولايات المتحدة ، ثم على نحو عشرين مدينة من مدنهم المختلفة فى دائرة الاتحاد ! !

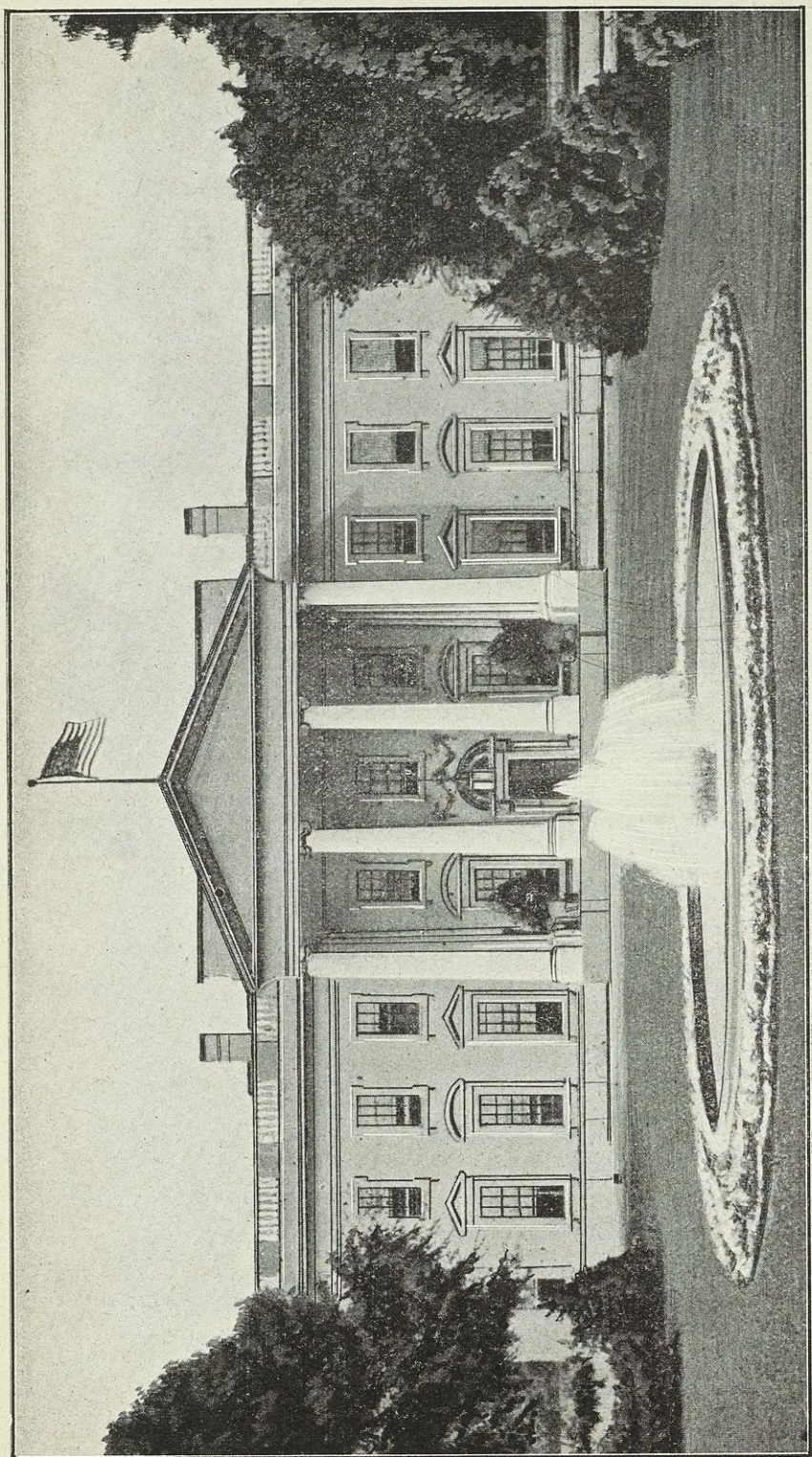
جورج واشنطن

هو ذلك الرجل العظيم الذى كون الولايات المتحدة وكان أول رئيس لها ، هو ذلك الرجل العظيم الذى ولد فى مزرعة أبيه بولاية فرجينيا سنة ١٧٣٢ وفى سنة ١٧٥١ كان قومندانا للفرقة العسكرية التى كانت بهذه الولاية ، وكانت له مواقف معدودة مع الفرنسيين ، وفى سنة ١٧٧٩ انتخب عضوا بالجمعية العمومية لهذه الولاية ، وفى سنة ١٧٧٥ عينه مؤتمر فلادلفيا قائدا عاما للجيش الأمريكانى وحارب الانجليز واجلاهم عن بوسطون ، وعقب انتصاره عليهم أعلنت الولايات

المتحدة استقلالها في سنة ١٧٧٦ وما زال في حرب معهم الى سنة ١٧٨٣ ، وكان يساعده الجنرال لافايت بجيش من الفرنسيين وفي هذه السنة تم الصلح المشهور بصلح فرساي ، وبه اعترفت انكلترا باستقلال الولايات المتحدة ، وبعد هذا كله عاد واشنطنون الى مزرعته يشتغل بالفلاحة ، حتى اذا تكون البرلمان في سنة ١٧٨٧ انتخب واشنطنون رئيسا له ، ثم عرض عليه قومه تاج البلاد الملكي فرفضه بكل اباء ، ولما انتهت الانتخابات البرلمانية انتخب رئيسا لحكومة الجمهورية المتحدة سنة ١٧٨٩ ، واعيد انتخابه سنة ١٧٩٥ ولكنه رفضها لما عرضت عليه في المرة الثالثة وانسحب الى مزرعته يعيش فيها بين افراد عائلته كواحد من عامة الناس . وفي سنة ١٧٩٨ اعلنت الحرب بين فرنسا والولايات المتحدة فقبل واشنطنون أن يتعين قومندانا عاما للجيش الامريكية ، وبدأ في تنظيم خط الدفاع ، وبعد أن تقرر الصلح في سنة ١٧٩٩ مات واشنطنون الى رحمة الله فبكته البلاد بكاء مرا ، وهو الى الآن والى الغد عنوان سعادتها وعظمتها .

وأول واجب رأيته على في هذه المدينة بصفتي مصريا هو زيارتي للمفوضية المصرية ، فاستقبلنا سعادة الوزير المفوض محمود سامي باشا بما هو معهود فيه من سمو آدابه ، وكريم محتده ، بما جعل له في قلوبنا اثرا لا تمحوه الايام .
وهنا يجمل بنا أن لا ننسى ما رأيناه من لطف وآداب موظفي المفوضية المحترمين وهم حضرات رمسيس بك السكرتير الاول ، والعيسى بك ، ونور بك . وكانت دار المفوضية حين زرتها لا تليق بها ولكنهم انتقلوا بعدها الى دار أنور وأشرح .

وهنا أستمحهم الاذن في أن أعتب عليهم لبخلهم في اجاباتهم على بعض ما كنت أريد الاستفسار عنه من المسائل العامة التي قد تفيد مصرنا العزيزة ، حتى لكأنها سر من الاسرار السياسية التي هي من شئونهم الخاصة ومن وظيفتهم المحافظة عليها ، وكذلك لا أخلى قنصلية نيويورك من هذا العتب بعينه وإن كنت



البيت الابيض واشنطن ص ٥٢

شخصيا لا أنسى كرم موظفيها وأدبهم .

* *

وهنا أرجو أن يسمح لى حضرة القارئ بكلمة فى هذا الموضوع ليتعرف منها بعض ما عليه السفارات الاخرى بواشنجتون :

فى اللوكندات بيانات بالبنائات المهمة التى يوصون بزيارتها ، ومن ذلك بعض السفارات الهامة ، ومن أهم السفارات هنا سفارة الانكليز ، ويقال إن مرتب وزيرها لا يقل عن سبعة عشر الف جنيه فى السنة ، غير ما يأخذه من مصاريف التمثيل وهو ما لا يقل عن نصف مرتبه ، وقد بلغنا أن فى هذه السفارة من الموظفين ما لا يقل عن خمسين موظفا ، هذا للسياسة ، وذلك للجرائد ، وذلك للزراعة ، وغيره للتجارة ، وهكذا الكل شأن من الشؤون الحيوية موظف خاص به لا يشغل بغيره ، ولا بد أنه متقنه وعارف بجميع مفرداته وتفصيلاته ، ولا بد أن يستخلص منه ما يفيد دولته ، أو بعبارة أخرى أمته ، أما مفوضيتنا فليس فيها غير نفر ثلاثة ! ! وحكومتنا تريد أن يكون ممثلها رئيسا ومروءا وكاتبا وحاسبا ومحرجا ومترجما ، أو بعبارة أخرى أن يستعمل نفسه فى كل غرض من الأغراض وفى كل لون من الألوان حسب مقتضيات الأحوال ، وهو تكليف من لا يريد أن تكون له نتيجة محمودة فى عمله .

وهنا تذكر لك باختصار أهم بنائات المدينة :

البيت الابيض

هو البيت الخاص بسكنى رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، وهو واقع على دوران ميدان صغير يجمع بين بساطته وعظمته وصغره وفخامته . وكان واشنجتون يلاحظ مع زوجته بنائته حتى تم فى سنة ١٧٩٢ . وقد أحرقتة الجنود الانكليزية فى حرب الاستقلال سنة ١٨١٤ فرشوه بالجير ليخفوا ماتأثر به من اللون الأسود ، ومن

هذا الوقت سموه بالبيت الأبيض .

وفي جانب من جوانبه جناح فيه مكتب الرئيس ، وهو على منتهى بساطته وصغره يعمل فيه ذلك الذي بين شفتيه إسعاد دولة من الدول أو إشتاؤها ، ومعه ياوران وعدد من الكتبة والسكرتاريين يقوم بتنفيذ أوامره الى حيث أراد من داخلية بلاده أو خارجها ، وليس فيه من الحرس إلا بوليس واحد على بابه . وفي الوقت الذي رأيناه فيه كانت به عمارة فالتزمت حكومة الولايات المتحدة أن تستأجر له منزلا آخر قد لا يصل الى أصغر منازل الخاصة في مظهره وفي سعته .

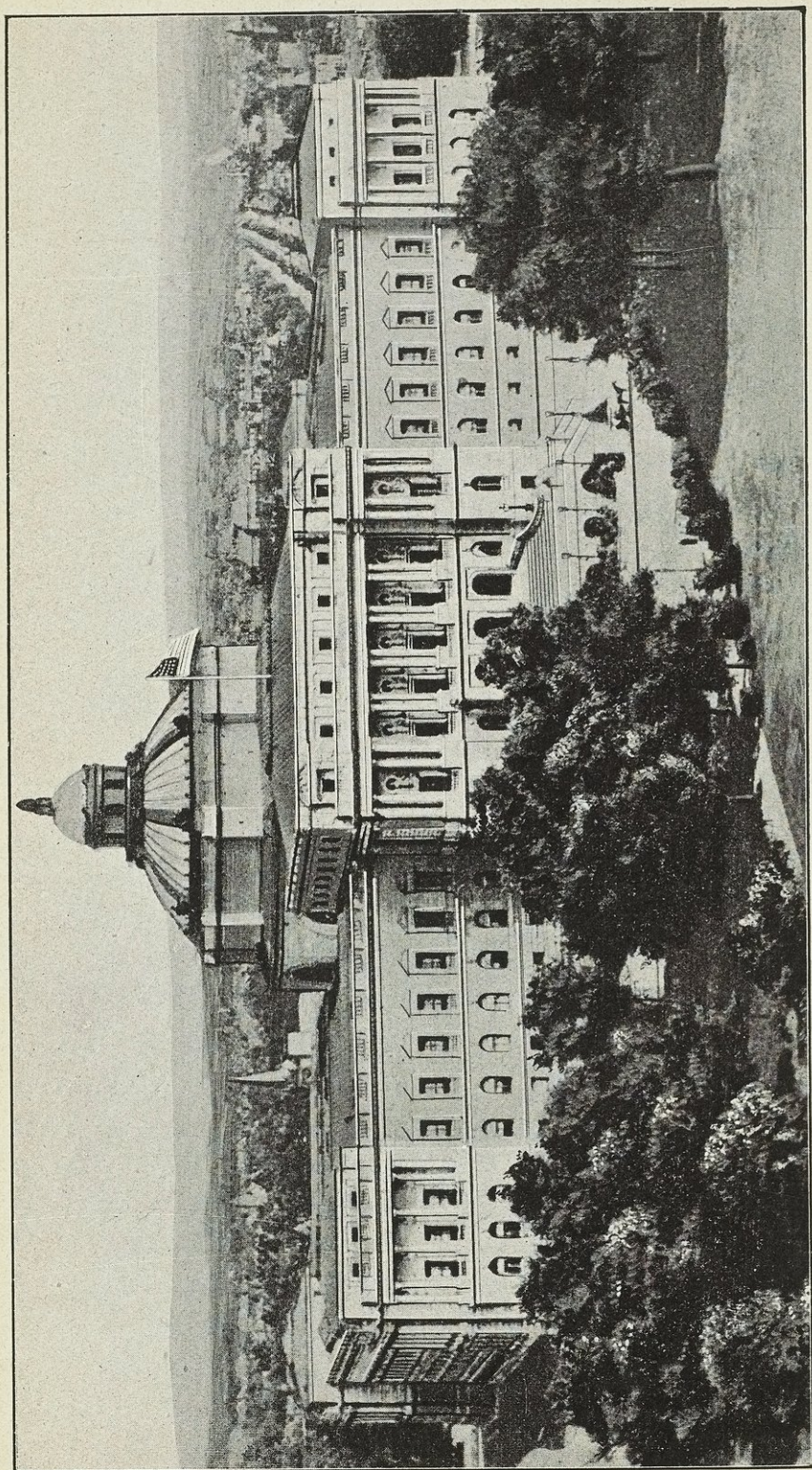
وبهذه المناسبة أقول لك : إن رئيس الولايات المتحدة مرتبه ١٥ ألف جنيه في السنة وخمسة آلاف بصفة مصاريف يقدم عنها لحكومته حسابا بالجهات التي صرفت فيها

* *

ومن أشهر العمارات التي زرتها عمارة الصليب الاحمر ، وعمارة عصبة الأمم الامريكية ، وهذه الاخيرة من أحسن عمارات العالم ، جمعت الى عظمة مناظرها جلال داخلها ، وكلها مبنية بالرخام الأبيض من الخارج والداخل ، وقد دعانا اليها مع أعضاء المؤتمر وزير الزراعه دعوة رسمية فاقفنا بين بهوها وغرفها الى فترة من الليل ، وانصرفنا شاكرين له كرمه ولطفه .

* *

أما بناء المكتبة العمومية فهو من أجمل ما رأيته في جميع البلاد التي زرتها ، وجميع مبانيها تشغل نحو ثلاثة أفدنة ونصفا ، ومع أنهم بدأوا فيها من سنة ١٨٠٢ فانهم لم ينتهوا من بنائها إلا في سنة ١٨٩٧ وقد تكلفت مبانيها ستة ملايين من الريالات !! ويحيط بالمكتبة بستان جميل ، فإذا دخلت من مدخلها العمومي وجدت طريقة بديعة جدا أرضيتها من الموزاييك ، وحوائطها من الرخام الأبيض ، وفي حوائطها بعض صور صنعت من الفسيفساء المختلفة الالوان يدخلها شيء كثير من



دار الكتب واشنطنون ص — ٥٤

الذهب . وهذه الطريقة توصل الى صالة في منتهى الفخامة كلها من الرخام ، وفيها سلم من المرمر يصعد الى الدور الاول الذى يرى به طريقة تدور حول مربع مستطيل يحيط به دربزون من المرمر ، ويشرف هذا المربع على الصالة التى فى الدور الارضى . وسقف هذا المكان الهائل مركب على حنايا ترتكز على نحو ستين عمودا من المرمر اسطوانية الشكل ، قطر الواحد منها نحو ٥٠ سنتمترا ، ومن هذه الممشاة يدخل الى طنف يشرف على دائرة قطرها نحو ثلاثين مترا فى ارتفاع اربعين مترا ، تعلوها حنايا قامت عليها قبة عظيمة غاية فى الابداع ، وفى وسط هذه الحنايا منافذ واسعة للنور ، وفى أسفل الدائرة مكاتب المطالعين على شبه ثلاث دوائر بعضها اصغر من الآخر ، وفى وسطها مكتب دائر فى وسطه دولا ب من الخشب فيه أدراج صغيرة وحوله عمال ، فاذا طلب أحد المطالعين كتابا قدم نمرته الى العامل فيضعها فى أحد هذه الدواليب ويضغط على زر فتذهب الورقة بواسطة ضغط الهواء الى الغرفة التى بها الكتاب ، فيضعه العامل فى أنبوبة موصلة الى ذلك الدولا ب فيصل اليه بواسطة ضغط الهواء فيسلمه العامل الى الطالب !!

ومسافة ما بين المكتبة والبرلمان نصف ميل ، فيها نفق يصل البنائين بعضهم بالآخر ، فاذا أراد أحد أعضاء البرلمان كتابا وصل اليه فى ثلاث دقائق .

أما غرف الكتب فهى فى أجنحة خاصة بها ليس فى بنائها شئ من الخشب خوف الحريق ، وفيها من الكتب مليونان وثمانمائة الف كتاب !! على أن تصميمها عمل على أن تسع أربعة ملايين من الكتب .

وبالجملة فهذه المكتبة من أفخم شئ فى نوعها ، وليست هى الوحيدة فى واشنطن ، بل هناك دور أخرى للكتب لا تقل عنها فى مقدار كتبها وإن قلت عنها فى روائها وبهجتها .



ومن أهم أبنية المدينة وزاراتها جميعها ، وخصوصا وزارة الحربية ووزارة المالية

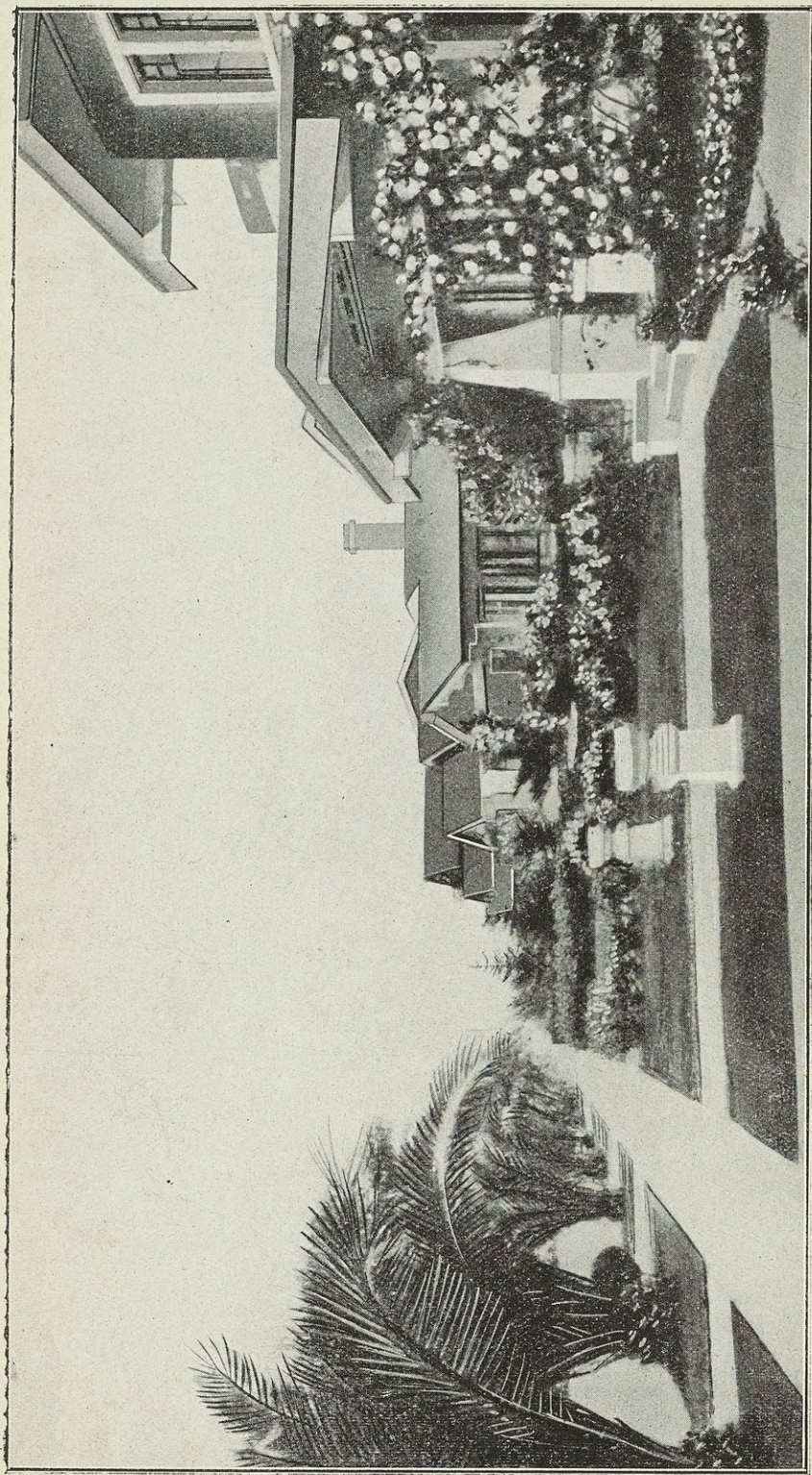
وفي الدور الارضى من هذه الاخيرة خزائن الذهب المكس بين جدرانها والذي ربما زاد عن الذهب الموجود بين دفقى العالم القديم جميعه !!! ومن العجيب انك لا ترى به حراسا ولا بوليسا ، بل تراه محميا بقوة أوتوماتيكية لا يعرفها غير من يعرف سرها !! حتى اذا أثلها غريب ووصلت رجله أويده الى طرف من أطراف الخزائن دقت الاجراس من جميع جهات المكان فيأتى الجيش ويحاصره بغاية السرعة ، ويقبض على من أوقعه سوء حظه بين يديه فى هذا المأزق الذى لا مخرج له منه .

* *

وأضخم أبنية المدينة هو الكايتول (البرلمان) الذى تراه قائما فى وسط المدينة على هضبة عالية تتصل منحدراتها ببستان جميل جدا آية فى روائه وبهائه ، ويقطع هذا البستان جملة طرق أبعدا عنه ما جعل لمرور الاوتوموبيلات ، حتى لا تسمع لها حركة مطلقا فى محيطه ، ويصعد الى بناء البرلمان من جهاته كلها بدرجات واسعة جدا من الرخام تراها فى منحدرها العظيم قد اتصلت عظمها بذلك الجلال الذى يحيط بالبناء الذى تعلوه قبة تكاد تناطح السماء ، وعن يمين القبة وشمالها بنا آن عظيمان فخمان ، أحدهما لمجلس النواب ، والاخر لمجلس الشيوخ ، وفى اتجاه كل منهما - على اتصال بالحديقة من الجهة الاخرى - بناء فخم فيه مكتب خاص لكل عضو من أعضاء المجلسين ، وفيه سكرتير لتحضير المواضيع التى هو فى حاجة اليها ، ومصاريف هذا كله على الحكومة بطبيعة الحال . وقد كان البرلمان وقت زيارتنا للمدينة فى عطلة من عمله ولذلك لم أتمكن من زيارته .

وفى الجملة فالبرلمان هنا هو كل شئ ، بل هو الحياة التى تستمد منها البلاد وجودها ، وكل عضو من أعضائه - : إنما هو قوة لبلاده تستعين بها فى حل المشكلات ، وانارة المدلهمات ، وفى تقنين القوانين ، وتشريع الشرائع المختلفة لكل فرع من فروعها الحيوية .

وبناء البرلمان مركز تتفرع منه أنصاف أقفار الى قط مختلفة من محيط دائرة



المدينة ، وهذه الانصاف الاقطار التي هي الشوارع الكبرى تقطعها شوارع أخرى أقل منها اتساعا ، وإن كانت لا تنقص عنها جمالا ورواء . وجميع هذه الشوارع ليس فيها الا حركة هادئة لا يقلقك شيء منها لابليل ولا بالنهار ، وبالجملة فالحركة فيها طبيعية تنشط نهارا وتسكن ليلا ، لا كما تراها في نيويورك تأخذ بين طرفي النهار وطرفي الليل .

ومن أعجب ما تراه هنا آلاف الاوتوموبيلات على أفاريز الطرق من الجهتين ، لان كل واحد من أهل المدينة - من موظفيها وعمالها وخدمتها - يصح أن يكون له أوتوموبيل ، لان عددها بواشنجتون بنسبة واحد الى خمسة من عموم سكانها فاذا حضر أحدهم الى عمله وقف أوتوموبيله مستظرا للطريق بجوار الرصيف ، حتى اذا فرغ من عمله ركبته وانصرف لحال سبيله .

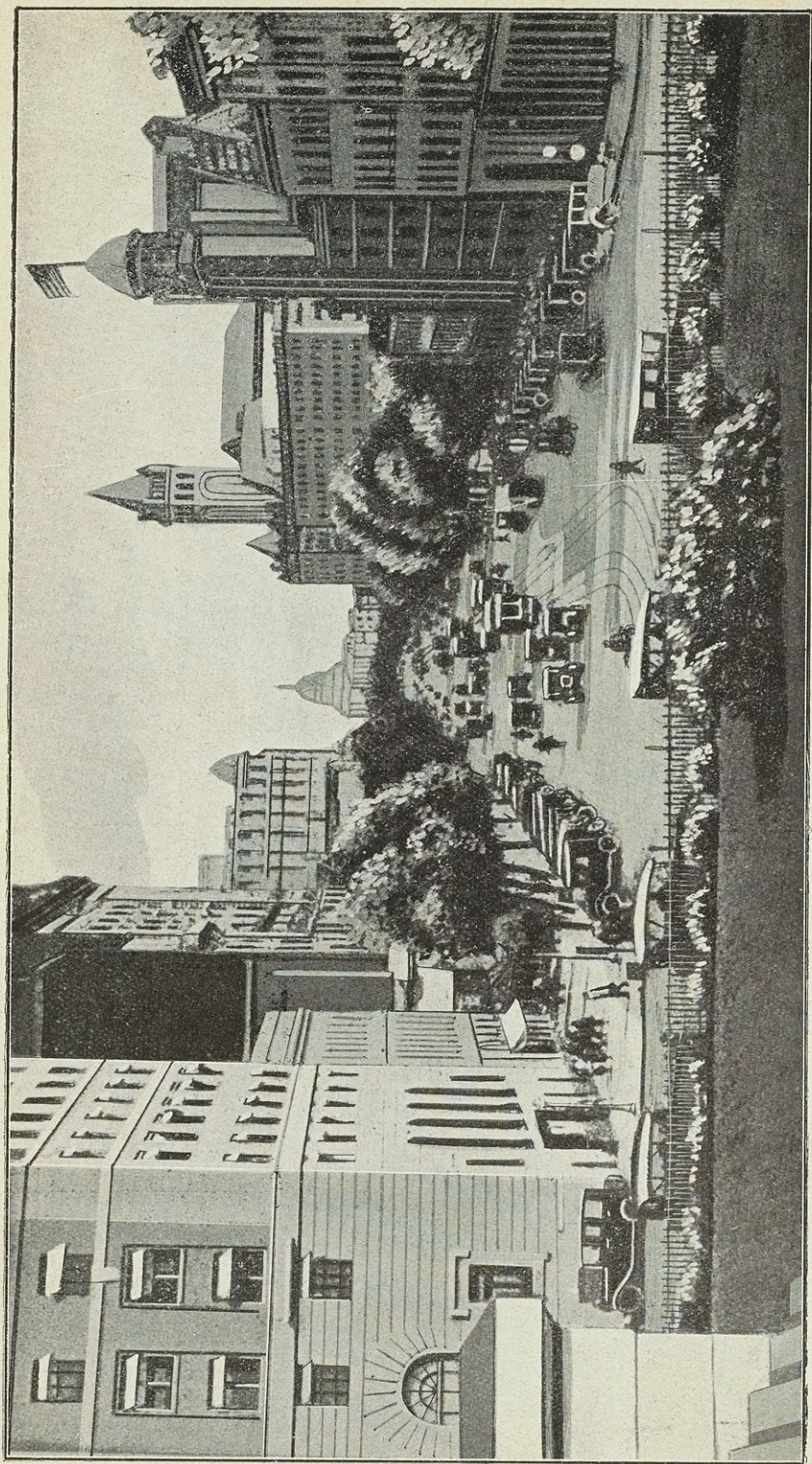
ومساكن المدينة ليست بالجسامة التي تراها في مساكن نيويورك ، بل هي بسيطة جميلة تتركب من طبقتين أو ثلاث في الغالب ، ويندر منها ما يصل الى أبعد من خمس أو ست طبقات ، ودكا كينها عادية في سعتها ، ومن المدهشات ما تراه في كل دكان من صور لنبرج المختلفة ، معروضة للبيع على أشكال متعددة ، فيبينا تراه قائما ، فاذا به طارا أو مصلحا لطيارته ، أو في بعض أستقبالاته الرسمية بفرنسا ، أو انكترا ، أو بلجيكا - في هذه مع ملكها وملكيتها - وفي تلك مع ولي عهدها ، وفي الأولى مع رئيس جمهوريتها ، ثم في استقباله العظيم في واشنطن ، وفي استقباله الفخم في نيويورك ، ومن أعجب شيء أنك تراه مرسوما على القماش الخاص بلباس السيدات ، وعلى القماش الخاص بالمفروشات ، وترى في فترينات الدكاكين كتبها ضخمة كتب عليها هذا العنوان « سيرة لنبرج » وترى بجوار هذا كله تلك المداليات التي فيها رسمه ، ثم صورته على أبواب دور التمثيل مما لا يكاد ترى معه غير صورة لنبرج أو تسمع أذنك غير اسم لنبرج ، ومن هو لنبرج ؟ ؟

لنبرج

شاب عمره ٢٥ سنة، وهو ضابط في هيئة الطيران الامريكية برتبة (يوزباشي) فلما رأى أن الافكار متجهة الى الطيران بين العالم القديم والعالم الجديد ، خصوصا وأن الطيار الفرنسي و ننجسر لم ينجح فيما أراده من قطع المسافة بين فرنسا والولايات المتحدة ، اخذ لنبرج اهبطه للسفر على طيارته وسافر من غير أن يعلن من أمره شيئا ، ولم يخبر والدته إلا في آخر وقت ، فكانت إجابتها له : « لو كنت أعلم بسفرك قبل هذا الوقت لسافرت معك » !!

طار لنبرج الى شرق الولايات المتحدة قاصدا باريس ، فوصلها بعد ٣٢ ساعة لم يذق فيها نوما ، ولم يستسلم الى راحة !! وكيف ينام من كان الموت يهدده من كل جهة من جهاته الست ، خصوصا في اليوم الأخير الذي قامت فيه عاصفة جعلت الناس في باريس تذهب كل مذهب في حياة الطائر ، وسوادهم على عتيدة مالا يحمد من أمره ، ولكن القدر المحتوم خالفهم ، ووصل لنبرج الى باريس في نفس الوقت الذي أعلن عنه وهو منتصف الساعة الحادية عشرة مساء ، وكان في انتظاره عشرات الألوف من الفرنسيين الذين كانوا مع احتفالهم به يرجون أن لو كان هذا الانتصار لمواطنهم و ننجسر !! ولا عيب عليهم في ذلك لأن الوطنية رحم بين أهلها .

أحتفلت الأمة الفرنسية بالرجل من رئيسها لرؤسها ، من كبيرها لصغيرها كما أحتفلت به بلجيكا ، وانكلترا ، من ملوكها الى سوقها ، وقدمت اليه نياشين الشرف من كل صوب ، ثم أرسلت اليه حكومته تستدعيه اليها ، وبعثت له بطراد حربي ليقله من مياه فرنسا الى واشنطن ، واستقبلته استقبال كبار الفاحين استقبالا رسميا يفرق من رجال الحرب والطيران والبحرية ، وفي مقدمتهم رؤساء البلاد مع الرئيس كولدج الذي وضع على صدره أكبر أوسمة الدولة ، وسلمه براءة أمارة



شارع بانسلفانیا، بوشانجتون ص — ۵۸

آلاى من آلايات الطيران .

وكان فى استقباله من الشعب ماقدروه بنصف مليون نسمة ! ! واليوم (١١ يونيه) ميعاد وصوله الى نيويورك ، وستحتفل به المدينة أيا احتفال ! ! فى كل جهة منها ترى الزينات وأقواس النصر ذات الاعمدة الذهبية ، زينات تقام عندهم لكبار الرجال ! تقام لكل مظهر من مظاهر الفتح الذى تستفيد منه الأمة ! ! لا لمظاهر عظمة الاشخاص كما هو الحال فى الشرق ! !

وهل هذه الاستقبالات والحفوات إلا جزاء وفقا للعمل الصالح الذى تنفع به البلاد فى خصوصها والانسانية فى عمومها ؟ لم يصل العلم والفن الى ما وصل اليه من مظاهر هذه المدنية السامية إلا بجزاء المحسن على إحسانه ، والمتقن على إتقانه ، بهذا سار الغرب وأمريكا بخطوات واسعة نحو حضارتها الحالية التى تدهش الابصار وتستلب القلوب .

أما فى الشرق ! ! فليس للإحسان من جزاء اللهم غير الاضطهاد ، أو الانتقاد ، أو حسد الحساد ، ذلك لأن الحياة عندنا تكاد تكون شخصية صرفة ! ولا يمكن أن تجتمع مصلحة الشخصيات والعموميات تحت سماء واحدة . وفى نفس واحدة ؟ ؟ ومادنا بهذا الخلق فانا سنكون عالة على الامم الأخرى فى وجودنا ، أشبه شئ بتلك المخلوقات الطفيلية التى تعيش على حساب غيرها .

مسلة واشنجتون

حسبنا هنا أثر على مثال آثار بلادنا : مسلة مصرية فى شكلها وقدها من بعد كالمسلة التى فى ميدان الكونكورددو بباريس ، فقلت فى نفسى : حتى فى قلب أمريكا وصلت آثارنا الخالدة ! إلا أنى لما زرتها ذات صباح هالنى مارأيت من ضخامة هذا الأثر ومن ارتفاعه ! ! وظهر لى أنه إن لم يكن مصرياً فى موضوعه فهو مصرى فى شكله ، وكى لمدينة مصر القديمة على العالمين القديم والجديد من يد ساعدت

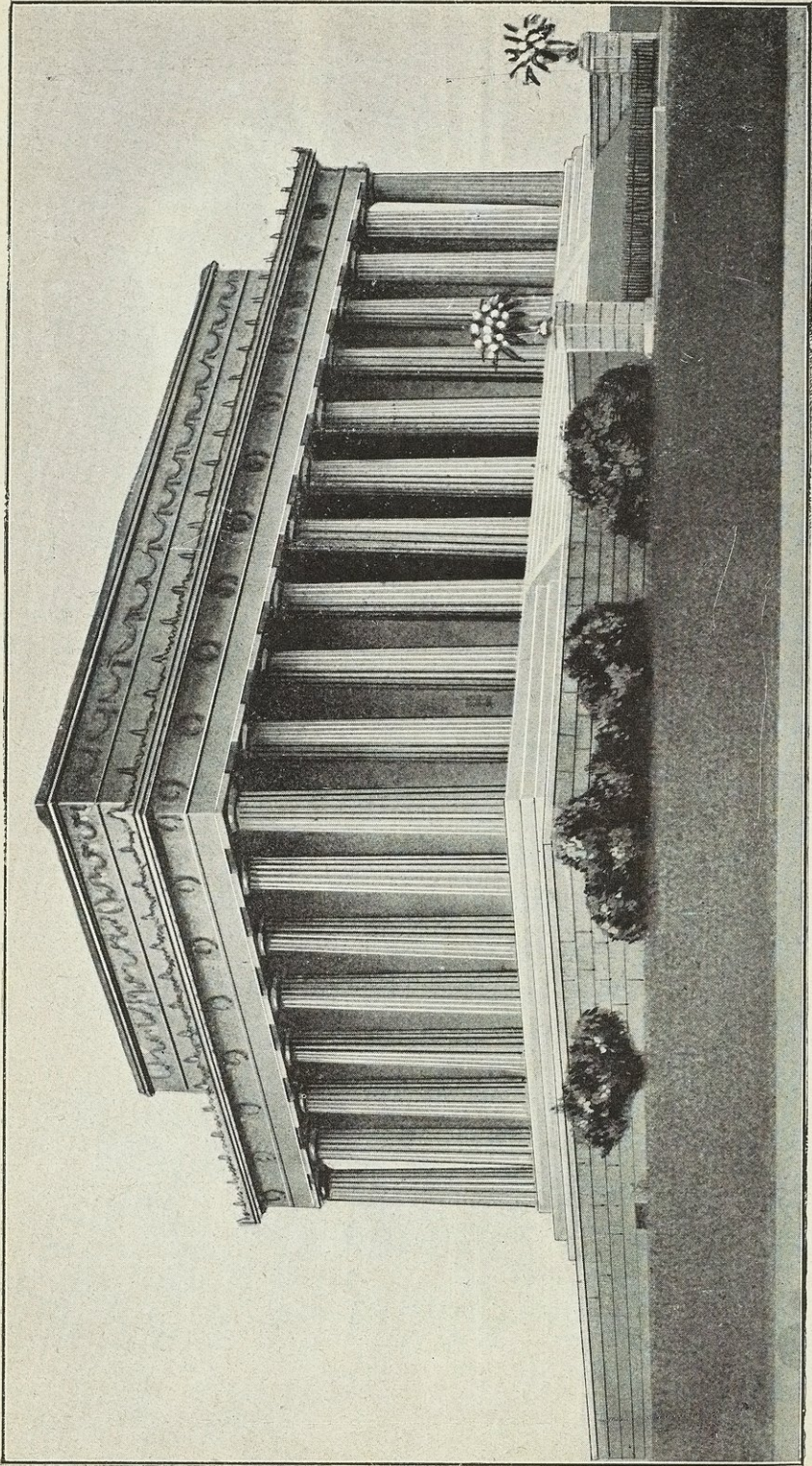
فى تكوين مدينتهما وحضارتها !! ولكن ما أسرع معدة الأمم الحديثة القوية فى هضم مالوطننا عليها من فضل لو أنكروه فلا يمكن للتاريخ أن ينكره . أما هذا الأثر فقد شيده لذكرى الرئيس واشنجتون ، وابتدؤا فى اشادته سنة ١٨٤٨ ، وتم العمل فيه سنة ١٨٨٥ ، ويصعد الى قمته بواسطة فينو كيلير (مصعد كهربائى) من داخله ، وبلغت مصاريفه ٣٠٠ الف ريال !! وارتفاعه ٥٥٥ قدما ، وعرض قاعدته ٥٥ قدما أو يزيد قليلا — ومن أعلا هذا الأثر ترى المدينة وشوارعها كأنها مخطوطة ، ولا يمكنك تمييز مصالح الحكومة الكبرى إلا بما يرفرف عليها من هذا العلم الذى يمثل قوة البلاد وعظمتها . وكأنى بروح واشنجتون ينظر من قمة هذا الأثر بعد قرن وربع من موته ليشاهد هذه المدينة العظيمة التى وضع أساسها ، ويتمتع برؤية هذه الأمة التى كان أول المجاهدين فى استقلالها ، والعاملين لحياتها ، تلك الحياة التى برهنت على مافى هذا الخلق الضعيف الذى يسمى إنسانا من قوة إن أحسن استعمالها — وصل بها الى عظمة تستكين أمامها جميع الكائنات ، ويستسلم لها سلطان الطبيعة بما فيه من صلابة واستعصاء .

وقد شيد هذا الأثر على هضبة فى وسط حديقة غناء تنتهى الى نهر بوتوماك من الجنوب ، وبيناء البرلمان من الشمال الشرقى ، وبأثر لتكوين من الجنوب الغربى ، ويخرج من النهر خلجان تنساب فى وسط هذه الحديقة بما يحدث عنها جزر صغيرة متصلة بعضها ببعض بواسطة كبار جميلة ، وعامة هذه الجزر داخله فى الحديقة بما يزيد هارواء وبهاء .

أثر لنكولن

هو بناء مربع قام على الشكل الرومانى ، وتراه على نجد مرتفع تدور من حوله تلك الأعمدة الفخمة ، ويصعد اليه بجملة درجات واسعة فى عرض البناء ،

الأثر الذي أقيم للرئيس لنكولن في واشنطن ص ٦٠



حتى اذا دخلت من بابه وجدت بهوا عظيما مربعا ترفرف عليه روح الجلال ، وفي
وسطه تجاه الباب تمثال لنكولن جالسا في صندلية من الرخام قامت على قاعدة
مرتفعة ، واتجاه وجهه الى البرلمان ، كأنه يشير بذلك الى أنه هو القوة الوحيدة
التي يضع كل إنسان فيها ثقته في وصول البلاد الى سنام عظمتها ومجدها .

وقد نقشت على حائطى المكان من يمين ويسار تمثال هذا الرجل العظيم كلمتان
له نسوق اليك ترجمتهما لما فيهما من عظمة الاقوال التي اتصلت بما له من عظمة
الافعال ، ففي اليمين :

« يجب أن نشمر عن ساعد الجد في تميم العمل الذى بين أيدينا مبتعدين
عن الاحقاد ، مرتبطين بروابط الاتحاد ، متصفين بالاحسان ، متمسكين بالحق في
حقيقة الحق ، لا كما نراه نحن بعين الالهواء والاغراض ، وحقيق بنا أن نضمد من
جراحات هذه الأمة ونخفف من آلام من حارب من أجلها مع توجيه عنايتنا الى
من تركوا من خلف صالح ، وتوحيد جهودنا في تعزيز دعائم السلام العام » .

وكلمته الثانية : —

« لقد نزل آباؤنا الى أرض هذه القارة من سبعة وثمانين ربيعا ليكونوا أمة
جديدة ، رائدها الحرية ، وشعارها المساواة ، ولم يكن دخولنا في دائرة هذه الحرب
الأهلية إلا لنعلم الى أى حد تصل قوانا في احتمال الشدائد ، ويحمل بنا ونحن في
هذا الميدان أن نكرم تربته ، وأن نخصص جزءا من دائرته ليكون المثوى الأخير
لهؤلاء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل حياة هذه البلاد ، أولئك الشجعان الذين نسير
نحن على سننهم في كل مامن شأنه تقديس هذا الميدان ، وإن كانت خطواتنا تقصر
في ذلك عن خطواتهم ، وجهادنا لا يصل الى منتهى ما وصل اليه جهادهم !! قد لا يذكر
التاريخ لنا هذه الأقوال ، ولكن صفحاته لا بد وأن تتحلى بما كان لهؤلاء البواسل
من عظيم الافعال !! وحقيق بنا أن نكرس أنفسنا لتتيمم البناء العظيم الذى وضعوا
أساسه ، ولتكن غايتنا الوحيدة السير الى الامام . ويجب أن نستمد من تلكم

الضحيا التي وصلت الى مقام الشرف إخلاصنا لقضيتنا المقدسة بقدر إخلاصهم لها وتقائهم في إحيائها ، وأن نعلن للملأ بأن حياتهم إنما كانت كلها خيراً وبركة ، ولنعلم أن هذه الأمة التي ترعاها عناية الله ستمتع بحرية تامة ، وأن حكومة الشعب إنما تستمد من الشعب ، وتعمل لخير الشعب ، ومادامت كذلك فاتها لن تبيد ابداً .

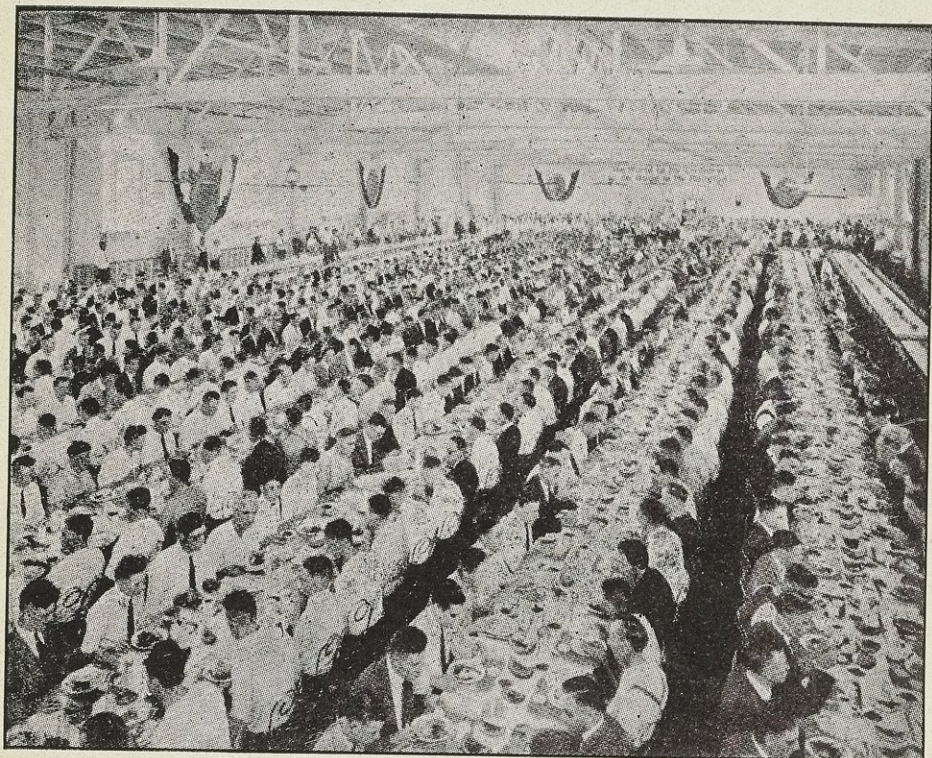
*
* *

ولنكون هذا هو ابراهيم لنكون الذي انتخب رئيساً للولايات المتحدة سنة ١٨٥٩ ، وفي سنة ١٨٦٠ أعلن الحرب على ولايات الجنوب من أجل محو الرقيق ، واستمرت هذه الحرب بين ولايات الشمال وولايات الجنوب خمس سنين انتهت بانتصار الشماليين ، ومن وقتها انمحي الرقيق في الجمهورية المتحدة !! وقد قال كلمتيه اللتين ذكرناهما لك في الميدان الذي انتصر فيه على اخصامه حتي يجمع بين عناصر الأمة من جديد !! إلا أن رجلاً من الدعاة الى استمرار الرقيق قتله غيلة في سنة ١٨٦٥ فقضى مأسوفاً عليه من الجميع !!

وبمناسبة هذه الحرب التي كانت من أجل العبيد أرى أن أذكر لك هنا كلمة عن العبيد الذين يكونون الآن عشر سكان الولايات المتحدة !!

العبيد

نشط الجنس الابيض أو الاوربي الى أمريكا وجاهد جهاده مع الحمر وهم الهنود سكان البلاد الاصليين جهاداً قضى به قانون الحياة ، وكان الاوريون في هذه البلاد الجديدة في حاجة الى من يعمل في تلك الارض الواسعة التي من الله عليهم بها ، فنشطوا الى مشتري العبيد من افريقيا ، وكانوا يستوردون منهم العدد الجهم وخصوصاً في الجهة الجنوبية من الولايات المتحدة . ولما زاد عددهم الى الحد الذي يخشى منه أخذت رؤس البلاد المفكرة في ولايات الشمال تدرس النتيجة التي قد تؤول اليها كثرة هذا النوع من الناس وهو متأثر بنير العبودية : ذلك النير الذي قد تنور



قاعة لغداء العمال باحدى معامل الولايات المتحدة ص — ٦٢

به حميته يوما من الايام فينفذه عن عاقته ، وربما انضم اليه في هذه الحالة من بقى في شمال البلاد من الحر ، فيكونون جميعا يدا واحدة على اللون الابيض . وكان محل البرلمان الآن في واشنطن سوقا للعبيد يبيعونهم ويشترونهم فيه . لذلك طلبت ولايات الشمال — وكان رئيسها لنكولن — من ولايات الجنوب محو الرقيق وتحرير من في دائرة بلادهم من العبيد فرفضوا طلبهم وأعلنت الحرب فيما بينهم ، وانتهت بانتصار الشماليين ، ومن ثم أعلن تحرير العبيد في الولايات المتحدة ، وهم الذين يعبرون عنهم الآن بالسود .

إلا أن الحواجز كانت ولا تزال بين اللونين في مراقبتهم الحيوية !! حواجز لاتزال مع كثرة ما في أقوالهم من ذكر كلمات الحرية والمساواة ملعوسة محسوسة ، خصوصا في ولايات الجنوب التي لاتزال تعتبر اللون الاسود أقل الدرجات الانسانية ، وله فيها تشريع خاص ، سواء في الزواج الذي يحرم اتصال اللونين بعضهما بالآخر ، أو بهدم تسامح الاسود الى حيث يكون الابيض مهما كان الاول عظيما في نفسه ، كبيرا في علمه وأدبه !! بل وصل بهم هذا التشريع الى تقرير عدم المساواة بين الدماء في الجنائيات ، وحرمانهم من حق الانتخاب ، ومن التوظيف في وظائف الحكومة !! وقد يبلغ عدد السود اثني عشر مليون نفس في الولايات المتحدة وسواد هذه العدد في ولايات الجنوب التي كثيرا ما يبلغ عدد السود فيها نصف عدد البيض ، وخصوصا في ولايات ماريلاند ، وفرجينيا ، وكارولينا وجورجيا ، وألاباما ، وفلوريدا ، وميسيسيبي ، ولويسيانا ، وتكساس ، واركansas وأوكلاهوما ، وميسوري . وكانتوكي . وبنتسي . فهذه الولايات يتكافأ فيها عدد السود مع عدد البيض ، أما غيرها من الولايات فالسود فيها أقل من البيض .

واذا كنت البيض في ذلك قالوا : إن السود جردتهم العبودية من الشرف الانساني ، ولا بد من وضعهم حيث وضعهم الله في أحط درجة في سلم الحياة ! ! وكأنهم يمشون هنا على رأى العربى الجلف في القرون الوسطى : « لاتعط العبد

الكرع فيطعم في الذراع» .

ولكن العربي كان يتحدث عن عبده بمعناه الصحيح فهل هؤلاء السود لا يزالون عبيدا حتى بعد أن منحهم حرب سنة ١٨٦٠ حريتهم كاملة ؟ وقد يقول لك الامر يكفى الابيض اذا حدثته في ذلك : يجب حصر السود في دائرة هي الضعف بعينه من غير نظر الى شئ اسمه عواطف ، أورحة ، أوشفقة ، أو آداب ، أو عدالة . وكأني بهم قد نظروا في صحيفة مصر في القرن الخامس الهجري ورأوا العبيد الذين استكثرت منهم أم المستنصر الفاطمي ، حتى اذا قوى ريشهم ثاروا ثورتهم التي كان من ورائها خراب القاهرة .

وبالجملة فالفوارق موجودة هنا محسوسة بين اللونين : ففي سكة الحديد لهم عربات خاصة بهم ، ولا يركبون الترام الا في نهاية عرباته إن وجدت لهم محلات بها ، وقد حرموا قانونا من حق مشترى العقار في كثير من الولايات - وفي بعضها استبدادا - وحتى في التيارات لا تعطى لهم الامكنة الاولى لانها بطبيعتها مخصصة للبيض ، وحتى الكنائس لا يجتمعون فيها مع البيض بل لهم بيع خاصة بهم ، ولا ينادى الاسود بلفظ « السيد » مهما بلغ من علمه وفضله ، واذا وجد خادما احدهما ابيض ، والثاني أسود في بيت واحد ، فلا سود لا يدخل الا من باب الخدم ، أما الابيض فيدخل وسيد من باب واحد ، وحتى أمام منصة القضاء (العدالة) اذا تقدم لها ابيض وأسود سمع كلام الاول ، وضرب بكلام الثاني عرض الحائط لانه لا بد محروم من شاهد يعزز كلامه . ولهم مدارس خاصة بهم ميزانيتها لاتزيد عن عشرة في المائة من ميزانية مدارس البيض ، وترى البلديات تعامل أحيائهم معاملة خاصة ، ولا يعيرونها الا جانبا بسيطا من عنايتهم ، بدعوى أن الميزانية ليس فيها ما يسمح بالعناية بها (وهم مشتركون معنا في ذلك فان التنظيم بمصر لا يوجه كل عنايته الا الى احياء هؤلاء البيض - الافرنج !! مهملا الاحياء الوطنية ، أو عبارة أخرى أحياء السمير بدعوى عدم محل لها بالميزانية) !! وبالجملة اذا قامت باسريكا

آية شبهة على عفاف امرأة بيضاء (ولو بارادتها) ضد أى أسود فلا يغسلها غير دمه حتى إن كان بريئا !!

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
أما اذا كان اجتماع الاسود بالبيضاء بسبب العروة الزوجية ، فما أسرع من وصول
الانذارات من جمعية ك . ك . ك . السرية الى الاسود بالتفريق أو الموت !!
والسود كانوا الى وقت اعلان الحرب الأوربية يشتغلون غالبا فى الزراعة ،
ولكن لما حصل التجنيد فى الأمريكين كادت مصانع الشمال تقف عن العمل مع
اشتغالها بادوات الحرب . فانتقل اليها نحو مليون من سود الجنوب وأخذوا من هذا
الوقت يشتغلون فى المصانع لأن أجرتها أكثر من الأجرة فى المزارع ، ومنهم
الآن فى نيويورك وحدها ما بين ٢٠٠ ألف الى نصف مليون نفس وفى شيكاغو
نحو ١٥٠ ألف نفس !!

وللاسود فى ولايات الشمال حق الانتخاب والدخول فى الكنائس والمدارس
يحكم القانون . وأصبح منهم الاطباء ، والعلماء ، والكتاب ، بل أصبح منهم غير
واحد ممن يعدون من أصحاب الملايين بنىويورك !! ولكن على كل حال لا تزال
الفروق بين اللونين محسوسة خصوصا فى مسألة الزواج ، فانه مع كونه مباحا للاسود
فى الشمال فان الزوجة لا تكون متممة باحترام قومها مهما كانت منزلة زوجها
الاسود من الثروة والعلم .

وقد وصل بعض السود فى مدة الرئيس روزفلت الى بعض مراكز الحكومة
العالية ، فبعضهم تعين نائبا عموميا فى مقاطعة دلاور ، وبعضهم فى وظائف مالية كبرى
فى مقاطعة شارلستون .

والفضل فى نهضة السود لرجل منهم هو الزعيم بوكر واشنطن وهو من
خيرة رجال أمريكا فضلا وأدبا وعلماء ، نشأ عبدا فى عائلة بفرجينيا ، ثم تحرر بعد
الحرب الداخلية وهو صغير ، وكان لا يزال فى خدمة صاحب المزرعة التى ولد فيها ،
(هجرة)

وكان يذهب مع بنت سيده كل صباح الى المدرسة يحمل لها كتبها ، وكانت عيناه تعروران بالدمع لرغبته القوية فى التعليم وأبوابه مقفلة فى وجهه ، ولكن رغبته لم تقف به عند حد !! فقد كسر بها جميع الموانع حتى وصل الى المدرسة التى فتحها الجنرال أرمسترنج للعبيد فى مدينة ريشموند ، ومازال يرقى فيها من بواب الى فراش الى سفرجى يعمل نهاره فى وظيفته ويجد ليله فى دروسه حتى آتى يوم تعين فيه بعد أن أتم دراسته بوظيفة مدرس بنفس المدرسة !!

وكان لا يقتصر على التعليم بالمدرسة بل كان فى أوقات فراغه يذهب الى البلاد المجاورة ويعقد المجامع للخطابة فيهم وارشادهم الى أبواب الفضيلة ، وكانت خطبه فى أول الأمر دينية لاتتجاوز حدود الارشاد ، حتى وصل الى درجة هى من أرق درجات الخطابة : من سلامة عبارة ، وفصاحة قول ، وبلاغة تأثير ، فاشتهر أمره ، وانتشر ذكره ، ودعاه الجنرال أرمسترنج الى عمل جامعة للعبيد فى مدينة توسكاجى ، فنشط الى هذه المأمورية ولم يملك من المصاريف التى تلزم لها كثيرا ولا قليلا ، ومازال بهيمته ودعوته ومثابة خطابه ، حتى وصل الى مايرجو ، فشيد جامعته من التبرعات التى وصلته من رجال المال . وهامى الآن من أكبر الجامعات يتعلم فيها أربعة آلاف نفس من السود من الجنسين !! ولكل جنس مدارس خاصة به : فقسم الذكور به ٢٥٠٠ تلميذ ، وفيه قسم لعمل الطوب ، وقسم للسكركية ، وقسم للجزمجية ، وقسم للسروجية ، وقسم للكوالنجية ، وقسم للحدادة وأعمال الزهر ، وقسم للتجارة الدقيقة ، وقسم لعملية الألبان ، وقسم للطبعة ، وقسم للحفر وقسم للنقش ، وقسم للرسم ، وقسم للخياطة ، وقسم للاشغال الكهربائية ، وقسم للطبخ ، وقسم للغسيل ، وغير ذلك — أما التلاميذات فيتعلمن الخياطة والغسل والكى والطبخ .

وفى هذه الجامعات تخرج كثيرون ممن تفتحت أمامهم أبواب الرزق ، وهامى الآن وفى يد مئات الألوف منهم أزمة البيوت والمطاعم وحركة المصانع . وقد

انفتحت للسود أبواب معاهد أخرى كثيرة يقرؤون فيها كثيرا من العلوم أهمها :
جامعة هوارد بواشنطن ويبلغ عدد طلبتها من الجنسين ألفان وخمسمائة طالب ،
وكثير منهم يصل الى درجة استاذ في العلوم . وبهذه الجامعة مدرسة للطب ، ومدرسة
للقانون ، ومدرسة للتجارة ، وأخرى للفنون الجميلة والموسيقى . ولهم بواشنطن
مستشفى جميع أطبائه وممرضيه من السود الذين تعلموا في جامعة هوارد . وتبلغ
مصاريف هذا المستشفى سنويا نحو ٢٥٠ ألف دولار . وبالجملة فالسود اليوم غيرهم
بالامس : فمنهم المتعلمون ، ومنهم كثير من أحرز لقب دكتور في الطب أو الحقوق .
وقد كان فراش عربتنا في سكة الحديد وقت دورتنا بالولايات أسوداً ، وكان يقول
الشعر ، وهم إن لم يكونوا متمتعين بحبة البيض لهم فقد أصبحوا في أمن من مظاهر
حقدهم ونقمتهم ، ولكن هل من المصلحة العامة أن تستمر هذه الفوارق ؟ ؟ كلا
فان معاملة عشر الأمة بغير قوانينها - وخصوصا في الجنوب - ربما يؤدي يوما الى
مالاتحاد عقباه ، فقد تشور تأثرة السود دفاعا عن كيانهم حتى يحققوا بيد القوة
والحق تلك الحرية الزائفة التي منحوها سنة ١٨٦٥ .

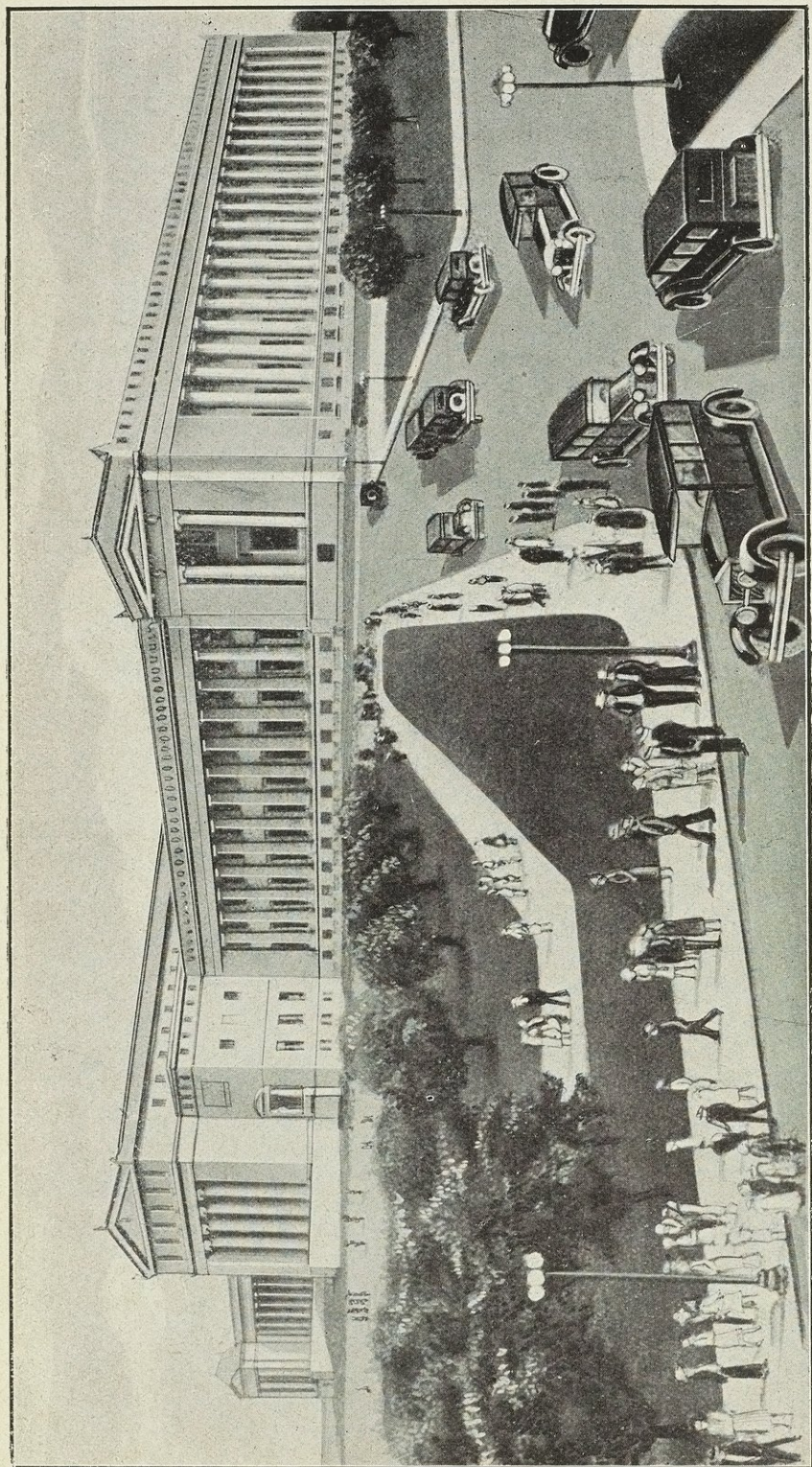
المتحف الجيولوجي

هو خليط من معروضات مختلفة ، وفيه كثير من الاحجار والمعادن المتغيرة
من ذهب وفضة ونحاس وغير ذلك على حالتها الطبيعية . وبجانبا هياكل كثيرة
من تلك الحيوانات البائدة التي وجدوها بين طبقات الصخور . وفيها هياكل لم ترد
على نظري في متاحف أخرى من العالم القديم ، فقد رأيت بها هيكل حيوان بحري
طوله نحو عشرين مترا !! وبجواره رأس حيوان هائل عدت في فكه العلوي
خمسین سنا . وفي السفلى ثلاثين سنا ! ومتوسط طولها نحو ١٥ سنتيمترا ، يتخللها
أنياب قليلة متقابلة في وسط الفكين .

تركزت هذه الغرفة الى غيرها بسرعة لاني بعيد عن العلم بشئ منها ، ودخلت

غرفة فيها تماثيل الهنود (الجر) سكان الولايات المتحدة وهم في حياتهم المنزلية : هذه تغزل ، وأخرى تنسج ، وغيرها تطبخ ، ورابعة تطحن الذره بتمرير اسطوانة من الخشب على الحب الذى من تحته قاعدة حجرية مائلة ، فينزل المهرس الى أسفل الحجر ، فلا تزال ترفعه بيدها حتى يستحيل الى دقيق ، وبجوارها امرأة أخرى فتأخذه وتسويه على طبق من حديد موضوع على النار . وهى حياة أشبه شئ بحياة السودانيين بيلادنا (على رأى الدكتور محبوب) .

ثم دخلنا الى قاعة رابعة وخامسة وسادسة ، وفيها آثار بلاد مختلفة مع صور أهلها ممثلة تمثيلا ، فمن صينيين ، وهنود ، ويابانيين ، وأعجم ، وملارين ، وغيرهم وغيرهم وبجوارهم ما تتعرف منه عقائدهم وأحوالهم الدينية والاجتماعية . وقد تركت ذلك الى قاعة فيها الحيوانات الالهية مصبرة على حالتها الطبيعية ، وهى منفردة حينا ، ومجموعة فى دائرة حياتها العائلية أحيانا . فمن غزلان وتياثل اذا رأيتهما فى الوسط التى هى فيه بالمتحف عرفت كيف هى تعيش فى صحاريها ، ومنها سباع قد تراها فى اجتماعها العائلى فى صعيد واحد ، هذا يأكل من بقايا فريسة له ، وذلك يشرب ، وأشبال تلعب ، وقد ترى غابة من البردى وقد برزت منها رأس حيوان هائل اذا تحققت رأيته ما يسمونه عندنا بذى القرن الوحيد (الخريت) وهو هنا له قرنان يتلو أحدهما الآخر ، أو ثلاثة قرون تتأت فى زوايا مثلث من جهة . وأحسن شئ أعجبني : تلسم الامهات ومعهن اولادهن ، وهن يلقين عليهن دروسا فى علم الحيوان - دروسا عميقة فى حياة الحيوان وفى شكله ومقره ، والفائدة التى حصل العلم عليها منه وما يدخل منه فى الصناعات المختلفة ! ؟ وهنا خطر يبالى السواد الاعظم من نساءنا وهن لا يدخلن المتحف إلا للجل ! ! ولتمثيل فصل من فصول الخبل !! وبجوار هذا وذاك قاعات خاصة بالطيور المختلفة الاشكال والألوان وكأنى بك اذا أبصرتها وهى على أغصانها يذهب بك جمال شكلها فى نظرك بما تتأثر له أذنك حتى لكأ نك تسمع تغاريدها وتشنف أذنك بشجى ألحانها .



متحف التاريخ الطبيعي في شيكاغو ص — ٦٨

أما ابغال البحر : وهى الحيوانات التى تعيش فى الماء وعلى ظهر الارض ، فهى كثيرة جدا بحيث لم أتمكن من التعرف منها إلا على جملة سحالف مختلفة الاشكال والاحجام . وقد رأيت طائفة من الدب الابيض صادت بعض هذه الحيوانات ، ودارت حول فريستها تتشممها ولا تقترب منها ، ولا أدرى اذا كان هذا الدب فى منطقته الثلجية كمثل فى منطقته المعتدلة ؟ على مذهب المعرى أيضا (من النباتيين) وانهى بنا المطاف الى قاعة فيها صور صغيرة من المراكب الحربية ، وعليها مدافعها وآلاتها الجهنمية التى خلقت لعذاب الانسان فى هذه الدنيا بيد أخيه الانسان . فتركتهم راجيا من الله أن يحقق مايدعونه من هذه الاكاذيب التى تدور حول تقليل التسليح فى ممالك الحرب !! وهى كلمات إن خدرت أعصاب الشعوب التى أهلكتها الحرب فانما هى تهيج اعضاء ورؤساء الامم الذين لا يرتوون من الدماء .

الشعب الامر يكي

نشطت هجرة الأوروبيون الى الولايات المتحدة فى فجر (القرن السابع عشر) فكانت كل طائفة منهم اذا احتلت جهة أخذت فى تعميرها ووضعت لها أعلاما تربطهم ببلادهم ، وتذكرهم بوطنهم ، وقد يضيفون عليها لفظة نيو (جديد) فالانكليز وضعوا للجهات التى شيدها أسماء منها : نيويورك ، وبرمنجهام ، وهافر ولندن ، ومالطة ، والطليلان وضعوا للبلاد التى أقاموها أسماء طليانية منها : رومية ، وفلورنس ، ونابلى ، وغيرها . والفرنساويون وضعوا لبلادهم أسماء فرنساوية منها : ليون ، وفرساي ، وباريس ، والألمان سمو بلادهم بأسماء مدن ألمانية منها : نيونسبروك ، وفركنفور ، وهامبرج ، وفيينا . وأطلق الأوروبيون هنا أسماء أفريقية أو شرقية على مدن أمريكية مثل : قرطاجه ، وأثينا ، والجزائر ، وفلسطين والقاهرة ، واسكندرية ، ومصر الجديدة ، ومنفيس ، وهذه الاخيرة من أكبر مدنها . فأخذتني الغرابة من القوم الذين أحياوا مدينة نحن أمتناها ، وذكروها

بين الاحياء ، فى حين ذكرنا لها بين الاموات !!

ومن هنا نعرف أن الشعب الأمريكى خليط من أبناء دول مختلفة ، وهم يختلفون فى طباعهم وعوائدهم وصفاتهم : فالانكليزى بعظمته ، والالمانى بكبريائه والفرنساوى بوداعته ، والروسى بغطرسته ، والاسبانى بخفته ، والسويدي بتؤدته ، واليطياني بدعوته ، واليونانى باحتماله ، والصينى بمكره ، واليابانى بخطره . كل هذه الصفات اجتمعت فى الأمريكى بعد أن طبخت كلها فى إناء واحد ، وعلى الخصوص فى سكان الولايات المتحدة .

وقد ترى صفات الجنسية قائمة بذات الشخص اذا كان لا يزال دمه الاصلى فى عروقه ، وكانت نسبته الى الأمريكية لم يعترها شئ من القدم . أضف الى ذلك كله فضل الاتحاد ، وقوة الثروة ، ومجد تكوين أعظم دولة فى العالم ثروة وزراعة ، وعلماء وعمل ، واختراعا وابداعا ، فى مدة يسيرة هى عمر فرد واحد من الناس !! نعم قام مجد هذه الدولة من قرن ونصف على الاتحاد ، ووصلت عظمتها الى عنان السماء بفضل صادق الجهاد ، وكانت قبل ذلك أشتاتا فى مجاهل الصحارى ، تقذفهم مفازة الى أخرى ، ويلفظهم تيه الى آخر ، وتلقفهم يد بعد يد ، حتى هدام نشاطهم ومثابرتهم فى طريق الحياة الى قوة دفعوا بها المسيطرين عليهم فى تلك الحرب التى يسمونها حرب الاستقلال ، الذى نالوه بجهادهم فى ٤ يوليه من سنة ١٧٧٦ : ذلك اليوم الذى أصبح عندهم يوم تقديس وتمجيد ، ذلك اليوم الذى هو عندهم يوم الدين والدنيا جميعا ، ذلك اليوم الذى كان له ما بعده من هذه المملكة الهائلة ، وتلك الثروة الطائلة ، ذلك اليوم الذى كان له ما بعده من مجد عظيم ، وخير جسيم ، أحيت كل قطرة من دماهم فيه قطراً ، وتكونت من مادة كل ضحية فى سبيل استقلالهم أمة ، بيدها اليوم الترمومتر الحساس لسعادة العالم !! رفعت إن شاءت ، أو خفضته إن أرادت !! قوم صدقوا الحملة فنالوا صداقها ، وأحكموا الجملة فكان لها معنى بين طرفيه ما أرادوه من حرية وحياة ، ومجد وثراء ،

قوم لم يجعلوا الكلام سلاحهم ، والقطيعة وحدتهم ، بل كانوا كلهم يدا واحدة على عدوهم ، فنالوا بفضل الجهاد وفضيلة الاتحاد - الغلبة التي بنوا بها صرح فخارهم ، وحصن وجودهم . اشتغلوا بها تحت الارض فوجدوا بين طبقاتها ما نسمعه في كتب الاقاصيص من كنوز الذهب والفضة والجواهر المختلفة ، فكانت منها مطيهم الى جلائل الامال ، ثم وجدوا الحديد ، والنحاس ، والقصدير ، والفحم ، والبترو ، فاقاموا بها ومنها جسيم المصانع التي أصبحت أعجوبة الزمان ، ودهشة بني الانسان ، وقد خرجوا من باطن الارض الى ظهرها : فاشتغلوا بالزراعة التي هي حياة الناس من جميع الاجناس . ومع أن أسواق العالم مكتظة بها فانهم على الاقل قد آمنوا مديهم الى غيرهم من هذه الجهة ، حتى لو تكاثروا نسليهم وتضاعف عديدهم ، وكيف وهم الآن أسبق الأمم في الزراعة أيضا . ثم اشتغلوا بعد ذلك بجوها فكانوا هم السباقون فيه ، ولا يزال تمجيد العالم لطائريهم يملأ المسكونة من شرقها الى غربها .

وقد وهب الله هذا الشعب وهو في بدء أمره ، رؤساء كان همهم إسعاده وإرشاده الى كل ما فيه خيره : نسوا أنفسهم في تكوينه ، وتخطوا جميع الموانع والمخاطر في استقلاله وحرية ، واذا عرفت أن واشنجتون بعد أن انتصر على الانكليز في حرب الاستقلال وأجلاهم عن أرض الولايات المتحدة ، عرض عليه تاجها فأبى ذلك بكل كبرياء !! وأنه لما انتخب رئيسا لجمهوريتها ترك منصة الحكم لغيره بعد اكمال مدته ثم لجأ الى مزرعته يعمل فيها كأحد أفراد الناس حتى وافاه أجله - عرفت أن لرؤساء البلاد وزعمائها كل الفضل في تكوينها وسعادتها !! وهل تنسى أن محمد على هو صاحب الفضل فيما ترفل فيه مصر من حلل الرفاهة والثروة ؟ ؟

والشعب الأمريكي من الأمم الحية التي كلها شبيهة لاتعرف الكهولة ولا الشيخوخة . لامن الوجهة التي يقول عنها الفرنسيون : « إن القلب لا يشيخ لانه

يجب أن يكون على الدوام في فرح ونشاط الشباب « ولكن لأن هؤلاء لا يعرفون غير العمل ، وهو وحده حياتهم شبانا كانوا أو شبيا ! نعم إنهم لا يعرفون الشيخوخة ولا يفهمون لها معنى ، لذلك تراهم أحياء أقوياء نشطاء لا تقوس في جسمهم ، ولا لفتة ولا قتلة ، ولا ينقم عليهم في الوسط الذي يعيشون فيه غير الميكروبات وما يتصل بها من بنى الانسان !! والشيخوخة عندهم مرض يجب محاربته ، ولا يمكن أن يكون المحارب متصفا بغير صفات الشجاعة والنشاط واليقظة والصبر وعدم الاستئامة الى حادثات الأيام : بهذه الصفات يحاربون الشيخوخة (وهم بها في غير حاجة الى نصائح فورونوف) وبهذه الصفات تراهم شبانا وهم في لباس الشيخوخة ، واذا كان شيخنا يقول :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى الى ترجمان
فهؤلاء يبلغون الثمانين ومافوق الثمانين وهم حافظون لجميع قواهم ، حتى لترى الابن والأب والجد في علمهم ولهم وجدهم وهزلهم وراحتهم ونزتهم كأنهم في حدود سن واحد كله حياة في حياة .

والشعب الأمريكي مشهور بثروته وسرته ، ولكن ليس معنى الثروة بأمريكا أن كل الناس أغنياء ، بل أفراد منهم - ولا أقول قليلون - وصلوا اليها من زمن بعيد : فالأب قد وصل الى بعض الثروة عن أبيه عن جده ، وقد تركها مضاعفة الى ابنه الذي زاد فيها بدوره حتى أصبحت لها قيمتها في دائرة الملايين ، أو ملايين الملايين ، وقوامها كلها على العمل - قوامها كلها على الجهاد في طريق الحياة . أما عندنا ؟ فالوا رثون هم المضيعون في الغالب !! حتى أصبح لفظ وارث اذا أطلق عندنا فانه لا ينصرف الا الى هذا الذي لا يعرف للمال قيمة ، لأنه لم يتعب في تحصيله : وعلة هذا كله التربية غير الصحيحة ، تلك التربية التي ترانا محرومين منها في مدرستنا الاولى المنزلية ، ثم في مدارسنا الابتدائية التي ليس للتربية في بر وجرامها نصيب ، وإن وجد شيء من ذلك فهو تافه لا قيمة له .

والعصاميون الذين وصلوا هنا الى ثروة بعيدة الأطراف بعملهم وجهادهم كثير من جدا ، عصاميون وصلوا اليها بالعمل من طريق العمل ومن وسط العمال إذا فالثروة هنا ليست في معادن الذهب كما نعتقده مما نراه عندنا أحيانا على صفحات السنا ، وليست في طوع كل من يريد أن يكون سريا كما يخطر على بال أغلب المهاجرين الى هنا : بل هي حياة في جد في عمل في جهاد في نشاط ، وفكرة الذهب قد أماتها الله من زمن بعيد ، وأصبح أمر الذهب وقد انتهى من على سطح الأرض في كاليفورنيا واختفى في باطنها ، يستلزم في اخراجه عناية كبيرة ، ونفقات كثيرة لا تقوم بها غير الشركات الغنية . اذا فالثروة هنا هي الآن كما هي في كل مكان نتيجة عمل العاملين .

والشعب الأمريكي مشهور بكرمه ، ولكن لا على الافراد ، بل على الجماعات . وكثير من سراته يساعدون الانسانية ، ولكنهم لا ينظرون اليها من جهة ضعفها ، بل من جهة عظمتها وفخامتها ، لذلك تكاد لا ترى في أمريكا شيئا من جيوش هؤلاء المسئولين في جهات كثيرة ، وخصوصا في مصر !!

لقد كان الشعب الأمريكي الى زمن غير بعيد يضم الى عقائده الدينية مذهبا سياسيا هو مذهب مونرو ، الذي كان رئيسا للولايات المتحدة من سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٢٥ ، وهو خامس رئيس لها ، اشتهر أمره في حرب الاستقلال بهيمته في خدمة بلاده ضد أعدائها ، كما كانت له شهرة عظيمة في سياسته وكياسته ، وهو مشهور بمذهبه السياسي الذي أعلنه في الجمعية العمومية الوطنية في ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣ وهو : « أمريكا للأمريكيين » . ومعنى ذلك أنه لا يمكن لأية دولة أخرى مها كانت صفتها ، أن تتعدى على حرية أية جهة من جهاتها ، كما لا يصح للأمريكان أن يتعدوا حدود بلادهم حتى لا يشغلوا أنفسهم بحرب تحولهم عن وجهتهم ، أي عن تكوينهم المالى والصناعى والتجارى والزراعى . وبقيت هذه القاعدة دستورا محترما يعمل به في الممالك الأمريكية ، وبه طردوا اسبانيا من كوبا سنة ١٨٩٧ ،

ومن ثم أصبحت أمريكا كلها خالية من الاستعمار الاجنبى ، اللهم إلا ما كان من دخول كندا فى الاتحاد الانكليزى .

ولقد كان انتصارهم على اسبانيا مهيجا لعاطفتهم الحربية ، حتى إذا رأوا لهم مدخلا فى الحرب الاوربية رموا بأنفسهم فى وسطها ، وخرجوا منها بجميع المكاسب الأدبية والمادية . وهم الآن مع رفع عقيرتهم بحبهم لتقليل السلاح حتى يعيش العالم فى هدوء وسكينة ، تراهم يزيدون فى أساطيلهم ، ويهيجون عواطف الناس بكثير من مناظر الحرب فى جرائدهم ، وخصوصا فى دور السناء !! وفى نيويورك أحد هذه السينات لا يشخص فيه غير المناظر الحربية على الدوام !! بحيث يخرج الشاب من تحت سماء هذا المكان وقد ، تشتم رائحة البارود من فيه !! وتسمع صوت القنابل من بين فكيه !! فما معنى ذلك ؟؟ أكل الجواب الى مستقبل قد يكون قريبا .

الرجل الامر يكي

والرجل الأمريكى عامل غريب فى جميع أطواره عن رجل العالم القديم ، فهو عالم وحده فى طبيعته وعقليته وأنظمته ، عالم راق فى صفاته ، متين فى أخلاقه ولزمن عنده القيمة الكبرى . وهو لا يعرف للحياة معنى غير العمل والكسب ، ولا يعرف للعمل صفة غير النظام والدقة والاجادة التى أصبحت طبيعة فيه ، لا يتكلف شيئا ما فى سبيل القيام بها ، ولا تقف همته من عمله عند شئ يسمونه عندنا القناعة : لأن كل عمل فى عقيدته سلم لغيره من عمل هو أكبر وأظهر ، ولادافع له ولا منشط فى هذا السبيل غير نفسه ، التى تقوده على الدوام الى آمال بعيدة ، تصل به أو يصل بها الى حياة مجيدة . ومن صفته العناية بجميع الأعمال صغيرها وكبيرها ، بحيث لا تنقص عناية الرجل بالشئ الذى قيمته قرش واحد ، عن الشئ الذى قيمته ألف قرش !! وهو يعنى بالقيام بمواعيده فى نفس الدقيقة التى حددها ،

ويحافظ على زمنه الى الدرجة التي لا يقطع عليه طريقه في عمله عمل آخر ، وإذا تكلم في التليفون فإلما يكون ذلك بسرعة هائلة لا يفقد معها ثانية واحدة ليست ضرورية في العمل ، ومن محافظته على الزمن الأجابة على المحررات في وقتها ، وإذا توقفت سيارة بانسان في طريق عمل تركها الى غيرها . ومن محافظته على الوقت أنه يرى التجديد خيرا من الترقية ، وجر ذلك الى أن السيدة التي ترى ثوبا في جوبها فتلقى به لتأخذ غيره جديدا ، لأن ثمن الجديد عندها أقل من قيمة الزمن الذي تخسره في الترقية !! ومن قيمة الزمن عندهم أن يجعلوا الكل شئ حدا ، فإذا أردت أن تقدمه عن موعده كان لذلك أجره .

والرجل الأمريكاني رجل جد وعمل وكفاح في سبيل نجاحه في أى أمر من ضروب الحياة ، وهو في حرب مستديم الى حاجته ، حتى اذا ظفر بها تعداها الى غيرها بنية فتيمة ، وارادة قوية ، وعزيمة من حديد . فهو قوى النفس ، قوى الجسم ، قوى القلب ، وليست للعاطفة من سبيل الى قلبه ، وهو في طريق عمله لا يشفق على نفسه ، ولا يرحم غيره . واذا وجد عنده شئ من العاطفة فهو في أخس درجاتها وهو في ذلك يخالف الرجل اللاطيني الذي للعاطفة عليه تأثير كبير ، وبخاصة الرجل الشرقي ، والفرق بين هذين الرجلين في تأثير العاطفة : أنها لاسطان لها على الاول الا اذا فرغ من عمله ، ولها كل التأثير على الثاني حتى وهو بين برائين الخطر ، قال عنتره :

ولقد ذكرك والرماح نواهل منى ويبيض الهند تقطر من دمي
وقال الآخر:

ولقد ذكرك و(الحمار معاندى) وسط الشريط وقد أتى الوابور
وفي الجملة : فالأمريكي نهض الى العالم الجديد في أوائل القرن السابع عشر ، من العالم القديم بخلاصة مدنيات كثيرة ، ووجد أمامه تربة صالحة لبذور حديثة ، فانتجت خير البذور وجم الغلات . وجد أمامه أرضا بكر الم تمسها يد أنس قبله

ولا جان من يوم خلقها الله ، فقد احتفظت الطبيعة بكنوزها وبما فى جوف أرضها ، من معادن مختلفة ، وجواهر متغيرة ، كما احتفظت بما على سطحها من التربة الغنية بعناصر الاتاج الزراعى . هذه تربة أصبحت تمد يدها بكرم حاتمى الى كل ما يلقى فيها من بذور النباتات المختلفة فى مناطقها الطبيعية ، من ثلجية ، ومعتدلة ، وحارة . فتنمو فيها جميعها نموا مدهشا ، لا يشبهه الا ذلك الولد الذى أتى من أبوين شابين قويين ، قد أحاطاه بكل نوع من أنواع التغذية السليمة ، والعناية التامة .

ترك الأمريكى وجه الأرض وتغلغل فى باطنها ، بعد أن مهدها لحياه ، فعثر على ما فيها من كنوزها الهمة ، فما هو الا أن بدأ فى استخراجها حتى أفاضت عليه من خيراتها التى لاحد لها ، فامتلات خزائنه من ذهبها ، فاستعمله فى طريق الأتاج الصناعى ، فقام المصانع ، وشيد المعامل ، بفضل هذه المواد الاولية التى يكتظ بها باطن أرضه ، من ذهب وفضة وحديد ونحاس وقصدير ورصاص وخم وبترول . وأصبحت هذه المصانع تنتج كل دقيقة الملايين من هذه الآلات التى تغلب بها على مصاعب الطبيعة ، ووصل بها الى ما فيها من خير وبركة .

ولم يكن الفضل لثروة الطبيعة وحدها فى رقى هذه البلاد ، بل لم يكن للجهد الافراد وحده الفضل فى وصولها الى سنام العظمة العملية ، بل الفضل كل الفضل لافراد وصل بهم حظهم بعلمهم الى دائرة واسعة من الثراء فلم يختصوا به أنفسهم ولم يرصدوه على ذويهم وأهلهم ، بل أفاضوا منه على بنى جلدتهم تلك الهبات الهائلة التى يتقدمون بها الى دوائر الرقى العام المتغيرة : فمن هبات بملايين الدولارات لتشييد المدارس ، ومن مثلها لاقامة المستشفيات ، ومن مثلها لتكوين المكتبات العمومية ، ومن مثلها لتنشيط الاختراعات ، ومن مثلها لترقية الصناعات ، وليست هبات كارنجى ، وركفلر ، ومورجان وأمثالها ، ببعيدة عن صفحات التاريخ . وهل تنسى الانسانية كلمة رو كفلر : « إني بدأت طريق ثروتى الهائلة فقيرا ولعلى أعود

بخدمتي للانسانية الى النقطة التي بدأت منها ثروتي . بنح يا سيدى رو كفلر !
ليست من كلمة تصح أن تكون واسطة للجواهر في جيد الانسانية أئمن من كلك
هذه ! ! وحسبها أن تكون هي ثروتك الحقيقية من حياتك المملوءة بجماليات
الاعمال ، وعظيم الاقوال . وإن كان هذا لا يتفق مع حال الشرق الذى لا وجود
فيه إلا لخيال الثروة ، ولا فضل فيه إلا لاسمها . حتى لو كانت محبوسة عن صاحبها
يحفل الناس فى الشرق بالاغنياء وان كان لا فضل من ثروتهم على أحد ! ! وتحفل
الحكومات الشرقية بهؤلاء الذين يسمونهم أغنياء وان كانوا خلوا من كل شئ
إلا من نضرة الدينار وبريق الدراهم ، وقد يتقدم الانسان الى الانسان فى مصر بانه
من أرباب الاطيان ، فيحفل به السامع لمجرد مرور خيال ثروته على وهمه ، وقد
يتقدم الغنى الجاهل ، والعالم البائس ، الى الناس فيحفلون بالاول دون الثانى ! !
حتى مع عقيدتهم بان الاول لا خير فيه ، وأن الثانى قد يكون فيه من الخير ما ينفع
الناس فى حياتهم الادبية والاخلاقية ، بل والمادية . واذا كنا نحن نحترم ثروة
الغنى الى هذا الحد مع عدم انتفاعنا منها بشئ ، فما مقدار احترامه هو لها واحتفاظه
بها لنفسه من غير أن يكون فيها للمصلحة العامة حصة أو نصيب ! !
اذا فحياة الامريكى ليست فى ثروته ومجده ، وحب العيش فى جلوسه على تلك
المنصة الذهبية التى اذا أزالته عنها الأيام لاى سبب من الاسباب ، فانه لا يبقدها
معها عبقريته ، ولا يعدم نشاطه ، بل يستمر فى جهاده ، ويدخل فى دائرة حياته
الجديدة ، كقنادوس الساقية ينزل الى معين الحياة خاويا خاليا ، فيغترف منه ما يكون
له حياة جديدة . ذلك لان الرجل الامريكى لا يغيره الفقر ، بل يعتبره مرضا
يحاربه بكل وسائل الحرب ، وهو بجده متغلب عليه لا محالة . أما عندنا فيكفى الغنى
أن يعثر عثرة واحدة حتى لا يجد له مخلصا منها ! ! ولا يزال فى كبوته هذه مريض
النفس ، ميت الروح ، الى أن يقضى عليه قنوطه ! ذلك لان الثروة وحدها
فى نظره هي الحياة ، هي المجد ، هي العظمة ، هي الوجود بكامل معانيه ! ! فاذا هي

ذهبت ، ذهب كل هذا فى عقيدته ونظره . ولا أدرى اذا كان هذا من أمراض الشيخوخة فى الشرق ؟ تلك الشيخوخة التى تقف بالأمال عند بعض الناس الى حد محدود ، اذا تجاوزها الشخص دخل فى دائرة اليأس والفناء ! وهو ما يخالف الاثر الذهبى الأسلامى : « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

لذلك لا ترى الامل يقف بالرجل الأمريكى عند حد ، بل يذهب به فى مسالك الرقى كل مذهب ، والعامل منهم اذا رأى أمامه صاحب العمل العظيم وهو لم يكن من سنوات إلا ذلك العامل البسيط المجد ، كان هذا مثالا حياله ، فيجد فى عمله هو الآخر مقودا بفكرة الوصول الى ما وصل اليه رب معمله . هذه الفكرة النبيلة لا تقف به عند حد فى طريق العمل ، وهو أن لم يصل بها الى غايته كلها ، فلا بد من وصوله الى شئ منها قليلا أو كثيرا على حسب حظه فى عمله . لذلك ترى التقدم فى الصناعات مستمرا بين الكبار والصغار على السواء . واذا كان المستحيل لم يجد له محلا من قاموس نابليون ، فالكسل واليأس لم يجدا لها محلا من نفسية الرجل الأمريكى .

وبالجملة فالرجل الأمريكى قد أدهش العالم كله باخلاقه العملية ، ومثابرتة على عمله ، ووصوله الى غايته بكل سرعة . وقد بحث علماء الاجتماع والأخلاق فى عبقريته ، وكيف أنه امتاز عن العالم الغربى فى طفرته الى غايته فى بلاد هو جديد فيها ؟ ولم يدروا أنه هو الذى فى دمه مدينيات العالم القديم جميعها ، حتى اذا وجدت لها مجالا للعمل أيقظها الامل ، ونهض بها هذا النهوض الذى أدهش العالم من أقصاه الى أقصاه .

وعند الأمريكى كلمة تكثر على لسانه ، " مسبوقة بأفضل التفضيل عند ما يتكلم عن أى شئ فى أمريكا ، وهى لفظ فى الدنيا « In the world » فيقول : هذا أحسن شئ فى الدنيا ، أكبر شئ فى الدنيا ، أغنى رجل فى

الدنيا ، أكبر بناء في الدنيا ، وهكذا مما يعده بعض الناس من المبالغات التي أشهر بها الأمريكان عندما تسمعهم يتكلمون في حقيقة عندهم لا يصل الى تصويرها ذهننا ، لأننا لم نتعود مثل هذه الارقام الجسيمة التي تتصل بوصف جملة الاشياء عندهم ، والتي مر عليك شئ منها .

والرجل الأمريكي مهما بلغ في ثروته ، لا يتقيد في زواجه بامرأة من وسط عال فلا يهمله إلا تلك التي أعجبته . كما أن المرأة الأمريكية لا يهتمها إلا ذلك الذي أعجبها ، من غير نظر الى شئ اسمه كفاءة عائلية كما هو الشأن في أوروبا وفي الشرق وقد رأينا هنا ضمن التمثيل السينماتوغرافي زفاف شاب من أصحاب الملايين بفتات فقيرة من كندا !! ولم نسمع من النظارة أى انتقاد على ذلك .

والرجل الأمريكي لا يتقيد بشئ اسمه « النظام الاجتماعي » . فلا يقيد نفسه بلباس السهرة في الاجتماعات الليلية ، وقد ترى القوم في التياترو وقد جلس صاحب الاسموكن بجوار الذي يلبس الازرق أو الاحمر أو الرمادي مما يكون في نظرك مجموعة من ألوان الطيف خصوصا في كرافتاتهم (أربطة رقبتهم) .

وقد ترى كثيرا ممن تظنه من الجنتمانات يعبت بمارون مافوق شفته العليا ، وترى في أفواه الكثيرين من طبقة العمل ذلك الخلال الخشبي ، حتى في أوان الاكل ، وكلهم يشرب السيجار ، وقد يعضغون طرفه الاعلى فيتمفكهون بعصارته طوال ما كانت السيجار في فمهم !! وكثيراً جداً ما ترى الشخص وخصوصا الشباب منهم لا يلبس فوق البنطلون غير القميص على جلده مباشرة من غير ياقة ، وأكمامه مشمرة الى مافوق الساعد ، وقد يكون أصل هذا شدة الحر ، ولكنه أصبح مثالا للقوة (اسبور) وكال الحرية حتى في غير طبقة العمال .

المرأة الامريكية

والمرأة هنا لها حرية مطلقة وغير محدودة ، فهي لا ترى نفسها أقل من الرجل في حقوقه المدنية ، وقد تشبه به في كلامها ، وفي هندامها ، حتى اذا تكلمت من وراء ستار ظننتها في الغالب من هذا الجنس الذي خلق للاعمال الشاقة . وكثيرا ماتراها هنا تعمل مع الرجل في المصانع والمعامل ، وقد تراها أكثر منه عملا في المحال التجارية ومكاتب الادارات المختلفة ، وتمشى معه ككتفا لكتف في الالعاب الرياضية ، ولا تقل عنه حركة في الطريق ، وتسير بمفردها حيث شاءت ليلا ونهارا وتدخل المطاعم والتياترات ، وتركب التراموايات والتكسات وحدها الى جميع أغراضها ، وأكثر مارأيت المرأة تسوق الاوتوموبيل بسرعة هائلة في الولايات المتحدة وخصوصا في نيويورك ، وكثيرا ماتراها تلبس اللبس الرياضى (اسبور) وهو بنطلون الى الركبة ، وچا كيتة فتحتها الى الرقبة ، ولا ادرى اذا كان ذلك فاتحة الى لبس البنطلون الطويل تشبها بالرجل في ذلك ؟ ولكن هل من الممكن أن تترك المرأة ذلك الفستان القصير الواسع الذي قد لا تلبس من دونه شيئا ؟ وهو لباس الرقة والزينة النسائية ، لولا ما فيه مما يكون فوق الركبة ، حتى اذا غارلته الرياح هاج بهياجها ، واضطرب باضطرابها ، وقد يضطر صاحبته الى الاشتغال بتهديبه بكلمات يديها ، مما يظهر معه أنها ترى في قصره عيبا لا يتفق مع الآداب العامة التي ترى هي المحافظة عليها من أكبر الفضائل . وهى كما ذكرناه في رسالة نيويورك (مع مامنته من الحرية الانهائية) تحافظ على الآداب العامة محافظة كلية ، مما لا يمكن أن تلاحظ عليه ملاحظة واحدة . والمرأة الامريكية مع جهاها في الغالب ورقها لا عاطفة لها : فتراها وسط المعارك والمهالك ، والمؤثرات النفسانية ، من غير أن تأخذها هزة في قلبها ، وقد رأيت جملة سيدات في مجازر شيكاغو التي تسيل فيها دماء الماشية أنهارا ، وتقطع فيها أشلاؤها جهارا ، وهن باشات هاشات متسابقات

الى رؤية هذه المناظر التي تهيج الاعصاب ، وتأخذ بالقلوب ، مما قد تنهزم أمامها قوة المتشجع !! ولكن شجاعة المرأة هنا شجاعة بمعنى السكامة . وقد تراها اذا انعقدت حرب في المستقبل القريب بين الولايات المتحدة ودولة أخرى في مقدمة من يسير بالجيش الى معمة القتال ، كما تراها اليوم أمام منصة القضاء ، وعلى كرسى النيابة عن الامة تترفع وتخطب ، وكما تراها في المستشفيات تداوى الامراض ، وتبتر الاعضاء ، وكما تراها في المصانع تشتغل بالنار والحديد ، وبالجملة فللمرأة الامريكية عامل حي يبحث في جميع الاغراض التي يبحث فيها الرجل من علمية ، وتجارية ، وصناعية . ولم تقف هماتها عند حد ترى فيه شيئا من المشقة . والتي تعمل في أى عمل من الامريكيات اذا قصدت منزلها بعد عملها تجدها عاملة في كل شئونه الداخلية ، من تنظيف ، وغسيل وطبخ وترتيب ، ونظام . وكل هذا في سرعة متناهية ، ومن غير مشقة . لأن كل هذه الاعمال أو جلها تعمل في بلاد الاتحاد بواسطة الاجهزة الكهربائية ، فاذا فرغت من واجبها المنزلى خرجت بمفردها ، أو مع رفيقة لها ، أو مع زوجها — إن كانت متزوجة — لنزهتها ، وهي تقضى في الغالب بعض وقتها في دور التمثيل السينمائي .

والمرأة الأمريكية قلما تفكر في الزواج ليلها الى الحرية المطلقة ، وعدم ارتياحها للدخول في حدود الزوجية الضيقة !!

وفي الغالب يكون زواجها من غير تفكير ، ولا سابقة معرفة بمن تزوج به . ويكفي في ذلك اجتماعها به اجتماعا بسيطا ، فان راق كل في نظر الآخر — كانت ساعة واحدة كافية لاتمام العقد ، وإرادة الالباء تأتي عادة هناك بعد إرادة الأبناء ، لذلك لا تجد الزوجة هناك مكلفة بتقديم مايسمونه مهرا ، كما هو الشأن في أوربا ، بل الزواج مبنى غالبا ببلاد الاتحاد على إيجاب وقبول الطرفين من غير مباشر . وكثيرا ماتجر هذه السرعة في الزواج الى السرعة في طلب الطلاق !! وهو شائع في أمريكا شيوعا فاحشا . ويتم بها بالسهولة التي لا توجد في بلاد أخرى

ونسبة الطلاق في الولايات المتحدة في كل سنة نحو عشر ما يتم بها من الزواج !!

العامل الامريكى

العمال هنا هم أحسن عمال الدنيا أجورا وحياة ، وكانت حركة أجور العمال قبل الحرب واقفة عند حدها الطبيعى ، أما من سنة ١٩١٤ فقد تغيرت تغيرا محسوسا جدا ، فإذا فرضنا لها قبل الحرب رقم ١٠٠ فقد نراها وصلت في سنة ١٩٢٠ الى ٢٦٠ متبعة في ذلك علو أسعار المحاصيل ، وهذا أمر طبيعى لضرورة وجود التناسب بين اثمان المنتجات وأجرة اليد العاملة . هذا من جهة وطبيعة العمل ، ومن جهة أخرى فإن الاثمان بصفة عامة كانت قد ارتفعت ارتفاعا فظيعا في كل شئ* : في المأكولات ، في الملابس ، وفي المساكن . فكان ارتفاع الاسعار في هذا كله موجبا لزيادة أجر العاملين في جميع الاوساط الصناعية ، والزراعية ، والتجارية . ولو نظرت الى نسبة هذه الزيادة في العالم كله لوجدتها واحدة . فالعامل في مصر (مثلا) الذى كان يشتغل قبل الحرب بقرشين ، أصبحت أقل أجرة له من سنة ١٤ خمسة قروش ، والذى كان يشتغل في فرنسا بفرنكين ، أصبح يشتغل بستة فرنكات على الأقل . وهنا نعود الى العامل الامريكى الذى كان يشتغل قبل الحرب بنصف ريال ، فقد وصلت يوميته مدة الحرب الى ريال ونصف في المصانع والى أقل من ذلك في المزارع ، وهو ضعف أجرة العامل في فرنسا ، وضعفاه عندنا . وانا اذا تساءلنا عن السبب في ذلك ، ومن أن أجرة العامل لا بد وأن تتناسب مع اثمان المنتجات ، ونسبتها كلها تكاد أن تكون واحدة في جميع الاسواق ، خصوصا لعوامل التضاحم والتنافس التى تحيط بجميع البضائع المعروضة ، عرفنا أن المسألة ليست بطلسم من الطلسمات ، ولا بمعادلة جبرية يستدعى حلها فكرا وتدقيقا بل هى بدهية ظاهرة : ذلك أن أجرة العامل الامريكى انما هى بنسبة ما يعمل ، وهو يعمل بقدر ثلاثة عمال من الآخرين ، هو عامل لا تراه مسوقا بعضا غيره ، عامل

لا يعمل تهديد ولا وعيد ، ولا يعمل بوعد ولا رجاء ، عامل ليس له من منشط غير رغبته في العمل ، و ارادته في قيامه بواجبه ، وأمله في وصوله الى منزلة أكبر لها أجر أكثر ، وكثيرا مايصل به اجتهاده في دائرة عمله الى الاختراع - الى اختراع شئ يسهل به العمل عما كان عليه من قبل . وهنا تفتح له أبواب الحظ ويصبح من أصحاب الأموال ! اذا فالعامل هنا انما يعمل والأمل رائده ، والاجتهاد قائده ، لا كما نراه في جهة أخرى اذا خرج من دائرة القنوط دخل في دائرة اليأس ، واذا غفلت عنه عين السائق نام على فراش عمله نوما عميقا !! لذلك نرى الاختراع كله هنا في دائرة الحال ، كما نراه في أوروبا في دائرة العلماء الذين أفنوا أعمارهم بين خطوط النظريات وارقام المعادلات .

إلا ان العامل الأسوي اخذ منذ زمن يفد الى أرض الولايات المتحدة ويعمل لحياته مع العاملين ، أخذ الألوف من اليابانيين والصينيين وغيرهم يفدون الى هذه البلاد بحكم الهجرة ، ولا يجدون بها عيشهم الا من طريق التزاحم على العمل ، فاذا وجدوا العامل الأمريكي يعمل بريال في اليوم بالولايات الغربية ، قبلو العمل بنصف أجره ، وأصبح أرباب المعامل والمصانع والمزارع — وخصوصا في كاليفورنيا — تنتفع بهذه الايدي الرخيصة . فحرك هذا من حفيظة اللون الابيض في هذه الولايات — حفيظة اخذت تذكيها نيران الغيرة ، بل نيران الانتقام من هؤلاء الذين جاؤا يقاسمونهم عيشهم ، ويحاربونهم في دائرة حياتهم وهم في بلادهم آمنون من عبث الأيام . فشككت منهم جميعات اسمها (كلو كلوكس كلان) اتفقت سرا على حرب الاغراب ، والاحتفاظ بخيرات البلاد لاهلها بكل وسيلة ممكنة . وذهب بعض من تطرف من هذه الجمعيات الى حصر هذه المنافع لاني الجنس الابيض في عمومته ، بل في النوع السكسوني منه ، فاعلنوا قمتهم على الكاثوليك وعلى اليهود جميعا . ولهذا الجمعيات مجتمعات سرية أشبه شئ بالمجتمعات الماسونية ، ولا يعرف أحد من أمرهم شيئا حتى ممن كان على غير شاكتهم من أهل البلاد .

وقد وقفت الحكومة بالولايات المتحدة أمام هذه الهيئة السرية التي قد يصل عددها الى الملايستان به ، موقف المضطرب في رأيه ، لا تدري اذا كان من الخير أن تتركها وشأنها تعمل في دائرة حريتها ، مادامت في دائره القانون. لذلك تراها من جهة أخرى بقدر ماتسهل على الجنس السكسوني هجرته ، بقدر ماتصعبها على جميع المهاجرين حتى من الاوربيين من غير هذا الجنس . وقد يأتي يوم تتحرش فيه هذه الجمعية باللون الاصفر فتطرده من بلادها .

ومن تشديد ولايات الاتحاد للهجرة الى بلادهم تلك الاستمارة التي تقدمها شركات الملاحة الى المسافرين عليها لامريكا ، ومن ضمنها : هل أنت متزوج ؟ هل أنت متزوج باكثر من زوجة ؟ هل تقصد الولايات لعمل ؟ وما هو صفة هذا العمل ؟ وهي أسئلة لانراها في غير السفر الى الولايات المتحدة .

ومن الجرافيك (الميزانية) الذي عملته وزارة العمل ترى أن الأسعار كانت في سنة ١٩١٣ في حدها الطبيعي سواء في بيعها بالجملة والقطاعي ، وكانت أجرة العمال واقفة معها عند هذا الحد . ولكن في سنة ١٩١٥ ابتدأت الاسعار تصعد حتى وصلت في سنة ١٩٢٠ الى حدها الاقصى ، والذي وصلت فيه الى مايقرب من ثلاثة أضعاف ثمنها !! وكانت أجر العمال تتبعها في سيرها شبرا بشبر ، وقدمما بقدم ، ولكن الاسعار في سنة ١٩٢١ انهزمت انهزاما هائلا بحيث نزلت الى نصف ما كانت عليه في السنة التي قبلها !! مع ذلك فأجرة العمال بقيت مرتفعة بل استمرت في ارتفاعها الى سنة ١٩٢٥ وهي وان كانت نقصت قليلا في سنة ٢٦-٢٧ إلا أنها لا تزال أكثر من نسبتها الطبيعية مع أثمان المنتجات .

ويظهر أن هذه النسبة عامة في كل جهة من جهات العالم ، وهي أثر طبيعي لتلك الحرب المشؤومة التي أكلت الرطوبة واليابسة ، ولا يزال دخان نيرانها يتصاعد من بين أطلال البلاد التي خربتها وأتت على عمرانها !!

والعمال قانون خاص للعمل اسمه (قانون تيلر). وروح هذا القانون هو أن العامل يعمل كثيرا من غير أن يتعب عقله وجسمه : وذلك بواسطة تنظيم العضلات التي لاشأن لها في عمله ، فتبقى غير متعبة قوية تخفف بقوتها عن العضلات المجهودة كثيرا مما ينالها من التعب . والعمل على هذه النظرية مبنى على دراسة علم الاعضاء (الفسيولوجيا) وحتى في هذه لا يخرجون عن قواعد العلم !! ومن شأن هذا القانون أن يحكم العلاقة بين المنتج والعامل : ذلك بان يجعل لكل منهما واجبات نحو الآخر لا يهملها أحد منهما ، لهذا ترى الاعمال سائرة على الدوام الى الامام من غير محرك ولا منشط ، وحال العمال في غدهم خير منه في أمسهم من غير مطالبة بحق أو لفت نظر الى مكافأة .

وأرباب الاعمال من الامريكان لهم سياسة غريبة مع عمالهم ، يضعونهم بها في دائرة لا يخرجون منها ، وان خرجوا منها كانوا كالذي يخرج من الضوء الناصع ، الى الظلام الحالك ، لا يزال يتخبط فيه يمينا وشمالا من غير أن يجد له مخرجا ، ذلك لان معرفته لصناعته محصورة في قطعة واحدة لا يعرف لها منفعة ، ولا يقف لها على قيمة !! وهى في نظره شئ تافه في ذاته إن لم يكن سرّاً من الاسرار لم يصل اليه علمه ، وطلسم لم يفهم ما فيه من دخيلة غامضة ، لذلك تراه أقل العمال إضرابا ، وأبعدهم عن الثورة .

خذ مثلاً فورد : فان عنده مائة وخمسون الف عامل ، كل قبيل منهم يعمل في قطعة واحدة ، فهذا يعمل الحديد كتلا ، وذاك ينشر الكتل الواحا ، وغيره يقطعها قطعاً كبيرة متشابهة ، وذلك يقطعها قطعاً صغيرة متماثلة ، وآخر يعمل مساراً صغيراً ، وغيره يعمل على قياس آخر وثالث يعمل في عمود من الحديد ، ورابع يعمل في خلافة ، وخامس يضم القطع الى بعضها فيكون منه آلة من آلات فورد ، وهكذا الحال في القطع الخشبية ، وما الى ذلك من الكاوتشوك ، والجلد ، ثم يأتى بعد هذا كله من يكون هيكل الاوتومبيل ، ثم من يكسوه تنجيذا وتجليدا ، ثم يأتى

بعد ذلك من يعمل فى التلوين والتمكين .

من هذا تعرف أن الاوتوموبيل الواحد عند فورد قد يعمل فى قطعه الف عامل ، كل منهم لا يعرف غير القطعة التى يعمل فيها ، وحياته محصورة فى عملها ، ولا يمكن أن يجدها عند غير فورد !! وبذلك تكون حياة عامل فورد وقفا على فورد بلا قيد ولا شرط . وهذا وأبيك هو الاسترقاق بعينه ، والاستعباد بذاته فى ظلال الحرية المطلقة ، تلك الحرية التى إنما هى ا كذوبة من الاكاذيب السياسية ، يكتبها الاقوياء بحروف من نور على صحيفة ظلام حالك تضع بين طياته حقيقة التاريخ !! ومتى كان التاريخ صادقا فى جميع ماجرياته ؟ وهل التاريخ الامراة لميول المؤرخين وأغراضهم ؟ وإن أحسننا بهم الظن قلنا لعقائدهم التى قد تخالف الحقيقة فى كثير أو قليل من الأمور .

تلك هى حالة العامل الأمريكى بصفة عامة فى الولايات المتحدة ، وهذا لا يمنع من وجود عمال قد تخرجوا فى المدارس الصناعية ، وعلى الخصوص مما يسمونه « مدارس الاعمال » ويوجد هذا النوع من المدارس فى نيويورك ، وشيكاجو ، وبوسطن ، وأهم مدرسة فيه توجد فى جامعة هارفارد فى بوسطن ، وهى أقدم جامعة فى الولايات المتحدة ، وإن شئت فى أمريكا كلها . هذا الصنف من العمال لهم اعتبار خاص ، ومنهم ينبج الكثيرون ، وقد يصلون الى سنام الثروة بمجاهدتهم واجتهادهم ، ولا نضرب لك مثالا هنا بغير فورد الذى خرج من وسط العمال فى أول هذا القرن ، ومازال بعمله وجده واجتهاده حتى أصبح أغنى إنسان فى العالم جميعه .

التربية النفسية عند الامر يكان

أول قاعدة من قواعد التربية النفسية عند الامر يكان قولهم : (هلب يورسلف)
 (ساعد نفسك بنفسك) ويريدون بذلك أن الانسان لا بد وأن لا يرتكن على غيره
 في أى عمل من أعمال الحياة ، أو بعبارة أخرى أن الاعتماد على النفس هو أول سلم
 من سلالم الحياة . قف لحظة واحدة في أية محطة من محطات السكة الحديدية تر
 الرجل والمرأة والشاب والشابة بل والطفل مهما كانت درجاتهم في الثروة والجاه -
 تركلا منهم حاملا حقيبة ملابسه في يده ، ويخرج من باب المحطة الى عربته أو الى
 الترامواي ، وهذا كله محافظة على وقته الذي ربما ضاع بين البحث عن يحمل
 متاعه ، الا اذا كان هذا المتاع مما لا يحمل ، أو مما يضيع وقته في حمله . والوقت عندهم
 ثمين . يقع الطفل الرضيع على الارض وهو في مبدأ حركته للمشى فتدعه أمه لنفسه قائلة
 له « هلب يورسلف » ، فلا يزال المسكين يجاهد بحركاته المختلفة حتى يقوم على
 رجليه بدون مساعدة أحد ، وقد يقع في أثناء ذلك جملة مرات ثم ينتهي أمره
 بالنهوض . ومن هذا الوقت تتولد عنده فكرة القيام بالنفس ، حتى اذا وصل الى
 سن الشبيبة كان رجلا يعتمد على نفسه في كل شئ ! وهذا ما يمكنه من كسب حياته
 بغير معين ولا مساعد . تخرج الخادمة من منزل مخدومها يوم الأحد ، فتطهى
 السيدة طعام البيت ، ثم تخرج الى نزهتها ، وتعود وقت العشاء لتجهيز الطعام على
 المائدة وقد يهتم كل شخص من العائلة كبيراً أو صغيراً بما يهيمه من أداة الطعام ، فيقصد
 مكانها ويأخذ ما يلزمه منها . يقعد التاجر الكبير في مكانه من محل ادارته وبجواره
 الآلة الكاتبة ، فاذا عن له أن يكتب قام اليها وحرر ماشاء من غير انتظار واحد
 من عماله . ترى الفلاح في عزبته الخاصة به يقوم بكل عمل من أعماله ولا يستدعي
 غيره لمساعدته إلا اذا كان في حاجة ماسة اليه . وهنا أرجو حضرات القراء أن
 يسمحوا لي بالوقوف عند هذه النقطة ويذهبوا معي الى قرية من قرى الريف عندنا ،

فماذا نرى ؟ نرى أفراداً من الفلاحين ممن تجاوزوا الثلاثين من عمرهم قد اجتمعوا على مصطبة أحدهم وأمامهم أداة القهوة ، وفي أيديهم أداة التدخين ، وهم يتحدثون في سخافات وأقاصيص يقتلون بها وقتهم — فإذا جاء الظهر أكلوا غزيراً ، وناموا كثيراً ، ثم اذا عن لاحدهم الذهاب الى غيطه الذى يعمل فيه بعض العمال ركب حماته بحال تمثل الكسل والخجل ، وهناك يجرد لسانا كلسان الحية فيلسعهم تأنيبا وتجريحا بدعوى إهالهم فى عملهم ، وهو لو أنصف لوجه هذا السباب الى نفسه لاهماله هو عمله الذى يستمد منه حياته ، مما لا يعتبره هو فضيلة : لانه من العيب فى عقيدته أن يعمل وفى قدرته دفع أجرة العامل ؟ !! كما أنه من العيب أن يحمل الانسان متاعه ، ومن العيب أن يسير الانسان على رجلية بعض خطوات فى الريف أو فى العاصمة لمسافة يسيرة ، ومن العيب أن يركب السرى الترامواى ، ومن العيب أن لا يركب متوسط الحال فى الدرجة الاولى من السكة الحديد على فداحة أجرتها عندنا ، ومن العيب ان لا يقلد الانسان بمصر من هو أغنى منه فى كل شئ ، ولو يلقى به ذلك فى جب الاستدانة التى تنقص حياته ، وتقضى على كل سعادته فى هذه الحياة !! وبالجملة فكل شئ عندنا عيب إلا العيب نفسه فانه ليس بعيب !!!

يعتمد الانسان عندنا على غيره فى كل شئ : لذلك نرى آلافاً من الشبيبة (من الذين اكملوا دراستهم طبعاً) وقوا على أبواب الوزراء ، وفى أيديهم كتب الرجا . وماذا يعملهم الوزير فى آلاف ما يقدم اليه من الطلبات لوظيفه واحدة صغيرة خالية فى وزارته ؟ ؟ اللهم رحمة بأولئك المساكين الذين لم يعرفوا من طرق الحياة إلا التوظيف فى خدمة الحكومة ، والوقوف ببابها ، وهو لو قفل فى وجوههم لكانوا عالة على ذويهم حتى يقضى الله أمرا .

وهذا كله ولا شك من نقص فى تربيتنا العملية وعلى الخصوص فيما كان يتعلق منها بالاعتماد على النفس !!

كو - كلوكس - كلان

فى سنة ١٨٥٥ تكونت بالولايات المتحدة جمعية لمحاربة سيل المهاجرين الذين كانوا يهاجمونهم فى حقوقهم المدنية ، ويشاركونهم فى مواردهم الحيوية ، وكان رمزها « ن . ن » ومعناها لا أعرف شيئاً وفى سنة ١٨٨٧ ظهرت فرقة أخرى رمزها . « ا . ب . ا » اعنى جماعة البروتستان الامريكان . وهذه الجمعية اذاعت فى عرض البلاد أن البابا يريد أن يضع يده على القارة الامريكية بحجة أن الذى اكتشفها هو كرسstof كولومب الكاثوليكي ، وهذا ما يهدد البروتستان فى حياتهم . وسرعان ما سرت هذه الفكرة الخبيثة فى ولايات الوسط والغرب ، ومن ثم وقعت كراهة الكاثوليك فى قلوبهم .

وهاتان الفرقتان كانتا أصل لتكوين فرقة ثلاثة سرية رمزها (كو - كلاكس كلان) . التى شعارها محاربة اليهود والكاثوليك والاجانب بصفة عامة ، والعبيد بصفة خاصة . تكونت هذه الجمعية فى ولاية تناسى سنة ١٨٦٦ باسم الدفاع عن الجنس الابيض — البروتستانى طبعاً — وذلك بعد تحرير العبيد مباشرة .

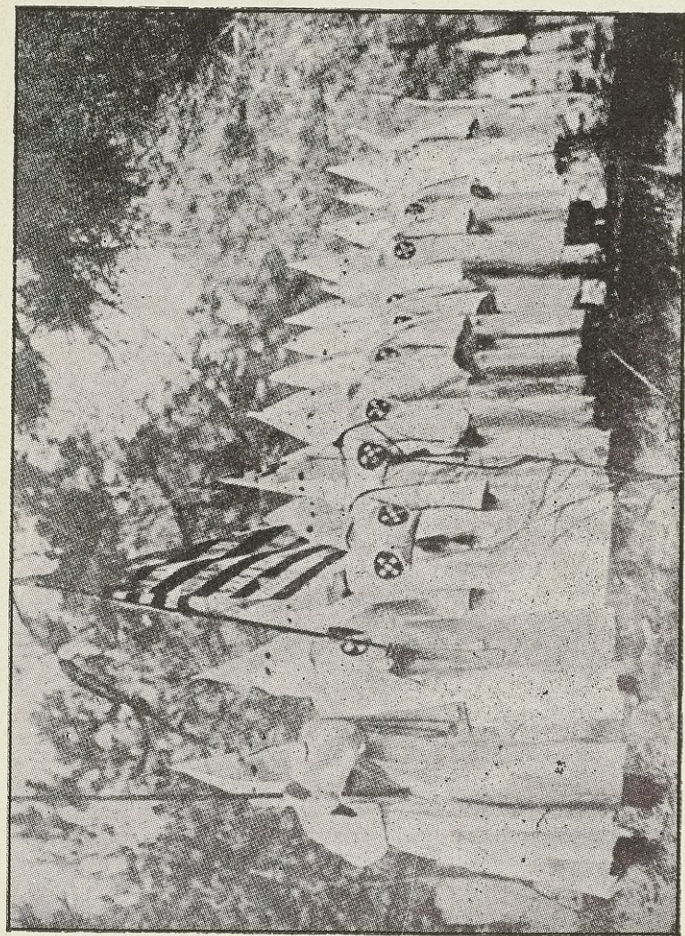
وقد وضعت هذه الجمعية لنفسها قوانين خاصة وضعوها بين جدران مجتمعاتهم السرية ، وكلها تدور حول ازعاج القلوب ، وارهاب النفوس ، بما كانوا يشخصونه بالليل من أيد ممدودة بسلاحها ، أو هيكل انسان يشخص الموت بصورته ، أو ما كانوا يكتبونه فى نشرات من غير امضاء يلتقون بها فى الطرق كلها خوف وفزع تجمد منها الدماء فى شرايينها ، وتشيب من هولها الاجنة فى بطونها !! وقد يلاحظ بعض الناس على بعض السود هفوة بالنهار ، فيجدونه غارقاً فى دمه بالليل فى أحد شوارع المدينة ، من غير ما علم بهذا الذى جنى عليه هذه الجناية . بهذا وذاك أصبحت القلوب فى فزع مستديم من هذه الفئة السرية التى لا تعرف كينونتها ، ولا تعلم حقيقتها . وكأن الحكومة تساعدنا من طرف خفى على تلك الجرائم

لاعتقادها أنها هي التي بها نجاة البيض من براثن السود .

وفي زمن الحرب العالمية هدأت فظائع هذه الجمعية لاشتغال الناس كلهم بالحرب ، خصوصا وقد تجند عدد عظيم من السود ، كانوا في مقدمة البيض أمام فتكات العدو ، وكانت تجمعهم وإياهم سماء كانت تمطرهم بوابل القنابل من غير ما فارق بينهم ، حتى اذا عادوا شمشوا ، بأنوفهم ، ورفعوا من رؤوسهم ، فخافهم الامريكان وخشوا من جهة أخرى فلول تلك الحرب التي أخذت تهجم على بلادهم من كل صوب ، فآخذوا في ايقاظ جمعية « كو كلو كس كلان » من جديد تحت رئاسة الكولونيل سيمون . ولكنها في هذه المرة لم تستعمل الشدة في أول أمرها كما كانت بل تبدأ بالنصح تارة ، والانذار أخرى ، في نشرات عمومية ، أو بواسطة مكاتبات خصوصية لمن يريدون منه غرضا من الاغراض التي يحافظون بها على مبادئهم ، خصوصا في الدفاع عن الجنس الابيض في عمومه ، والمرأة البيضاء في خصوصها ، والبروتستانتية بحالة أعم . ولهم لباس يغطي الجسم كله لا يظهر منه غير أعينهم ، يلتحفون به في مظاهراتهم ليوقعوا الرعب في قلوب من يراهم . وبالجملة فالكان (مختصر اسم الجمعية) هي جمعية سرية أشبه شئ بالماسونية ، غير أن أعضاءها غير معروفين ويقال أنهم يبلغون ٧ مليون نفس في الولايات المتحدة ، وعددهم يزيد بنسبة الف كل أسبوع ، وشعارها أمريكا للامريكيين . ويعنون بذلك للبروتستان البيض . وهم حكومة داخلية في حكومة مهما صرحت رؤساء البلاد بعدم الاعتراف بهم والتبرء منهم ، وعلى كل حال فهم قوم اذا أهمل أمرهم فلا بد من أن يأتي يوم يثثون فيه روح الفوضى فيما بين الاقياوسين .

الماسون

وعلى ذكر الماسون هنا : أقول إن هذه البلاد تعنى بالماسونية كثيرا ، ولهم ألواح (أندية) مشيدة مكتوب عليها الاسم الخاص بها بالأحرف الكبيرة البارزة



شکل ملائیس کوکلوکس کلان فی مجتمعاتهم ص — ۹۰

بالذهب . وشعارهم فى الخارج الطربوش الاحمر ذو الزر الطويل ، عليه اسم المحفل الذى ينتسبون اليه بالتحيش المقصب !! وقد رأيت منهم نسوة يلبسن الطربوش الابيض وعليه اسم محفلهم والشرق الذى ينتسبون اليه بالقصب !! وجميعاتهم بالطبع جمعيات قوية راقية كغيرها من الجمعيات الأخرى التى تستمد سلطتها من قوة البلاد وعزتها .

وللماسونية بالولايات المتحدة مكانتها السامية لسمو الغرض المقصود من عشيرتها بهذه البلاد ، وهو خدمة الانسانية ، ومساعدة المنتسبين لها فى حياتهم العملية . لذلك ترى أعظم الرجال فى كل ولايات الاتحاد يفخرون بنسبتهم اليها !! ولأعضائها النفوذ العظيم ، والرأى المسموع فى كل عمل من الاعمال الاصلاحية والسياسية : وذلك لأن أغلب أعضاء البرلمان من نواب ، وشيوخ ، ينتسبون لهذه العشيرة . وفى الجملة فنسبة عدد الماسون الى غيرهم من سواد الاتحاد نحو ٣٠ فى الالف من عدد السكان ، وهم فى نيويورك أكثر منهم فى غيرها ، وجملة ما لهم من المحافل فى الولايات المتحدة نحو ستة عشر الفا وخمسمائة . وفى نيويورك وحدها ما يقرب من الف محفل فيها من الاعضاء ٣٥٠ الف عضو تقريبا .

الثقافة فى أمريكا

قامت ثقافة الولايات المتحدة على أساس ما فيها من عشرات الالوف من كلياتها ومئات الجامعات المنتشرة فى مدنها ، ومالا حصر له من مدارسها الابتدائية . ومن هذه المعاهد ما هو خاص بالذكور ، وما هو خاص بالإناث ، ومنها المختلطة من الجنسين حسب أنظمة الولايات وترتيبها فى عقليتها ، ومبلغ ما تصل اليه حريتها . وهذه وتلك انما قامت باموال المتبرعين من الافراد ، أو الجمعيات الخيرية ، أو من هبات هؤلاء الرجال الذين ذهب بهم همهم الى إحراز مجدهم من طريق خدمتهم للمصلحة العامة ، وهم بين اثنين : الاول اندفع الى خدمة بلاده بتغذية الثقافة العامة بهباته

التي لا يكاد يحصيها العد أمثال : روكفلر ، وكارنيجي ، ومورجن ، وفورد .
والثاني ما كان يهديه بعض القوم تذكارا لحادث تاريخي يتعلق بأشخاصهم .
ولقد كانت هذه الهبات الجليلة تتناول كل ماله علاقة بالثقافة الالهية : فمنها ما كان
لترقية الدراسة في ذاتها ، أو لترقية حال الطلبة والمدرسين ، ومنها ما كان لمساعدة
فقراء الطلبة على الاستمرار في دراستهم ، ومنها ما كان لأعانة الطلبة الاغراب على
ما تتسبب به أسباب حياتهم في سبيل التحصيل في مثل هذه البلاد التي تغلو فيها
أسعار المعيشة ، ومنها ما كان لاشادة المكتبات الفخمة التي تساعد الطلبة
والمدرسين على البحث والتنقيب ، ومنها ماهو لاشادة دور الرياضة الجسمانية على
اختلاف أنواعها ، ومنها ماهو لاقامة النوادي التي يلجأ اليها الطلبة أثناء فراغهم من
عملهم ، ومنها ماهو لاقامة المعامل الكيماوية ، أو الطبيعية وغيرها مما يفتح أبوابه
لمباحث الطلبة ، ومنها ماهو لاشادة المتاحف المختلفة التي تساعد على ثقافة المعلمين
والمتعلمين بحيث تجد من ذلك في كل كلية ، أو جامعة ما يجعلها في غنى عن طرق باب
آخر للبحث والتنقيب ، ومنها ما كان لترقية المسائل الطبية تخفيفا لآلام الانسانية
أيما وجدت ، وحيثما كانت ، ومنها ما كان لتثقيف العمال في دائرة أعمالهم !!
ولكل ولاية من ولايات الاتحاد من المعاهد العلمية المختلفة ما يسد عوزها في
كل مراقفها الحيوية ، من زراعية ، وصناعية ، وتجارية ، وعلمية ، وسياسية .
فإنما سرت وجدت مدرسة ، أو كلية ، أو جامعة ، لكل مادة من مواد
العلوم ، أو الفنون . وكثيرا ما تجد الجامعة الواحدة فيها عشرات الأبنية المختلفة
يبعد بعضها عن بعض بفاصل من بساط الجازون البديع ، أو الاشجار التي تلطف
ظلالها من حرارة الصيف ، وكل بناء من هذه لمادة مخصوصة : فمنها ما هو للهندسة ،
ومنها ما هو للجيولوجيا ، ومنها ما هو للطبيعة ، ومنها ما هو للكيمياء ، ومنها ما هو
للفلك ، ومنها ما هو للزراعة ، ومنها ما هو للطب ، وهكذا وهكذا . . . بحيث
تجد لكل مادة ما هي في حاجة اليه من آلات ومعامل مختلفة على نسبة ما لها من

الاهمية في حضارة الولاية التابعة هي لها .

وحسبك من هذا كله أن أذكر لك جامعة واحدة حتى تكون عندك فكرة عامة من دور التعليم بهذه البلاد : نعم أذكر لك جامعة (هارفارد) التي هي أقدم جامعة بالولايات المتحدة ، والتي توجد في (كامبردج) إحدى مدن ولاية (ساشوسيت) والتي سميت باسم ذلك الرجل الكريم (جون هارفارد) الذي شيدها في سنة ١٦٣٨ م . على مثال جامعة أكسفورد ، وكامبردج في إنجلترا .

وهذه الجامعة توجد في متسع عظيم من الأرض ، قامت على أبعاد مختلفة في بنايات كثيرة تفصلها عن بعضها الأشجار الزاهرة ، والأزهار العطرة ، وكل بناء منها لنوع خاص من العلوم والفنون ، أو المتاحف المختلفة ، والمكتبات القيمة ، ومن هذه البنايات ما هو لسكن الطلبة ، بحيث أن كل مسكن منها هو دائماً على غاية من النظافة ، ويحتوى على كل ما يلزم الطالب من وسائل الراحة ، وهو لسكنى اثنين من الطلبة ، وبه قاعة للنوم وأخرى للمطالعة .

ومن هذه البنايات ناد كبير يمضى فيه الطلبة أوقات سمرهم ، وقد يتخلل ذلك شئ من أغانيهم وموسيقاهم ، مما يخفف عنهم ما عانوه في عملهم اليومي من تعب ونصب . والجامعة كنيسة بديعة لتأدية واجبات الطلبة الدينية . ومن ضمن أبنية الجامعة بناء خاص لتحرير جريدة الجامعة تجده به جميع أنواع الجرائد والمجلات المختلفة . ويحرر هذه الجريدة بعض الطلبة في كل ما يمكن أن يسمح للطلبة التحرير فيه !! وهذا يؤهلهم بعد تركهم الجامعة الى تعيينهم في تحرير الجرائد في ولايات الاتحاد . وتجد الآن محررى الجرائد الكبرى من طلبة هذه الجامعة ، وقد وصلوا الى مراكزهم المهمة فيها بما مارسوه من الثقافة الصحفية في تحرير مجلة الجامعة .

ولهذه الجامعة شهرة كبيرة في ألعابها الرياضية وخصوصاً في (الفوت بول) ، ولطلبتها مواقف كثيرة في هذه اللعبة مع طلبة جامعة بال (بمدينة نيويورك) .

الامريكية) والتي لا تقل عنها في شهرتها. ولكل من الجامعتين ملعب هائل ربما اجتمع فيه ٢٠٠ ألف نفس في مباراتهما، وربما بلغ دخل الجامعة منه نصف مليون ريال في كل سنة!!

واملاك هذه الجامعة تبلغ قيمتها ٢٥٠ مليون ريال!! ومع هذا فان إدارتها تضيع من حين الى آخر منشورات تستندى بها أ كف المتبرعين، وكثيرا ما يتبرع لها طلبتها بأموال طائلة. ومما يجدر بنا ذكره أن بعض الطلبة الذين لا تسمح لهم مواردكم بمصاريف الدراسة يعلنون عن استعدادهم لتضحية وقت خلومهم في خدمة من يطلبهم. وكثيرا ما تراهم في مخازن التجارة، أو دور الصناعة، من أصيل يومهم الى نحو نصف الليل، وهم يعملون في خدمات أو مهن مختلفة - حتى في نفس الجامعة - وهم بلباس الخدمة!! فاذا طلع كوكب النهار كانوا أول الجالسين في مقاعدكم ضمن طلبة الجامعة. ومن أحسن مانشير اليه في هذا المقام أنهم يكونون على الدوام ملحوظين باحترام اخوانهم الذين يكبرون فيهم تلك الهمة العالية، ويعظمون منهم هذه النفس الأبية، التي يصغر أمامها كل تعب ونصب في سبيل الثقافة والتعليم.

ومما يذكر مع الاجلال والأ كبار: أن المستر ويدنار، ومدام ويدنار، أنشأ في سنة ١٩٠٠ لجامعة هارفارد مكتبة من أحسن وأ كبر مكتبات العالم تذكارا لولدهما الذي مات في سن العشرين في حادثة غرق الباخرة (تيتانيك). وأبواب هذه المكتبة مفتوحة لمباحث الطلبة والمدرسين على الدوام.



وحيث أنا ضربنا لك هذا المثل بدور التعليم بالولايات المتحدة: فيجدر بنا أن نذكر - على سبيل المثال - همة رجل من رجال الاتحاد الذين غمروا بكرمهم وهباتهم معاهد الثقافة والتعليم، وخدموا الانسانية بما لهم من تلك الأيدى البيضاء التي تذكر فتشكر:

- روكفلر -

في سنة ١٨٩٠ تبرع هذا الرجل الكريم بمبلغ ٢٥ مليون ريال لجامعة شيكاغو
وخصص قسما من هذا المبلغ لتعليم الفقراء !!
وفي سنة ١٩١٠ وضع مبلغ مائة ألف دولار تحت تصرف مؤتمر الولايات
المتحدة في واشنطن بقصد مساعدة الانسانية في عمومها ، وبلاد الاتحاد
في خصوصها !!

وفي سنة ١٩٢٠ زاد هذه المنحة الى ١٧٠ ألف دولار .
وفي سنة ١٩٢١ تبرع بخمسة ملايين دولار لانهاض التعليم في كندا . وفيها
تبرع بخمسة ملايين دولار لانهاض الطب في لوندرة .
ولروكفلر غير هذه التبرعات مدرسة الطب التي أقامها في سنة ١٩٠١
بالولايات المتحدة خاصة للباحث الطبية ، وأقام بجوارها مستشفى بما يلزمه من
المعامل والآلات من كل نوع مما يحتاجه الطب في كل فروعه ، وعلى الأخص
في الامراض الباطنية ، والبكتريولوجية ، والفسيولوجية ، والكيموية التي لها علاقة
بالداء والدواء . ومن أنظمة هذه المدرسة أن طلبتها لايسمح لهم بمزاولة مهنتهم في
الخارج . يل يقصرون أنفسهم على البحث الطبي فحسب .

ولم تقتصر هبات هذا الرجل الكريم على ذلك بل له في كل يوم مائة جديدة
لبلاده . ومنها ذلك البيت الهائل الذي أهده الى جامعة كولومبيا في نيويورك —
وقد مر بك ذكره — وأظن أن مصر لا تنسى ما عرضه عليها من منحة (٢ مليون
جنيه) منذ سنتين لاقامة معهد للعاديات المصرية بالقاهرة ، فابت عليه الا أن ينزل
في منحته على شرطها ، فلم يجبها الى طلبها ، وبذلك فقدت مصر بمنحة هذا الرجل
الكريم أثرا ربما كان له في البلاد فنع لا يستهان به .

وكل يوم لروكفلر خارج بلاده من الهبات الجليلة ماتشكره عليه الانسانية .

أما كارنيجى ، ومورجان ، وفورد ، فلمهم هبات كثيرة ولكنها كلها لتتقيف
العمال فى دائرة أعمالهم الخاصة . ويوجد غير هؤلاء الكرماء من الأمريكان
كثيرون جدا أقاموا دورا للتعليم ، والمستشفيات ، وغيرها من الاعمال الجليلة .
وليس هنا محل حصر ما للأمريكان من أعمال الخير فى بلادهم ، ولكن غرضنا
الاشارة الى ما قام به بعضهم عسى أن يكون تفكها ، أو تسليسا ، أو (تذكرة
لأعياننا) تلقى بها أريحتهم الى وطنهم ، لاسيما فى زمن يراد به تعميم التعليم
بين الاهلين .

*
* *

وبمناسبة هذه الهبات الجليلة التى قام ويقوم بها الأمريكان لبلادهم ، مما لم
نسمع به فى جهة أخرى فى عالمنا القديم ، وخصوصا فى الشرق !!! نذكر تلك
الهبة العظيمة المباركة التى تقدر (بعشرة ملايين من الجنيهات الانجليزية) والتى
وهبتها صاحبة السمو البيجوم ملكة باهوبال الهندية الى ترقية الجامعة الاسلامية فى
سنة ١٩٢٣ م جزاها الله خير الجزاء .

التعليم بالولايات المتحدة

والتعليم عندهم انما ينظرون فيه الى الغاية المقصودة منه ، وهذه الغاية تدور
حول حياة الأمريكى العملية ، التى تفتح أمامه أبواب الكسب بكل سهولة وبكل
سرعة . وهو على هذه القاعدة أبعد التعاليم عن النظريات الرياضية ، أو التحليلات
الكىماوية التى يفنى الانسان حياته بين أجهزتها للبحث عن جوهر ربما لا يصل اليه
فى طريق بحثه الطويل . وهم اذا كانوا نجحوا فى أعمالهم الصناعية التى تتوقف على
الرياضيات — وخصوصا علم الكىميا — فانما كان ذلك باستخدامهم المهندسين
والكىماويين من الالمان والسويسريين وغيرهم ، وحاجاتهم الكىماوية تردهم فى
الغالب من أوروبا وخصوصا من ألمانيا . واحتفالهم بالنظريات العلمية أقل من

احتفالهم بتكوين الشخص من جهة اخلاقه وحسن سلوكه بحيث يخرج من مدرسته وهو عضو عامل في جسم البلاد . أما تعليم الآداب والفلسفة والقانون والتاريخ فهي عندهم تكاد تكون في المرتبة الثانية ، أو الثالثة ، وهي عندهم كليات للتحلية أو التسلية .

وبالجملة فالتعليم عندهم يدور على أمور ثلاثة : الصناعة ، والزراعة ، والتجارة . والصناعة والزراعة هما عندهم آتان موصولتان الى التجارة التي عليها حياة بلادهم ، ولذلك ترى اهتمامهم بالصناعة اهتماما يفوق الوصف ، وهم الآن يهتمون بالزراعة بما لا ينقص عن اهتمامهم بالصناعة .

والتعليم الصناعي من ضرورياته شئ اسمه مصنع ، فهم يحتاجون فيه الى تصميم البناء ، ثم الى رسمه ، ثم الى إقامته ، وذلك كله مع ما يلزمه من الاقتصاد في المصاريف .

نهضت بهم هذه الفكرة الى اختراع الآلات التي تسهل العمل ، وتوفر من الزمن ، واحكموا معها فروع الأعمال بحيث أصبحت عندهم شركات خاصة بهندسة البناء ، وشركات لاقامته على الرسم المطلوب ، وشركات لنقل المواد الأولية الى مكان العمل ، وشركات لتشغيل الآلات الميكانيكية ، وشركات للمسائل الصحية ، وترى الكل يعمل في آن واحد بحيث يتم العمل في أقرب وقت وعلى أحسن نظام !!

وعليه فاللازم لذلك هي العلوم الهندسية العملية من ميكانيكية وصحية وغيرها ، ومما يدور حول ذلك من علوم طبيعية واقتصادية ، وما الى ذلك من علوم استخراج المعادن وتنقيتها من الغريب ، وعلوم النقل ، كمد السكك الحديدية . فهذه العلوم كلها تعلم عندهم بتوسع ولكن بصفة تكاد أن تكون عملية صرفة ، ليس للنظريات فيها مجال واسع ، وترى لكل علم من هذه معامل خاصة به ، غنية بالآلات التي لا تجدها في معامل أخرى بالممالك الأوربية ، فيخرج الطالب من المدرسة وقدمه (٧ رحلة)

أمضى زمنا في مزاولة العلم من طريق العمل ، عارفا بها من هذه الجهة ، ثم اذا هو تخصص بعد ذلك في شئ منها أتقنه عمليا حتى اذا تجاوز دائرة التعليم الى دائرة العمل لم يقف في طريقة شئ من العوائق . ودور التعليم العملي كثيرة جدا : فمنها ماهو للميكانيكي ، والكهربائي ، والصحي ، والمعادن ، ورسم التصميمات الآلية ، والبنائية وحتى الاشياء التي نراها نحن تافهة لها عندهم مدارس خاصة ، كعمل الساعات ، وعمل الجبن واللبن والزبدة ، وسواقة الاتوموبيل ، والمطابع ، والبناء ، والبياض والنقش ، وعندهم مدارس للعرفاء (رؤساء العمل) وليس من قيد في سن الطلبة (كما هو عندنا) خصوصا في مدارس الارياف بل ربما وصل سن الطالب الى أربعين سنة ! !

والامريكان يفتخرون بانه اذا كانت القرون الوسطى انتجت كثيرا من الكنائس الفاخرة ، فانهم في هذا الزمن أوجدوا كثيرا من دور التعليم .

وعلى كل حال فالصناعة هنا وإن كانت عملية في عمومها ، فانها مبنية على العلم ، لذلك تراها راقية من يوم الى آخر برقي العلم ، وأنت لو رأيت مصنعا ، أو معملا هنا من عشرين سنة ، وزرته اليوم ، لرأيت غيرة في الزمن السابق ، لما دخل عليه من الاصلاح والتعديل ، لا كحالته عندنا موروث عن الجدود الغابرين ، لافى ذات المصنع وحسب ، بل وفي الصناعة نفسها ! ! أنظر مثلا الى هذا المحراث الذي في يد فلاحنا — تراه هو بعينه ذلك الذي بين جدران المتحف المصرى ، رغما عما عندنا من وزارة الزراعة التي لم تعن بدراسة واصلاح حالته بحيث يكون أصلح مما هو عليه الان . ولم لاتهم الوزارة بدراسة حالة المحراث الافرنكى الذي نراه غير واف بالغرض في بلادنا لانه لم يصنع بنسبة تتمشى مع صلابة أراضينا ، وتطلب من مصانع الآلات الزراعية تكييفه بما يصلح به حاله عندنا .

ومن أهم ضروب التعليم عندهم التعليم الرياضى الجسمانى ، فان لهم به عناية خاصة ، حتى بلغ من أمر الالعب الرياضية بنيويورك أنهم طلبوا لادارتها محافظ

نيويورك ، وما أدراك ما محافظ نيويورك ؟ ؟ بمرتب مائة ألف دولار في السنة !!
أما التعليم الزراعى فمداره على المحاضرات العلمية ، وانشحليل الكيماوية ، والدروس
العملية .

أما التعليم التجارى فقوامه على الاقتصاد المالى والتجارى ، بما فى ذلك معرفة
حركة الاسواق فى العالم ، ومداره على المرونة التجارية ، ودوام الحركة ، وكثرة
الاعلان المروج للصنف لما فيه من المزايا الكبرى . والامريكان مشهورون بمبالغتهم
فى الاعلان عن بضائعهم ، حتى لقد تبلغ مصاريف الاعلانات التجارية فى الولايات
المتحدة سواء كانت فى الجرائد أو متفرقة فى نشرات خاصة بها ، أو بما تراه من
الانوار التى تجذب الانظار اليها ، أكثر من ثمانمائة مليون دولار فى السنة !!

وعليه فالتجارة هى النتيجة الوحيدة لهذه الحركة الهائلة الصناعية والزراعية مما
تجده فى هذه البلاد من أقصاها الى أقصاها . تلك هى النعمة التى تحف بها كل أنواع
السعادات ، تلك هى النعمة التى يدرسون أساليبها والاسباب التى يصلون بها الى
الغاية منها ، تلك هى النعمة التى انما هى حياة البلاد المتمدنة ، والتى انما هى الاساس
الذى ترتكز عليه الآت جميع المسائل الاقتصادية فى الأمم ، المقياس الذى
يقيسون به مبلغ الثروة والسلام فى العالم كله . وهل كانت الحرب الكبرى فى
حقيقتها إلا احدى النتائج الاقتصادية فى الدول الكبرى ؟ وهل حروب الصين الآن
إلا إحدى هذه النتائج ؟ ! ذلك أن الأمم الكبرى انما تعمل لحياتها من طريق
التجارة . وهل كان الاستعمار الا احدى آلياتها المروجة لها ؟ . إذن فالتجارة هى
محل اهتمام الدول الكبرى خاصة ، والعالم كله بصفة عامة .

أما نحن — والحمد لله — فنحن بعيدون عن ذلك : لاناريننا على احتقار
التجارة وعدم العناية بها ، وكان همناء وهم آبائنا هو شرف الخدمة فى مصالح الحكومة
وهل تنسى أبدا ذلك الأثر الخالد الذى ورثناه عن الآباء والاجداد : « إن فاتك
الميرى اتمرغ فى ترابه » !! ورؤساء الحكومة أنفسهم لم يأبهوا بهذه الناحية من

حياة الامة !! أنظر الى بعثات محمد على محي مصر — هذه البعثات التي قامت عليها حيوية البلاد في مرافقتها الهندسية ، والزراعية ، والصحية ، والحربية ، والبحرية ، وما يتبع ذلك من الصناعات المختلفة ، كعمل الاسلحة ، ومد المراكب ، وصناعة البناء ، والنسيج ، فهل كان منها شيء يختص بالتجارة .

والجواب بسيط جدا : هو لا ، ثم لا !! والسبب في ذلك أن موارد البلاد الزراعية كلها كانت تحفظ في أشوان للحكومة ، وهي تصرفها الى تجار يأتون لمشتراها من الخارج ، ليست لهم علاقة البتة بأحد من الأهالي . وعليه فاشتغال الحكومة في ذلك الوقت بالتجارة أماتها في وسطها القومي !! فلما أتى عباس الأول محاما أقامه محمد على من دور الصناعات ، فأصبحت البلاد ممتدة في صناعاتها وتجارها !! وجاء سعيد فلم يهتم إلا بجنديته التي كان يقطع معها طول البلاد من شمالها الى جنوبها ! حتى اذا جاء اسماعيل وأخذ في اصلاح البلاد في كل مرافقتها كانت التجارة بين أيدي الأجانب ، وعلى الخصوص الأروام ومن سار على نهجهم من السوريين ، وبذلك صار المصري أبعد الناس عن شيء اسمه تجارة ، بل كان يحتقرها لجهله بما فيها من مزاياها الحيوية ، وكان لفظ تاجر اذا أطلق فانه لا ينصرف الا على هؤلاء الذين كانوا يعملون في دكاكينهم الحقيرة فيما بين جامع المؤيد وباب الفتوح وما اليه من الجمالية ! وهو المركز التجاري للبلاد من يوم بنى جوهر القاهرة في منتصف القرن الرابع الهجري . وتجارهم كانت محصورة في الخلمات وما يتصل بها من مصنوعات الأستانة ، ومن تجارة الهند والشام ، كالبن والعقاقير والأدهان والفواكه الجلابة . ولا تزال هذه الأصناف في أماكنها بين أيدي المصريين ، أما ماعدا ذلك مما يستنزف مالية البلاد فهو في يد الأجانب وفي حكمهم ، واذا وجد منهم غير ذلك قليل ، على أنهم لم ينجوا من كارثة الأزمات الأخيرة التي كانت من نتائج الحرب العالمية مما قعد بغير واحد من هذه البيوتات الكبيرة التي لا يمكن أن تسعد البلاد بمثلها في زمن قريب !!

ومصانع الولايات المتحدة توجد في ولايات الشمال في الغالب لكثرة ما في أرضها من المعادن الأولية . وبناء المعامل يتم بسرعة هائلة ، لأنه يعطى مرة واحدة الى الفنيين العاملين فيه : فمن عامل في البناء ، ومن عامل في الآلات ، ومن عامل في الأبواب والشبابيك ، بحيث يتم العمل في وقت واحد ، وبسرعة هائلة . والبناء كله عادة هنا من البناء المسلح ، وهم يراعون قبل كل شئ أن يكون البناء قريبا من الطرق الحديدية أو النهرية ، حتى يسهل نقل ما يلزم من المواد التي تقوم بكيانه . وكل هذا انما يقوم بالآلات الميكانيكية المختلفة : فمن رافعة ، ومن واضعة ، ومن مثبتة ، بحيث لا ترى من الأيدي العاملة غير القليل الذي لا يتناسب في نظرك مع عظمة البناء ، لذلك ترى الصانع البسيط يتقن حركة الآلة الميكانيكية التي يشتغل عليها ولا يتطلب منه العمل بها إلا ملاحظة دقيقة في تحريكها ، وعلى هذا ترى الأيدي تعمل بسرعة تتكافأ مع سرعة الحركة الميكانيكية ، حتى لكأنك ترى العمال أنفسهم مندمجين في نفس آلات الحركة الميكانيكية العامة . وجميع الآلات تعمل بسرعة هائلة ، حتى ولو جرد ذلك الى كسرها ليغيروها بسواها أحسن وأمتن .

والبنوك تساعد على رواج الأعمال الصناعية مساعدة كبيرة ، بحيث لها الفضل في نمو الصناعات بالولايات المتحدة ، كما لها الفضل في تنمية جميع المشاريع الاقتصادية والمالية : ذلك لأنها تقدم الأموال الى أصحاب المصانع لأقامتها مادامت على ثقة من نجاح مشروعاتهم ، وحتى شركات السكك الحديدية تعرض على أصحاب المصانع أن تمد سككها الى مصانعهم مجاناً في نظير تمتعها بنقل مصنوعاتهم فيما بعد الى الجهات المصدرة اليها .

وحول المصانع ترى منازل العمال على أحسن نظام وعلى ترتيب صحي ، وترى بها ما يلزم لهم من الأندية التي يجتمعون اليها في أوقات فراغهم ، ومن المستشفيات ، والمصحات ، والملاعب ، والمنزهات ، والدكاكين ، التي بها جميع لوازمهم

الحوية ، والحمامات ، والمطاعم ، والمدارس ، والكنائس ، وكل هذا بتصميم جميل يعمل مع تصميم المعمل . بهذا وذاك كثرت المصانع وتوفرت الصناعات في أمريكا لمثانة الثقة في نجاحها !!

أما عندنا فللمشاريع التي من هذا القبيل - وإن شئت فقل جميع المشاريع المالية - لا ثقة لأحد بها ، حتى ولو أخذت نصيبها من العمل !! ذلك لأن فلسفة غالب الناس لا تخيل اليهم غير الفشل !! نعم قد يكون الفشل نصيب بعض الأعمال التي ذهبت في نشاطها الى ما وراء طبيعة العمل بحيث لم يكن للرؤية ولا للتؤدة ولا للاخلاص فيها أى نصيب ، أما اذا كانت مشاريعنا الصناعية والتجارية مبنية على العقل والحكمة ونزاهة العاملين فيها ، فليس أمامها غير النجاح ، وليس من برهان أمامنا غير بنك مصر وشركائه الصناعية والتجارية .

لقد فرغ الناس في أمريكا من التكالب على استخراج الذهب من أرض كاليفورنيا وكولورادو - لاشتغالهم باستخراج المعادن التي تقوم بها الصناعات المختلفة التي فتحت لهم أبواب الثروة على مصاريعها ، وهاهى مصنوعاتهم تنهال على أسواق العالم كله من جديد وقديم ، فمن أدوات زراعية ، الى أتوموبيلات ، الى آلات ميكانيكية وغيرها وغيرها . وقد تسمع بعض الناس يقول : إن الصناعات الألمانية أتعن وأحسن مما يماثلها من الصناعات الأمريكية ، فاذا سألناه بذلك قلنا : إن كثرة ما يعمل من الصناعات في أمريكا يملأ الأسواق - وخصوصا في الشرق الأدنى - وهلا ترى سياسة الولايات المتحدة في الصين مبنية على مظاهر الرحمة والأشفاق حتى تستميلها اليها وتفتح أبوابها لتجاراتها وصناعاتها !! كما قفلته في وجه الصناعات والتجارات الانكليزية !! وبالجملة فقد كانت الصناعة الأمريكية قبل الحرب في الدرجة الرابعة أعنى بعد انكترا والمانيا . أما الآن فهي في مقدمة الجميع !!

ولقد نهضت مصر في هذه الآونة الأخيرة في بعض الأعمال الصناعية ،

وقد قام بنك مصر أخيراً بعمل جليل هو مشروع (مصنع الغزل والنسيج) فهل لحكومتنا أن تساعد تلك المساعدة التي تضمن نجاحه الذي يكون نواة لمجدها الصناعي بل والزراعي، لانه يخفف ضغط الاسواق الاجنبية على القطن الذي هو ثروة البلاد؟ ذلك ما نرجوه منها إن شاء الله .

وفي الولايات المتحدة شركات للسوكرتاه على المباني ضد الحريق، وخصوصاً على المصانع . ومن أكبر هذه الشركات شركة اسمها « اركرايت » والغرض من شركات السوكرتاه هنا ليس فقط ضمان قيمة الأشياء المحروقة، بل الغرض منها عمل كل ما يلزم لمنع الحريق، أو للوقوف في طريقه بمجرد شوب النيران . وذلك في نظير أجر بسيط يتراوح بين أربعة الى أربعين، من الريال في كل مائة ريال سنوياً . وللشركة المذكورة معمل كبير فيه مكتب بولاية بروكس به عدد عظيم من المهندسين والكياويين والطبيعيين الذين يعملون ليل نهار في دراسة كل مامن شأنه محاربة النيران !! وقد وضعوا رسوماً مخصوصة للمصانع بحيث يمكن معها وضع تلك الأجهزة التي تتخلل جوها لتقيها من النيران بمجرد شوبها بطريقة أوتوماتيكية (عملية) : ذلك أنهم يضعون في أعلا المصنع صهريجاً كبيراً مملوءاً بالماء على الدوام، وتنزل منه مواسير الى كل جهة من سماء المصنع، وهي تتصل من جهة أخرى بجهاز كهربائي يسمونه « اسبر نكلر » : وهو عبارة عن زجاجة عظيمة مملوءة بمادة كيمياوية اذا أحست بحرارة نار بسيطة انفجرت، هنالك تنفتح أفواه ميازيب الماء من كل جهة فينزل على شبه مطر شديد يطرد الهواء من جو المصنع، فتخمد أنفاس النيران في الحال . وفي الوقت نفسه تنفتح أبواب كثيرة من جدر المصنع بحال أوتوماتيكية فيخرج العمال كل من الباب الخاص به من غير هرج ولا مرج، حتى إذا أطفئت النيران وقف نزول المطر، وابتلعت الأرض ماءها، ورجعت الأبواب الى أماكنها، وعادت العمال الى عملها، وكأنه لم يكن شيء غير عادي ذهلت له النفوس، وارتاعت من هوله القلوب !!

وقد تتغلب النيران لوقوف شئ من هذه الاجهزة عن عمله لائى سبب من الاسباب الغير المنتظرة . وماهى الا أسابيع بعدد أصابع اليد حتى يرجع المصنع الى أحسن مما كان عليه ، بواسطة احد المقاولين الذى يتعهد باقامته على نظام جديد فى مدة لا تزيد عن شهر ونصف أو شهرين على الاكثر !! يستأنف بعدها المصنع عمله حتى لكأنه كان فى اجازة يرتاح فيها بضعة أيام من عمله !!

النقابات فى الولايات المتحدة

الشركات التجارية التى من نوع واحد ، تجمعها نقابة عامة لتنظيم مسألة البيع والشراء من غير أن يكون هناك احتكار يؤدى الى التنافس الذى لا تحمد نتائجه . وهذه النقابات قوانين تمنع الشركات من التصرف فى تحديد الاسعار بما يكون من ورائه الاضرار بالافراد ، اللهم إلا فى البضائع المصدرة الى الخارج .

أما النقابات الزراعية ، فلكل طائفة من المزارعين نقابة تشتري لهم كل مايلزمهم من الآلات والسماد والبذور . وهذه النقابات تبيع لهم محاصيلهم مع عدم الدخول فى منافسات مع نقابات أخرى قد تكون سببا فى نزول الاسعار . وهناك نقابة للغلال فى شيكاغو تكاد يكون لها فرع فى كل مدينة من مدن الولايات المتحدة ، ومن شأنها ابداء النصائح للمزارعين بما يزيد فى غلاتهم ويحفظها من عبث الرطوبة وغيرها من الحشرات الفتاكة وما فى معنى ذلك ، حتى اذا تسلمتها النقابة من الزراع علمت كل مجهودها فى الوقوف على السعر الحالى فى جميع بلاد العالم بالتلغراف ، وتصرف ما عندها من البضائع بحال تضمن مصلحة المشترين فيها . ولكل صنف من الاصناف الزراعية نقابة خاصة به لبيعه لحساب أربابه . ويوجد بالولايات المتحدة أكثر من ١٢ ألف نقابة زراعية !!!

أما ما يتعلق بالفلاح من الوجهة المالية ، فوزارة الزراعة قد قامت بإيجاد بنوك كثيرة فى جميع المناطق الزراعية لتسليف الفلاحين مايلزمهم بما لا يزيد عن ٥ فى

المائة حتى تمنعهم من بيع محاصيلهم في أوقات لا يكون فيها السعر في مصلحتهم .
ولو كانت حكومتنا حين قررت وقت الازمة القطنية في الربيع الماضي مبلغ
الأربعة ملايين من الجنيهات لتسليفها للفلاح حتى يحتفظ بقطنه ولا يبيعه بذلك الثمن
البخس ، فتمتحت به لصغار الفلاحين بنكا زراعيا له فرع بسيط في كل مديرية يكون
مدار التسليف فيه بمقتضى استمارة من صراف القرية ، بحيث لا تزيد فائدة سلفياته
عن خمسة في المائة في السنة ، لكان هذا البذك من أكبر النعم على الفلاحين ،
وكان بطبيعته في زمن قريب نواة لبنك أكبر يغذى النقابات الزراعية التي نجد بلادنا
في حاجة كبيرة إليها ، وهي مما تهمله حكومتنا إهمالا جديا .

ومن أهم ما قامت به وزارة الزراعة بالولايات المتحدة ، شئ اسمه الاقتصاد المنزلى
للفلاحين ، وهو ما يضمن راحتهم ورفاهتهم ويحفظهم من عبث صغار التجار ، ويدخل
في هذا القسم تدبير كل ما يلزم للفلاح من رسم لداره ، وأثاث لمنزله ، وآلات لزراعته
وملابس له ولعائلته .

وهذه الوزارة تهتم بصفة عامة بحالة الفلاح حتى في حياته المنزلية فهي تديع
فيهم نشرات سهلة بلغة يفهمونها تشرح لهم فيها كل جديد نافع من الاساليب
وترشدا أمهات العائلات الى تدبيرها المنزلى ، ثم الى التربة العائلية الريفية وما يزيد
في رابطتها وسعادتها ، وما يتبع ذلك من ثقافة الأطفال بما يتناسب مع الوسط الذى
يعيشون ويعملون فيه ، وذلك بواسطة المحاضرات الشيقة التى تربى فيهم روح
الفضائل ، مع الابتعاد عن الرذائل . وكثيرا مايكون ذلك كله بواسطة الصور
المتحركة التى تشرح لهم مختلف العمليات الزراعية وما إليها من انتقاء البذور ،
ومعالجة أمراض النباتات والعناية بالاسبخة ، وتربية الماشية والنحل والطيور الداجنة ،
مع ماوصل اليه الاختراع من الآلات الزراعية الجديدة . وعند الوزارة من هذه
الاشربة المختلفة أكثر من الفين شريط قد تصل لغتها الصامتة الى غور بعيد من
قلوب النظارة بما لم تصل اليه بلاغة الخطباء والمحاضرين .

ومن أعمال الوزارة المهمة اذاعتها كل يوم بالراديو اثمان المحاصيل - والمحزون منها - وحالة الجو - في جميع جهات العالم : لذلك تجد سواد الفلاحين عند كل منهم آلة راديو في بيته ليكون على الدوام على علم من أخبار العالم الزراعية ، وغير الزراعية ، مع مايزيد في سروره وغبطة عائلته بما يسمعه من نغمات الموسيقى والاغنية ، والمحاضرات ، والخطب ، سواء في أمريكا أو في غيرها . وتشر الوزارة في أول كل سنة ما يهيم الزراع من أنواع الزراعة الجديدة ليعمل كل حسابه كما أن شركات التعاون تعمل حسابها هي الأخرى من جهة تصريف المحاصيل التي تدخل الى عهدها ، وتنصح هذه الشركات أيضا زبائنهم - في حينه - بحاجة السوق الى الاقلال أو الاكثار من كل صنف من الاصناف .

لا كما هو الحال عندنا من تردد الوزارة كل سنة في أمر واحد هو اطلاق زراعة القطن أو تحديدها بالثلث ! ولا تزال في تردد هذا ، والزراع أيضا في اضطرابهم لعدم معرفتهم بالترتيب الذي يجب أن يكون عليه زراعتهم الشتوية والصيفية ، وقد يصدر أمر الوزارة بضرورة زراعة الثلث ، بعد أن يكون المزارع رتب زراعته الشتوية على فكرة الاطلاق ، وهناك يضطر الى تبوير الأرض التي زادت من ترتيب القطن عن الثلث ، وهناك تكون الطامة الكبرى ، خصوصا اذا اضفت ذلك الى رخص الأسعار ، وفداحة أجر العمال في هذه السنين .

والوزارة بالولايات المتحدة تسهر على تنفيذ جميع القوانين التي يسنها البرلمان لحماية الزراع .

وفي واشنطن أكثر من مائة وخمسين ممثلا لنقابات وشركات مختلفة ، ولهم اجتماعات يقررون فيها سياستهم الزراعية ، أو الصناعية ، لها أثرها في البرلمان وفي الجرائد والبنوك ، بل لها أثرها على نفس الحكومة في كل ما كان له علاقة بهؤلاء الذين يمثلونهم .

أما العمال فحسبهم قانون تير حافظا لحقوقهم ، ولهم أيضا نقابات تعمل لمصلحتهم

وخصوصا فيما يختص بلوازمهم المنزلية . وأما التجار فلهم غرفهم التي لا حصر لها ، ولهذه الغرف أعضاء في كل جهات المسكونة ، ولهذه الغرف إرشاداتها المستمرة للشركات التي لها ارتباط بها يساعدوها على تعرف حالة الأسواق في أنحاء العالم ، وهذا وحده السر في نهوضها بسرعة تكاد تتجاوز حد المعقول . وقد تسقط في أمريكا شركات ، وتقوم على أقاضها شركات أخرى بسبب المخاطرة التي تدخل في حدود المقامرة ، ولكن هذا أصبح شيئا عاديا في أمريكا بحيث لا تنزعج منه أعصاب الأسواق ، ولا يكاد يلتفت إليها نظر الأفراد .

وليست كارثة وول استريت في هذه السنة ، والتي نشأ عنها خراب مئات من البيوت المالية الكبرى بأمريكا وغـيرها ، بل شملت ازمتها المالية العالم من أقصاه الى أقصاه - الاحالة فذة لم تقو على وقف تيارها عقلية البلاد الاقتصادية . خسرت فيها أمريكا وحدها أكثر من عشرين ألف مليون من الجنيهات !! ولولا حزم رئيس الاتحاد وتدخله في الأمر بنصائح وبنفوذ كانت الخسائر أضعاف ذلك .

— التربة الزراعية —

يظهر أن أقدم الدول اشتغالا بالتربة الزراعية هي انكلترا ، لأن بها أقدم مصلحة تشغل بالتربة ، ورئيسها الآن هو السير جون رسل منذ أكثر من ثلاثين سنة .

أما في الولايات المتحدة فمصلحة التربة تعمل من خمس وعشرين سنة متتبعة روح الجملة التاريخية التي أرسل بها الرئيس الأول جورج واشنطنون الى المؤتمر الأول الذي أقيم سنة ١٧٩٦ وهي : « بقدر الزيادة التي تحصل في الأمم بقدر ماتكون العناية بالتربة الزراعية في الأمة جميعها » .

وقد ساعد على تقرير هذه الفكرة تشكيل وزارة زراعية في انكلترا سنة ١٧٩٣ . ولم يكن واشنطنون يهتم برفعة بلاده سياسيا واقتصاديا وحريا ، بل كان

اهتمامه موجهاً مع ذلك الى ترقية الأراضى الضعيفة لتساعد بخصوصيتها يوماً من الأيام على سعادة الفلاح ، إلا أن القوم لم يبدؤا بعمل تجارب علمية زراعية إلا فى سنة ١٨٣٩ .

وفى سنة ١٨٤٩ تكونت مصلحة الزراعة بالولايات ، وفى سنة ١٨٥٢ تشكلت الجمعية الزراعية بها ، وغرضها الوحيد ترقية المسائل الزراعية بأراضى الجمهورية المتحدة .

وكانت هذه الجمعية نواة لتكوين وزارة للزراعة ، صدر أمر الرئيس لنكون بإنشائها سنة ١٨٦٠ . وفى هذه السنة انشئت أول مدرسة زراعية . وفى سنة ١٨٩١ أنشؤا قسماً للتغيرات الزمنية وألحقوه بوزارة الزراعة ، ثم أنشؤا بها إدارة للتربية وهذه الادارة صارت مستقلة بنفسها فى سنة ١٩٠١ .

ومن هذا الوقت أخذوا يبحثون عن التربة الصالحة لزراعة الدخان ، والصالحة للقطن ، وللذرة ، وللقمح ، ولغير ذلك . وكانت النتيجة تقدم الشؤون الزراعية فى عمومها . وذلك بتقسيمها الأراضى الزراعية الى جملة مناطق فى دائرة تبلغ مساحتها ١٢٨٠٠٠٠ ميل مربع : وهو يساوى ٤٣ من ١٠٠ من أراضى الولايات المتحدة .

ومن جهة أخرى فإن مصلحة التربة حلت الأراضى الملحية وعرفت كيف تستفيد منها . وبالجمله فقد توصلت الى تحليل الأراضى وترتيبها بحسب درجة طبقاتها المتداخلة بعضها فى بعض (سداة الأرض ولحمتها) ، وتوصلت من ذلك الى تعيين كل نوع من أنواع الأرض وصلاحيته لإنتاج أى نوع من الزراعات المختلفة . وقد توصلت الى استخراج البوتاسا من الهباب الذى يتطاير من مداخن المصانع بحيث تحصلت منه على مائة الف طن استفادت منه فى زراعتها . وقد توصلت الى عمل حمض الفوسفوريك من الحجر والصخور ، واستعملته ضمن الأسمحة الزراعية . وهى الآن تدرس طبيعة التربة وترسم لها خريطات مختلفة ، وتدرس المسائل الأزوتية

بصفة عامة ، والتجارب التى تهتم بها الآن هى : البحث عن الأزوت الموجود فى الجو على هيئة نواشدر لاستعماله فى تسبيخ أراضيها .

* *

وهنا نقول : إن الزيادة فى القطر المصرى فى كل عشر سنوات تبلغ ثلاثة وثلاثين فى المائة من عدد السكان ، وإذا كانت محاصيل البلاد الآن غير كافية لتموين أهالى القطر ، مع أنه قطر زراعى ، فكيف تكون حالته بعد خمسين سنة ؟ نحن يأتينا سنويا مقدار جسيم من القمح والدقيق والذرة من روسيا ورومانيا ، والسيلى والأرجنتين وأستراليا ، فهل لو قفل فى وجهنا باب تصدير ما فضل من حاجة هذه البلاد يمكننا أن نعيش فى قطرنا الزراعى ؟ !! عندنا ملايين من الأقدنة التى لا تزرع الآن فى مديريات الوجه البحرى ، وعلى الخصوص فى مديرية الشرقية والغربية ، والبحيرة مع أنها كانت هى التى تمون مصر فى زمنها القديم ، فقد كان المصريون قبل المسيح بعشرين قرنا يزرعون وادى غسان ، فما باله الآن فى أغلب جهاته صحراء جرداء ؟ ؟ وكان العرب بعد الفتح يزرعون المنطقة التى من مدينة القرنة (اطلالها قرب القنطرة شرقى القنال) الى دمياط ، وكانت هذه المنطقة عامرة بالقرى والمدن الصناعية ، وكانوا يسمونها بستان مصر لكثرة خيراتها ، وغزارة فواكهها ، فما بالها الآن كراس الأصلع فى نباتها وسكانها ؟ ! وكان الرومان يزرعون المنطقة التى فى جهة مريوط ، وكان فيها من الكروم ما كانوا يدفعون خراج مصر من نيندها الى رومه ، فما بالها اتصلت بالصحراء الغربية لا ترى فيها غير بحر بلما (بحر بلا ماء وهو من فروع النيل القديمة الذى كان يصب جهة الاسكندرية فى البحر الأبيض المتوسط) ؟ نحن ولا شك نسير القهقرى فى محاصيلنا لجملة أسباب - : أولها : ضعف التربة لتوالى زراعة القطن فيها - ثم اصابتها جميعها بهذه الأمراض المختلفة التى أخذت تفتك بها من ربع قرن تقريبا !! وليس من اهتمام جدى من وزارة الزراعة .

أبتدأنا في أعمالنا الزراعية بالجمعية الزراعية ، فكان لها نعم الأثر مدة ربع قرن وخصوصا في زمن المرحوم المبرور الامير (السلطان) حسين ، ثم أتت مصلحة الزراعة ، ثم وزارة الزراعة ، فما الذي اكتسبناه من المعلومات الزراعية في مدتهما ؟ هل أمكننا أن نجد دواء لشي من أمراض النباتات وأشجار الفاكهة ؟ ما الذي عمله القسم الذي يسمونه بكتريولوجي ؟ إنه يسمى لنا أمراضا ، ويرسم لنا اشكال ميكروبات ، ولكن من غير أن يصف لنا الدواء !! وما الفائدة من ذلك ؟ إن المسائل الكيماوية ليست عندنا إلا قشور لا تسمن ولا تغني من جوع !!! نرسل الطلبة للتخصيص في العلوم العالية الى أوروبا فيمضون بها سنة أو سنتين ، وبعد عودتهم نرى فيهم الكفاية — فهل هذا صحيح ؟ انا أفكر ان التخصيص إنما هو لمن نضج من الاشخاص الذين زاولوا مهنتهم في البلاد زمننا ، حتى اذا ذهبوا الى أوروبا أو الى أمريكا شعروا قبل كل شيء بالمسؤولية التي عليهم فيشملون عن ساعد الجدة ، ويعملون لبلادهم ولا أنفسهم . لقد كان محمد علي حين عزم على إرسال إرساليات علمية ، إنما أرسل من نضج في عمله وثبت في أخلاقه : وهؤلاء هم الذين خدموا البلاد بعد عودتهم بعلمهم وبمؤلفاتهم ، وقلوها من حالة ظلام حالك الى النور الذي ارشدنا الى طريق حضارتنا ومدنيتنا الحاليتين : وحيث أنا ننكلم في المسألة الزراعية والكيماوية ، فعندنا كتاب الزراعة لندا ، ومادة الرشيدى في الكيما ، منهلين عذيين نستمدهما الى الآن كل مانحن في حاجة اليه من هذين العلمين الجليلين أليس كذلك ؟

— مؤتمر التربة الزراعية —

تنسب فكرة اقامة مؤتمر للتربة الزراعية الى عالم روسى هو الدكتور چلنكا ، وقد كان لاجتماعه بعلماء التربة في أوروبا قبل الحرب ، أن تقرر أجماع أول مؤتمر لها في بطرسبورج سنة ١٩١٣ . ولكن استعداد الدول للحرب العالمية وقف في وجه

هذا المؤتمر . وفي سنة ١٩٢٤ اجتمع الدكتور جلنكا مع بعض علماء التربة في المعهد الزراعي الدولي بإيطاليا وجدد الكلام معهم في أمر المؤتمر ، فقرروا اجتماع المؤتمر في سنة ١٩٢٧ بمدينة واشنطن . وانتخب الدكتور ليپان مدير جامعة نيوبرونسويك ، ورئيس محطه التجارب بهارئيسا له . وقد قرر مجلس النواب الامريكى دعوة دول العالم اليه - فلبى الدعوة جميع الدول ماعدا ، تركيا ، والصين . وحضر اليه بصفة رسمية في أوائل يونيه الماضى ٧٦ مندوبا عن هذه الدول ، كما حضر لهذا الخصوص على مصاريفهم مئات من علماء أوروبا وغيرها ،

- افتتاح المؤتمر الدولى الاول لعلم التربة -

في صباح يوم ١٣ من شهر يونيه سنة ١٩٢٧ ذهبنا الى مقر الغرفة التجارية بواشنطن ، ولا أدري كيف نسميها غرفة وهى بناء ضخم ، فيه عشرات من الغرف الواسعة الجامعة بين فخر الاثاث ، وكثرة العاملين ؟ فقيدنا اسمنا وبلادنا ومحل أقامتنا هنا ، ودفعنا لذلك رسما قدره ريالان لمن يريد قيد اسمه ، وحسب ، وخمسة ريالات لمن يريد أن ترسل اليه الغرفة بجميع مذكراتها وقراراتها من أعمال المؤتمر الى محل أقامته . وقد أعطونا كراسية صغيرة فيها جملة شيكات ، منها ماهو للعشاء ، ومنها ماهو للشاي ، ومنها ماهو للفسحة ، وهذا كله بثمان اسمى اخذوه منا . ومع هذه الكراسية دعوة رسمية من وزير الزراعة يدعوننا فيها الى العشاء في يوم ١٥ من شهر يونيه كما سلموا الكل عضو مدالية المؤتمر .

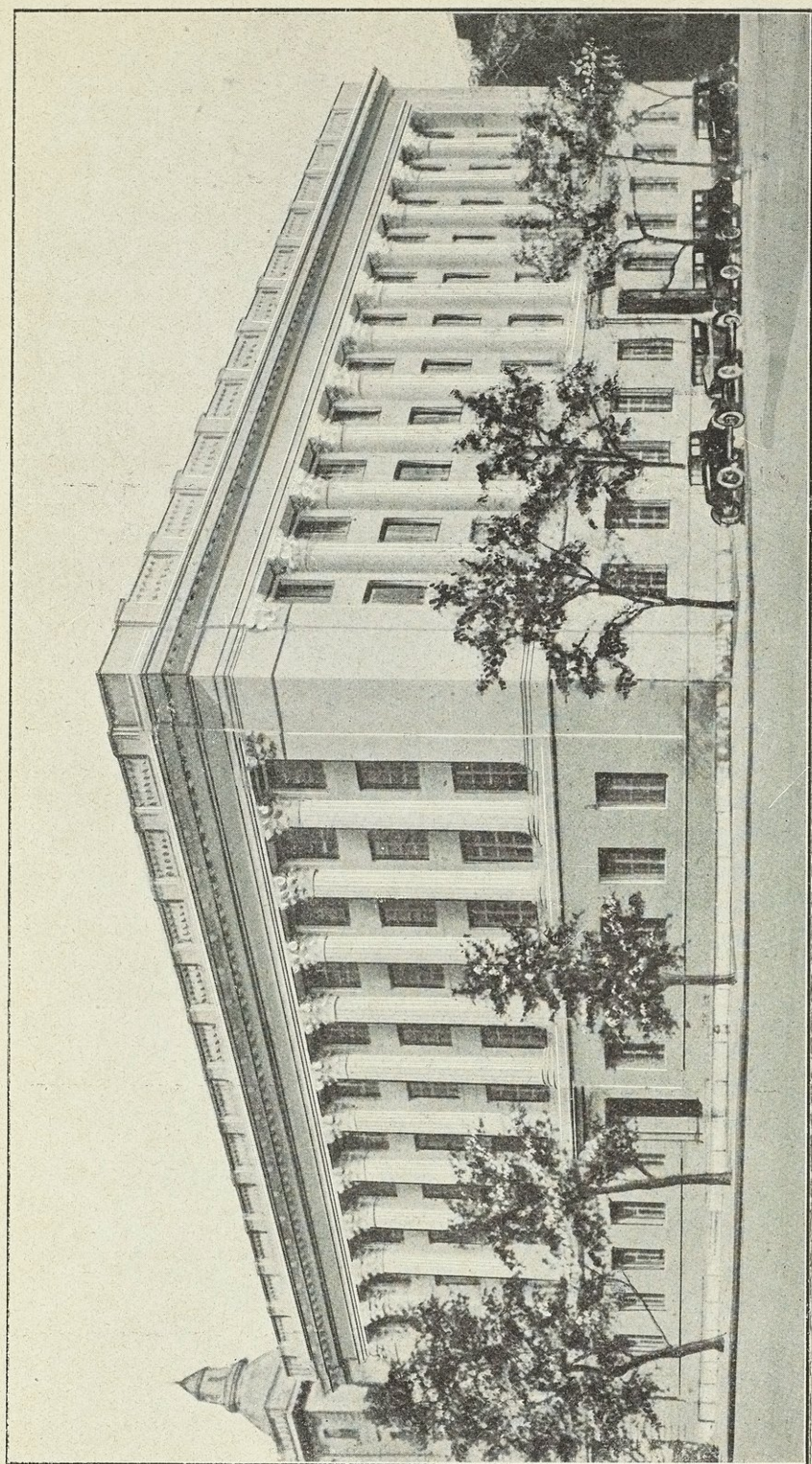
وفي الساعة الثانية بعد الظهر من هذا اليوم قصدنا الغرفة التجارية ، وصفقنا جملة صفوف على شبه نصف دائرة في حوش قصر الغرفة لآخذ صورتنا ، وبعد انتظامنا كل في مكانه حضر جناب المستر كوليدج رئيس الولايات المتحدة في أبهة وداعته ، وعظمة ديموقراطيته ، ووقف في منتصف القوس الاول ، ومن ورائه ضابطان هما ياورانه ، وبجواره الدكتور ليپان رئيس المؤتمر .

وبعد أخذ الصورة سرنا الى قاعة الاجتماعات ، وهي قاعة واسعة بها جملة
مئات من الكراسى الثابتة ، وبعد أن أخذ كل مكانه دخل الرئيس كوليدج الى منصة
الخطابة ، ومن دونه ياوراه وجناب الدكتور ليمان الذى رأس الجلسة ، وقدم
الخطيب الى الحاضرين ، وهل تخفى الشمس ؟ ؟ ؟

وهنا أخذ رئيس البلاد يتلو خطابته فى عظمة ، ودعة ، وتودة ، وبلاغة ،
وفصاحة : فلا لثمة ، ولا تتممة ، بل كانت خطابته أشبه شئ بمحاضرة لفظاحل
هؤلاء الطلبة الذين أتوا من شرق المعمورة وغربها — وكانت طبعاً دائرة حول
التربة وتاريخها فى الولايات المتحدة ، وشكر الاعضاء على قبولهم دعوة بلاده الى هذا
المؤتمر ، وبعد الخطابة قام الدكتور ليمان وشكره بكلمات بسيطة ، انصرف بعدها
الرئيس مع ياوريه ، فودعه الدكتور ليمان (وحده) الى باب غرفة الاجتماع !!
عاد الدكتور ليمان الى كرسي الرئاسة وقال انه لا يذكر أسماء الذين حضروا
للمؤتمر بصفة رسمية وطلب من كل كلمة ، وهنا أخذ يذكر اسم مندوب كل دولة
فيقوم ويقول كلمته ، ولما أتى دور مندوبنا قام حضرة المرجوم الاستاذ محمود بك
أبازة وقال كلمات طيبات كانت كلها رجاء وآمال فى نفع بلاده من نتائج هذا
المؤتمر . وانتهينا من هذه الجلسة فى الساعة الرابعة ، فدعينا الى قاعة الشاي ثم
انصرفنا وكلنا فى غبطة بما رأينا من عظمة وآداب وكرم . وكانت فى دائرة حوش
الغرفة صناديق مستطيلة من الزجاج طولها متران فى عرض نصف متر فيها أنواع
التربة الموجودة فى الولايات وهى التى عملوا عليها ابحاثهم ويجوارها بعض التربة لبلاد
أخرى ثم رسوم لتربات مختلفة من جهات كثيرة .

وفى اليوم التالى ابتدأت جلسات المؤتمر للمباحث العلمية .

ولما كانت هذه المباحث فنية صرفة . وكان جلها بلغات لأفهمها : لأن الروسى
يتكلم بلغته والامانى بلغته والاسبانى بلغته والانكليزى بلغته ، كان هذا مثبطاً
لى فى استمرارى على حضور أغلب الجلسات . وعلى كل حال فقد قسموا الاعضاء



الغرفة التجارية واشنطن ص — ١١٢

الى ستة أقسام وفقاً للتقسيم العلمى لتربة الارض ، وعلى حسب استعداد كل عضو وتخصصه فى العلم الذى يميل اليه. وقد أخذت هذا التقسيم من صديقى المرحوم الاستاذ أباطه بك الذى كان يواظب كل المواظبة على حضور جلسات المؤتمر جميعها — وهو:

القسم الاول

الابحاث المتعلقة بالتحليل الطبيعى والميكانيكى للتربة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولاً تحضير النبات للفحص الميكانيكى ، ثانياً تقسيم التربة للتحليل الميكانيكى ، ثالثاً أوفق الآلات للتحليل الميكانيكى ، رابعاً الخواص الطبيعية للتربة .

القسم الثانى

الابحاث المتعلقة بكميائية التربة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولاً المواد العضوية والنيتروجينية فى التربة ، ثانياً التحويلات السكياوية فى العناصر المترتبة منها التربة .

القسم الثالث

الابحاث المتعلقة بعمل البكتريا فى التربة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولاً بكتريا التآزت ، ثانياً أعمال الفطر ، ثالثاً تثبيت الأزوت فى التربة ، رابعاً المواد العضوية والتربة ، خامساً المواد المعدنية والتربة .

القسم الرابع

الابحاث المتعلقة بتغذية التربة ، والابحاث التى نوقشت فيها هى : أولاً تجارب التغذية فى الحقل ، ثانياً تجارب التغذية فى القصارى ، ثالثاً تجارب الانبات ، رابعاً تأثير مواد التغذية بالنبات ، خامساً تأثير زراعة التربة على محصول الفدان ، وعلى مقدار ارتفاع النبات بالماء والهواء .

القسم الخامس

تقسيم التربة الى فصائل ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولاً أوفق الطرق (٨ رحلة)

للتقسيم ، ثانيا الطرق المستعملة في امريكا وروسيا .

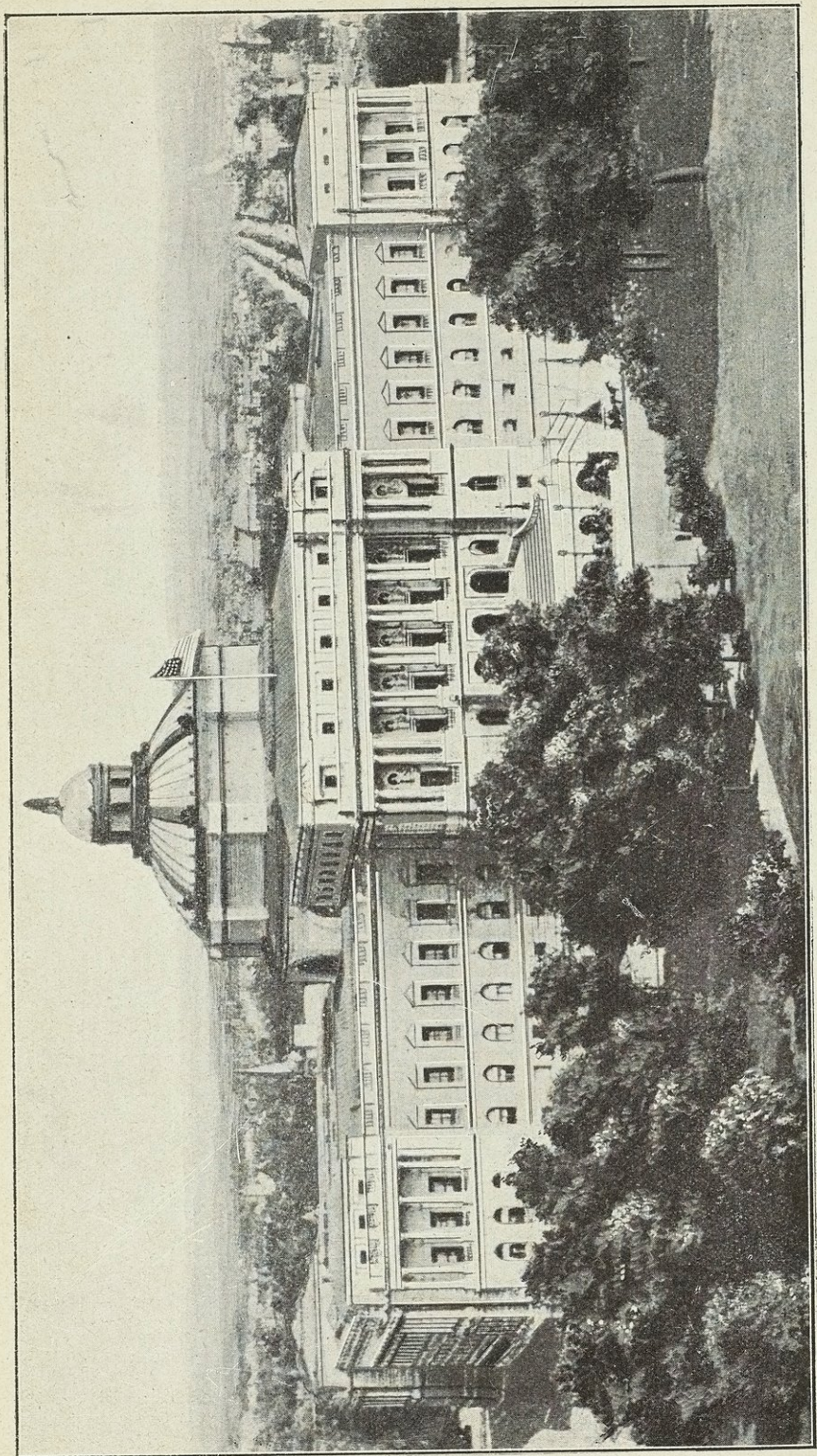
القسم السادس

تطبيق علم التربة على الزراعة ، والابحاث التي نوقشت فيه هي : أولا علاقة الري بعلم التربة ، ثانيا الري في بعض جهات امريكا ، ثالثا الصرف في الاراضي المهدنية .

* *

وكانت جلسات هذه اللجان تنعقد قبل الظهر وبعده من يوم ١٤ الى يوم ٢٢ يونيه ، وقد حضرت فيها جملة خطب . وإني وإن كنت لم أفهم منها شيئا له قيمة ، لانها كانت بلغات أجنبية تترجم بعدها الى اللغة الانكليزية ، وبلغة غير عادية لانها لغة علمية صرفة ، ولكنني عرفت على الاقل شيئا من آداب الخطابة والخطباء (والمخطوبين) : فقد كنت لا تسمع غير صوت الخطيب ولا تنظر غير حركات الأذان والعيون في اتجاهها الى مصعد كلماته ، نعم انهم يشربون الدخان في هذه القاعة ، وربما كان ذلك من كمال الحرية التي يريد الامريكانى ألا يحرم نفسه منها مادامت لا تضر بالآخرين في نظره . وعلى كل حال فقد كنت أرى السحنة الالمانية أكثر الناس اهتماما لهذه الخطابات ، ويكادون لا تفوتهم منها فائتة ، ذلك لانهم من العلم بمكان يريد كل منهم أن يتعرفه ، ومن بعدهم الروسيون وإن كانوا هم الذين يرجع اليهم في كثير من الأمور الخاصة بعلم التربة .

وصلت لنا دعوة رسمية من وزير الزراعة في الساعة التاسعة من مساء الثلاثاء ١٤ يونيه بمكان عصبة الأمم الامريكية ، فقصدنا هذا المكان بملابس السهرة فوجدناه على منتهى مايكون من الفخامة ، وبنائوه جميعه من كتل الرخام الأبيض الكبيرة ، ولما صعدنا سلمه وجدنا على باب بهوه الكبير الدكتور ليمان ووزير الزراعة وزوجته يستقبلون المدعوين ، فقدمنا اليهم الدكتور ليمان ، وبعد السلام دخلنا الى هذا البهو وفيه من المدعوين أعضاء المؤتمر ، وجميع الهيئات السياسية ، وغيرهم من الوزراء وأعظم البلاد . وكانت الموسيقى تشف الاذان بنغماها الشجية



ثم دار الرقص حينئذ . وقد قابلنا هناك حضرة صاحب السعادة الوزير المصرى المفوض ، وكان فى أوائل المدعوين الى المقصف فدعانا معه ، وبعد أخذ ماتيسر من المرطبات دار معنا يرينا مافى بعض صالات هذا البناء الفخم من صناعات الدول الامريكية الدقيقة ، وطيورها المصيرة ، ومعادنها . وبعد برهة تركنا المكان شاكرين لاصحاب الدعوة كرمهم وأدبهم .

ومن فحامة هذا المكان ، بل ومن مجرد اسمه تعلم مقدار الرابطة بين دول امريكا المستقلة عن الولايات المتحدة (ماعدا كندا التى هى ضمن الاتحاد البريطانى) واتها داخله ضمنا فى شبه اتحاد يعزز مركزها بما يجعله كمرين الاسد فى نظر عدوهم ، ومن جهة أخرى فانه يسهل بينهم جميع الروابط التجارية والصناعية . ولو كنا فى الشرق من أربعمائة سنة مضت عرفنا معنى لهذا الاتحاد أيام كانت الدولة العلية ومصر والعجم فى عزتها وقوتها - لما كان تيسر للسلطان سليم العثمانى (بعشمة) القضاء على قوة العجم ، وعلى استقلال مصر ، بما أصبح به الشرق كله من هذا التاريخ ضعيفا تتنازعه أيدى دول الغرب الى الآن . ولكن من لنا بشئ اسمه اتحاد وهو يكاد لا يوجد حتى بين جدران بيت واحد عندنا !!

احترام الثروة فى الولايات المتحدة

إذا كان للثروة من احترام فى أمريكا فلغاية التى تبحث عنها ، فالرجل الأمريكى إذا وصل بمجده ونشاطه وسهره وهمته الى ثروة واسعة ، فالناس لا يستشعرون بهذه الثروة إلا اذا كان لهم من عمله نصيب . انظر مثلا الى فورد وهو أغنى رجل اليوم فى أمريكا ، وإن شئت فقل فى العالم - وصل هذا الرجل الى هذه الثروة الضخمة بمجده ، فكان خزينة مال طويلة عريضة لا ينضب معينها ، ولا تفنى كميتها !! ولكنه لم يصل الى مجده من عمله إلا بتلك النتائج الهائلة التى نشأت عنه ، فانه بسهولة اختراعه ، وتقاهة ثمن عرباته ، قد خفف على الناس الانتفاع بها حتى تكاد لا ترى

بيتا واحدا في الولايات المتحدة ليست فيه عربة من عربات فورد ، تنقل أصحابها الى عملهم صباحا ، وتأتي بهم الى مقرهم ليلا ! ! ! ولم كان لاذاعة اختراعه ونشره في جميع الآفاق من فضل على عماله الذين لا يقلون عن مائة وخمسين الف عامل ، بقطع النظر عما يلزمه من الآلات الأولية ، من حديد ، ونحاس ، وزهر ، ونيكل ، وجلد ، وكوتشوك ، وخشب ، وبويات ، تلك الادوات التي يشتغل في استخراجها مئات الالوف من العمال . فالرجل اذا رب نعمة مالا يقل عن مليوني نفس ! ! ! يشتغلون فيما يلزم لاعماله الواسعة ، وهذه منفعة لا يمكن لانسان انكارها ، وخدمة للانسانية لا يستطيع احد كفرانها . على أن أعمال الرجل لم تقف عند حد مزية الانتاج ، بل ترى اهتمامه بعالمه وصل به الى أن بنى لهم بجوار فبريقاته قرى جمعت كل مظاهر الحضارة ، فاذا وصلت الى مدينة (ديترويت) ، وهي التي فيها مصانع فورد ، ترى مدينة العمال وقد بدت لك مساكنها متمتعة بجميع أسباب الراحة والصحة ، فن صالون قد حوى أدوات الزينة والراحة حتى البيانو ، الى قاعة للسفرة ، الى قاعة للرياضة البدنية ، الى حمام والى مطبخ ! ! وهل يريد العامل نعمة أكثر من هذا ؟ وهو اذا رجع من عمله تعباً يجد ما يذهب بهذا التعب من أسباب الراحة المختلفة . ترى بجوار هذه الخصوصيات كنيسة للصلاة ، ومكتبة للمطالعة ، وبستانا كبيرا لنزهة العمال وذويهم ، وأمكنة للمسابقة الرياضية لاولادهم ، ومدارس ، ومستشفيات ، وقيادات ، وسينماوغرافات ، لاتسمع فيها ولا ترى إلا كل ما يرقى العامل في اخلاقه وعبقريته ! ! وقد تطهرت من تلك الاقوال التي تنزل بالنفوس الى الخسيف الاخلاقي ، وخلصت من تلك المناظر التي تعلم السذج جميع أساليب الفحش والسرقة والغش والخداع و . . . الخ . مما يجعله من شر خلق الله على الانسانية . وقد اشتهر فورد بهذه الاعمال التي يرقى بها بحالة عامة مجموعة لا يستهان بها من بنى الانسان ، وإن لم يشتهر كغيره بشئ من تلك الهبات الجسيمة التي يخصصونها لعمل من الاعمال العامة التي تعود على الانسان بالخير والبركة .

أما رو كفلر مع أنه لم يعلم عنه أنه مد يده بقرش واحد لفقير أو بائس ، فقد اشتهر بهباته وتبرعاته الهائلة التي يذكرها له التاريخ بعبارات التمجيد والتخليد ، وله في كل يوم آية ناصعة من البر والاحسان تذكر فتشكر .

انظر الى ذلك القصر الفخم الذي وهبه أخيرا ليكون موقلا للطلبة الاجانب الذين يقصدون نيويورك للتعلم في جامعتها !! أقول : القصر الفخم ، وهو ذلك البناء العظيم الهائل الذي فيه مئات الغرف التي خصصت لسكنى الطلبة بلجر زهيد جدا لا يزيد عن ريال ونصف شهريا ، وقد جعل فيه من الحمامات وأمكنة الرياضات مايكفل لهم راحتهم وصحتهم وكل أسباب سعادتهم ، وجعل لهم فيه مطعما يأكلون به أكلاتهم بدرهمات معدودة في هذا البلد الذي ترى الريال فيه بمثابة قرش أو قرشين بمصرنا العزيزة بدون مبالغة !! انظر الى مورجان والى المكتبات التي وهبها للمدارس ، بل وللعمال هنا وهناك في كل جهة ، وفي كل ولاية لتتقيف أذهانهم ولتزيد بها في معلوماتهم ومعارفهم .

انظر الى تلك الهبات التي وهبها أصحاب الاموال للمدارس والجامعات في كل جهة من جهات الاتحاد الامريكي ، بحيث أصبحت لا يعادها شيء في نوعها في كل بلاد الدنيا !! أنظر الى الهبات التي وهبها أرباب الأموال للبحث في المسائل الطبية ، وغيرها من المسائل الطبيعية والكماوية . أنظر الى هاته المعامل الهائلة التي ضربت قبابها تحت سماء كل ولاية من ولايات الاتحاد للبحث في المسائل الزراعية وغيرها ! كل هذا وإن كان على مظهره مسحة من أنانيات أصحابها الذين ربما أرادوا بها أن يظهروا في أفق التاريخ ، ولكن البلاد انتفعت بها انتفاعا — وان كان جسيما — فهو لا يزال في رقيه واكتماله .

لهذا وذاك كان للثروة في بلاد الاتحاد مايجب لها من الاحترام . واذاف الاحترام لم يكن موجها للثروة في ذاتها كحلله في الشرق ، بل للثروة في الفائدة التي تعود منها على المجموع .

لذلك ترى كثيرا من أصحاب الملايين في أمريكا من ليس في أعمالهم مساعد على الرقي العام ، ليست لهم أدنى ذكرى في بلادهم ويكادون يكونون مقبورين في دائرة أموالهم وأملاكهم ، لا يهتم بهم أحد ، ولا يشعر بوجودهم إنسان ! !

الولايات المتحدة من الجهة الاقتصادية

لقد كانت الحرب العالمية سببا لتغيير التوازن المالى والتجارى للولايات المتحدة فتمت كانت صادراتها و وارداتها في ربع القرن الماضى كما ترى :

صادرات بالمليون ريال	واردات بالمليون ريال	لستة .
١٤٣٠	٩٢٠	١٩٠٤
٢٢٠٠	١٧٠٠	١٩١٤
٦٣٠٠	٣٣٠٠	١٩٢٠
٤٣٠٠	٤٣٠٠	١٩٢٥

من هذا الجدول ترى أن الصادرات والواردات تضاعفت ثلاث مرات في مدة الحرب ، بحيث كانت تشغل أسواق العالم جميعها في حين كانت أوربا تداوى جراحها من أثر تلك الحرب المشؤومة : جراحا في جسمها ، في نفسياتها ، في صحتها في مساكنها ، في مالياتها ، في صناعاتها ، في مصانعها ، جراحا في علمائها ، في فتيانها ، في شبيبتها ، جراحا في كل شئ حيوى كانت تتمتع به قبل الحرب . ولسان حالها يقول :

ولو كان هما واحدا لاحتلمته ولكنه هم وثن وعاشر

ولقد كانت أوربا في هذه الحرب في حاجة الى كل شئ : في حاجة الى الغذاء ، الى السلاح ، الى القطن ، الى الذخائر ، الى الفحم ، الى البترول ، الى الملابس ، وكل هذا كانت تشتريه من وراء الاقيانوس بالعملة الذهبية التي كانت امريكا

تشرطها في مبيعاتها ، حتى استنفدت جميع مافي خزائنها من مسكوك ومسبوك !! بما أصبحت به خزائن الولايات المتحدة مكتظة بأكثر من نصف ذهب العالم شرقه وغربه !! وشاليه وجنوبه !! وأصبح الحلفاء مدينين لها بنحو ٢٤ مليار دولار !! وهو مالا يمكنهم دفعه عينا بل ووسيلة من الوسائل ، بل يدفعونه بضاعة ومأم بقادرين ، لانهم إن أمكنهم أن يدفعوا الفائدة فلاصل باق الى ما شاء الله (واذا فهم يشتركون معنا في هذا الحال) .

ومع ما كسبته الاهالى الامريكان في مدة الحرب ، فانك ترى أن عشرين ولاية من ولايات الشمال والوسط أغلب أراضيها مرهونة !! أما ولايات الجنوب فقد تمتعت بعلو أثمان القطن ، ولذلك فارضها خالية من الرهن غالبا . ومع ذلك فنسبة زراع الاتحاد بصفة عامة في سلم الثروة بالنسبة لارباب الصنائع بها ، نسبة منحطة جدا . ولولا أن الافراد ، بل والجماعات ، تركز على حسن سياسة النقابات والشركات وصدقها في عملها ، وعلى يقظة الحكومة الاتحادية وإخلاصها في خدمة شعوبها ، لكانت الحالة الزراعية بولايات الاتحاد مما لا يبشر بمستقبل سعيد يتناسب مع النهوض الذي تندفع في تياره مرافق البلاد بصفة عامة .

ليس امام حكومة الاتحاد غير المصلحة العامة ، فخرطة البلاد امامها كرقعة الشطرنج ، لاتضع الحجر في مكانه الا اذا اعتقدت أن فيه المصلحة التي توصلها الى نجاح البلاد وفلاحها : فلاتسمع أن وزيرا ساعد أميرا بما يؤثر على مصلحة كثير من الناس ، أو أن مرؤسا وجه نفوذه الى خدمة شخصية رئيسه بما يهمل به عموميات الجماعات في سبيل خدمة الأفراد ، وهي علة الحكم في الشرق !! تلك العلة التي لاتقوم معها دولة ، ولا ينهض بها شعب ، تلك العلة التي هي من أمراض الشيخوخة التي نتيجتها التلاشي والفناء إن عاجلا وإن آجلا .

وكثرة السكك الحديدية في بلاد الاتحاد قد ساعد مساعدة كبيرة في نمو حالتها الاقتصادية وهي الآن تخترق جميع ولاياتها كما يخترق المجموع العصبي

الأجسام الحية ، بما أصبحت معه العامل الوحيد الذى يحس منه الانسان عظمة الحالة الاقتصادية فى الجمهورية الاتحادية . وهذه السكك تدخل فى المصانع والمعامل بما تسهل معه حركتها فى شحن مصنوعات وتفرغ مايرد اليها من الموارد الأولية ، ومقدار أطوالها فى ولايات الاتحاد يزيد عن ٢٦٥ الف ميل !! (مع العلم بأن السكك الحديدية فى مصر هى ٢٥٧٤ كيلومترا للحكومة ، وعلى ما أذكر نحو ٦٥٠ كيلو لشركات الفيوم والمنصورة والبحيرة) ويشغل فى معامل سكك الاتحاد وقطاراتها ودريستها نحو عشرة ملايين نفس أو أكثر !! وتقدر إيراداتها بثمان إيرادات الدولة الأمريكية . وإذا عرفت أن أحد خطوطها فى بنسلفانيا يمر عليه فى اليوم الواحد ألف وخمسمائة قطار ، عرفت ما هى حركة القطارات فيها !!

وهذه السكك كلها لعشرين شركة ، تدفع الى ولايات الاتحاد ضرائب فادحة على مرورها من أرضها ، لا تقل عن ١٦٠ مليون دولار كل سنة . وتملك هذه الشركات لحركة سككها اليومية ٧٠ الف قاطرة (قوتها أكثر من ٦٠ مليون حصان) ، ومليونين ونصف مليون عربة للبضائع ، و ٦٠ الف عربة للركاب ، وبلغ مقدار ما قلته فى سنة ٢٤ من المحاصيل ما يقرب من بليونين وربع طن !! ومن الركاب نحو مائة مليون راكب !!

وعدد عرباب البريد فى الولايات أكثر من خمسة آلاف عربة ، وقد دفعت الحكومة للشركات أجره نقل بريدتها سنة ١٩٢٥ — ١٢٠ مليون دولار .

* *

وكانت القوى الكهربائية المستعملة فى بلادها للإنارة وغيرها فى سنة ١٩٢٥ — ٢٣ مليون كيلوات ، ومن البخار للمصانع نحو ٣٥ مليون حصان .

* *

وفى الولايات المتحدة أكثر من ١٦ مليون خط تليفونى ، منها فى مدينة نيويورك وحدها نحو مليون ومائتين الف خط .

ويوجد بولايات الاتحاد نحو مليون ميل ونصف من الأسلاك التلغرافية ،
ويقدرون مآرسل في سنة ٢٥ من الاشارات التلغرافية داخل الولايات بما يقرب
من ٢٠٠ مليون تلغراف .

*
* *

ويوجد في الولايات المتحدة غير مصلحة البريد البرى التى مر ذكرها مصلحة
للبريد الجوى بين نيويورك وسان فرنسكو ، ومسافة ما بينهما فى الخط الجوى
٢٦٦٥ ميلا ، يقطعها الطيار فى ٣٠ ساعة ، وينزل فى أثناء سفره الى ١٥ محطة
لتسليم واستلام بريدها . والذين يشتركون فى هذا البريد أكثر من ٤٠ مليون
نفس ، والموزعون لهذا البريد نحو خمسين الف نفس فى القرى التى يجب أن تكون
أرضها مرصوفة ، وموضوع على كل بيت نمرته ، أما العزب فلها على الطريق العمومى
الموصل اليها صناديق مستطيلة (طولها ٤٠ سنتى فى عرض وارتفاع ٢٥ سنتى)
ومكتوب على الصناديق اسم أصحابها .

*
* *

وأهم شئ عاد بعد السكك الحديدية بالنفع على بلاد الاتحاد هو الاوتوموبيل ،
وهو فى هذه البلاد الواسعة الاطراف فى منفعتة كالجل فى صحارى بلاد العرب . ولقد
كان فيها الى أوائل سنة ٢٦ أكثر من عشرين مليون أوتوموبيل ، فى حين أن
أوربا كلها لم يكن بها أكثر من ٢٧٠٠٠٠٠ (أوتوموبيل) . ومن هذا نعلم أن
الولايات المتحدة فيها ٨١ فى المائة من الاوتوموبيلات ، والموجود منها فى باقى
المعمورة ١٩ فى المائة فقط !! وعلى هذه النسبة يكون كل ستة من سكانها لهم
أوتوموبيل ، وفى كاليفورنيا أوتوموبيل لكل ثلاثة اشخاص وثلث من سكانها .
فى حين أن فرنسا وانجلترا لكل خمسين من السكان فيها أوتوموبيل واحد .
ولهذا ترى ان الولايات المتحدة تستنفد ثلاثة ارباع محصول البنزين

والكاوتشوك في العالم كله ، وتستنفد نحو الف كيلو من البترول في السنة عن كل رأس من سكانها ، في حين أن فرنسا لا تستنفد منه عن كل رأس إلا ٣٧ كيلوجرام . وكذلك تستنفد حكومة الاتحاد ثلثي محصول الحرير ، وربيع محصول السكر في العالم .

والولايات المتحدة تصدر مصنوعات إلى العالم كله ، فيصيب أوروبا من الحبوب والقطن ٧٠ في المائة ، وباقي المعمورة ٣٠ في المائة . أما الآلات البخارية فإن أوروبا لا تأخذ منها سوى ٤٠ في المائة ، وباقي العالم ٦٠ في المائة . وأغلب صادراتها منها إلى كندا ، وأمريكا الجنوبية ، والوسطى ، وأستراليا . ومع غناء أمريكا في المواد الأولية ، فإنها لا تزال تحتاج إلى الكاوتشوك والحرير من الشام والصين واليابان وأمريكا الوسطى ، على أنها ابتدأت في تربية دودة القز في بلادها .

ومع أنها تستنفد في بلادها كثير من الملابس الحريرية التي كانت تستوردها من أوروبا ، فإن صناعة الحرير لم تدخل عندها إلا من نصف قرن فقط ، وكانت في أول أمرها تستغله على أنوال باليد ، أما الآن فعندها لنسجه فابريقات هائلة ، تخرج إلى أسواق العالم أكثر مما يخرجه العالم القديم جميعه . ويقدر أن الحرير الخام الذي يدخل إليها من أوروبا وآسيا سنويا بأكثر من عشرين مليون جنيه ! وهذا غير الحرير الصناعي الذي تقدر قيمته بمليون جنيه .

وقد يضطرنا سياق الحديث عن الحرير أن نصف لك أكبر وأعظم فابريكة للحرير في الولايات المتحدة وهي « دوبلاف سلك قومباني » وهي موجودة في مدينة هازلتون بولاية بنسلفانيا ، وتبعد عن نيويورك بمائتي كيلو متر . هذه الفابريكة على أجل طراز جديد ، ويعمل فيها نحو خمسة عشر ألف من الجنس اللطيف ، غير مافيه من الرجال . ومع أن بناءها الخارجي كله من الطوب الأحمر ولا منافذ فيه للتهوية ، فإنك تدهش عند ما تدخل إليها إذا لاحظت أن التهوية في داخلها تنظم بالآلات عجيبية من شأنها أن تنزل درجة الحرارة في داخلها ١٥ درجة عن درجة الحرارة

التي في خارجها !! وترى في الفابريقة كثيرا من معدات الراحة ، كالحمامات ، وامكنة الاستراحة ، والمرقص وقت الفسحة ، وغير ذلك من كاليات الحياة ، ما يجعلك تندهش من أن العامل في هذا الجهات يتمتع بجميع أسباب الراحة ، إن لم تقل أسباب السعادة .

أما الكاوتشوك فهم يستنفدون منه كميات كبيرة جدا ، يشترونها من أوروبا وخصوصا أسواق انكلترا ، ولكنهم ابتدؤا في زراعته بالولايات المتحدة ، وغير ذلك فان شركات كبيرة من ولايات الاتحاد اشترت في أفريقيا الشرقية أراضي واسعة جدا وبدؤا فعلا في زراعته بها . وقريبا ستستغنى عن مائتة سنة من مئآت الملايين من الدولارات في مشتري هذا الصنف الذي أصبح من ضرورياتها في عمل الاتوموبيلات الذي لا يقف عند حد خصوصا وأنه اتوصلت الى عمله صناعيا !!

وقد استخرجت الولايات المتحدة من الفحم في سنة ١٩٢٤ أكثر من ٥٠٠ مليون طن ، وهو ضعف ما استخرجته انجلترا . أما الآن فنسبة ما يستخرج منه أكثر من بلاد الانكليز بكثير ، ومصانعها صنعت من الحديد المشغول (سنة ٢٥) ٤٠ مليون طن ، أي أكثر مما صنعته أوروبا كلها في هذه السنة .

والولايات المتحدة تهتم الآن كثيرا بالزراعة ، وهي أكبر مملكة في العالم تزرع البطاطس ، وقد بلغ محصوله في هذه السنة ٢٥ مليون طن . وهي تزرع الحبوب وخصوصا القمح والذرة ، وتصدر من الدقيق كميات هائلة . وأرض كاليفورنيا أعظم بلاد زراعية في العالم ، يزرعون فيها السهل والوعر ، ويزرعون الجبال ووديانها ومعارجها وميولها وسطوحها ، وذلك بواسطة ما ابتدعوه من الخزانات التي يحفظون بها الماء لمدة الصيف الشديد الحرارة . وفيها من أشجار الفاكهة شيء كثير لا يمكن أن تراه مجموعا في غيرها . وقد تصدر في سنة ٢٦ من حوض الباسفيك (أعنى من ولايات كاليفورنيا ، وواشنطن ، وأريغون) من الفواكه فقط ما قيمته ٧٥ مليون دولار - منها ٤٠ مليوناً من التفاح وحده . والولايات المتحدة تهتم بزراعة القطن في

ولاياتها الجنوبية اهتماما كبيرا ، وولاية تكساس وحدها تجني من القطن أكثر من ثلاثة أرباع محصول العالم كله !!

وبولايات الاتحاد مغازل ومناسج للقطن ، وقد كان عندهم من المغازل في سنة ١٩٢٥ - ٤ ملايين مغزل الاربعاء ، ولا بد أن تكون الآن أكثر من ذلك لرقيمهم المستمر في الصناعة ، بل وفي الزراعة ، وعلى كل حال فهي ثاني مملكة في صناعة القطن في العالم .

وقد بلغت صادراتها في سنة ١٩٢٤ أربعة بليون ونصف من الدولارات وبلغت وارداتها مايزيد عن ثلاثة بليون ونصف ، الا أن صادراتها أخذت تقل بعد روعة الحرب ، وبعد أن أخذت الأعمال مجراها في أوروبا . ومن هذا أخذ بعض الاوربيين يبنون قصور الكارثة الاقتصادية المستقبلية في أمريكا اذا استمر نقص الصادرات فيها سنة عن سنة ، خصوصا مع زيادة أجرة اليد العاملة فيها ، والله أعلم بالمستقبل .



ولقد كانت انكارتا في وقت من الاوقات تحسب حياة الولايات المتحدة التجارية في يدها حيث كانت تحمل أغلب صادراتها ووارداتها على مراكبها ، أما وقد نشطت الولايات في عمل اسطولها التجاري بما أصبحت معه تنقل أغلب بضائعها على مراكبها ، بل ولم تقف عند حد تكوين اسطولها التجاري ، بل أخذت تزيد بكثرة في أساطيلها الحربية ، فقد بدأت انكارتا توجس منها خيفة ، لان اسطولها وان كان لم يصل بعد الى قوة الاسطول الانكليزي ، ولكنه بصفته جديدا لا ينقص عنه كثيرا في مجموع قوته .



ولا شك أن المهاجرين من اليهود ساعدوا كثيرا في الولايات المتحدة على حالتها الاقتصادية من الجهة التجارية ، لانهم وعددهم فيها أكثر من ثلاثة ملايين -

منهم نصفهم في مدينة نيويورك يشتغل بالتجارة ، وقد أمكنهم بما في دهم من السياسة الاقتصادية أن يتلاطفوا حتى دخلوا في سواد الامريكان !! قسموا باسمائهم واحتفلوا باعيادهم ، وصاروا في كل ما يتعلق بالامريكان — امريكيين أكثر من الامريكان !! بل واندمج أغلبهم في الامريكيين بحيث لا يظهر عليهم أى فارق ديني أو جنسى فيما بينهم . وأغلب اليهود من المهاجرين الروسين ، والاسيويون منهم قليلون ، وأبناء هؤلاء الآن وقد جاهدوا في التحصيل في مدارسهم أكثر من أبناء الامريكان ، فقد أصبحوا من العاملين في التجارات المختلفة : يرودون بلاد الشرق والغرب في ترويج تجارتهم ، وكان لهم من نشاطهم خير معين للحصول على الثروة الواسعة التي إن حرمتهم من محبة الامريكان ، فقد جعلتهم جديرين باحترامهم وتقديرهم .

ولقد كان استمرار الزيادة في حالة الولايات المتحدة الاقتصادية من سنة ٩١٤ الى سنة ٩٢٤ بحالة تفوق الوصف ، حتى أنك لو عثرت على ميزانياتها في سنة واحدة تجدها مختلفة اختلافا كبيرا في أعدادها ، لاختلاف الاوقات التي حرت فيها .

هذا من جهة الحالة الاقتصادية العامة ، أما من جهة مالية الدولة فهي في يد أشخاص ماليين بالمعنى الصحيح ، يقضون كل زمنهم في الاشتغال بما يزيد في الدائرة المالية من طريق لا يؤثر على مصلحة الاهالى ، ويكفى أن أقول لك : إن وزير المالية الحالي هو مستر اندربو ميلن وهو ثالث مالى في الولايات المتحدة وتقدر ثروته بمائة مليون جنيه !! ولما انتخب لادارة مالية الدولة ، عين لادارة املاكه سبعة من كبار المالىين !! حتى يتفرغ هو عن عمله الخاص تماما ، الى عمله العام . وبمثل هذه المواهب ، وبمثل هذه التضحية ، تسير الامم في طريق رقيها ، أما اذا وضع الشئ في يد غير أهله فهذا مما ينذر بسوء العاقبة .

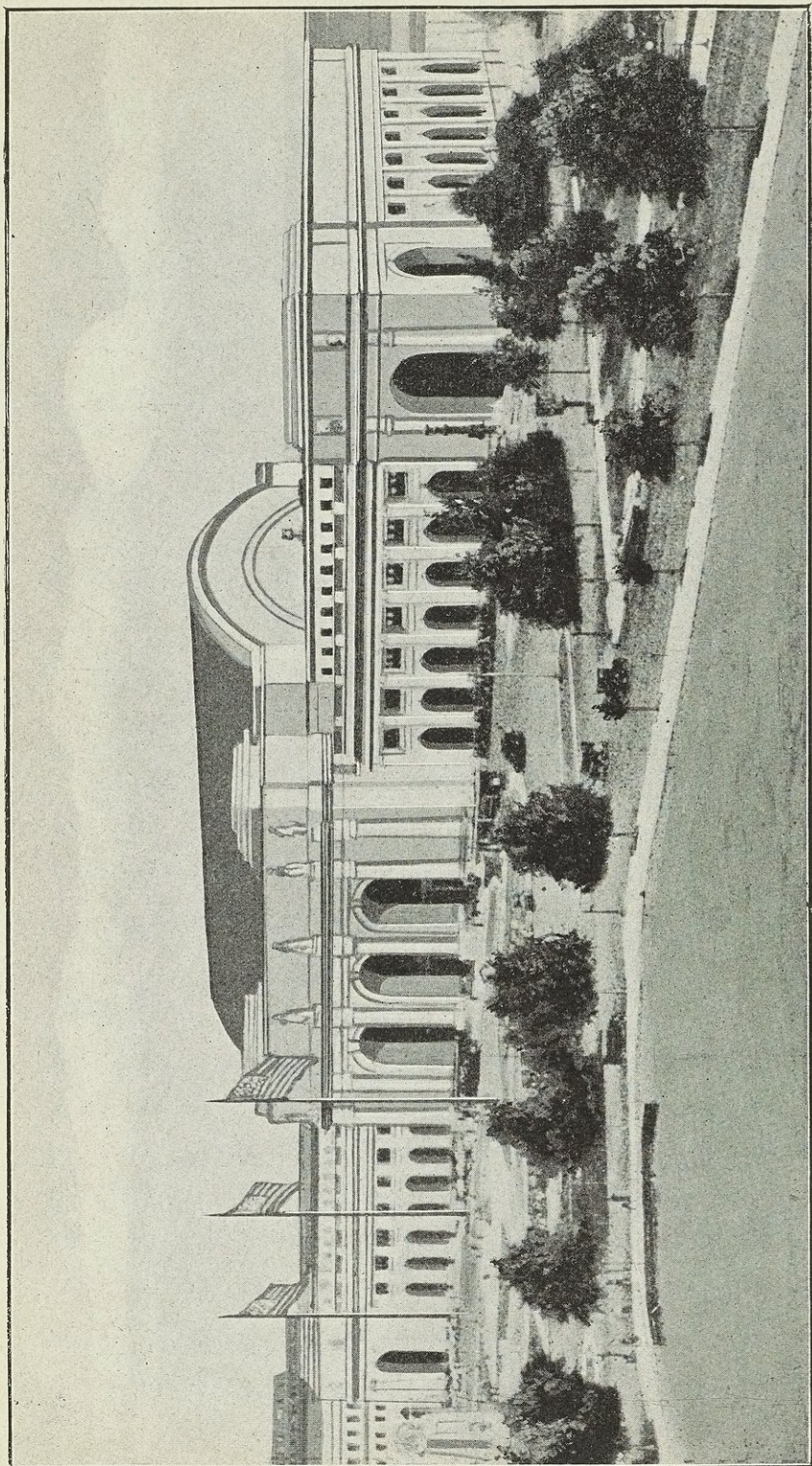
وبالجملة فالولايات المتحدة قد أصبحت أكبر دول العالم من الوجهة الاقتصادية وقد وصل تفوقها الاقتصادي حتى الى العمال الذين وجد لهم في صناديق التوفير سنة

١٩٢٥ أكثر من ٢٢ مليون دولار !!

وهنا لا يفوتنا أن نقول : إن وحدة النقود في انكلترا هي الشلن ، وفي فرنسا هي الفرنك ، وفي مصر هي القرش ، وفي الولايات المتحدة الريال ، وتراه هنا إما من الفضة وهو قليل ، والغالب منه بنك نوت عليه رسم واشنجتون ، وعندهم ورق من ذات الخمسة ريالات عليه رسم لنكولن ، وورق من ذات العشرة أو أكثر عليه صورة أحد رؤساء الاتحاد الذين نهضت بهم البلاد . وينقسم الريال عندهم الى مائة جزء ، أصغرها يقال له سنس ، وهو من البرونز . أما نصف الريال ورבעه فمن الفضة ، وما كان أقل من ذلك فمن النيكل . لذلك ترى تعبيراتهم المالية والتجارية كلها بالريال ، وليس للجنيه ذكر في معاملاتهم وان كان للذهب منه وجود قليل فيها ، ولا ارتفاع وحدة النقود في أمريكا ترى ارتفاع أثمان الاشياء فيها بنسبة تفوق أثمانها كثيرا في الممالك الاخرى ، والمعيشة فيها غالية بصفة عامة في كل مرافق الحياة .

* * *

بعد أن انتهت جلسات المؤتمر ، دعت الحكومة الأمريكية أعضاء المؤتمر الى دورة في ولاياتها الوسطى والشمالية . وقد كنا اشتركنا في مصاريف هذه السياحة الرسمية من قبل بواسطة مسثر هو پسن ، ومقدار هذه الدورة في السكة الحديدية فقط ١٦ ألف كيلومتر تقريبا ، قطعناها في ثلاثين يوما ، كنا فيها نبيت في عربات القطار الذي كان يسير بنا ليلا ، وفي النهار كنا نركب الاتوموبيلات التي كانت تجهزها لنا الغرفات التجارية بمساعدة حكومتها طبعا ، وهي في الغالب لبعض التجار أو الاعيان يسوقونها بانفسهم الى الجهات التي كانت تريد اطلاقنا عليها سواء كان فيما يتعلق بدراسة التربة في عموم الولايات التي مررنا بها ، أو في مشاهدة المزارع ، أو العزب لرؤية حيواناتها وانظمتها ، أو لزيارة بعض مافيه من المعامل والمصانع المهمة . وإذا فرضنا ان متوسط ركوبنا في الاتوموبيلات كان ٤ ساعات في اليوم ، وأنا كنا



محطة السكة الحديد واشنطن ص — ١٢٦

نسير بسرعة ٥٠ كيلو مترا في الساعة ، كان ما قطعناه بها في هذه المدة ستة آلاف كيلو متر .

وهنا أذكر لك يومياتي التي كنت أحررها بفراشي بعربة السكة الحديد ، كنت أحررها في وقت كنت به في أقصى ما يكون من التعب ، في الوقت الذي كان ضروريا لراحتي بعد ما كابدناه من مشقة النهار ، ومع حركات العربات المضطربة ، وما إليها من انزعاجات تكاد لا تنقطع ، حتى لا يضيع مني شيء مما شاهدته في يومي ، وقد كنت في ذلك كله مدفوعا بحب إشرارك قومي معي فيما رأيت وما شاهدت ، مما أرجو أن يكون فيه بعض الفائدة .

يوم ٢٢ يونيه سنة ١٩٢٧

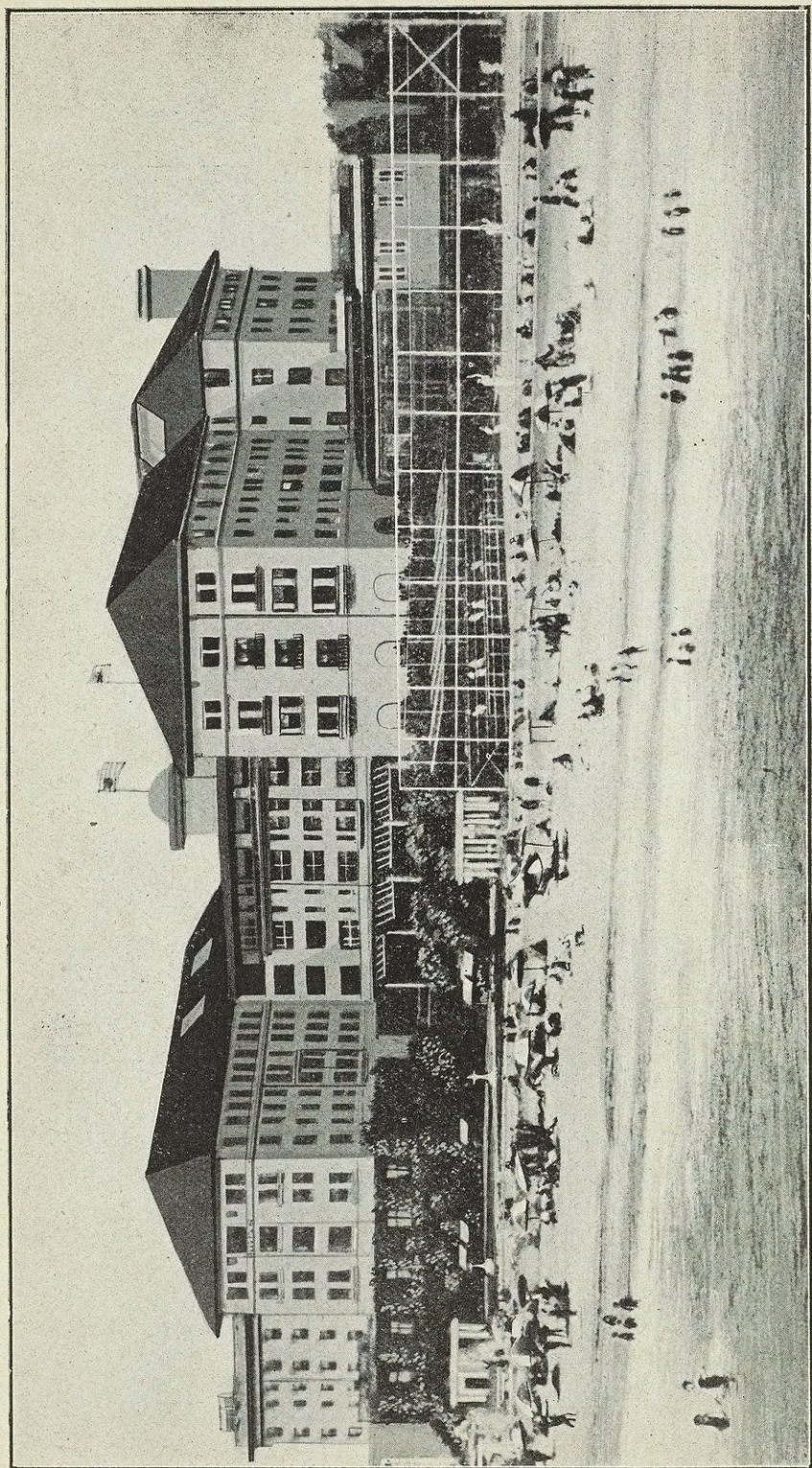
ركبنا قطار السكة الحديدية من محطة واشنطن العمومية وهي من أكبر محطات العالم ، وماذا عساي أن أصف اليك بناء من أوسع البنايات وأعلاها ارتفاعا وأبدعها جمالا ، وأجمعها للنظام والنظافة وحسن الرواء . يدخل الانسان من بهوها العظيم الى مشاة هائلة ، في نهايتها حاجز يفصلها عن أرصفه القطارات التي تكاد تتصل بها ، وقدرها اثنان وثلاثون رصيفا ، كل واحد لسكتين ! ؟ ومن هذا تعرف أن هذه المحطة يمكن أن يكون بها في آن واحد أربعة وستون قطارا لوجهات مختلفة ، وفي المحطة محلات للزينة وللأكل وللاستحمام مما تدعو اليه راحة المسافرين .

وكانت جميع عربات قطارنا من صنف بولمن ، وقد استحالت مقاعدها الى أسرة واسعة ربما كانت تسر نظرنا لأول وهلة ، لولا أن شدة حركات العربات تكاد تنتزع النفوس من مكانها . استولى كل على سريريه الذي خصص له ، وحركة الأيدي بالمناشف لا تنقطع عن الوجوه لكثرة ما كان يتصبب منها من العرق ، ولما سار القطار ابتدأت التيارات الهوائية تلطف من هيب العربات ، وسار بنا في أرض فرجينيا طول ليله ، وفي الصباح الأول أخذنا ننظر من منافذ القطار الى تلك

المناظر الباهرة الناضرة التي كانت تلوح هنا وهناك على أرض غير مستوية ، وقد قامت عليها تلك الغابات الصنوبرية التي تتخللها مزارع القمح الذي لازال على أرضه مضموما محزوما . وقبل أن نصل الى محطة « دام فيل » مررنا على ترعة لون مياها أحمر قاتم قد ذكرني بنيلنا المبارك في فيضانه ، ذكرنا بهذا الذي هو حياة وطننا العزيز ، فكان صباحنا به خير من أمسنا ، وكانت مساكن المدينة كلها من الخشب ومن ذات الطبقتين — مساكن صغيرة ولكن يلوح لنا أنها نظيفة — لان الطرق ونحن في الساعة الخامسة صباحا كانت على غاية من النظافة ، ولا أقول لك : إن الطرق العمومية هنا معبدة ، ولكنها مرصوفة ومطلية بالقار بل مصقولة كالمرآة ، ومما يلاحظ أن المساكن هنا منافذها كثيرة مما يدل على أن الحر شديد في وقته .

يوم ٢٣ يونيه

وفي صباح يوم ٢٣ يونيه وصلنا الى محطة جرينسبورج بعد أن قطعنا اليها ٢٣٧ ميلا ونصفا ، فوجدنا في انتظارنا الاوتوموبيلات التي أفلتتنا الى دورة في هذه المنطقة لنشاهد تربتها المختلفة وما فيها من النباتات المتغيرة . سرنا في أرض صفراء تكثر فيها الصوب لتربية النباتات في غير أوانها ، أو في غير منطقتها . وقد تكثر هنا أشجار من الفصيلة البقسية ، وأشجار البلوط ، كما تكثر مزارع الدخان والذرة ، وقد ترى بعض أشجار الفاكهة بجوار البيوت الخلوية خصوصا في الارض الحمراء ، ومنها الخوخ والكرز والكمثرى والتفاح ، ويقولون : إن أصل هذه التربة صخرية بركانية . وبعد أربعين دقيقة وصلنا الى أرض حمراء في لون المغرة ، والماء الذي يجري فيها أحمر قان ! ! وتنمو الاشجار في هذه التربة نموا عظيما ، وخصوصا أشجار الغابات . وبعد قليل وصلنا الى تربة صفراء هي الطفلية بعينها ، والماء الذي يجري فيها أصفر كانه ملون بمادة هذا اللون ! ولقد كان كل من المؤتمرين يبحث في النباتات التي تنمو فيها — وهذا شيء جميل في ذاته — ولكن الاجمل منه أن السيدات اللواتي كن في عداد المؤتمرين — كن يبحثن في النباتات تارة ،



لوکندہ فرجینال علی الاطلاق بیوجرسی ص — ۱۲۸

وفي معدن الارض أخرى ، ويأخذن منها إلى حقائب في أيديهن ، وغالب تلكم السيدات من الالمانيات اللواتي يمتزن عن غيرهن من الجنس اللطيف بالبحث ، والتنقيب ، بالعلم ، بالفن ، بالاقدام ، بالشجاعة ، باحتمال كل شئ في سبيل المصلحة الخاصة أو العامة .

إن عندنا الآن شيئا كثيرا من تعليم البنات ولكن كله نظرى ليس فيه من كبير فائدة ، اللهم إلا تلك المدارس التي يسمونها مدارس تدير ، وبروجرامها ناقص من الجهة العلمية ، وعسى أن تعنى وزارة المعارف الجليلة بادخال بعض العمليات الكيماوية أو الطبيعية على بروجرامهن لتكمل به الفائدة .

ولست هذه الارض بالصالحة للزراعة في عمومها : فانك تجد هنا وهناك أرضا ليست بمزروعة ، وإن كان بعضها منزرعا فزراعتها غير جيدة ، اذا فلاى شئ كل هذا التعب ؟ لاى شئ تلك المصاريف التي تنفقها هذه البلاد في قتل المؤتمرين وعنايتهم بهم في زيارتهم لتلك الاصقاع ؟ — ذلك بطبيعة الحال لأمر واحد — : هو دراستها لمعدن أرضها ، وبحثها عن مايجب له من الدواء ، فان لم تعثر عليه هي برجالها فقد تصل اليه على يد أحد المؤتمرين .

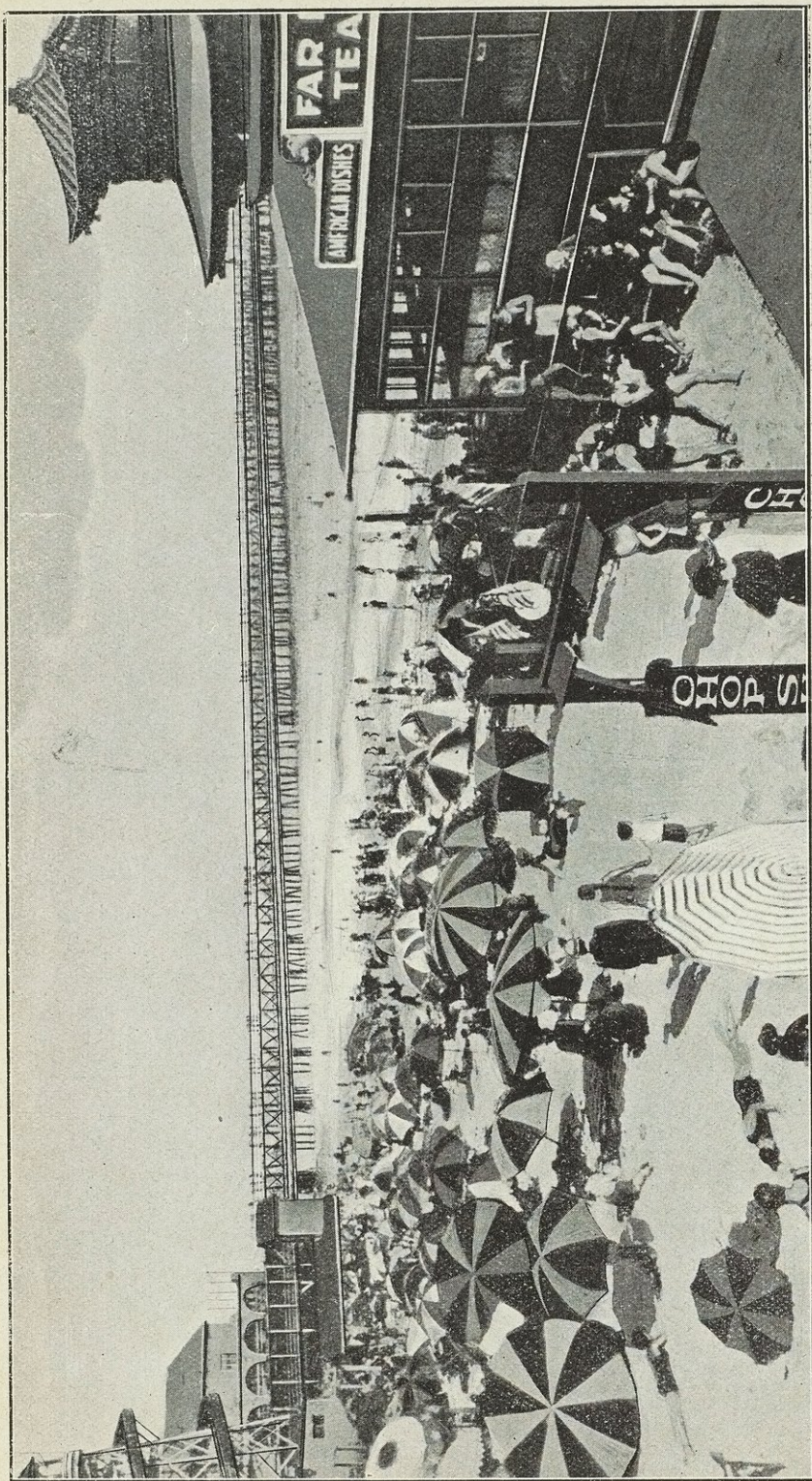
وبالجملة فالشئ الذي يهمنى لاجل وجود له هنا وهو القطن — لذلك أرى أن الفائدة من دورتي هذا اليوم إنما من جهتها الاجتماعية — وأرجو أن يسمح لى حضرات القراء بان أقص عليهم ما رأيته هنا : رأيت مدرسة في وسط الحقول من المدارس الاولى ، وقد بلغنى أن رجلا من أهل هذه الجهة قدم أربعين مليون ريال الى المدرسة على شرط أن تسمى باسمه ! فلم يقبل القائمون بامر المدرسة هذا الشرط لأول وهلة !! وهم الآن (وقت ما كنا هناك) يتشاورون فيما بينهم في قبول الشرط أو عدم قبول الهبة !! ذكرتنى هذه الحادثة بهمة روكفلر لمصر على شرطه ويظهر أن حكومتنا هي الأخرى ما زالت تفكر في قبول الشرط أو رفض الهبة (وانتهى امرها بان رفضتها تماما) .

ومدينة جرينسبورو تعدادها ٥٢٥ ر ٤٣ نفساً وهي من ولاية كارولينا الشمالية التي مساحتها ١٣٥٥٦٠ كيلو متراً مربعاً ، وفيها أنهار كبيرة أعظمها نهر روانوك ونهر نوز ، ومن محاصيلها الدخان والقطن والارز ، ومن معادنها الزنك والرصاص . وفي المساء عدنا الى قطارنا فسار بنا في أرض هذه الولاية ، فوصلنا في الصباح الى مدينة كنوكسفيل .

يوم ٢٤ يونيو

وصلنا في صباح هذا اليوم الى مدينة كنوكسفيل عاصمة ولاية « تنسى » بعد أن قطعنا اليها ٣٢٠ ميلاً ، وقبيل وصولنا الى هذه المدينة كنا نسير في واد جميل يخترقه فرع من نهر المسيسيبي قامت على جانبيه غابات جميلة ذكرتنا بمنظر سويسرا لولا ما كنا فيه من حر يكاد لا يطاق ، وكانت مزارع الذرة تتناثر هنا وهناك في بعض الاراضي المستوية من هذا الوادي ، ولم نعر فيه على مزرعة للقطن ، ولكنهم يقولون : إنهم بدؤا هنا في تجربته (ياحفيظ) !! وبالجملة فقوة الابنات قوية في هذا الوادي ، وإن كانت تتخلله بعض قطع ضعيفة ليست في الجودة مثل التي في جوارها . ولكن الحكومة والشركات والنقابات الزراعية يهتمون جميعا بكل ضعيف ، ويتقدمون الى أصحابه بكل جديد من التجارب لاصلاحه - ولا بد للجاهل من مرشد ، ولا بد للضعيف من طبيب يداوى عله - والا فالضعيف إن أهمل لابد وأن ينشأ عنه ضعيف آخر - والعلة ينشأ عنها علة أو علل أخرى بما لا يكون في الامكان مداواته بتلك السهولة كما لو كان في أول أمره ، خصوصاً لو اتسعت دائرته بحكم العدوى .

تلك كلمة قهولها بكل إخلاص لوزارة زراعتنا - قهولها لعالمها الفنين الذين يقصرون مهمتهم في الارياض على المسائل الادارية من غير ما عمل فيما تنهض به الزراعة في نفسها ، أو المزارع في شخصه . ومن دواعي الاسف أن نجد الموظف



على شاطئ الاطلانتى فى لوج بيش بيجورسي ص — ١٣٠

الفنى عندنا ، سواء كان مهندسا ، أو طبيا ، أو زراعيًا ، لا يريد إلا أن يكون حاكما !! لا يريد إلا أن تكون العلاقة بينه وبين الاهالى علاقة الحاكم بالمحكوم لاعلاقة المرشد بمن هو فى حاجة الى إرشاده : وهى أسمى العلاقات وأكبرها نفعا .

زرنا مدرسة الزراعة هنا فبدأنا بزيارة معلمها الكيماوى ، وقد أخبرنى المرحوم أباطه بك بأنه أقل من نظيره عندنا بكثير ، إلا أننا رأينا أن أنواع الاراضى عندهم وضعوها للتجربة فى آنية كبيرة ، وزرعوها بشئ من النبات ، ووضعوا فى أسفلها أنبوبة سلطوها على أوان أخرى فى قاعة من تحتها ليتعرفوا قوة صرف المياه فى كل نوع من أنواع التربة ، وبجوار هذا المكان مكان آخر زرعت فى آنيته نباتات من فصائل متعددة ، وقد سمدت إسما مختلف ، وقد سلطت الاتيب التى وضعوها فى أسفلها على أوان أخرى أقل منها ارتفاعا حتى يتعرفوا مقدار ما تنغذى به النباتات منها ومقدار ما ينصرف الى المصارف .

* *

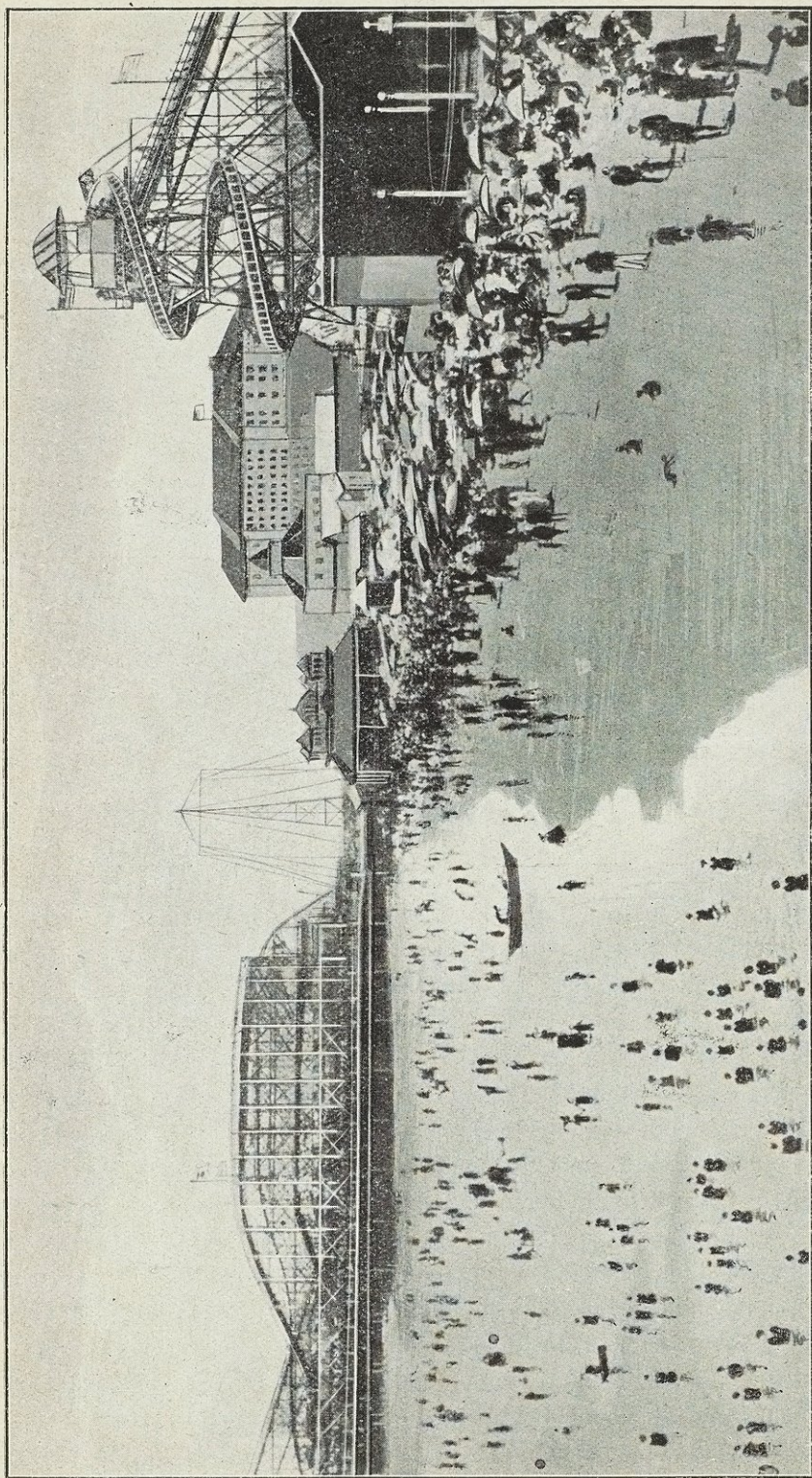
وبعد تناولنا الطعام بالجامعة بدعوة منها ، ركبنا أوتوموبيلاتنا الى دورة فى مزارع المدينة ، وهذه الولاية بصفة عامة ليس مدار حياتها على الزراعة ، بل على المعادن - وأخصها الزنك والحديد والرصاص والفحم - وقد زرنا مصنعا للجبس الجبرى الذى يأتون به من منجم الزنك الى المصنع بواسطة عربات تسير من معدن فى الجبل معلقة فى الهواء على جبل من الحديد ممدود الى المصنع !! وبعد هرسه يضعونه فى مغاسل ويصبون عليه جانبا من الزيت ، فيعلو الزنك عليه لانه أخف منه فيأخذونه الى تجهيزه فى جانب آخر من المصنع ، ثم يأخذون الجبر فيمرونه على اسطوانات محمية حتى يجف ، ثم يطحن ثم يعبى فى غرارات يرسلون بها الى الاسواق ليبيع سادا لنباتات مختلفة .

وكان معنا سواق لاتوموبيلنا كلما سألناه عن المسافات التى يبتنا وبين جهات مختلفة أخبرنا بأماها تماما ، وهى عندهم قاعدة لا يجهلها أحد من الناس حتى النساء

والاطفال . وهنا تذكرت « فركة الكعب » عندنا وما تجره على المسافرين من الولايات لبعدها ما كان يظنه من طريقته قريبا على قاب قوسين أو أدنى .

وفي دورتنا هذه مررنا في هذه الولاية على بناء عظيم مقسم الى جملة أقسام هو مستشفى للمجاذيب ، وفيه الفا نفس من هؤلاء الذين حكم عليهم بسلب أنفس شئ في الإنسان وهو العقل !! وكانت نفوسنا عند ماسمعنا اسم المجاذيب كادت تفيض رحمة وخشية ! كادت تفيض رحمة بهؤلاء البؤساء - وخشية مما عساه ينالنا اذا عثرنا بواحد منهم يكون قد تسرب من الدائرة التي حجزوه فيها ، ولكن كم كانت دهشتنا عظيمة عند مداخلنا الى فناء متسع تظلل الاشجار ، وتحف به الازهار وقد جلس من تحت ظلاله الوارفة بضع مئات من هؤلاء التعساء في ملابسهم الزرقاء النظيفة : هذا ساكن في قراره ، وذلك يتكلم مع جاره ، وآخر يلعب بكرته ، وغيره متمد على العشب الأخضر ، ومن حول الجميع آنسات يدخلن السرور بمرآهن اللطيف على كل من وقع بصره عليهن . تلسم هن خادמות ذلكن النفر من بنى الانسان الذين أتى بهم الحظ القاسى الى هذا المكان !!

ولقد زرنا معدن الرخام في دورتنا هذه ، ورأينا كيف يقطعونه من محجره بواسطة آلات تدور بضغط الهواء ، وكلما قطعوا جملة من الكتل الكبيرة (على حسب المقاسات التي يرغبونها) نقلوها الى جهة يقطعونها فيها الواحا بطول الكتلة بواسطة مناشير تعمل بالكهرباء وقد رأيت ١٦ منشارا تعمل مرة واحدة في كتلة واحدة !! ومن المناشير ما يعمل بالماء ، ومن ضمن آلات القطع آلة على شكل صينية ركب في دأرتها شرار من الماس لقطع الكتل الصلبة ، ومن الآلات ما هو على شكل صينية قطرها نحو ثلاثة أمتار تدور بسرعة ، فاذا وضع عليها الحجر صقلته من الوجه الذى يتصل بها . وهناك آلات يرسمون بها على الرخام ماشاؤا ويكتبون عليه ما أرادوا ، أو يضعونه فى أى شكل أحبوا ويحرك هذه الآلات جميعها آلة قوتها ٢٠٠٠ حصان . وبالجملة فكلها آلات بسيطة ، وحرركات غير عنيفة ، وعمل



حمامات البحر في لونغ بيتش ص ١٣٢

كثير ، وعمال قليلون يعملون في حسن نظام وكمال ترتيب !! وبجوار هذا المكان مصنع لحرق كسارة الرخام ، فيحوّلها الى جير هو أبقى شئ من نوعه . وأما الصرفان فيطحن ويرسلون به الى الاسواق الزراعية سمادا للاراضي التي بها حموضه .
وهنا خطر بيالى مصانع الجرانيت التي قرأ عنها في التاريخ القديم ببلادنا ، ثم محاجر الرخام الاصفر (ألا باستر) التي يتصل تاريخها بتاريخ مسجد الرفاعي ، وكانت أبواب محاجرها مفتحة مادام خليل أغا كان يعمل فيها لتشييد هذا المسجد بأمر والدته الخديو اسماعيل ، لتفاضل به مسجد السلطان حسن الذي في قبالة .
وقد بلغنا أخيرا ان البابا أرسل الى مصر بعض الطليان لدراسة هذه المحاجر رغما مما عنده من محاجر كراهه (في ليفورنو في جنوب جنوه) المشهورة بمجودتها في العالم كله !! فهل حكومتنا فاتحة أبوابها للاجانب من هذه الجهة بقدر ماتسدها في وجه الوطنين ؟ ؟



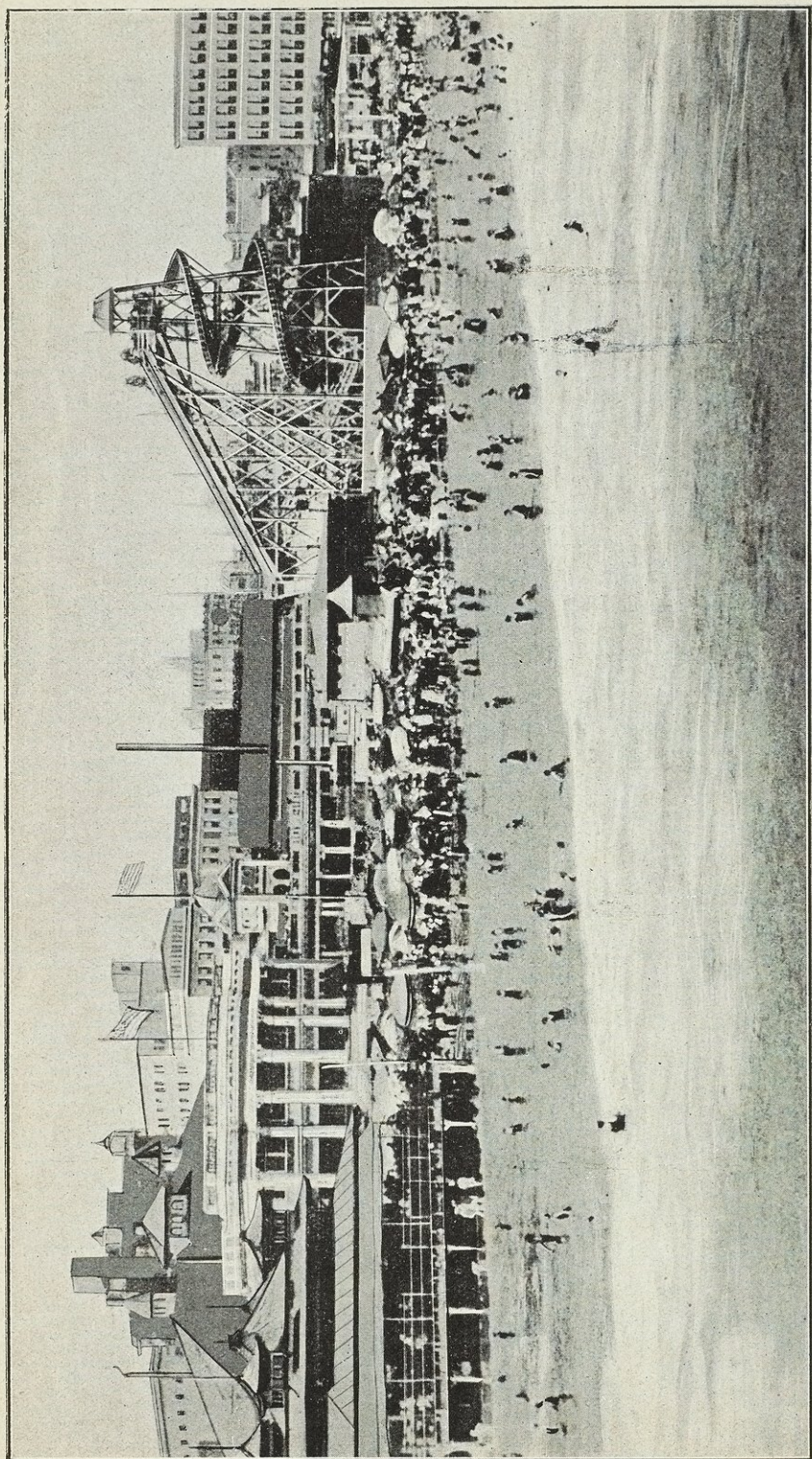
زرنا سوق الخضار بهذه المدينة فوجدنا مافيه من النظافة طبعيا في قومه لاصناعيا ليس له من وجود الا مع مراقبة البوليس ، والذي أعجبني في هذا المكان مراوح التهوية في كل جهة من جهاته ، وخصوصا في دكاكين الجزارين .
وبعد دورتنا رجعنا الى الجامعة للعشاء فيها بدعوة من الجامعة مشتركة فيها مع الغرفة التجارية ، وكنا أكثر من ثلثماية نفس كلهم من جلة العلماء من جميع أقطار الدنيا ، ومع أن العشاء كان بسيطا في نوعه فقد كان لخدمة طالبات الجامعة على الموائد المختلفة ما كان يفيض عليها جمالا ويجعل كل شئ من أيديهن حلوا . فيالله ما أجملهن في صورهن !! وما أجملهن في بساطتهن !! وما أجملهن في ملابسهن !!
وما أجملهن في خفتهن !! وما أجملهن في عملهن !! وما أجملهن في كمالهن !! وما أجملهن في جميع حركاتهن !! حتى لكأن كل واحدة منهن تعمل بحركات ميكانيكية لا عيب فيها غير مافيه من نظام واحكام ، في هياكل جمعت بين وداعة

وجمال ، وأدب وكال . وعند انصرافنا من هذا المكان وقفن ببابه على هيئة نصف دائرة خلناها نزلت من منطقة البروج ، ووقفت على محيطها ملائكة لله يحمين ضيوفا للبلاد جمعوا بين العلم والعمل ، ورجالاهم زهرة العالم ونضرتة وفخره وشرفه . وبعد العشاء قصدنا قطارنا الذى وصل بنا صباحا الى مدينة أطلانطا .

وصلنا الى مدينة اطلانطا يوم ٢٥ يونيه بعد أن قطعنا اليها ٢٢٣ ميلا ، وهى عاصمة ولاية جورجيا ، وعدد أهلها ٢٠١ الف نفس فنزلنا الى محطتها للأفطار وكنت دهشتى عظيمة عندما رأيت على باب استراحة فحمة بها « استراحة البيض » ثم على استراحة بسيطة فى مقابلتها « استراحة للالوان » : (يريدون السود والصفير والحمير) . وبعد ذلك رأيت قطارا به عربتان واحدة خاصة بالسود والأخرى فيها بضعة أشخاص من البيض .

وكان يقرب منا الى الشرق على الاقيانوس مدينة (شارلستون) التى ذاع اسمها فى كل جهات العالم من سنوات قليلة : لامن حيث علاقتها بالمدينة الصحيحة ، ولكن لذلك الاثر الذى أحدثته فى العالم المتمدن ، وهو الرقص الذى يتصل فيه الراقص بالراقصة وتتحد فيه حركاتهما لفا ونشرا ، وذهابا وجيئة ! وهزاً ولزاً وارتعاشا واضطرابا ، وابتعادا واقترابا (وهو غير الرقص الافرنكى الذى تتضمن فيه الصدور ، وتعاشق الخصور ، وتتداخل الأرجل فيما بينها من ذلك الفراغ الذى جعلته الطبيعة حرما محترما غير مباح الا لمن يملكه) ! ، وقد أطرب الجميع تلك الموسيقى الجديدة التى بنغماتها المزعجة ، ونبراتهما المهيجة ، تستهوى العقول وتستلب الألباب وتؤثر على نفوس الراقصين والراقصات بما تؤثر به « الكودية » بطبوعها على أعصاب المصروعين والمصروعات - هذا الرقص وهذه الموسيقى هما مأخوذان عن عبید شارلستون ومع مالهما فى المدنية الاوربية والامريكية من ذلك الاثر الكبير، لم يجن منهما السود أية فائدة تصلح من حبوتهم فى الوسط الامريكى .

وطبيعة الارض فى هاته الجهة بوجه عام رملية ذات لون أحمر داكن أو فاتح



منظر آخر لجماعات البحر في پيش ص — ١٣٤

أو أصفر أو أبيض فاتح ، وذلك على حسب ما فيها من العناصر المختلفة التي يغلب عليها الحديد . وبعد دورة في المدينة ركبنا القطار الى مدينة أثينا (من ولاية جورجيا) فوجدنا على محطتها عميد كليتها ومدرسيها ، فركب كل واحد منهم مع جماعة من المؤتمرين في أوتوموبيل وقصدنا الجامعة ، ودخلنا قاعة بها بضعة صناديق للتربة المختلفة ، ووجدنا على الارض خريطة من الجبس للمقاطعة فيها بروزات وانخفاضات تبين حالة البلاد الطبيعية ، مبين فيها بالالوان المتغيرة انواع التربة المختلفة ، وعلى كل قسم منها يافطة بنوع النبات الذي ينمو فيها ، وفي هذه القاعة لوحة لبعض النباتات ، وفيها لوحة مرسوم بها شجرتان من القطن بجليتهما الطبيعية ، واحدة فيها عشرون لوزة منها تسع عشرة مفتحة ، وواحدة غير مفتحة ، وواحدة فيها عشر لوزات خمس مفتحة وخمس غير مفتحة ، ولوزاتها أصغر من لوزات الاولى . وسبب ذلك اختلاف قوة الارض التي زرعت فيهما الشجرتان . وضمن هذه المزارع وجدنا مزرعة للبامية ويسمونها « أوكرة » (كما يسميها العوام عندنا مبرومة) . وزرنا أيضا عدة مزارع منها مزرعة قطن ، وهو في هذا الوقت ارتفاعه نحو اربعين سنتي وقد أخذ في التزهير بل في انعقاد بعض لوزاته ، وقد يصاب القطن هنا في هذا الوقت في لوزاته من دودة خاصة غير الدودة التي تصيبه عندنا ، وهم يستعملون لها آلات رشاشة فيها كاربونات الكالسيوم . ويقولون : إن الفدان في تجاربهم يأتي بثلاث بالة من القطن ، والباله خمسية رطل شعر ، ومن هنا تعرف أن الفدان يأتي في تجاربهم بقطارين الاثلاث شعرا ، وهو مايقرب من اربعة قناطير وثلاث بذرده ، وهذا الاعتبار لا يتمشى على عموم الاراضى ، خصوصا اذا كانت واسعة ، فقد لا يبلغ القطن فيها نصف هذا القدر .

ويسبخون القطن في تجاربهم بمخلوط من نترات الصودا ، ونترات البوتاسا وسبرفوسفات وليست عندهم دودة للورق ، وقد تنضج اللوزات في آن واحد كلها أو جلها ، فاذا جنوها بأيديهم كما هو الحال عندنا ، بدؤا في قطع الخشب من

غير أية صعوبة ، لانه هش ليس فيه صلابة ما عندنا منه حتى في الاشترى .
وقد رأيت في معرضهم شجرة قطن فيها أكثر من ثلاثين لوزة كلها مفتحة
فاستأذنت وأخذت منها لوزة لمعرفة حال تيلتها وطولها : فوجدتها خشنة ونوعها
أقل من الصعدي عندنا ، وتيلتها لاتزيد عن سنتي ونصف .

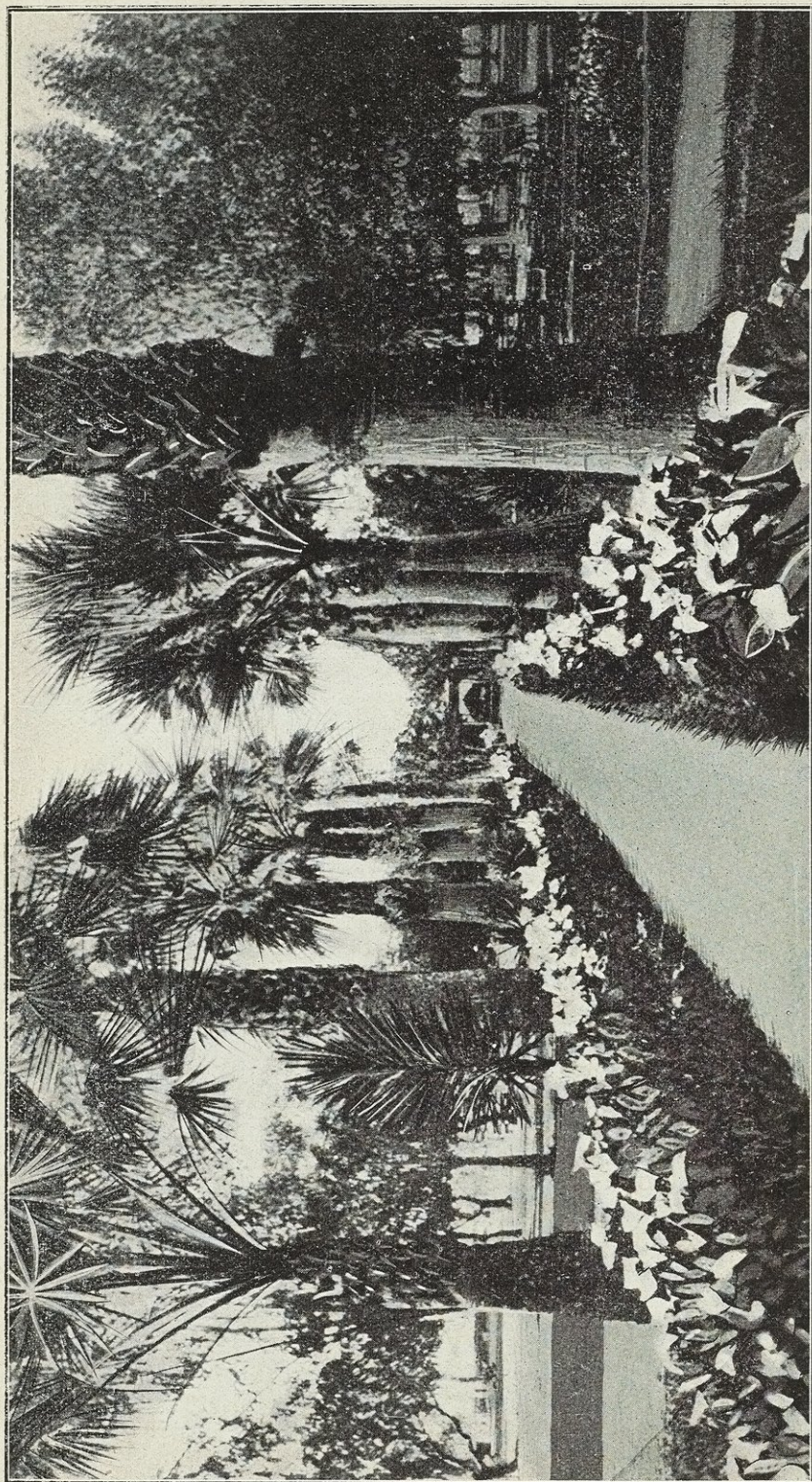
وبجوار بناء الجامعة وجدنا بناء فخا هو نادى مدرسى الجامعة ، اقيم تذكارا لمن
قضى نجه من مدرسيها في ساحة الحرب الاوروية .



ولقد شاهدنا هنا شيئا جديرا بالذكر : وهو أن أبواب الجامعة في الصيف كانت
مفتوحة ، وقد لجأ الى أبنيتها المختلفة المتباعدة عن بعضها البعض معلمات ومعلموا
المدارس الاولية ليقيموا بها مدة الصيف في حضور الدروس الصيفية ، ولهم معلمون
خصوصيون يدرسون لهم مايزيد في معارفهم في نظير مصاريف تافهة لا تتجاوز
بضعة ريالات في الشهر . والجنسان منفصلان عن بعضهما البعض في النوم ، لكل
دار خاصة به ، وقد يجتمعان في حضور الدروس كلها أو بعضها .

وهنا لا أدري اذا كنت الفت نظر وزارة معارفنا في فتح أبواب مدارس
المديريات في الصيف لمدرسى المدارس الاولية حتى يزدوا في معارفهم بدروسهم
في حاجة شديدة اليها ؟

تركنا مدينة أثينا وسار القطار عائدا الى اطلالتنا فوصلها في الساعة مساء
وهناك رأينا الاتوموبيلات تنتظرنا مع بعض أعضاء النادى التجارى ، فساروا بنا الى
النادى مباشرة ، وكان من معنا بعض مندوبى وزارة الزراعة وقد رتبوا أمرنا على
الاستحمام به ، حيث كان لنا بضعة أيام ونحن في دورتنا من غير استحمام ، وبمجرد
دخولنا الحمام قرأت في جوه شيئا من دروس الفلسفة العالية ؟ رجعنا بها الى فلسفات
كثيرة - منها ماهو خاص باصل الانسان حين كان يسكن الكهوف والأدغال !
ومنها مايدور حول الحلقة المفقودة التى تصل الانسان بالحيوان ؟ وقد كنا في هذا



احدی حدائق لونج پیش ص — ۱۳۶

الوسط الى التمثيل العملي بحيث اذا عف البصر عن النظر الى جاره وقد تجرد عن كل شئ الا عن جلده وقع على عشرات غيره تحت سماء هذا المكان بحالتهم الطبيعية !! وكانت أقل الفلاسفات بحثا في هذا الوسط أن الغاية تبرر الوساطة ، ومن أعلاها تلك التي فيما وراء الديموقراطية : في أن الانسان لا يمتاز عن الحيوان في بلاد فصلت الا وتوقراطية فيها بين الانسان وأخيه الانسان !!!

وبعد ذلك قصدنا محطة السكة الحديدية وركبنا قطارنا الذي سار بنا الى منفيس وقد قطع ولاية الاباما ، وولاية مسيسيبي من الشرق الى الغرب ومررنا في أثناء سيرنا في منتصف الليل على مدينة برمنجهام وهي في ولاية الاباما .

يوم ٢٦ يونيه

وصلنا في ضحى هذا اليوم الى مدينة منفيس ، وهي مدينة عظيمة في الجنوب الغربى لولاية تنسى ، وعدد سكان هذه المدينة ١٦٣ ألف نفس ، والمسافة اليها ١٩٦ ميلا . ونهر المسيسيبي يمر بهذه المدينة ، وهناك شاهدنا ما بلغ من أمر فيضانه بما تخلف عنه من الجزاير على جانبي النهر الذي تراها هنا كالنيل نجا بنى سويف بما فيه من الجزر . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر ركبنا قطارنا فسار في أرض مسطحة والزراعة فيها منتظمة ، تراها وقد غرقت قد أعادوا زراعتها والقطن فيها على ارتفاع ١٥ سنتي مما لا يبشر بمحصول له قيمة . وكما تكثر المزارع في هذا الاقليم تكثر فيه الغابات ، وبهذه المناسبة أرى أن الغابات مزرعة الضعيف قليل الأمل القريب ، مزرعة من لم يكن عنده كثير من الأيدي العاملة . وفي الساعة الخامسة بعد الظهر كان القطار يسير في أرض ولاية أركنساس ، وكانت مياه المسيسيبي تعلوا جميع الاراضى من على يميننا وشمالنا على مسافات بعيدة لا يصل البصر الى مداها ، وعليه فجميع الغابات والاراضى الزراعية هنا يعلوها الماء بمقادير مختلفة ، وقد تلفت مزارعات كثيرة في هذه المنطقة ولا يدري إلا الله متى ينصرف الماء الذي عليها .

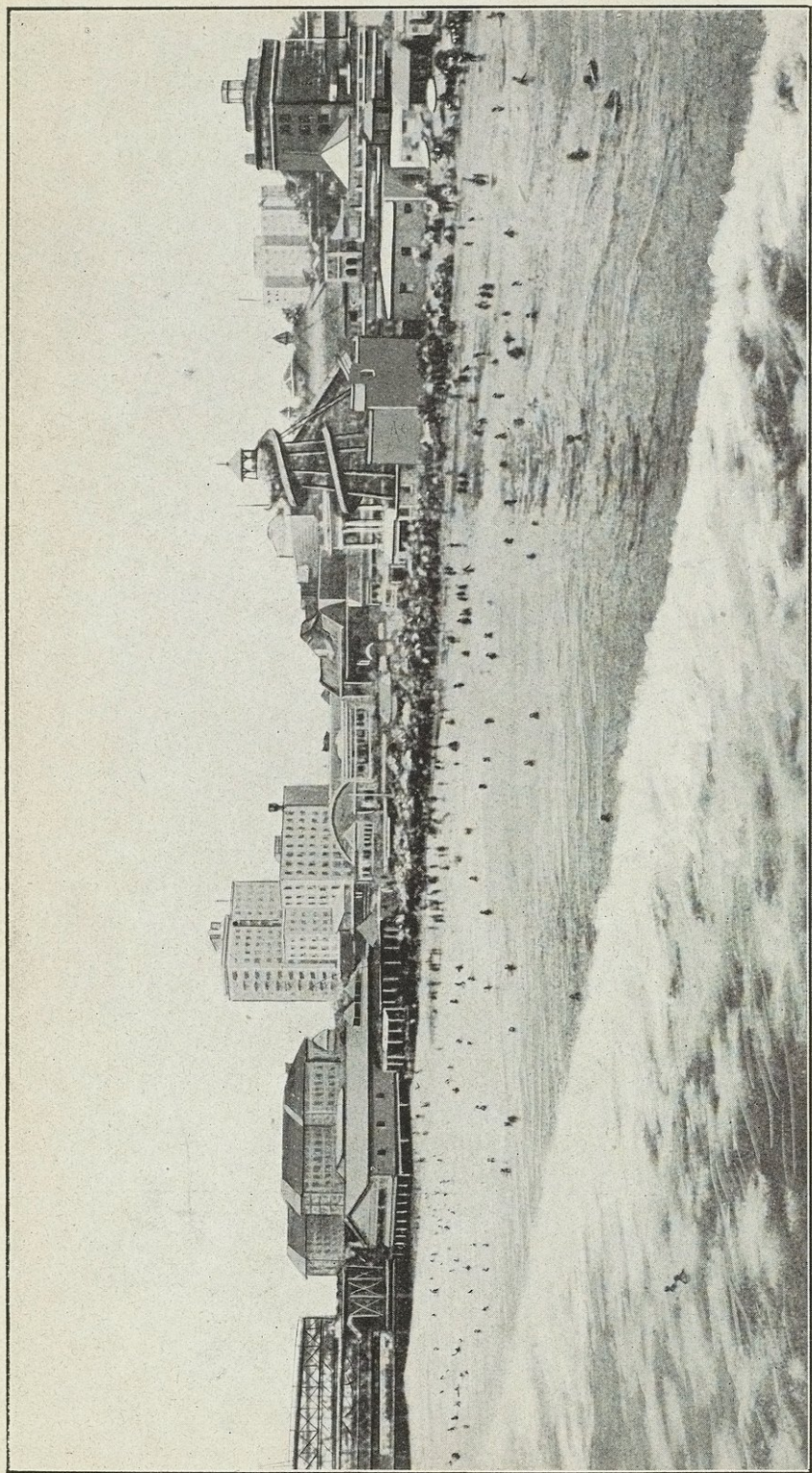
والذى يهيم البلاد التى تزرع الجيد من القطن إنه قليل هنا فى هذا العام ، وكنا فى سيرنا كما وجدنا أرضا قد انحسر عنها الماء ، لم نعلم أن تجد أرضا يعلوها الماء الى حد لانعلمه ، وعلى كل حال فهذه الاراضى قد اكتسبت كلها من الطمى مايعوضها ماقتها فى هذه السنة من وفرة الزرع فى قابل فليعمل على حسابه العاملون .

ونهر الميسيبى أكبر أنهار الدنيا بعد الامازون وطوله ٧٣٠٠ كيلو مترا ، ويقطع الولايات المتحدة فى وسطها من شمالها الى جنوبها حتى يصب فى خليج المكسيك ، ومتوسط تصريفه ١٨ الف متر مكعب فى الثانية الواحدة ، وله فروع كثيرة تخرج منه وتتجه الى الشرق والغرب ، كاله فروع كبيرة تصب فيه ، أعظمها نهر مسورى .

ومازلنا حتى وصلنا فى الصباح الى محطة هوبرج ، بعد أن قطعنا اليها ٣٦١ ميلا .

يوم ٢٧ يونيه

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة هوبرج ، ومنها الى مدينة قرطاجه ، والمسافة بينهما ٢٩ ميلا ، وعدد سكان الاخيرة ٩ آلاف نفس . وفى الساعة ٨ صباحا ركبنا الاتوموبيلات لزيارة بعض المزارع على بعد ٣٠ كيلو مترا كلها فى ولاية ميسورى . وهذه الولاية لا يزرعون فيها القطن لانها تشرب على المطر وهو قليل فيها صيفا ، وزراعتها بصفة عامة الغلال وبعض الخضر والفواكه ، والاراضى فيها يساوى فدائها من عشرة جنيها الى عشرين ، واليد العاملة فيها قليلة ، لذلك لم يعنوا بنظام الطرق بها إلا من خمس سنوات فقط ، وهى معبدة وليست بمرصوفة ولا مقيرة . وفى هذه الولاية معادن الرصاص والزنك والبتروك . والزراعة فيها ليست على مايجب ، مع أن أرضها أكثر جودة من بعض ماشاهدناه فى غيرها ، وقد كان معنا شاب هو أكبر سرة هذه الجهة ، أخبرنا أن عندهم ٧٠٠ فدان و ٥٠ بقرة فيها ثلاث عائلات ، فسألته عما يلزم للمائة فدان من الرجال لزرعها ؟



مدينة لوج يش على المحيط الاطلانطى ص — ١٣٨

يقال : « ثلاثة رجال » لان عملية الزراعة كلها على الآلات ، والاراضى واسعة وضامنة لمكسب غير قليل . ومن الامور الحيوية فى هذه الجهة الشركة بكل معناها بين الزراع وصاحب الارض : فاثمان الآلات مناصفة ، والمواشى مناصفة ، وغذاء المواشى مناصفة ، والسباخ والبذور مناصفة ، والمحصول مناصفة ، ومع هذا فالأرض تعطى لصاحبها ستة فى المائة من ثمنها سنويا .

وقد سألناه عن كيفية الحكم فى هذه الجهات فقال : « إن لكل ٢٥ ألف نفس تقاض للحكم فى شؤونهم ، ومرتبته ٥ آلاف دولار فى السنة ، ومن أحسن ما شاهدناه فى هذه الجهة :

آلة الحليب

وهى آلة بقوة حصان واحد تدور بالغاز ، وتخرج منها ماسورتان قطر الواحدة نصف بوصة ، تسيران فى طول مداود البقر على ارتفاع نحو متر ونصف ، وفيها على يسار كل بقرة حنفتان — وهاتان الماسورتان واحدة للمص والاخرى للكبس . وهناك جهاز هو عبارة عن خزان صغير من الكاوتشوك فيه من أعلاه خرطومان يركبان فى الحنفتين المذكورتين ، واربعة فى محيطه تركب فى ضروع البقرة الاربعة ، وواحد فى أسفلها مسلط على الآنية المخصصة للحليب ، فاذا دارت الآلة وفتحت الحنفتان حصل المص فى الضروع ، فيخرج اللبن الى الخزان وفى آن واحد يحصل الكبس الى الآنية حتى اذا امتلأت أتى بغيرها .

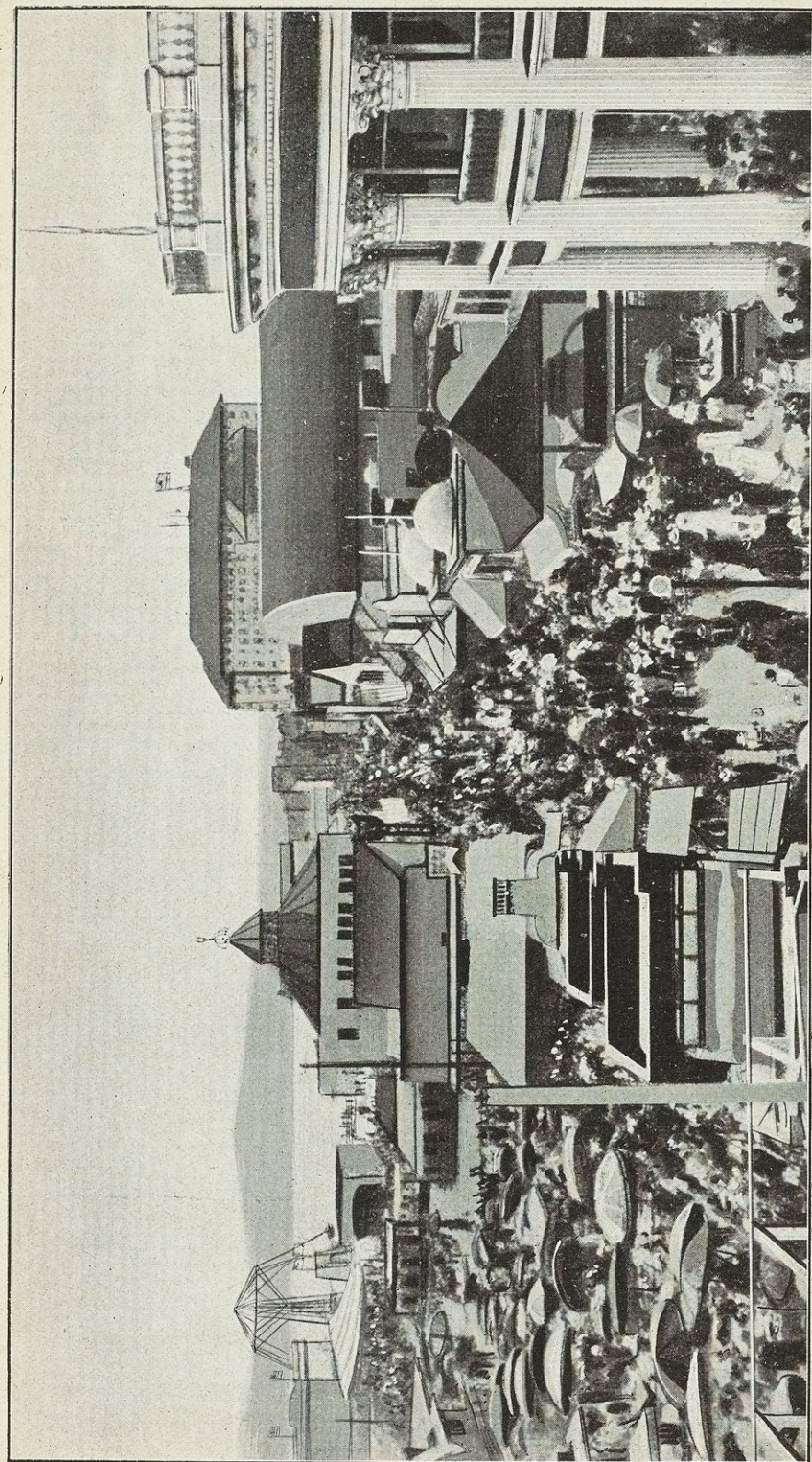
وبعد دورتنا فى بعض المزارع كنا نرى بعضها جيدا والبعض رديئا — لامن جهة تربة الأرض — ولكن من جهة العناية بالاولى وإهمال الثانية : وعلة ذلك هو أن العامل مع قلته هنا يفضل أن يعمل فى المناجم وهى هنا كثيرة جدا ، وخصوصا مناجم الزنك التى قد ترى العشرات منها فى منطقة واحدة ، كلها لمالك واحد أو عدة ملاك .

وقد تعدينا عند أحد أصحاب هذه العزب على النظام الذى مر بك شئ منه ، وبعد الغداء قام الخطباء من الفلاحين يخطبون فى المنفعة المتبادلة بين الانسان والانسان وبين الأُمم وبعضها بعضا ، وبعد ذلك عدنا الى قطارنا الذى قام بنا فى الساعة السادسة الى مدينة كانزاس سیتی وهى فى حدود ولايتى ميسورى وكانزاس .

يوم ٢٨ يونیه

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة كانزاس سیتی ، والمسافة اليها ٣٢٥ ميلا واول ما رأينا منها محطاتها ، وهى فى ترتيبها ونظامها ونظامها شئ قد بلغ حده ، بحيث كنت أتردد فى المقابلة بينها وبين محطة واشنطن التى قلنا : إنها من أحسن محطات الدنيا ، وما من كمال هنا الا اذا سرنا نرى أ كمال منه ! ! تركنا المحطة الى الاتوموبيلات التى خصصتها لنا الغرفة التجارية ، وسرنا قاصدين عزبة « أسنى بار » وهى من أكبر المزارع هنا ، وكان البوليس الركب يحافظ على النظام كشأنه فى كل سياحتنا . وهذه المدينة منقسمة الى قسمين يفصلهما نهر ميسورى — الأولى ولاية فى ميسورى والثانية فى ولاية كانزاس ، وعدد الأولى ٤٠٠ ألف نفس ، وعدد الثانية ٣٥٠ ألف نفس . ومحصول ولاية ميسورى من الغلال يقدر بمليونين ونصف من الدولارات ، وأغلبه من الذرة وإيرادها من الألبان والجبين والزبدة ثلاثة ملايين دولار .

مررنا فى شوارع المدينة الأولى وكانت أبنتها على غاية من اللطف فى نظامها ونظامها ، ولما خرجنا الى المزارع وجدنا الأرض بين نجود وخيوف ، وهضبات ومنحدرات ، كلها خضراء ، فالعالي منها قامت عليه الاشجار ، والمنحدرات زرعت بالغلال ، والاختلاف فيها زراعة الذرة نامية نموا عظيما ، ويظهر أن تربة الارض هنا أشبه شئ بالطين . وهذه المنطقة فى زرعها وتربتها خير من كثير مما شاهدناه فى الولايات التى قبلها ، وخصوصا من جهة العناية فيها بالزراعة وأرضها غنية



احد أسواق مدينة بيش — ص ١٤٠

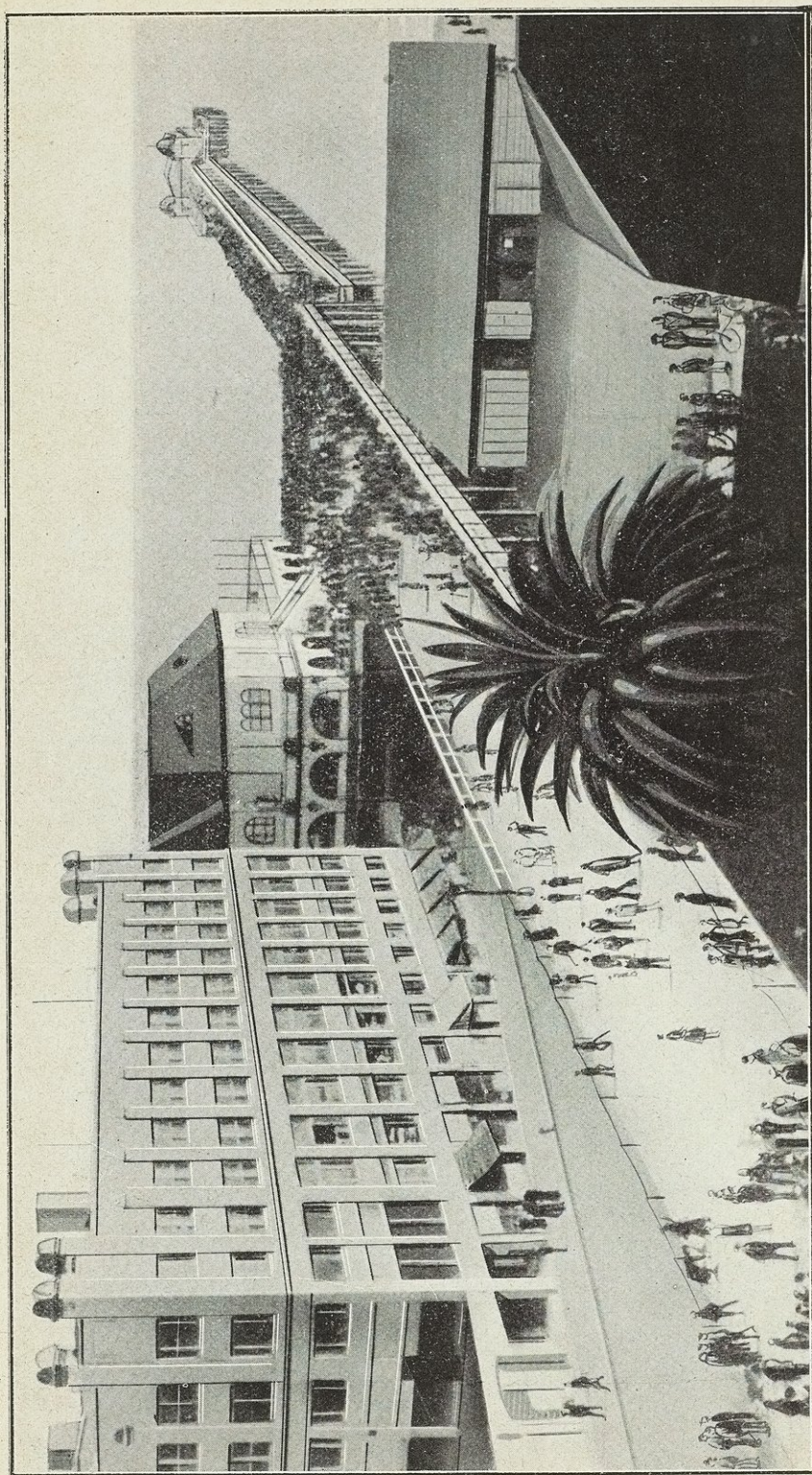
بالصودا والنتروجين والبوتاسا .

ومن أغرب الامور هنا أننا كلما مررنا على جهة سواء في التي زرناها أو في التي بين أيدينا ، يعطوننا بيانات وافية عن تحليل الارض في طبقاتها الاربع الاولى مع مقدار ما فيها من الخصبية ، كما كانوا يعطوننا في الجهات التي كنا ندعى فيها للطعام عصير التفاح المتخمّر ، وقد أحلوا هذا الشئ من الشراب بعد تحريم الخمر عندهم على شريطة أن لا يكون له أثر في الاسواق . وقد ذكرني ذلك بما كنت أقرؤه في كتب الأدب العربي كالاغانى والف ليلة من أن بعض الخلفاء كان يشرب نبيذ التمر أو غيره بما أحلوه لانفسهم بعد تحريم الخمر ولو أسكرت كثرت .

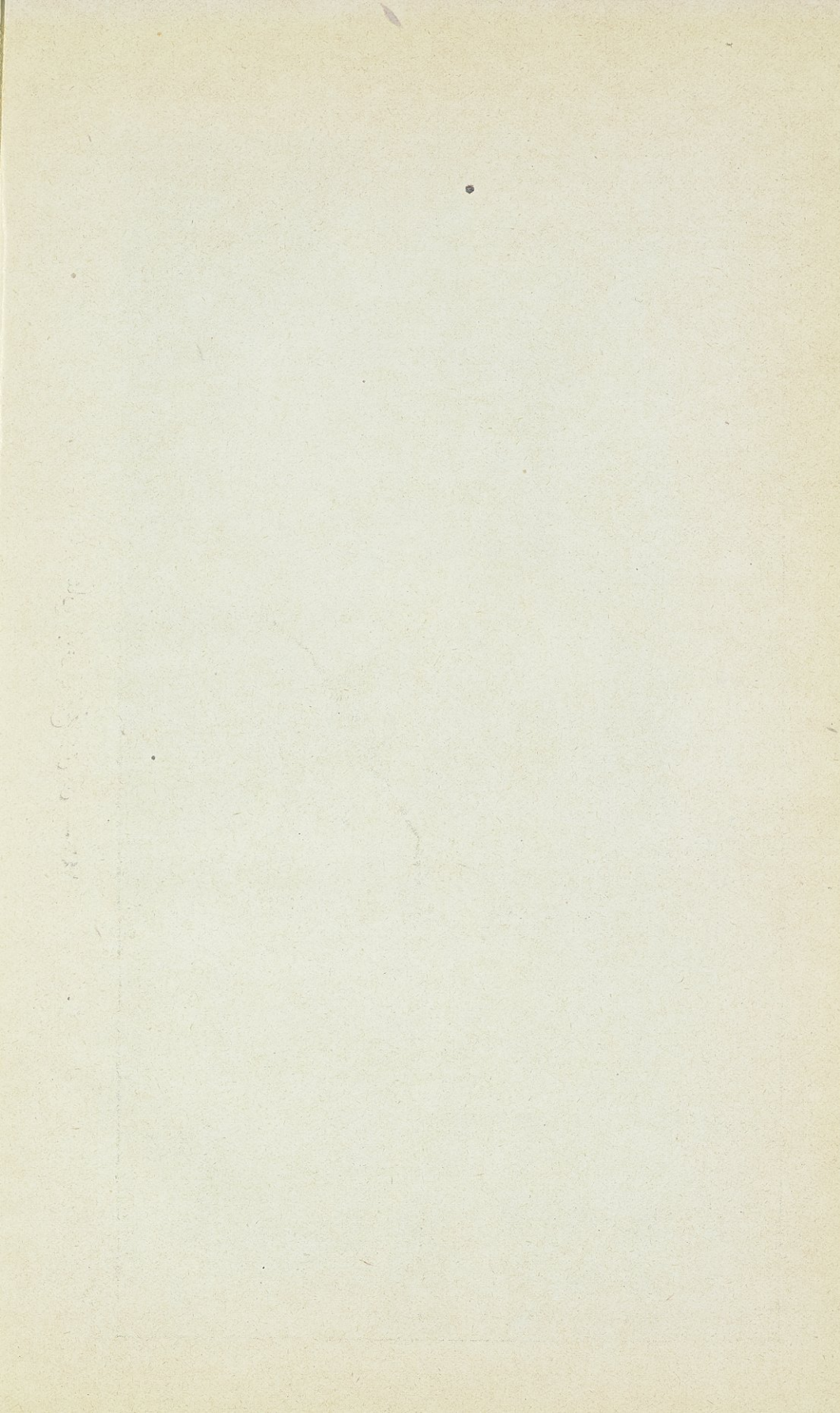
زرنا عربة أسنى بار ، وكلها أسطبلات من الخشب تربي فيها أبقار من عترة جيدة لها عندهم شهرة كبيرة ، ثم ترسل الى الاسواق فنباع بثمن عال جدا ، وقد أذكر لك بعض ماشاهدته بها لأقرب الى ذهنك شيئا منها : رأينا عجلا من البقر زنته ١٠٥٠ رطلا على أن عمره ١٥ شهراً !! وليس هو الوحيد في نوعه وفي جسمانه وعمره ، وقد رأينا ثورا تخاله في جسمانه فيلا لا ينقصه غير الخرطوم ، وقالوا لنا : إن عمره ثلاث سنوات !! وهنا يمكنك أن تحكم على مقدار عناية القوم بتربية الماشية . ثم توجهنا الى عربة ثانية لصاحب الاولى وتعدينا فيها غداء خلويا جمع بين البساطة وجمال الطبيعة ، وإني أذكر لك باختصار لتعرف كيف يمكن لرجل أن يعد غداء لثلاثمائة شخص في بضعة ساعات من غير ماهر ج ولا مرج ، وبدون كلفة ظاهرة : يسير مجموعنا صفا واحداً ، وأول ما يجده الشخص سيدة من وراء مائدة عليها خزان الماء ، وبجواره كوبات من الورق المضغوط ، والى جانب منها إناء كبير للشراب الخمر ، فيأخذ كل كوبته ويعرج على ما يشربه ، ثم يسير الى مائدة واسعة عليها صناديق من الورق (عشرون سنتي في نصفها في نصفها) فيعطى اليه صندوقا منها ، ويسير الى حيث يريد أن يجلس على العشب في ظلال الاشجار المحيطة بالمسكن ، وهناك مكان للقهوة يذهب اليه الواحد فيملاً كوبته قهوة أو لبناً أو خليطاً منهما ، أما

الصندوق فيه (سندوتش) باللحم أو بالجبن ، وفيه كوبة بهاشي من الخضار المطبوخ وورقة فيها بعض قطع من السكر لتحلية قهوته ، وأخرى فيها قليل من الملح ، وإلى هذا شوكة وسكينة من الورق ، وفي بعض الاحيان ترى به شيئاً من الفاكهة ، وكثيراً ما تدور علينا بعد الأكل سيدات بشي من العجلاطه - قل لي بربك مافى ذلك من السكافة ؟ ؟ إنه كرم لا كلفة فيه !! كرم جمع بين حاجة الضيف ومالا يتقل على المضيف ! ؟ كرم لا تدري له شكلاً في بلادنا المشهورة بالكرم وسعة الصدر ! لا ننا في كثير من الاحيان تتجاوز حدود الكرم : فاذا أتانا الضيف في الظهر مثلاً على غير انتظار بمجيئة - فوضا عن كوننا تقدم اليه مايسعه وقته من الغذاء الذي هو في حاجة اليه بدون أدنى كلفة - فانا نرى صاحب البيت يغدو ويروح بين يدي ضيفه بعبارات التأهيل (لا التسهيل) . ومع تكرار طلب ضيفه لما تيسر من الغذاء فان الغذاء لا يقدم اليه إلا في الساعة الخامسة أو الرابعة !! يقدم اليه واللهم يكاد يتصاعد من أطباقه ، وهو في الغالب قليل السواء في جميع أصنافه التي نراها فوق الحاجة في كثيرتها ، وأقل مما يجب في جودة صناعتها !! ذلك لأن صاحب المكان اعتاد أن يكلف نفسه في طريق كرمه بما لا يلزمه ، ويكلف أهل بيته بما ليس في طاقتهم ، احتفاء بهذا المسكين الذي كان يفضل أن يأكل في ميعاد أكله كما لو كان يأكل في بيته بدون كلفة وبدون أدنى مشقة .

تركنا القرية الى الاوتوموبيلات ، وذهبت بنا تضرب في الارض كل مذهب حتى وصلنا الى مزرعة مستر لونج - وهو أحد أصحاب الملايين في واشنطن - مزرعة هي روضة من أحسن ما رأيت من الرياض ، تكتنفها غابة من الاشجار الباسقة ، من ورائها جملة صوبات لتربية النباتات . والطريق في وسط الروضة طريق عام مرصوف محفوف ، وأرض الروضة قد فرشت ببساط سندسى مقصوص بيد العناية والرعاية ، وهل هناك نعيم أكثر من هذا ؟! خصوصاً اذا عرفنا ان هنا وهناك أمكنة للعمال المتزوجين فيها بيوت لسكنهم مع عائلاتهم ، ولعزاب أمكنة وحدها



شارع البحر في لوجيش — ١٤٢



لكل منهم فيها غرفة ، وبجوار ذلك مدرسة وملعب رياضي للعمال ، وبين هذا وذاك المنزل الخاص لصاحب المزرعة وهو بطبيعة الحال منزل يليق بمثله ، ومن وراء هذا كله الاسطبلات الخصوصية لصاحب المزرعة ، وليس هناك من داع لوصف عظمتها إلا بان أقول لك : إن قريبا منها مكان للسباق الخاص بخيله .

وهذه الولاية لا تفرق بين السود والبيض ، لانها من ولايات الشمال التي ليس للالوان فيها من فوارق ، لذلك ترى السود فيها رافلين في نعمتهم ، وأسعد حظا من اخوانهم في ولايات الجنوب . وهنا تتساءل عما اذا استمرت هذه الفوارق بين الابيض والاسود في ولايات الجنوب (والسود هم القائمون فيها بالزراعة والخدمة العامة) وهاجر الاسود الى ولايات الشمال فماذا يكون من أمر ولايات الجنوب ؟

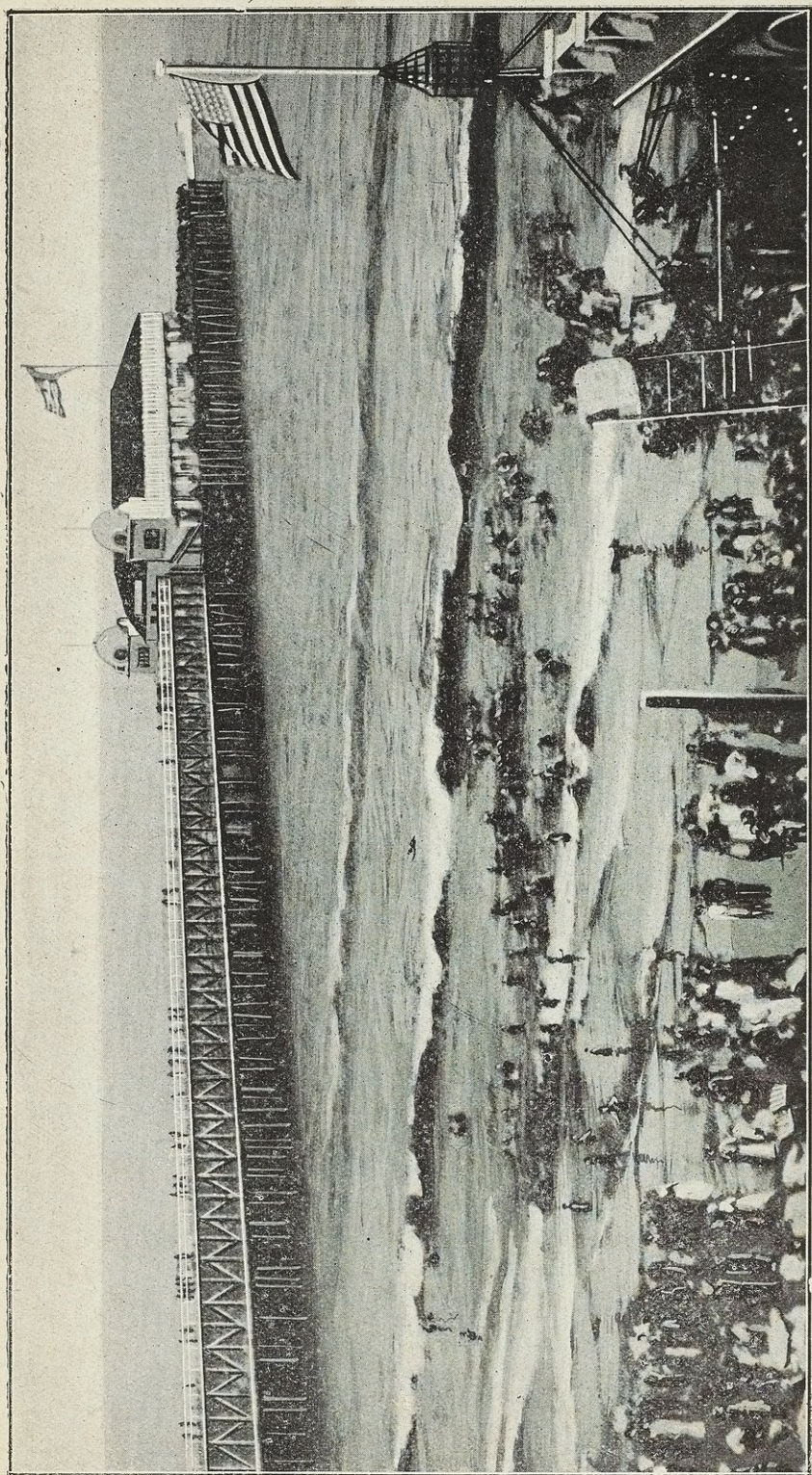
عدنا في الساعة السادسة مساء الى المدينة ، وقصدوا بنا نادى الغرفة التجارية وهو بناء فخم أكثر من عشر طبقات ، فصعدنا الى الطبقة الثامنة وفيها الحمامات الباردة والسخنة ، والى جوارها مكان فيه بركة عمقها أكثر من مترين وسعتها نحو عشرين مترا في عشرة ، وكل بنائها من الرخام الجميل ، وهنا كانوا يطلبون منا أن ندرى سوأتنا باللباس الخاص بالحمامات البحرية لان البركة في أعلاها ايوان قد تشرف منه السيدات على المستحمين ، وبعد ما أخذنا حظنا من الاستحمام صعدنا الى الدور العاشر وفيه مطعم النادى ، ويطل من جهاته على المدينة التي تراها في انوارها كلها في زينة من أجل الزينات . وبعد أن تناولنا عشاءنا توجهنا الى المحطة حيث ركبنا القطار فسار بنا في الساعة العاشرة الى محطة لا كروس ، التي وصلناها في الساعة الثامنة صباحا ، وكان سيرنا كله في أراضى ولاية كانزاس .

يوم ٢٩ يونيه

وصلنا في صباح هذا اليوم مدينة لاكروس وعدد سكانها ٨٠٨ آلاف نفس
وهي في ولاية كانساس والمسافة اليها ٣١٦ ميلا ، والارض في هذه الجهة منبسطة
بجالة عامة ، وترى فيها أثر الغلال مزروعة بكثرة ، وهي تشغل ثلاثة ارباع الارض
والزراعة فيها على المطر وهو أقل منه في ولاية ميسورى واعتمادهم هنا على تربية
الماشية ، والزراعة على نسبة ثلاثين فداناً لكل شخص وهذا مايدلك على كثرة
الاراضى في هذه المنطقة ، لذلك ترى ثمن الفدان من اربعين الى خمسين ريالاً ،
وارتفاع القمح في هذه الارض لايزيد عن اربعين سنتماً ، وعملية الزراعة على
الآلات . والذي يظهر لى أن هذه الارض في غاية الخصوبة ، لان القمح يزرع
فيها محل القمح بدون تسميد على الدوام ، وهو مايدعو الى الحكم بان الارض غنية
جدا بالنترات ومتوسط محصول الفدان من القمح ١٣ بشل ، والبشل ثمنه ريال .
وعلى هذا يكون دخل الفدان تقريباً من أربعة الى خمسة فى المائة ، والحكومة تضع
الضريبة هنا على الاراضى بنسبة مايجترقها من السكك الزراعية ، وبنسبة العناية
بهذه السكك : فاذا كان الطريق ممهداً معبداً على حالته أخذوا نحو ربع ريال عن
الفدان ، واذا كان مرصوفاً أخذوا ريالاً ، واذا كانت المنطقة فيها مدرسة أخذوا
على الشخص ريالاً . وهذا غير الضريبة العامة على الاشخاص وهي ريال عن
كل نفس .

والتسميد فى هذه الجهة هو بما يسمونه بالسماد الاخضر : وهو ان يزرعوا فيها
برسياً أو مافى معناه ثم اذا نما يحرثونه وهو اخضر فى ارضه ، ويكثر عندهم
البرسيم الحجازى الذى يمكث فى الأرض جملة سنوات .

وقد وصلنا فى هذه الجهات الى عزبة شاهدنا بها منظراً جميلاً : شاهدنا فى
دائرة من الارض مسورة بالاسلاك الشائكة بضعة مئات من الابقار بين كبير



شاطيء الاطلانطي ومرفأ حمام البحر في لونغ بيدش ص—١٤٤

وصغير ، ذكر وأثنى ، والكل فى صعيد واحد ، ومن دونها راعىها على فرسه وفى يده فرقته يفرق بها يمينا فتجرى جملة الابقار الى اليمين ، ثم يفرق بها يسارا فتجرى يجمعتها الى الشمال .

ومن أغرب شئ أن المطر لا ينزل هنا الا فى مدة الصيف ، وحيث أن طبقة الأرض صخرية على بعد قريب فيخزن فيها الماء ، وخصوصا فى الأرض المتروكة من الزراعة ، حتى اذا جاء شهر سبتمبر وزرعوا الغلال بها أمكنها أن تغذى بالامتصاص من الماء المخزون فى الطبقة السفلى للنبات حتى تنتهى أشهر الشتاء التى لا مطر فيها فاذا جاء شهر مارس وابتدأ المطر تغدت منه فى آخر أيامها الى وقت حصادها ، وعندها يأتون بآلة الضم والدرس فتسير فى الارض فتضم ما فيها من النباتات وترفعه الى جهة منها ، فينزل الحب الى مخزن فيها ، وينزل الهشيم على الارض من جهة أخرى ، فيأخذونه غذاء للمواشى . وهذه الآلات إما أنها تسير بواسطة الخيل أو البترول ، وقد سألنا عن الآبار الارتوازية فعلمنا أن الماء بعيد عن سطح الارض التى طبقتها حجرية صخرية ، على أنها تحتاج الى مصاريف باهظة لا تتناسب مع منتجات الأرض .

تركنا العزبة فى الساعة الخامسة ، وبعد أن تعشينا فى القطار قام بنا فى الساعة السابعة ينهب الارض وهى بصفة عامة ليس فيها شئ من الغابات ، وحتى أشجار الفاكهة قليلة فيها ، ولكن يظهر أن للقوم هنا عناية بترية الماشية والخيل وهى عندهم كبيرة الحجم . ومازلنا حتى وصلنا الى محطة (أوردوى)

٣٠ يونيه

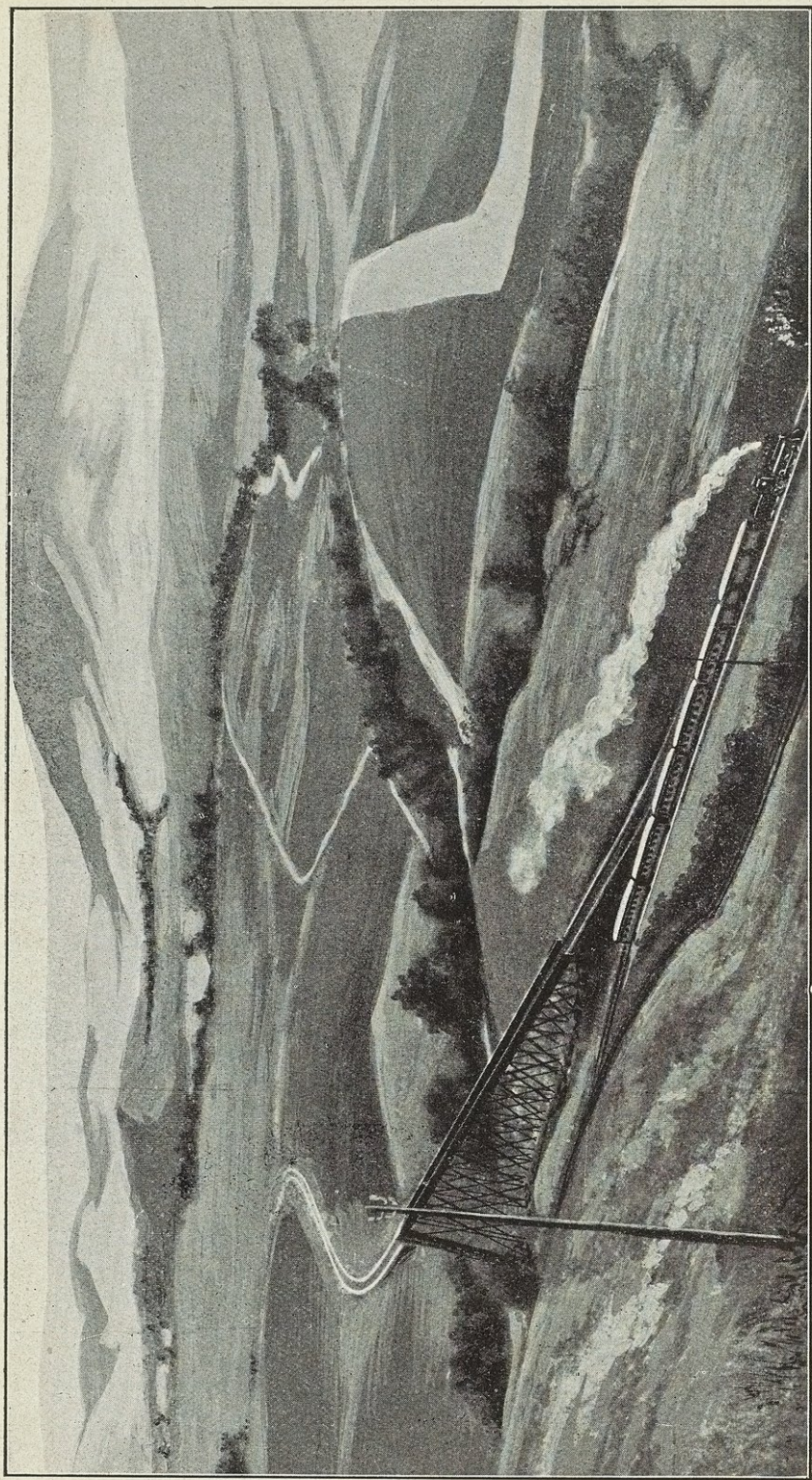
وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة أوردوى وهى فى ولاية كولورادو ، والمسافة التى قطعناها اليها ١٠٧ أميال ، والاراضى فى طول هذه الولاية مسطحة ، والزراعة فيها قليلة أو هى لا تزرع إلا التمح فى بعض جهاتها وبعض الحشائش التى (١٠ رحلة)

تغذى الماشية. ولا يلوح على هذه الولاية شئ من مظاهر الثروة لان زراعتها قليلة وليس فيها من المعادن لغاية الآن مايفتح أبواب الكسب من طريق آخر: وذلك لأنها داخلة فى المنطقة الصخرية التى فى غرب الولايات المتحدة .

ويحسن بنا أن لا نترك هذه الولاية من غير أن نشير الى الولايتين فى جنوبها : وهى ولاية (أو كلاهوما) ثم ولاية (التكساس) والاولى مشهورة بمعادن الفحم ، وزراعة الجبوب والقطن ، وتربية الماشية . والثانية مشهورة بوفرة قطنها وجودته ، وهو ما يهدد البلاد التى تحصر كل حياتها فى زراعة القطن ، كالقطن المصرى .

تركنا هذه الارض المنبسطة التى يهددنا مستقبلها لزراعته للقطن ، واذا عدم القوم كل أو بعض الوسائل التى تسمح لهم بزراعته اليوم فانهم والعمل ملازمهم والجهاد دائماً لا يعدمون وسيلة فى المستقبل القريب لزراعته فى أرضهم التى هى من الجودة بمكان عظيم . تركنا هذه البلاد المنبسطة التى تقرأ فى صفحاتها كل عبارات التهديد والوعيد لبلادنا بزراعتها القطن الذى حصرنا فيه حياتنا وقوتنا ومجدنا ، أو بعبارة أخرى حصرنا فيه ثروتنا مادامت الثروة هى ذلك كله !! ودخلنا فى ولاية كولورادو التى تبتدىء بعد قليل من حدودها الشرقية بالمنطقة الصخرية للولايات المتحدة : وهى تتناول الولايات التى فى شمال وجنوب وغرب كولورادو وهى : ولاية مكسيكا الجديدة ، وارىزونا — فى الجنوب — وولاية ويومنج ، ومونتانا وداهو ، واريجون ، وواشنطن — فى الشمال — وولاية أوتا ، ونوفادا ، وكاليفورنيا — فى الغرب . ومع صخرية أرض هذه الولايات فانها مشهورة بقاتها الكثيرة ، وبغزارة ماشيتها ، كما أن كاليفورنيا مشهورة ببساتينها ووفرة ما فيها من الفاكهة المختلفة الانواع والالوان .

وقبل أن نترك ولايات الوسط المشهورة مع ولايات الشمال بمعادنها وجبوبها وماشيتها ، لابد أن نشير الى ولايات الجنوب (التى حرمنا من زيارتها) وهى كارولينا ، وجورجيا ، والاباما ، وميسيسى ، ولويسيانا ، واوكلاهوما ، وكلها تزرع



القطن بكميات وافرة ، وخصوصا الاربعة الاخيرة التى تزرع كثيرا من قطن (سى ايلاند) الذى هو كالقطن السكلاريدي المصرى فى جودته إن لم يكن أحسن منه . وهنا نذكر لك مساحة هذه الولايات التى تزرع القطن فى الولايات المتحدة لى تعرف شيئا بسيطا مما يهدد بلادك فى هذه المملكة وحدها :

ميل مربع	
٢٦٢٢٩٠	التكساس
٦٩٨٣٠	أوكلاهوما
٥٣٠٤٥	أركنساس
٤٥٤٢٠	لويزيانا
٤١٧٥٠	تنسى
٥١٥٤٠	الاياما
٤٨٥٨٠	كارولينا الشمالية
٣٠١٧٠	كارولينا الجنوبية
٥٨٩٨٠	جورجيا
٤٦١٤٠	ميسيسى
٧٠٧٧٤٥	المجموع

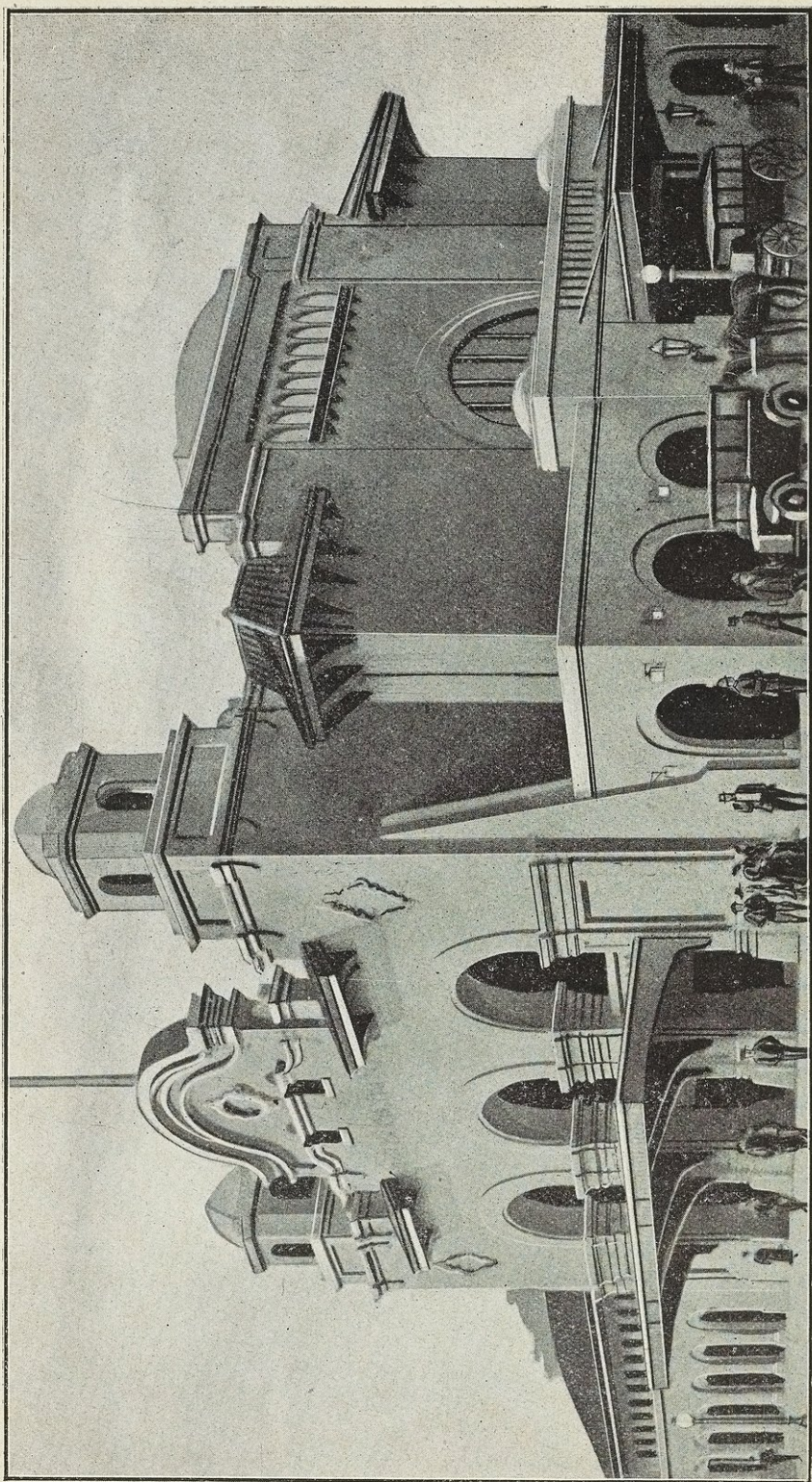
واذا قلنا إن مجموع الولايات القطنية لا تقل فى مساحتها عن ربع الولايات المتحدة ، واذا فرضنا أن المنزرع من الولايات القطنية ربعها فقط ، كان المنزرع كل سنة أكثر من مائة وثلاثين ألف ميل مربع من القطن ، وهو أكثر من خمسين مليون فدان مصرى !!! (وقد تجاوزنا عن السكسور ليكون عندنا عدد بارز)
واذا اعتبرنا أن الفدان يأتى فى متوسط السنين بقنطار ونصف شعر ، كان متوسط محصول الولايات المتحدة (فى غير هذه السنة) هو من ١٥ الى ١٦ مليون بالة !! وهى نسبة القلة للمحصول الأمريكى . ثم اذا اعتبرنا أن اهتمام القوم بزراعة

القطن سائرة الى الامام سواء في زيادة المساحة ، أو في العناية بالزراعة مع قلة الامراض في شجيرات هذا الصنف عندهم — واعتبرنا أن المزروع هو ثلث الأرض لاربها . عرفنا أننا مهددون من الولايات المتحدة على الدوام بكثرة محصولها . والقطن يجنى فيها الى الآن باليد ، وكانوا اخترعوا آلة لجنيه ، فكانت تأخذ معها كثيرا من الورق واللوز بحاله ، ثم اخترعوا آلة أخرى لها خراطيم ستة تسلط على الشجرة فتشطف القطن من لوزاته ، ولكتهم وجدوها ليست وافيه بالغرض فتركوها حتى يحسن حالها .

على أن الذي كان مزروعا من القطن في سنة ١٩٢٦ بالولايات المتحدة وهو ٤٨ مليون فدان ، بلغ محصولها ١٨ مليون بالة تقريبا . وحوض الميسيسي الى الجنوب هو الذي يزرع القطن والذي يتكافأ مع القطن السكلاريدي في جودته (المسمى أيلاند) إن لم يزد عنه ، وقد غمرت المياه في هذا السنة من حوض الميسيسي ثلاثة ملايين فدان ونصف ، منها مليونان ومائة وثلاثين الف فدان قطن ، و ٧٢٧ الف فدان ذرة ، و ٢٥١ الف فدان دريس ، و ١٨٠ الف فدان خضارات ، وغرق مع هذا كله ١٧٧ الف بالة قطن محلول .

ومن الغريب أن وزارة الزراعة في واشنطنجتون لا تريد أن تعطى بيانات عن زراعة القطن الحالية ، ولا عن التي في العام القابل .

وهنا لابد أن نشير الى أن حكومة التكمساس استقدمت المستر « طود » الانجليزى الذى يشتغل الآن في المباحث التطنية في بلاده ، وخصوصا من الوجهة الاقتصادية . هذا الرجل الذى لا يجمله المصريون حيث كان مدرسا لعلم الاقتصاد بمدرسة الحقوق الملكية ، استقدمته حكومة التكمساس لالقاء بعض محاضرات في القطن في بلاده : تريد بذلك أن لا تنف عند حد في كل ما يتعلق بالقطن ، سواء من الوجهة الزراعية أو الاقتصادية ، فهل لحكومتنا أن تستقدمه بعد ذلك للارتفاع بجارائه خصوصا بعد زيارته لهذه الجهة التى تهددنا في حياتنا ؟ ؟



احدى محطات السكة الحديدية بالولايات المتحدة ص — ١٤٨

أظن أن الحكومة لاتتضمن بمثل هذا العمل ، فى حين أنها لاتتضمن على بلادها باستقدام هؤلاء الذين يحاضروننا فى التاريخ القديم - لايطاليا مثلا - مما نحن فى غنى عنه لانه لايزيد فى حياتنا المادية ولا ينقص منها .

وأمرأض الوراثة فى النبات كماهى فى الحيوان تجب العناية التامة بها ، والقوم هنا درسوا كثيرا من أمراض النباتات ، وإن كانوا لايزالون فى حيرة من وصولهم الى دواء نافع لبعض الادواء ومنها الحشرة التى تصيب لوزيات القطن ، ولكنهم أخيرا توصلوا الى حل : وهو أنهم يرشون القطن بمادة سامة بواسطة الطيارات ، تطير الطيارة فوق سطح شجيرات القطن وبواسطة خرطوم رشاش يرشون الشجيرات ، ويقال إن هذه العملية أنتجت نتيجة محسوسة فى اباداة هذه الحشرات ، ولكن هل يمكن أن تتوفر عندنا هذه العملية بعد أن رأينا ماعملته الحكومة مع الطيارة أنيسة التى قدم بها حسن أنيس باشا من أوربا فى الخريف الماضى سنة ١٩٢٦ ؟! وقد وضعت الحكومة فى وجهها جميع الموانع بحجة أن قانون (١) الطيران لم يسن بعد فى بلادنا .

وهل لوزارة الزراعة ان تدرس هذا الموضوع بحالة جدية فيما يختص منه بدودتى الورق واللوز ؟ خصوصا بعد ان شاهدت ماعملته دودة الورق بقطن مصر فى هذه السنة ، وتعمل لذلك طيارات تضيفها الى ما عندها من ادوات التبخير الذى نراه وإن كان لم يأت بكل الفائدة فقد وصل منها الى شئ كثير .

* *

وكما تقدمنا فى هذه الجهات الى الغرب كلما دخلنا فى أرض الصحراء التى

(١) والآن وقد اهتم شبابنا المصرى الجرى أمثال صدقى ورشدى وحسين بك بالطيران الأهلى ، ووصول الأول الى مصر بين مظاهر الحفاوة الكبرى التى استقبلته بها الحكومة والشعب جميعا - لعل هذا كله يفتح السبيل الى ايجاد مصلحة طيرن أهليه تنتفع بها البلاد فى مرافقها الحيوية المختلفة .

لا حدود لها . وهنا نرجع بالقارىء الى القرن الثانى والثالث للهجرة لئرى معه أن العرب سیرت الماء الى صحارى إسبانيا ولم يكن عندهم من الوسائل الهندسية ، ولا من هذه الآلات الجهنمية ما عند القوم الآن منها ، إذن فلا يبعد على القوم يومامن الايام أن یسیروا الماء من نهر كورادو الى هذه المناطق التى تنتج كل شىء اذا وجدت الى الماء سبيلا . وهل مانراه فيها الآن يمينا وشمالا من ذلك السراب الذى یرينا على حدود الافق ماء ولا ماء ، يتحقق بعناية القوم يوما ما مع مساعدة الاقدار التى نراها على الدوام سائرة خطوة بخطوة مع العاملين المجدين .

هذا إذا حصرنا خوفنا فى الولايات المتحدة وفى محاصيلها ، ولكننا إذا نزلنا الى الجنوب وتعدينا المنطقة الاستوائية إلى البرازيل - تلك المملكة الواسعة الشاسعة التى تتيه فى مجاهلها الولايات المتحدة بقطتها ومحاصيلها ، هذه المملكة الجديدة فى كل شىء ، والفتية فى كل شىء ، والغنية فى كل شىء ، إلا فى ناسها : غنية فى أرضها ، فى غاباتها ، فى معادنها ، فى ملئها ، ببركة كثرة ما فيها من الانهر ، وخصوصا نهر الامازون الذى هو أكبر نهر فى الدنيا . فلو تيسرت لها اليد العاملة هى الاخرى ووصلت فيها زراعة القطن الى كل أوبعض ما وصلت اليه فى الولايات المتحدة فماذا يكون من أمرنا ؟ نعم أن هذا لا يتيسر فى زمن قريب ، ولكننا إنما نبحت عن حياة الامة - نبحت عن حياة امتنا العزيزة - وعمر الأمم لا يحسب بالايام .

وهنا نرجو وزارة زراعتنا الاهتمام بهذا الموضوع ، نرجوها أن تضع من اليوم أساس تجاريها فى كل ما ينفع فى بلادنا ، نرجوها أن لا تجعل تجاريها على ما فيه رقى زراعة القطن بصفة خاصة ، بل زراعات القطر بصفة عامة ، خصوصا إذا راعت زيادة السكان عندنا بهذه الكثرة التى إن استمرت على نسبتها الحالية ، لابد أن تصل بنا إلى ضعف عددنا فى عشرات من السنين ، نرجوها أن تفكر فى وضع أساس لتجاريب جديدة فى زراعات جديدة ، وعندها من خيرة رجالها المجدين المفكرين ما يكفل قبول الرجاء ، ويصل بنا إلى ما يتحقق به الأمل .

فى ظهر يوم ٣٠ يونيه وصل قطارنا الى محطة بيوا بلو ، وتعدادها ٢٣ الف
نفس ، ومسافة ماينها وبين أوردوى خمسون ميلا . وبعد أن تغدينا بالقطار ركبنا
الاتوموبيلات التى سارت بنا فى وسط أرض منبسطة من على الجانبين ، وممهدة
تمهيدا تاما ، وهذه الأرض تسقى بالرى المنظم من نهر كولورادو . رأينا من
الجانبين أرضا تميل الى بعض الاصفرار ، والزراعة عليها نامية نموا عظيما ، والاشجار
فيها هنا وهناك نضرة ، والعزب تتخلل المزارع من قرب ، فتخلينا أننا بمصرنا
العزيزة ، لولا مناراه فى مزارعنا من كثرة الأيدى العاملة ، وان كان العامل عندنا
لا يعمل بهمة العامل الأمريكى ولا بنشاطه ، اللهم الا القليل ممن يعمل لخاصة نفسه .
وهذه الأراضى تزرع فى الغالب البنجر وثن الطن منه سبعة ريالات ، والفدان
ينتج هنا عشرة أطنان ، فيكون ايراد الفدان نحو ١٤ جنيه فى الأربعة أو الخمسة
الأشهر التى تشغل فيها الأرض بهذا الصنف ! ! سألنا عما يعملونه فى الأرض بعد
ذلك ، فقالوا : سلبا . ثم أوردوا ذلك بأنهم مجدود فى عمل دورة زراعية حتى
لا يجرمون من الانتفاع بالأرض طول السنة . والزراعة هنا واسعة تسقيها ترع
صغيرة عرضها نحو مترين ، وماؤها فيما رأيناها أعلى من الأرض الزراعية بأكثر من
نصف متر ، وبهذا تعرف أن الرى بالراحة ، ومع ذلك لم أرى فى الأرض تطبيلا
مطلقا ، كما لم أربها أملاحا . والشئ الوحيد الذى رأيت عدم العناية به ! هو جسور
الترع ووفرة الحشائش التى تنمو عليها ، وهذا ولا شك سببه قلة الأيدى العاملة .
ولقد شاهدت هنا التمح ينمو نموا عظيما ، وان ماشاهدت منه هنا يمتاز فى جودته
عن كل جهة رأيتها . ولابد أن غلة الفدان تأتى بضعفها فى الجهات الأخرى ، لأن
زراعته صيفية وصيفيا صفوفا ، وبين كل صف والذى يليه عشرة سنتيمترات أو تزيد
قليلا ، فى حين أنها فى غير هذه الجهة لا تقل عن أربعين سنتمرا . وقد شاهدت
أن البنجر هنا قوى جدا . ومساكن هذه الجهة من الخشب ، وبعضها بالطوب
الأحمر ، وفى أبنيتها ماهو من الطوب الأخضر ، وطول الطوبة نحو ٤٠ سنتمرا

فما يتناسب معها عرضا وسمكا . وكانت أشجار البقس وغيره مما لا أعرف له اسما تظلل الطرق ، ومجارى المياه الحمراء تخترق الأرض في كل جهة . ذكرنا هذا في مجموعه بمصرنا العزيزة ، ذكرنا بوطنتنا المحبوب الذى وان بعدت عنه جسومنا فقلوبنا كانت حيثما كنا واينما وجدنا لا تبرح عالقة به تؤدى له على الدوام تحية الولاء والاخلاص . وما شاهدناه هنا مزرعة تكثر في ارضها نترات الصودا - والغريب هنا أن تجاريهم دائرة حول تخفيف مافيهما من هذا الجوهر الذى نحن محرومون منه ونشتريه بثمان غال !! وذلك باضافة املاح أخرى على الأرض تقلل بتفاعلها الكيماوى من شدة تأثير النترات على النبات . ولقد أعجبنى أن البنجر يزرعونه خطوطا ، وكل خطين مزروعين يمررون بجوارهما قناة صغيرة لا تزيد من أعلاها عن عشرين سنتيمترا فتسقى وحدها صفيين من النبات ، ويبقى الخط الوسط بينهما جافا .

وبعد ذلك توجهنا الى حيث أخذنا عشاءنا في محل لاصحاب هذه الأرض يسع نحو أربعائة شخص ، وكانت الموسيقى به تنعشنا بنغماتها وقت الأكل ، وعند الانتهاء قام الخطباء شاكرين كرم القوم ، ذاكرين مافى البلاد من نعيم وخيرات لا تنفى ، ثم عدنا الى قطارنا الذى قام بناصاعدا نحو الشمال الى (كولورادو اسبرنج) .

يوم أول يوليو

وصلنا الى هذه المدينة في أول يوليو بعد أن قطعنا اليها ١١٩ ميلا ، وعدد أهلها ٣٠ ألف نفس ، وهى في آخر الخط الحديدى الذى يسير اليها من نيوا بلو . وفى الساعة السابعة صباحا تركنا القطار وأفطرنا في لو كنده المحطة ، ثم ركبنا الاوتوموبيلات الى محطة الفنو كيلير ، للصعود الى قمة جبل كولورادو ، وكنا أخذنا لها تذاكرنا من قبل . ركبنا هذا المصعد الكهربائى في الساعة التاسعة صباحا فسار بنا مارا في طريق محفور في الجرانيت بيد الطبيعة وهذبته يد الانسان ، وقد قامت على حافتيه أشجار الصنوبر والبلوط . وعلى ارتفاع ١١٥٠٠ قدم انبسط

الوادي نوعا ، ورأينا فيه بحيرة ممتلئة بالماء الذي ينزل اليها من المثالج التي في أعلا الجبل ! وبعد أن صعدنا نحو مائة قدم رأينا السحاب يتكون في منطقة أسفل منا . ولما صعدنا الى ١٣٠٠٠ قدم وجدنا البرد قد اشتد كثيرا ، والاشجار قد اقتطعت نموها وأصبحت رأس الجبل جرداء ، وقد ابتدأت مثالج الجليد تظهر لنا هنا وهناك في أخاديد الجبل مما ذكرنا بجبال سويسرا ، لولا أن منظرها هنا جاف وليس فيه من مظاهر الحياة الا ذلك الطحلب الذي نراه عادة على قبور الموتى .

وصلنا الى قمة الجبل ، وكانت درجة الحرارة نحو عشرة تحت الصفر ، ودخلنا لوكنده هناك أخذنا بها شيئا من الشاي ، وبعد أن استرحنا حول المناقد التي بوسطها ، عدنا أدراجنا الى قطارنا الكهربائي الذي سار بنا في منتصف الساعة الحادية عشرة الى مدينة كولورادو ، فوصلناها الساعة ١٢ ونصف . ولا يفوتنا هنا أن نقول إن كثيرين من الركاب أخذوا دوار الجبل ، وهو ما يشبه دوار البحر تماما في تأثيره على أعصاب المعدة . ثم ركبنا قطارنا فسار بنا الى مدينة (كامون سيتي) والمسافة التي قطعناها اليها ١٦٠ ميلا .

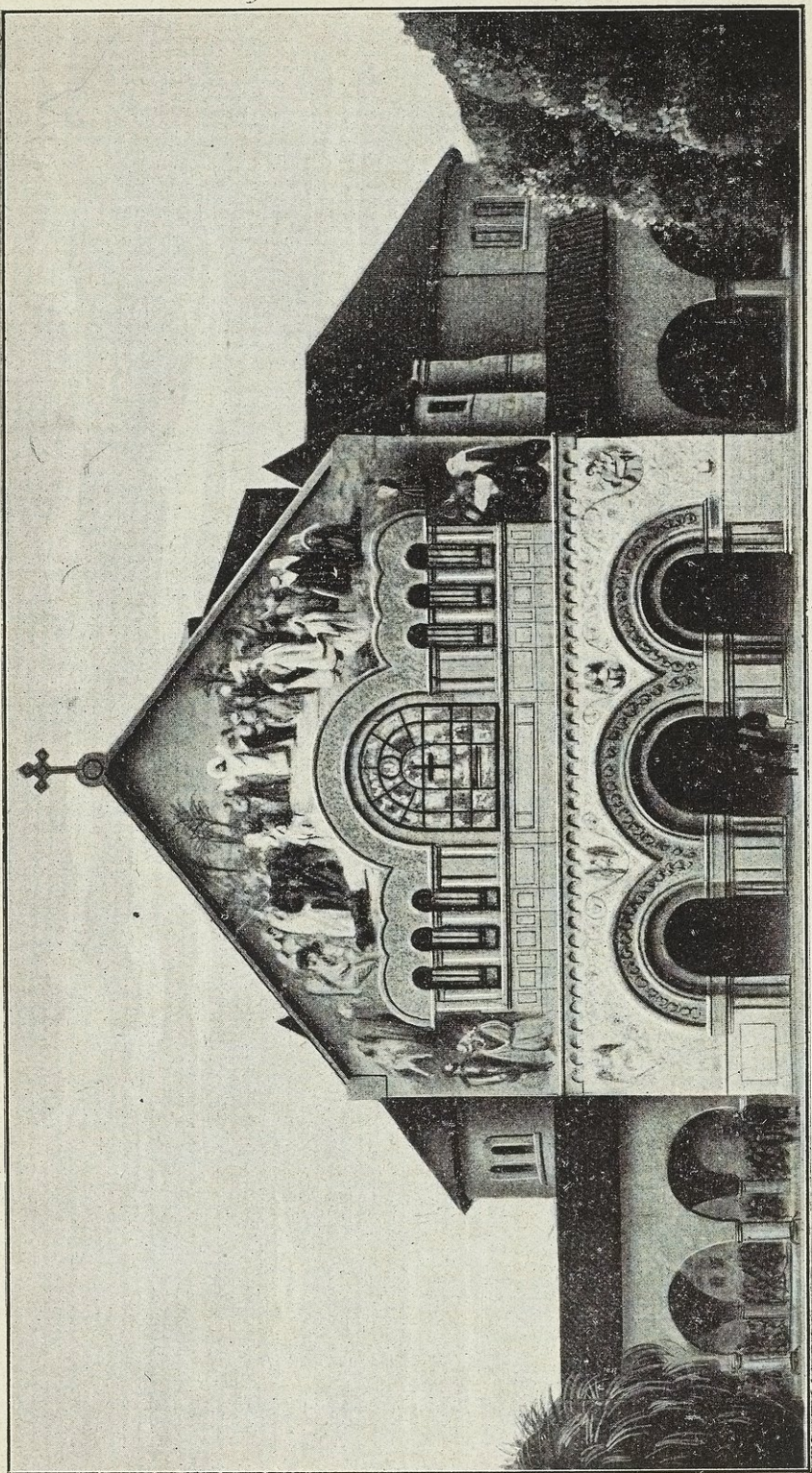
يوم ٢ يوليو

وصل القطار الى محطة كامون سيتي في صباح هذا اليوم ، وهي مدينة صغيرة عدد سكانها أقل من خمسة آلاف نفس ، وبعد أن أفطرنا ركبنا المركبات لمشاهدة مزارع هذه الجهة التي تكتنفها الجبال من كل جهة حتى يصح أن نسميها واحة جبلية ، فيها بعض أشجار الفاكهة ، ومزارع الخضر والحبوب ، وتخللها بعض مجارى المياه ، ومنها مجارى جافة لا يسير فيها الماء إلا في آخر فصل الشتاء . وهناك جبل على شكل حائط بين الصحراء والواحة يبلغ ارتفاعه مائة متر ، وعرضه من أعلاه على عرض الطريق الذي لا يزيد على أربعة أمتار ، فلما وصلنا الى أعلاه تمثل لنا الخطر في صعوده ونزوله ، خصوصا ونحن راكبون (الاتوموبيل) ولما نزلنا الى

الوادي حمدنا الله على سلامتتنا، وسرنا الى المحطة حيث ركبنا قطارنا الذي قام وقت الظهر وسار في طريق بين جبلين عاليين أحمرين يسمونه (ويل جورج) ومن دون الطريق الحديدي نهر كولورادو الذي لا تزيد سعته هنا على ثمانية أمتار ، وقد امتدت في حوض الجبل على جانبه الايسر انبوبة قطرها نحو ثلاثين سنتيمترا يأتي فيها الماء من ارتفاع بعيد لشرب المدينة ، وعلى جانبه الآخر طريق عرضه نحو ثلاثة أمتار يرتفع عن الماء بمترو نصف أو مترين على الأقل كثير يسير فيه الطريق الحديدي . فوق القطار بين لابتى الجبلين الصخريين ، ونزل بعضنا منه لمشاهدة هذا الوادي الذي خطته يد الماء لجري الماء ، ذلك الوادي الصخري الذي اخترقته تلك اليد اللينة الرقيقة التي مازالت - والصبر قرينها والجهاد ملازمها - تطالب على ضعفها بحقوقها في الحياة ، تلك القوة المائلة التي وقفت في طريق حريتها ، حتى زحزحتها عن مكانها بيد الحق لا بيد القوة . وهما هو هذا الخلق الرقيق يسير بين هذه الصخور الشائحات بكل عظمة وكبرياء هما نتيجة صالحة لصدقه في جهاده ، وإخلاصه في عزمته . وهل يصح أن يكون هذا الوادي مدرسة يتعلم الانسان في صفحتها درسا من دروس الدفاع الوطني ؟! من هذه الطبيعة التي كثيرا ماتقف منا عن قرب موقف تعريف وإرشاد ونحن في عي عنها ، وصمم عن نصيحها وإرشادها ؟!

استأنف القطار سيره في هذا الوادي الضيق نحو ساعتين ، ثم انفرج نوعا وظهرت امامنا رؤوس الجبال وقد ظهر على نواصيها جلال المشيب ، وظهرت على قممها المناج ، وأخذت تظهر على صفحة الوادي هنا وهناك بعض المزارع ، حتى اذا كانت الساعة الرابعة تغير شكل وجه الطبيعة بما هو فوق الجفاف ، حتى لكأنك ترى الأشجار التي تمر عليها في حالة النزع ، وقد سار قسم من النهر الى جهة المغرب بعد أن كان سيره كله الى المشرق .

ومازال القطار يسير وسط هذه الجبال الجافة ، وكلما سرنا أخذ منظرها يزداد جفافا حتى خلنا أنفسنا بين يدي تلك الطبيعة المتوحشة التي يذكرنا ما فيها من وحدة



واجهة كنيسة بولايات الاتحاد ص — ١٥٤

ورهوة بالنقطة التي تنتهي اليها الكائنات الحيه ، خصوصا اذا لاحت منك التفاته ورأيت جميع السفار وكل جاثم على نافذته وأبصارهم حائرة ، وقلوبهم طائرة من خشية ما ينظرون ، ووحشة ما يحيط بهم من تلك المناظر التي اذا تركوا شيئا منها وقعوا في دائرة مناظر أخرى أشد وحشة ورهوة ! وكان بجوارى رجل من أهل المكسيك حقق لى أنه مع كثرة أسفاره لم ير مشاهد أعجب ولا أغرب ولا أوحش مما وصفناه لك بكل اختصار .

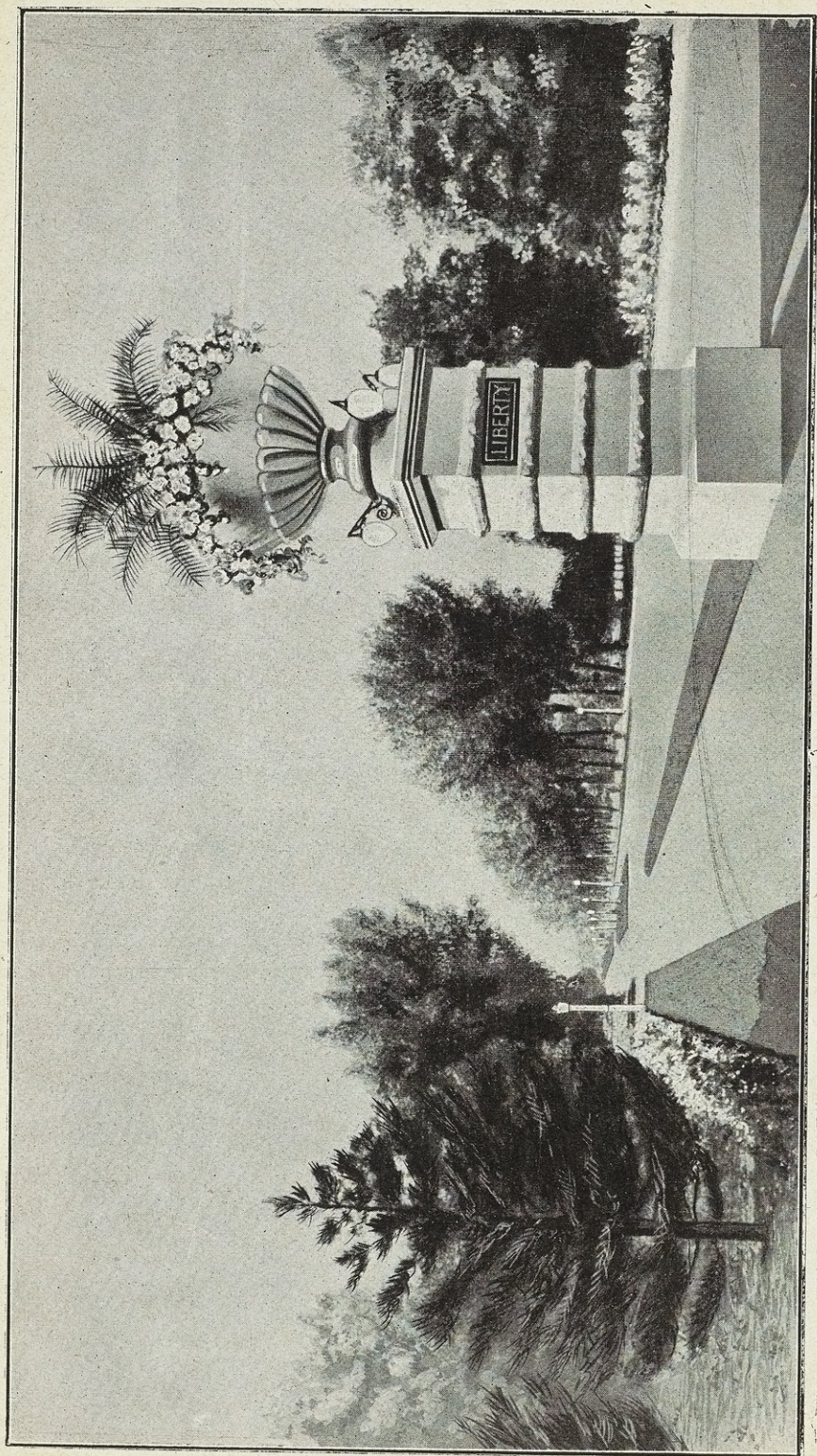
وفي الساعة السابعة مساء وصلنا الى محطة « جلنوود اسبرنجس » وفيها تغير منظر طبيعة الوادى الذى ظهر لنا لا بساحلته السندسية ، ولم يزل القطار سائرا فى هذا الوادى يضيق أحيانا ، ويتسع أحيانا ، ويخشن آوثة ، ويجمل أخرى ، حتى وصلنا فى الساعة الثامنة صباحا الى محطة (سيلت ليك سى) .

فى يوم ٣ يوليو

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة سيلت ليك (مدينة البحيرات الملحة) وهى فى وسط ولاية ايتاه بميل الى شمال بعد أن قطعنا اليها ٥٨٥ ميلا ، وعدد سكانها ١١١ ألف نفس كلهم من طائفة المورمون . وكان فى انتظارنا جماعة منهم ، فاخذونا الى محطة القطار الكهربائى فركبناه الى البحيرات : فسرنا فى واد اتسع أمامنا اتساعا عظيما ، وظهرت على أرضه من الجانبين تلك الاملاح التي افسدت تربنها بحيث أصبحت غير صالحة للزراعة . وتكثر البرك الملحة على طول الطريق ، وكان يظهر فيها شئ من البط ، وكان يتخلل هذه الاراضى بعض الجداول الصغيرة ، ولكنها لا تفيدھا لانھا محرومة من المصارف . نعم كانت هناك بعض مزارع من البرسيم والقمح فى بعض الجهات العالية ، ولكن القوم أحاطوها بمصارف واسعة تجذب اليها بواسطة الرش بعض الاملاح الموجودة فيها ، وكنا نبصر من بعد أكواما كبيرة من الملح ، وقرىبا منها وابورات لتنقيته ، ومركبات

للسكة الحديدية لشحنه . وانهى بنا المسير بعد ساعة الى بحيرة كبيرة بنى في وسطها رصيف تسير عليه القطر الكهربائي نحو كيلو متر ، وفي نهاية الرصيف كازينو كبير جداً جمع كثيراً من موجبات التسلية والسرور : ففيه قسم للالعاب المختلفة ، وآخر للحمامات وثالث للمطعم ، وبلى ذلك قاعة للجلوس تسع أكثر من اثني عشر ألف نفس ، وهذه القاعة تطل على البحيرة من الجهتين ، وبجوارها الحمامات البحرية وهي بنظام جميل جداً أحسن منه في كل جهة . رأينا فيها نحو ألف غرفة للمستحمين ، وماء البحيرة فيه $\frac{25}{100}$ من الملح مع أن البحار الملحة ليس فيها منه أكثر من $\frac{4}{100}$!! وقصارى القول أن هذا المكان به مايشوق الانسان و يروقه بنظامه البديع وسعته العظيمة . وبعد أن اخذنا حماماتنا (باجرة نصف ريال لكل شخص) تغدينا هناك بدعوة من الغرفة التجارية للمدينة على النظام الخلوى ، ثم قامت الخطباء بعد الغداء حسب المعتاد تتكلم في شتى الموضوعات ، وكنت أرجو أن يكون لنا نصيب من ذلك ولكن مادامت الخطابة في مدارسنا ممنوعة ، وفي غيرها غير مشروعة ، فنحن على قديمنا فيما هو محفوظ عن ظهر قلب ! ! وهل يمكننا أن ننسى أنه يوجد بين اظهرنا الى الآن قوم لايزالون يقولون في دعائهم يوم الجمعة « اللهم اجعلهم هم و . و . » نعم انا نشطنا من عقائنا يوماً ما واخذنا نكتب و نقول ونخطب ولكن في موضوع واحد .

أما القوم هنا فمن ضمن مسابقاتهم المدرسية تربية البديهة عندهم ، سواء من طريق الكلام أو من طريق الكتابة ، لان في جامعاتهم ومدارسهم مسابقات بين الطلبة في أوقات يقترحون عليهم فيها الكلام في موضوعات مختلفة يرتجلها المتكلمون ، أما اذا اجتمعوا للمسابقة في الكتابة فتوزع عليهم ظروف مختومة لا يعلم أحد بما فيها ، ويحدد لهم ميعاد ضيق للجواب عنها ، هنالك تنشط الاقلام بما توحيه الافكار ، وتعطى للبرزين فيها الجوائز ، وبهذا تربت عندهم قوة البديهة في الكلام وفي التحرير .



مدخل حديقة المكتبة في مدينة سولت ليك (البحيرة المالحة) ص — ١٥٦

دخلنا روضة جميلة جداً فيها بنا آن : واحد على شكل الكنائس المعتادة
ياوروبا في جمال منظرها الخارجى وحسن روائه بما فيه من النقوش البارزة أو
المفحورة وهذه تسمى عندهم قدس الاقداس ، ولايدخلها أحد الا من كان متقدما
في مذهبهم ، والثانية بناء هائل بسيط في منظره الخارجى وهو الذى دخلناه .
وهذا البناء على شكل بيضاوى قطره الكبير نحو مائة متر، والصغير نحو خمسين
مترا ، قامت عليه قبة واحدة وإن كانت بسيطة فى بابها ولكن بساطة المكان فى
عمومه ترفرف عليه آيات الجلال والفخامة . وبعد أن أخذنا مقاعدنا وقف رجل فى
جانب من الهيكل وتكلم بعبارات التأهيل والترحيب بصوت عادى كان يرن
فى ارجاء المكان ، ثم دعا رجلا منهم فقعده الى آلة موسيقية (اورج) كانت تشغل
صدر المكان ، وهى كبيرة جدا فى نوعها فادار يده عليها فصدرت عنها نغمات
تطرب الاذان مع ما كنافيه من سكوت عميق ، وكانت هذه النغمات تبدو نارة
قريبة بحيث تكاد تكون على ملامس منا ، وآونة تبدو بعيدة بما كنا نخالها معه
على بضعة أميال ، وبالجملة فقد أسمعنا هذا الرجل المعجب والمطرب بما كادت نبراته
تطيش لها الابواب لولا ما كان يكتنفها من جلال وجمال ، وهيبة ووقار . وهنا تقول
لك كلمة عن طائفة المورمون الغربية التى أصبح لها فى عالم النصرانية شأن كبير
لنطقتوسهم الخاصة بهم لاسيا فيما يتعلق بتعدد الزوجات :

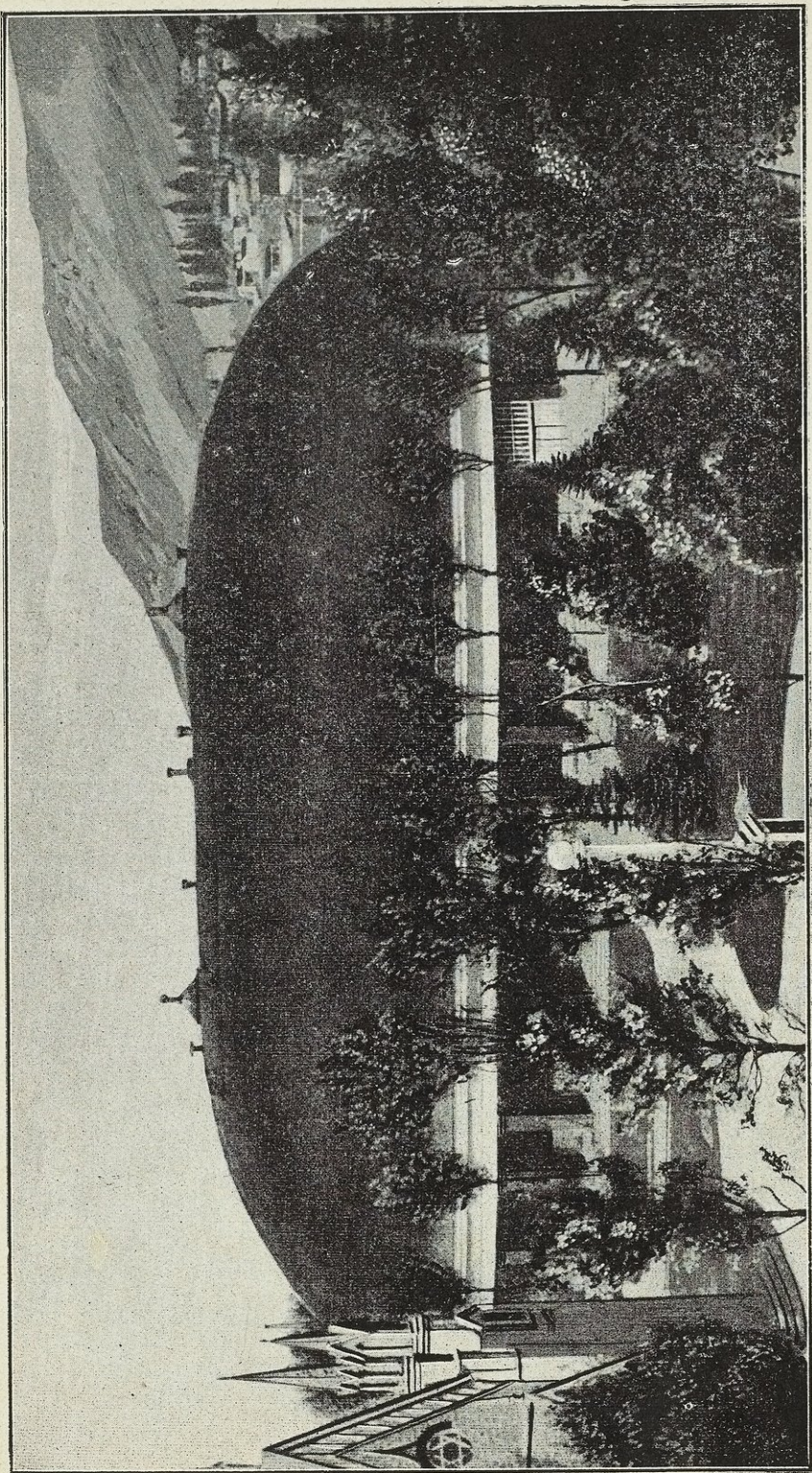
المورمون

فى سنة ١٨٢٠ م ظهر رجل اسمه يوسف سميث فى قرية شارتون من ولاية
نيويورك ادعى أنه رأى الله جهرة . وفى سنة ١٨٢١ ادعى أن ملاك الرب أتى اليه
وأخبره بأن الله بعث اليه برسالة الانجيل الحقيقى مكتوبة على ألواح من الذهب ،
وفى هذه الألواح قصة المورمون الذين كانوا يوجدون بهذه البلاد قبل المسيح بستائة
سنة وكانوا من المؤمنين الذين يعبدون الله على الطريقة الحققة .

ومن عقائدهم أن الانسان مادام قادرا على الزواج فله أن يتزوج . وفي سنة ١٨٤٣ قررت كنيستهم تعدد الزوجات وأخذوا به فعلا ، وهنا قامت قيامة الناس على هذا المتنبي الجديد ، ورفعوا أمره الى القضاء جملة مرات ولكنه كان يخرج من أمامه بريثا ، وكان هذا يزيد في نار الحقد التي كانت تضطرم في قلوبهم حتى اذا انتهزوا فرصة وجوده هو وأخوه وستة عشر من شيعته في مدينة قرطاجة رموهم بالرصاص وقتلوهم جميعا . فانتخب المورمون خليفة له رجلا من حواربييه اسمه « بريهام يانج » ولكنهم مازالوا في اضطهادهم حتى قر قرارهم على الهجرة فباعوا أملاكهم وساروا الى جهة الغرب في فبراير سنة ١٨٤٦ وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى البحيرات الملححة في ٢٤ يوليو سنة ١٨٤٧ بعد أن قطعوا على أرجلهم ٢٤٠٠ كيلو مترا كانت كلها مشقات والوانا من العذاب .

وهنا أخذوا يحرقون الأرض ويشقون مصارفها ويصلحون من أمرها بهمة لا تعرف الملل ، ثم زرعوها فانتجت لهم غلة وافرة : أقاموا منها هيكلهم ، ومازالوا باجتهادهم في الزراعة حتى قلبوا هذه الصحراء الى روضة غناء ، وهي الآن من أحسن أراضي أمريكا إن لم تكن أحسنها جودة واثاجا ومعادن مختلفة ، إلا أن أهل الجهات المجاورة مازالوا يحسدونهم على نعمتهم ، فاتهمهم بأن لهم ضلعا مع الحر (الهنود) وانهم يخشى منهم على الأمن العام ، فارسلت حكومة الولايات محققين لتحقيق هذه الأشاعات فوجدوها لا صحة لها ، وأن ليس عليهم من شائبة إلا ما يخالف الدين المسيحي في كثرة الزواج .

وحقيقة فقد كانوا يتزوجون مثنى وثلاث ورباع بل أكثر من ذلك ، وكان رئيس كنيستهم يباح له زواج إحدى وعشرين امرأة وهم يقولون :
إن الله أباح الى نبيه إسميث كثرة الزواج لمصلحة النوع الانساني لان فيه عصمة وفضيلة ، وإن الانبياء ابراهيم ويعقوب وغيرهم كانوا يتزوجون باكثر من واحدة ، ويرتكبون في كثرة الزواج على قول المسيح لحواريه : « تكاثروا تناسلوا



كنيسة المورمون في مدينة سولت ليك (البحيرة المالحة) ص — ١٥٨

وعمرها الأرض » . ومن جهة أخرى فانهم يقولون : إن مذهب لوثير يرى أن زواج الانسان بمرأتين في آن واحد ليس فيه من جريمة ضد القانون الالهى ، وهم يزعمون أنه يأتى يوم تنقصر الحروب من الرجال فيضطرون الى كثرة الزواج لأجل حفظ النوع الانسانى .

إلا أن حكومة الولايات المتحدة أصدرت في ٢ يوليو سنة ١٨٦٢ مرسوما بامضاء الرئيس لنكونلن يمنع تعدد الزوجات فى الولايات المتحدة وجعلوا لذلك عقابا يتراوح بين ٥٠٠ ريال غرامة الى خمس سنوات سجن ، ثم غيروه بقانون آخر فى ٢٢ مارس سنة ١٨٨٢ وجعلوا عقابه السجن ستة أشهر ، والحرمان من الحقوق المدنية .

وفى التعداد الاخير وجدوا منهم ثلاثة آلاف رجل فى عصمتهم تسعة آلاف امرأة ، فتررت الحكومة التفريق بينهم ، إلا أن القوم لم يعدموا وسيلة لانكار الزوجية فى حال عدم الجمع بين الزوجات بحيث أصبح لكل واحدة مسكن بمفردها « مسكن شرعى » .

وفى سنة ١٨٨٧ صدر قانون يقضى بأن قسائم الزوجية لابد أن تقيّد عند كاتب العقود ومن يخالف ذلك تصادر جميع املاكه ، وهنا ابتدأت الحكومة فى الضغط عليهم وصرح لهم القاضى بأنه يكتفى منهم بالوعد باحترام قانون البلاد ، ولكن الكثير منهم لم يقبل هذا الوعد وفضل السجن على وعد يقوم على قاعدة الكذب . غير أن رئيس الكنيسة المورمونية (البابا) أظهر لهم النصيحة بعدم كثرة الزواج حتى يهدؤا من قمة الحكومة وضغطها - ولكنها العقيدة تتظاهر بغير ماتخفى الصدور خصوصا فى حالة ضعفها .

واقده كان مجلس السناتو فى السنين الاخيرة ينظر فى صحة انتخاب أحد الرؤساء الذين عندهم عضوا بالمجلس ولكن المجلس قرر عدم صحة انتخابه لانه يتبع مذهبا يقول بتعدد الزوجات الذى يحرمه القانون . وقد قال هذا الرجل فى أثناء تحقيق

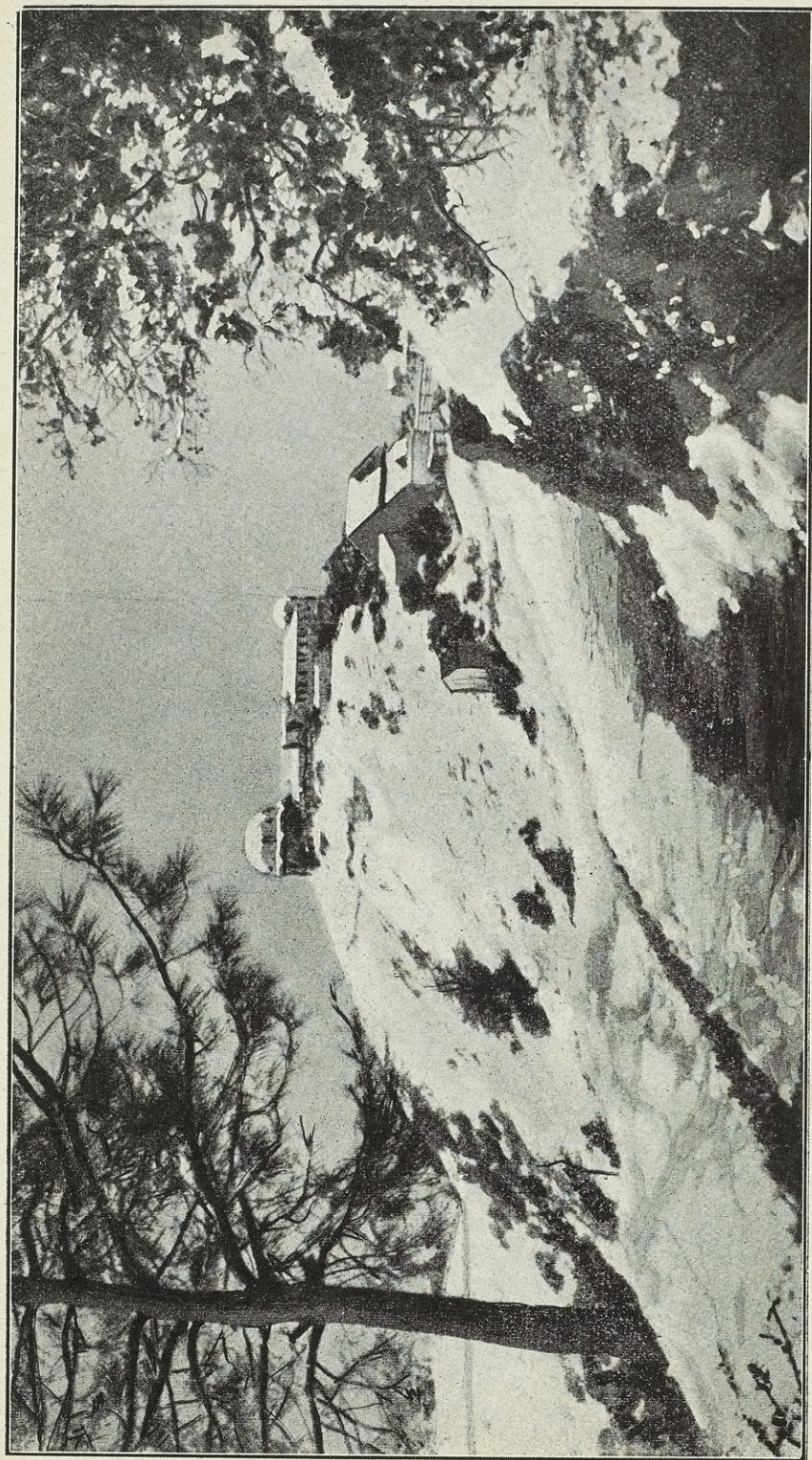
الجلس معه « إنه متزوج بخمس زوجات » وكلهن يقدسن تعدد الزوجات ، ولما سئلت احدهن في ذلك (وهى السيدة أدنلامسون) قالت : « إني افتخر بانى زوجة لرجل تعددت زوجاته ، وانى اعتقد بصحة تعدد الزوجات اعتقادا تاما ، ونحن سعداء بهذه العقيدة ، وليس للسناو شأن بالاهتمام بأمورنا الداخلية » وكانت هذه الزوجات الخمس يسكن فى بيت واحد .

وأخيرا صدر أمر من رئيس الكنيسة المرمونية (البابا اسميث) بتحريم تعدد الزوجات بشرط أن لايسرى هذا القانون على الذين تزوجوا قبل صدوره ، والبابا اسميث هذا له من الزوجات ثمان ، ومن الاولاد ٤٥ ، ومن الاحفاد ١٥٠ !!! وللمورمون إنجيل خاص يسمونه الانجيل الغربى ، للفصل بينه وبين الانجيل الشرقى ، وهو إنجيل المسيح . وفى ديانتهم من الاسرار مالا يطلع عليه غيرهم ، ولا يدخل هيكल الرب من كان على غير شيعتهم مطلقا .

ويصل عدد المورمون الى أكثر من ثلاثمائة ألف نفس ، ولكنهم ربما زادوا على ذلك كثيرا . وهم قوم أغنياء جدا بما أصبحت عليه أرضهم من الجودة بعد إصلاحهم لها ، ولما وجدوه فيها من المعادن المختلفة من ذهب وحديد ونحاس وبتروول . وعندهم أكثر من أربعين شركة لاستخراج البتروول فقط فى ولاية ايتاه وحدها . وهم يدفعون عشر إيرادهم للكنيسة ، وهم على أحسن مايرام سيرة وفضيلة وهمة ونشاطا ، ويصدرون كل سنة أكثر من ٢٠٠ مليون طن من الملح إلى الولايات الاخرى غير ما يصدرونه من السكر والحديد المشغول وخامات المعادن المختلفة .

* *

وعلى ذكر المورمون ومذهبهم الذى يمتون به الى النصرانية أقول : إنه قام فى شيكاغو فى العقد الأخير من القرن العشرين رجل وفد اليها من أوستراليا اسمه (دوى) وادعى أنه نبى تقمصت فيه روح الياس النبى ، وبعث للتجديد الواجب لإصلاح الدين المسيحى ، ذلك التجديد الذى به يمهّد الطريق لنزول المسيح الى



دار لصد السكوا كب على جبل هاملتون بكاليفورنيا ص — ١٦٠

هذه الارض لنشر راية السلام بها ، وكان يدعو في خطابه الى تحريم التيارات والبارات والاجزاخانات والدخان والاطباء وامكنة الدعارة والتمثيل لانها مما يكرهه الخالق . وكذلك كان ينهى عن تربية الخنزير وبيعته وأكله لانه يولد السرطان ويسبب السل . ووصل به تأثيره على سامعيه بان كان يشفى مرضاهم . واستأجر مكانا بشيكاجو اقام فيه كنيسة للعبادة على مذهبه ، وانتشر خبره بين الناس فتبعه خلق كثير . وكان يأمرهم بالعمل فى التجارة أو الصناعة مع الجد والاجتهاد فى المكسب ، شرطاً أن يكون للكنيسة عشر مايكسبون . ومازال هذا شأنه حتى أصبحت له ثروة واسعة فاشتري نحو ثمانية آلاف فدان على بحيرة مشيجان وعلى بعد ٦٧ كيلو متر من شيكاجوا . وهنالك خطط مدينته ، وبعد أن رسم شوارعها على أحسن ما يكون نظاما وصحة ، بحيث بلغت سعة الشوارع العادية الى أربعين مترا والرئيسية الى ٩٠ مترا سمي الشوارع باسم ماورد فى الكتاب المقدس من الانبياء : فترى بها شارع ابراهيم ، وشارع اسماعيل ، وشارع موسى ، وهكذا . ثم قسم ماينها من الفضاء الى نمر باعها من تابعيه ثمن باهظ ، وابتنى فى وسط المدينة كنيسة التى سماها « سيون » وفى يوليو سنة ١٩٠١ فتحت أبواب هذه الكنيسة لمريديه . وقد بلغت ثروة هذا الرجل عشرات الملايين من الدولارات ، وحتى الذين يتخذونه آلة فى الولايات المتحدة للوصول الى الثروة !!!

ولهذه المناسبة أقول : إن التيار الدينى يجد له بها أذنا صاغية ككل جديد : لذلك ترى فيها عدداً كبيراً من الفرق الدينية ، وفيها مذهب واسع للصوفية ، بل وصل اليها مذهب البهائية ، ولقد سافر اليها السيد عباس البهائى قبل وفاته لزيارة شيعته بها . بل يقولون : إن بها كثيرين قد اعتنقوا الدين الاسلامى ؟؟ وبالجملة فكل شئ فى هذه البلاد غريب فى بابه .

* *

وفى الساعة الثامنة بعد الظهر ركبنا القطار الكهربائى الى المدينة ، وهناك
(رحلة ١١)

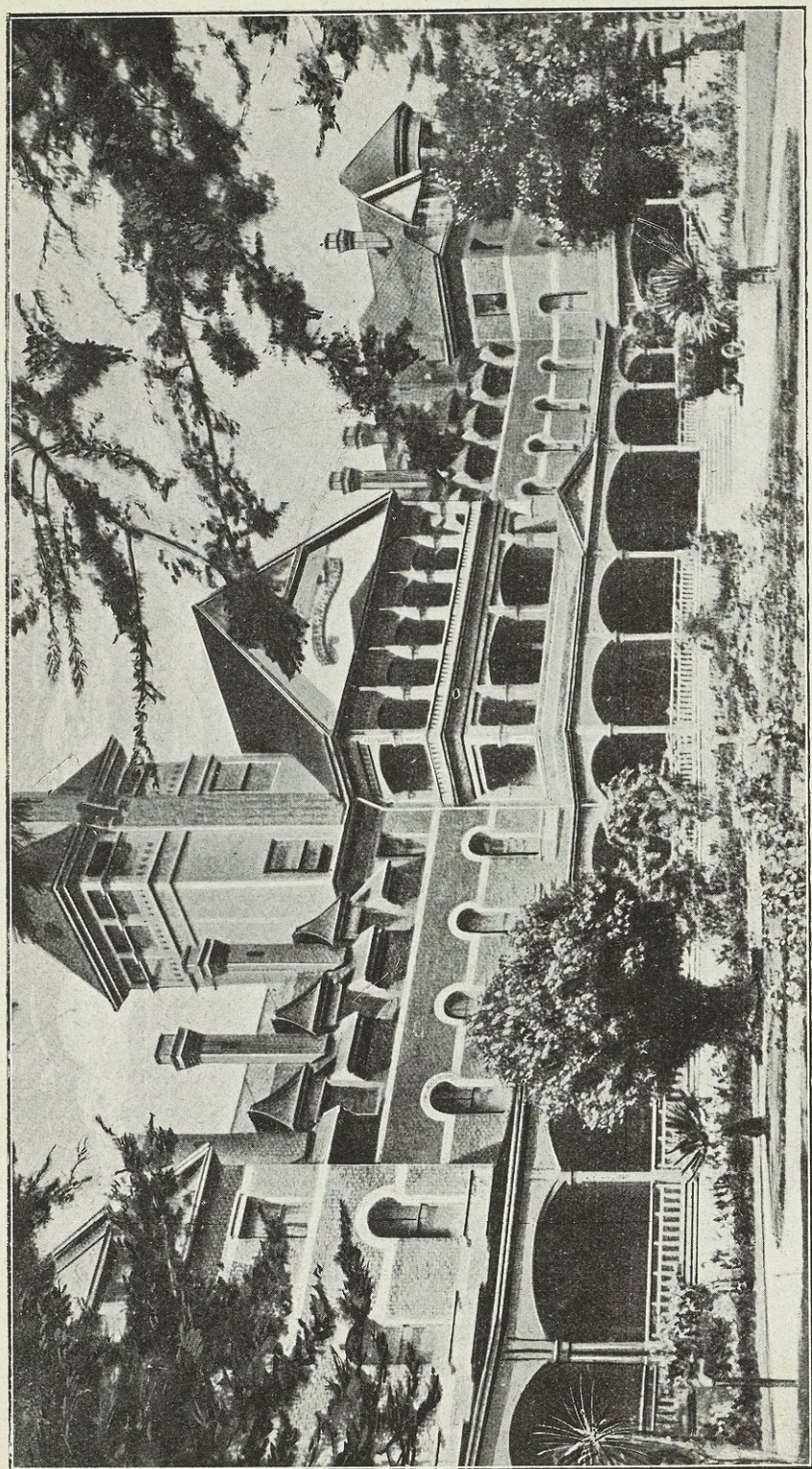
امتطينا الاوتوموبيلات لزيارتها فوجدناها من الطف وانظف مارأيناه في كل الولايات المتحدة ، وأبنيتها لا تزيد في الغالب عن طبقتين ، يحيط بهما حديقة صغيرة من الجازون ، وقد زرنا المتحف وهو في بنائه من آخر شئ في بابه ، والدور الارضى منه فيه بعض المعروضات من معادن البلاد ، ومن ضمنها الذهب والفضة والزئبق والفحم الحجري ، يتلو ذلك بعض الفاكهة المحفوظة في أوان زجاجية ، وهى من أحسن إن لم تكن أحسن شئ في نوعه ، وبجانب هذا وذاك بعض حيوانات البلاد المصبرة . أما الدور الثانى فخوائطه وسلاله ودرازيناته من الرخام المرمر مما لا يمكن وصف جماله ، خصوصا ما فيها من النقوش الطبيعية . ثم تركنا هذا المكان لزيارة الكنيسة التى مر بك ذكرها .

يوم ٤ يوليو

قنا من مدينة سيلث ليك متجهين الى الجنوب الغربى ، فقطعنا ولاية «ايتاه» ثم دخلنا فى ولاية «نوفادا» ومررنا فيها على مدينة لافييجا (المرج) ودخلنا فى ولاية كاليفورنيا حتى وصلنا الى مدينة ريفرسايد . والمسافة التى قطعناها اليها ٧٢٦ ميلا وبينها وبين الاقيانوس الهادى نحو ٦٠ ميلا .

ومدينة ريفرسايد سكانها عشرون الفا ، وهى محطة للتجارب على أشجار الفاكهة وخصوصا على البرتقال ، وربما كانت أهم محطة للتجارب فى جميع المعمورة لأنها تصدر من البرتقال وحده سنويا بمبلغ مليونى جنيه ، وهى مختصة بنوع برتقال اسمه «واشنجتون» وهو الذى نجح بمصر واسمه (أبو صرة) . وأهم تجارتها عدا البرتقال : التفاح والعنب والبرقوق .

وأشجار البرتقال هى التى عليها أغلب التجارب هنا ، وهى مزروعة صفوف مستقيمة جدا على بعد أربعة أمتار ، وأرضها معزوقة كلها سواء فى مجرى الأشجار أو المسافات التى فيها بينها . وعلى بعد نصف متر من ساق الشجرة يمينا وشمالا قناة



شكل جميل للوكندة كاليفورنيا ص — ١٦٢

للى ، وبعد سقى الشجرة يكسرونها قبل جفافها حتى تحتفظ الأرض برطوبتها ، وذلك لقلة المياه فى هذه المنطقة . وتربة الأرض هنا بين الحمراء والصفراء ، ويظهر من خدمتها العناية الشديدة هنا بالزراعة فى الأشجار على الخصوص . وفى وسط هذه المزارع بناء عظيم فخم هو ادارة التجارب التى تبلغ أرضها ٧٥٠ فداناً ، ومنها جزء مخصوص لتربىن طلبة جامعة كاليفورنيا بىروكللى . وعندهم معامل متصلة بهذه المحطة للمباحث المتعلقة بالنباتات الخاصة بالمنطقة المعتدلة وهى أقسام : منها قسم للفحص النباتى ، وقسم للفحص الفطرى ، وآخر للحشرات ، وآخر للتحليل الكيماوية .

وأحسن مشاهدته مزرعة للمشمش أشجارها محملة بالفاكهة من مبدأ الفروع الى نهايتها بحيث تكاد لا ترى ورقة الا وبجوارها ثمرة !! والتجارب فى البرتقال كلها سائرة على التطعيم بالنارنج ، وهم يجربونه الآن على شئ من غيره من الموالح الأخرى ! كما أنهم يجربون كل أنواع السماد ليتبينوا الاصح منها للموالح .

ومما رأيناه فى تجاربهم أن الشجر يزرع على طريقة الثلاث المروفة عندنا ، ولكن ثمرة أقل منه فى الصفوف المستقيمة المزروعة على التريبع ، ومن وقت ماتزرع الشجرة تطعم بعد سنة ، أو سنتين ، وتثمر بعد أربع سنوات ، يعنى بعد ست سنوات من مبدأ زراعتها . ومتوسط محصول الفدان فى المقاطعة كلها (كاليفورنيا) من ٢٥٠ الى ٥٠٠ ريال فى الأراضى الجيدة ، وربما بلغت مصاريف الفدان الى نصف ذلك .

ومزارع الفاكهة عندهم كل على حدة : فالبرتقال وحده ، والليمون وحده ، والمشمش وحده ، والتفاح وحده ، - وهكذا : وذلك كله لأجل تقدير الماء اللازم لكل صنف وسقيه فى أوان شربه . ويقرب من هذه الجهة مزرعة من العنب كبيرة جداً مشهورة بكرومها ، وهى لأخوين ايطاليين ، وعنبها يباع إما فاكهة أو مجفقا (زبيب) أو على هيئة شراب كهذا الذى يسمونه فى الأستانة

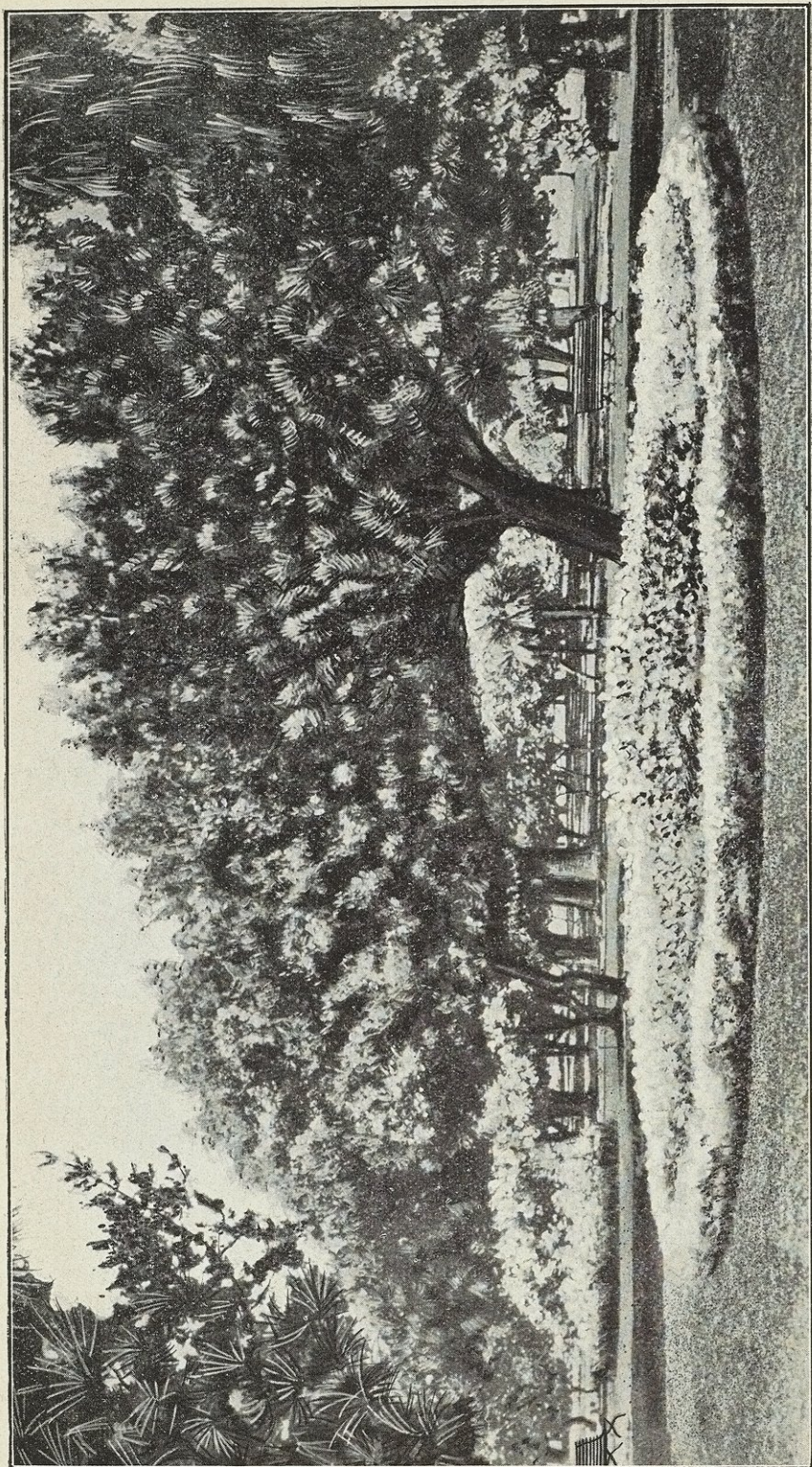
« بكمز ». وقد يزرعون البقول بين أشجار الفاكهة حتى اذا كبرت حرثوها بحالها لتكون سادا .

ويقال : إنهم زرعوا القطن في هذه الجهة ولكنهم رأوا مصاريفه أكثر من محصوله . ومياه الشرب تأتي الى المزارع في أنابيب من الحديد ، فتري على كل قناة حنفية اذا اطلقوها تفجر منها الماء ، ولهذا المياه شركة مخصوصة لها آبار ارتوازية تعمل ليل نهار لسقي المزارع في تلك المنطقة ، لأن الأنهار فيها تجف مدة الصيف . وقد يشرب الشجر برشه رشا كثيرا بواسطة خرطوم يثبتونها في الحنفيات التي تراها هنا وهناك وسط المزارع ، والماء يسير في المواسير في كل مزرعة كل أربعة أسابيع خمسة أيام فقط ، وماء الآبار الارتوازية على مايتى قدم من سطح الأرض ، وهو يسقى المزروعات والمدينة ، ومصاريف الفدان من الماء ١٢٠ ريالاً في السنة .

ومن أغرب الأمور أنهم يمررون الماء الساخن في مواسير تتخلل بعض مزروعاتهم مدة الشتاء !!!

والأمطار تقل جدا هنا مدة الصيف ، ولا تبدئ إلا من نوفمبر ، وليس هنا من ترع الامدة الصيف ، وأكبر أنهار هذه المنطقة هما « سا كلامتو - وسان فاكين » وهما بعيدان من هنا ، ويتحدان قريبا من سان فرانسكو ، وتعدم مياههما في الأقيانوس . وقد فكر القوم هنا في مياههما لعمل أحواض للري ، ولكن هذا المشروع يحتاج الى مصاريف باهظة ، خصوصاً في اختراق بعض المناطق الجبلية . وهم يفكرون الآن في تسير مياه نهر كولورادوا الى هذه الجهة ، وهذا المشروع يحتاج أيضا الى عمل خزانات واسعة تكلف مائة مليون ريال !!

والتسميد تجربته دائرة حول خلط بعض الأسمدة بعضها ببعض على نسب مختلفة : نترات صودا ، سلفات نوشادر ، نترات بوتاسا ، سناميد . بلدى : ونتيجة هذه التجارب لا تظهر الا بعد عشر سنوات على الأقل . أما مدار السباخ عند



احد مناظر مكسبای بارك بكاليفورنيا — ص ۱۶۴

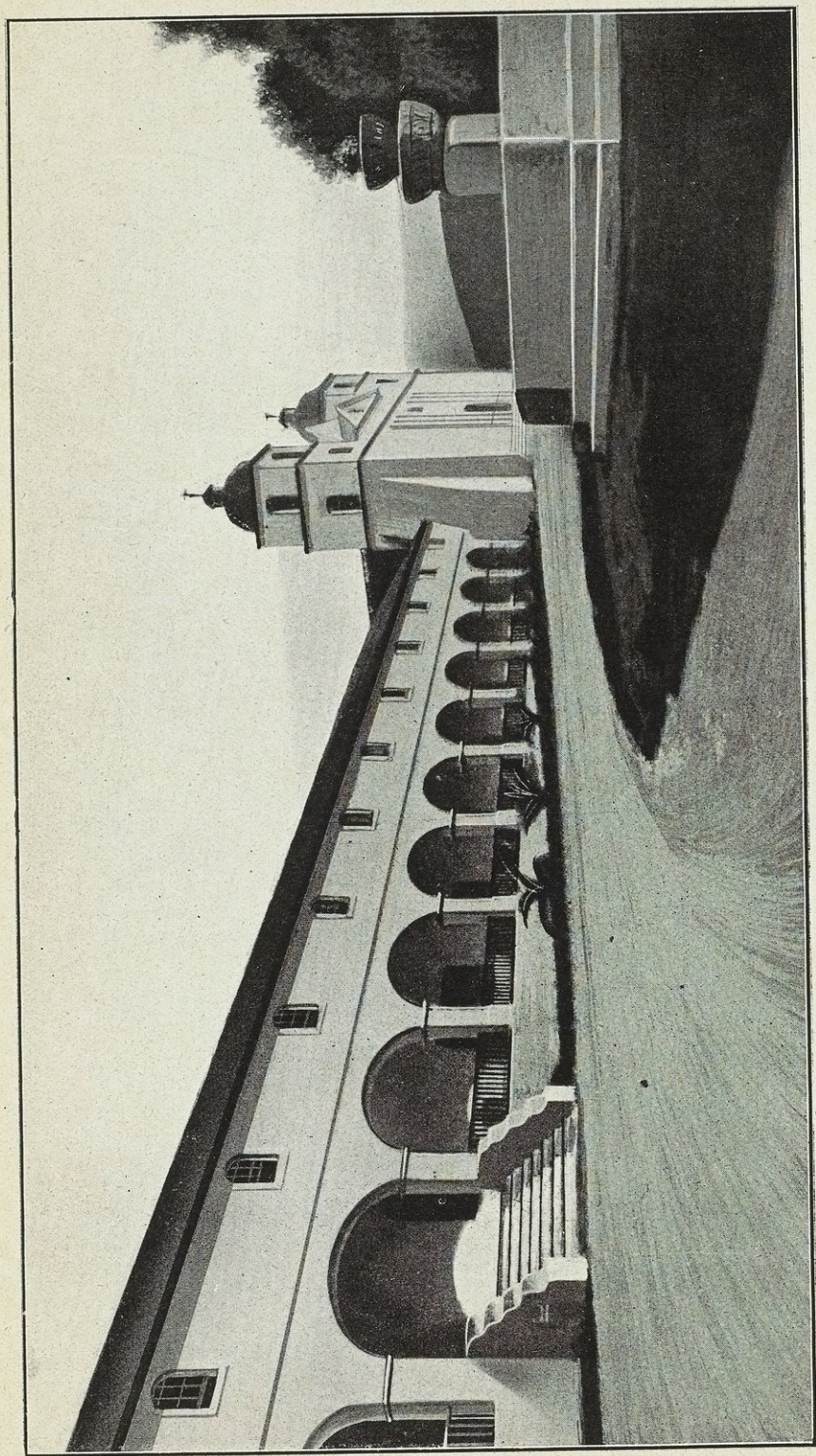
الأهالى فعلى السباخ البلدى (سباخ الاسطبلات) .
إلا أنهم يعنون بهذا السباد الاخير (البلدى) عناية تناسب ما يلزم لكل زراعة
منه حتى يكون واف بالغرض من تغذية كل صنف من الاصناف المنزرعة، ويحفظونه
من التآثرات الجوية فلا يعرضونه الى الشمس ولا الى التيارات الهوائية كثيرا حتى
لا يفقد بالتبخر العناصر المغذية للنبات (كما هو الحال عندنا) !!!
أما امراض النباتات فالطرق المستعملة فيها هنا هى الطرق المستعملة فى مصر :
من تبخير ورش ، ومن حسن حظهم لا توجد عندهم تلك الآفة الثقيلة التى لا توجد
إلا فى حوض البحر الابيض المتوسط ، وهى ذبابة الفاكهة . وقد أخبرنى المرحوم
اباظه بك أن قسم الحشرات بمصر وصل فى سنة ١٩٢٦ الى نتائج مرضية فى مقاومة
هذه الذبابة .

وأول زراعة البرتقال هنا تبتدئ من سنة ١٨٧٥ على يد سيدة اسمها (مسز تبت)
أخذت هذه السيدة شجرة من ولاية واشنطن وزرعتها فى هذه الجهة ، وكانت
هذه المنطقة صحراء لا يسكنها غير الرمل والهواء ، فقدم اليها جماعة المبشرين ،
وفتحوا فيها أبواب الاستعمار بواسطة الدعوة العامة للناس ، فوصل اليها جماعات
اشتروا مساحات واسعة من الأرض بثمان بجنس دراهم معدودة ، وأخذ هؤلاء من
جهتهم يدعون الناس بكل وسائل الاعلان متساهلين لهم فى بيع مالىسوا فى حاجة
اليه من أملاكهم الواسعة ، فلم يمض زمن كبير حتى استعمر الناس هذه الجهة ،
وأخذوا يزرعون فى تربتها الجيدة مختلف الشجر حتى أصبحت كما ترى .

زرنا المدينة فرأيناها جميلة ونظيفة، ومساكنها بعيدة عن بعضها رغما عن
شوارعها الكثيرة ، والى انما خططت للمستقبل ، وفى تقاطع بعض الطرق مثلث
فى رأسه دائرة مسورة بالحديد فيها شجرة برتقال قد شاخت ، وعملوا لها دعائم

تحمل أغصانها ، وهذه هي الشجرة الأولى التي زرعها مسز تبت ، هي الشجرة التاريخية التي شاهدت من أولادها ماغير منظر الصحراء الى هذه الرياض الياينة ، التي تدر الذهب على أصحابها ، وفي جوار الشجرة قطعة من الرخام منقوش عليها تاريخها . ويقرب من هذه الجهة جبل ارتفاعه ١٣٥٦ قدما يسمى جبل روبيدو ، صعدنا الى قمته بالأثوموبيل في طريق متعرجة ، فظهرت لنا المدينة مستطيلة من الشمال الى الجنوب ، تكتنفها الاشجار من كل ناحية ، ويحيط بها من جهة غابات من السكافور والسرو ومن غيرها غابات من البرتقال مما لا ترى له مثيلا في مدن أخرى ، وفي غربها نهر سارنابا ، وفيه قليل من الماء الر كد ، وهو يجف مدة الصيف ويكثر مائه مدة الشتاء . ولما وصلنا الى قمة الجبل ظهرت لنا مساكن المدينة وكل ما فيها كأنها روضة من الرياض ، أو غيضة من الغياض .

وفي هذه المدينة كلية للحمير (الهنود) الذين يكثرون في هذه الجهة ، ويظهر أن أول من استعمر هذه الجهة الأسبان ، لأن فيها كثير من الاعلام الأسبانية : فلفظ روبيدو محرف عن (توبيدو) وهو ذلك الجبل الموجود في برشلونة : ومقاطعة نوفادا الصحراوية انما سميت باسم نوفادا الجبلية التي تقطع بلاد أسبانيا من شمالها الى جنوبها تقريبا بميل الى الغرب . وقد تعشنا في أهم لوكندة من هذه المدينة وهي على النظام الأسباني ، وان شئت فعلى النظام العربي الأندلسي ، وبعد العشاء قصدنا قطارنا الذي قام بنا الى مدينة لوس أنجلس ، وقد تركنا في هذه المدينة حضرة العالم الفاضل (المرحوم محمود بك أباطة لزيارة ولاية كاليفورنيا) ، والتفتيش على الطلبة المصريين الموجودين بها ، فقعدت في سياحتي به أنيسا وقاموسا !! فقعدت به أنيسا كان يعاملني بلطفه وأدبه وعطفه وكرمه ، ولا غرابة في ذلك لأنه ورث هذه المكارم عن محبته ، وقعدت به قاموسا زراعيا كنت الجأ اليه في كل ما يشكل على أمره فكان يفيض علما وفنا بما أفادني كثيرا رحمه الله تعالى .



سانتا باربارا — أو دار المبشرين بكاليفورنيا ص — ١٦٦

ولاية كاليفورنيا

هذه هي البلاد الغنية بثروتها المعدنية والزراعية ، وهي واقعة في غرب ولايات الاتحاد على المحيط الهادى ، هذه هي البلاد التى وهبها الله من طبيعة ارضها ، واعتدال جوها ، ماجعل الزراعة فيها تنمو نموا لا تراه بارض غيرها من أى جهة من جهات المسكونة : فيينا ترى حدودها على المحيط جبالا صخرية قد اتخذت فيها الطبيعة خزانات للمياه التى تتكون من مناطق الثلوج الواسعة التى تتحل شيئا فشيئا على طول أيام السنة فتتفجر منها العيون ، وتتكون منها البحيرات التى تغذى الأنهار الطبيعية التى تتخلل تلك الغابات الشاسعة التى تغطى مسافح هذه الجبال على مسافات بعيدة الأطراف مما تبلغ مساحته مئات الكيلو مترات ، وترتفع أشجارها فى الجوالى أكثر من خمسين مترا ، ويصل قطرها الى ستة أمتار فى الغالب . حتى اذا اتجهت مياه هذه الأنهار الى ماوراء المنطقة الجبلية ، وتغلغلت فى وسط تلك السهول الواسعة بما هدبته يد الانسان من مجاربها وجداولها وآبارها الارتوازية ، وبما أقامته من هذه الخزانات الصناعية التى تدبر المياه الى مزارع هذه المنطقة فى الوقت المناسب ، أحالت تلك الصحارى الى جنات ذوات أفنان فيها من كل فاكهة زوجان ، مما اشتهرت به هذه البلاد من حيث وفرة المحصول وجودته ، مما لا يوجد له مثل فى العالمين القديم والجديد ، وعلى الخصوص فى التفاح والكمثرى والبرقوق والمشمش والخوخ . وتجد الى جانب هذه الجنات تلك المراعى الواسعة التى ترعى فيها مئات الآلاف من الأبقار والخيول والغنم حتى اذا جاء الخريف ، وجفت المراعى ، انتقلت الماشية مع رعاتها الى مسافح الجبال لترعى فى المناطق التى يستأجرها أصحابها من الحكومة والى جانب هذه المراعى ترى بعض مزارع للقمح والأرز . خصوصافى جهات (سكرماتو) ولم يزرع الأرز بها ، الا فى سنة ١٩٠٠ وهو ينمو فيها نموا عظيما ، حتى انهم يقدرون محصوله الآن فى هذه الولاية بأكثر من ٣٠ مليون دولار !! وهم

يصدرونه على الخصوص الى بلاد اليابان .

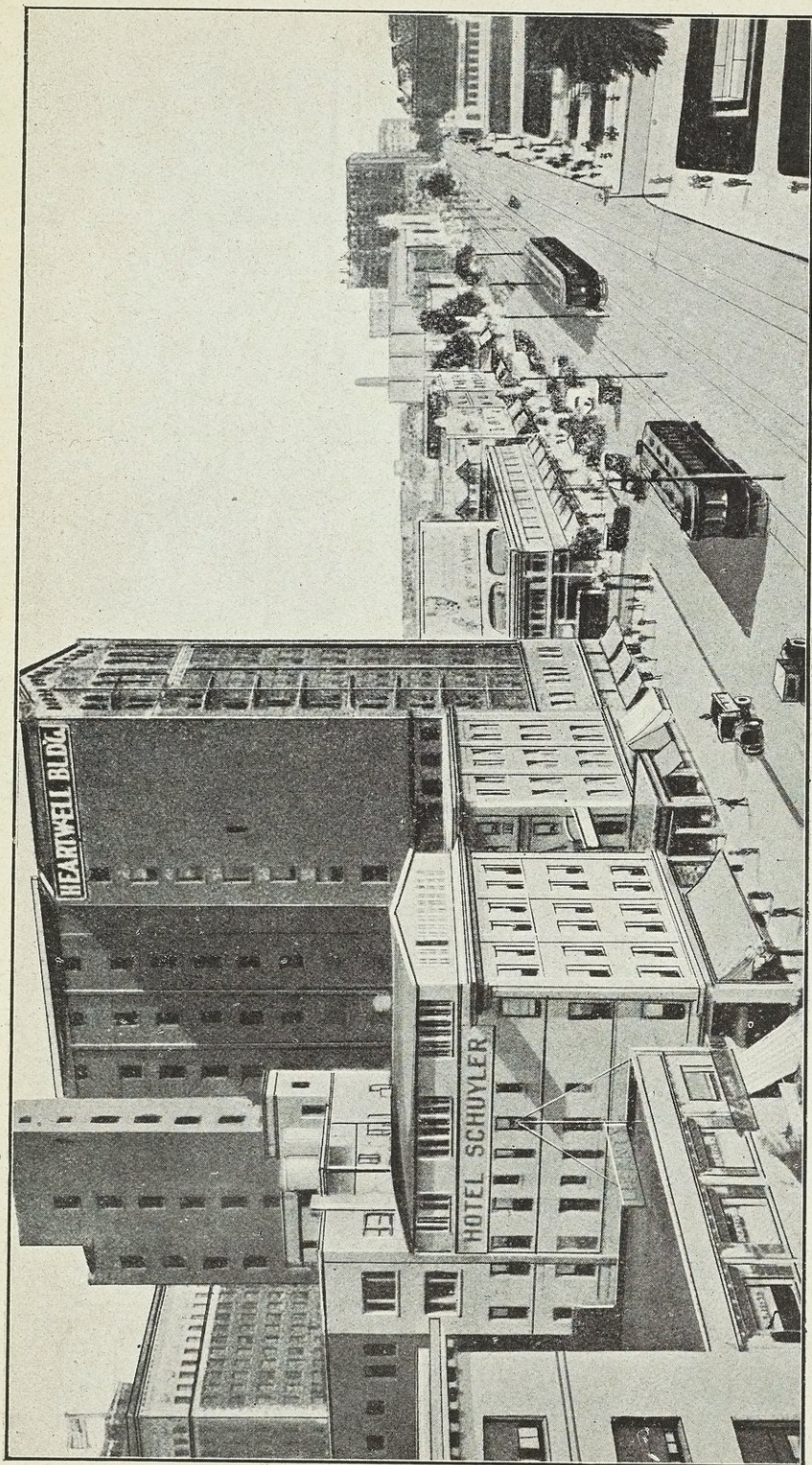
ويزرعون في كاليفورنيا الخضروات المختلفة ، والبطيخ والشمام . وهو من أحسن ما أكلنا من نوعه ، وهو في شكل القاوون الأزمرلي ، وربما كان أحلى منه ، وأكثر اصفرارا .

أما الكرم وما أدراك ما الكرم !! فقد كان من أكثر ما يزرع في أرض كاليفورنيا الى سنة ١٩٢٠ التي حرمت حكومة الاتحاد فيها الخمر في كل ولاياتها . غير أن هذا التحريم لم يمنع القوم من الاتفاف على الكرم على المائدة ، فينقلونه في عربات خاصة الى أطراف ولايات الاتحاد - خصوصا ووفرته انما تأتي بعد وفرة غيرها من الفواكه الأخرى - وقد يعملون منه الزبيب ، يصنعون منه شرابا (بكمز) يستعملونه في فصل الصيف .

وفي جنوب كاليفورنيا يزرعون من الفواكه : البرتقال ، والليمون ، والزيتون والجوز ، واللوز ، والنخيل .

وينسبون وفرة محاصيل كاليفورنيا وجودتها الى نظام الري بها ، حتى أن وزير مصر المفوض طلب من حكومته ارسال بعثة من رجال الري لدراسة أنظمتها في كاليفورنيا .

ومن جهة أخرى فان جودة الفاكهة في هذه الولاية يرجع الى اهتمام القوم بتربية الأشجار ، فاذا جاء الشتاء يرشون سيقان الأشجار بالجير ، وفي الربيع يرشون فروعها وأوراقها بمحلول من سلفات النحاس بواسطة طلمبة متحركة على عجل . وذلك لحمايتها من الطفيليات التي قد تفتك بها ، وقد يغطونها في الشتاء ويدخنون تحتها بمادة معدنية ملتهبة (كالغاز) ولا شك فهم يأخذون ثمن هذه العناية مضاعفا من جودة محصول الفاكهة التي ينقلونها الى ولايات الاتحاد وغيرها من أنحاء المسكونة ، وهي في نضارتها ، أو مجففة ، أو مجهرزة في علب . والفواكه التي تخصص للتجفيف تنقل الى الحقول التي يفرشونها بالقش فتثر عليه ، أو تنقل الى بيادر خاصة بها مقسمة الى



شارع في ضاحية على المحيط الهادي ص — ١٦٨

مربعات صنعت أرضيتها بالاسمنت ، فتفرش عليها معرضة للشمس جملة أيام .
ولابد من استخراج نوى المشمش والخوخ قبل تجفيفهما . ولابد من تعهد
الفواكه المجففة من وقت الى آخر حتى لا تفقد رائحتها ومرونتها بمكثها زيادة عما
يلزم تحت أشعة الشمس .

وهنا يحسن بنا أن نشير الى عملية تجفيف البلح العامري بشرية مصر على
الخصوص ، وما يسمونه بالعجوة على العموم : فانهم يفرشونه على الرمل ويتركونه من
غير عناية بتقليبه وهو على كتله السميكة فيفسد نوعه ، وكثيرا ما تولد البكتريا على
قشرته ، بل وتحترقها الى الداخل ، أو تراه يجف أكثر من اللازم فيكون أشبه
شيء يقطع من الخشب المسكر . أما الفواكه التي تخصص للحفاظ فتنتقل الى مكان فيه
مواد طويلة فتتناوله البنات اللواتي يلبسن لهذه العملية لباسا أيضا نظيفا ، وبسكين
مخصوص يقطعنه الى نصفين ويستخرجن ما فيه من النوى ، ثم ينقل الى قزانات
فيها الماء في درجة الغليان حيث يتحرك فيها بالة حتى تنقلص منها قشرته وتسقط
عنه ، وهناك يوضع على شريط عريض متحرك بحركة أوتوماتيكية الى قاعة بها
عاملات يأخذنه ويضعنه في علبه ، وأمام كل منهن حنفية فيها عصارة مسكرة تصل
اليها من خزان في الدور الثاني ، فتضع العاملة منها ما تيسر في العلبه وبعد وزنها الى
المقدار اللازم توضع العلبه على الشريط المتحرك فينقلها الى قاعة بها عمال يضعون
عليها غطاءها ثم تنقل الى غيرهم فيلحمونها ، وبعد ذلك يضعونها في قزانات فيها ماء
مغلي بضعة دقائق لتعقيمها ثم تنقل الى حيث يوضع عليها الغلاف الذي عليه اسم
المعمل وترسل الى حيث أرادوا .

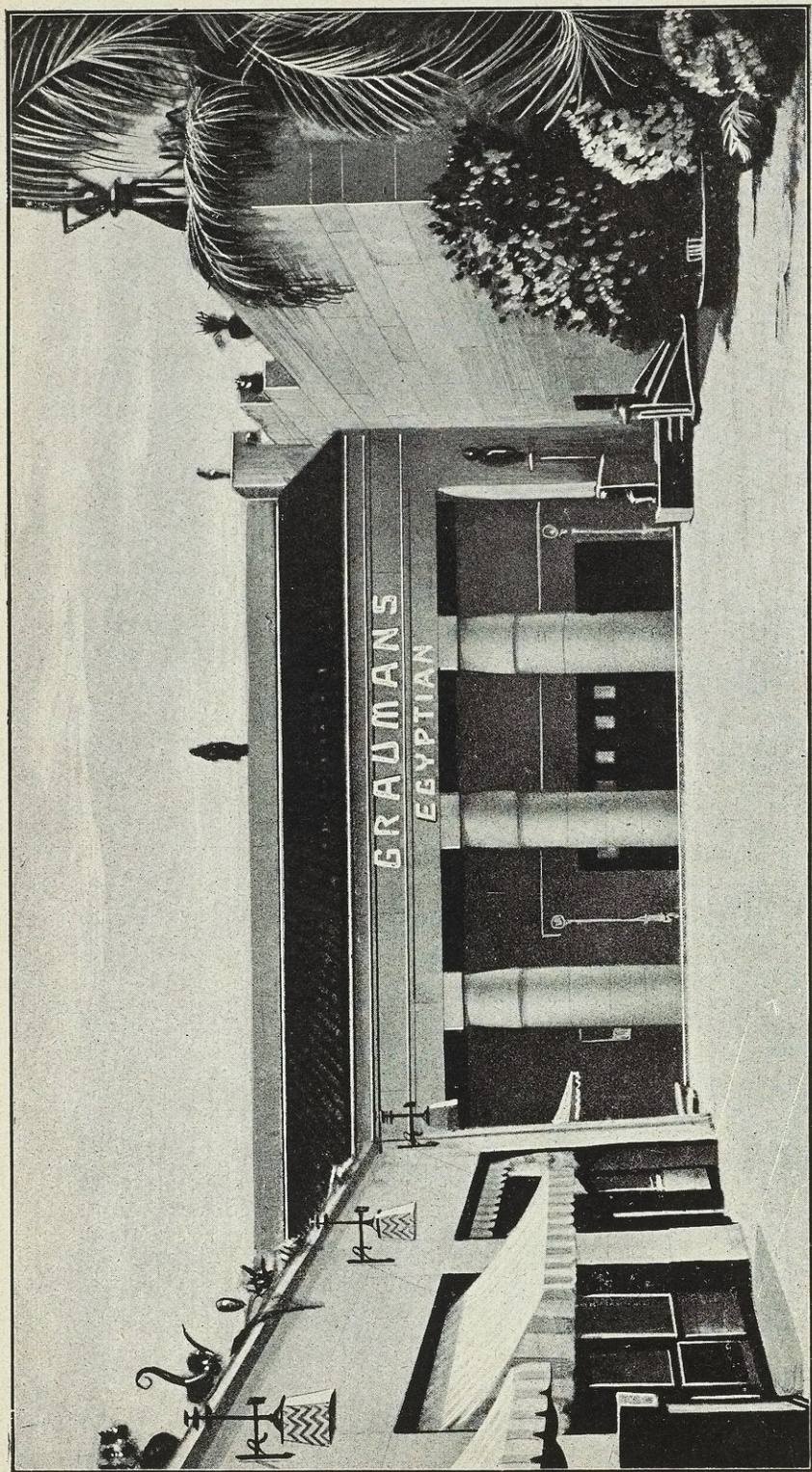
وهذه المعامل لا تشغل الامدة المحصول - أعني مدة شهرين من السنة - وتعمل
فيها طالبات المدارس زمن العطلة التي توافق زمن محصول الفاكهة . فيستفدن من
ذلك في عطلتهن أجرا لعملهن ، وصناعة تفيدهن في تدبير حياتهن المستقبلية .

يوم ٥ يوليو

وصلنا في الليل الى مدينة (لوس أنجلوس) والمسافة اليها ٥٨ ميلا، وهي مدينة على بضعة كيلومترات من الاقيانوس الهادى ، وكان تعدادها في أول هذا القرن مائة الف نفس ، وهي الآن اذا أضيف اليها ما يحيط بها من الضاحيات التي وجدت بوجودها يصل عددها الى مليون نفس . والسبب الاول في عمرانها السريع هو جودة مناخها الذي أصبحت معه مصيفا لأهل كاليفورنيا ، وللكثيرين من أهل مكسيكا خصوصا بعد فتح قنال پاناما الذي أعطى أهمية كبرى الى مدينة سان بدرو التي صارت مرفئاً لـأنجلوس . وتبعد عنها نحو ساعة بالترام الى البحر ضاحية اسمها بساريننا وهي مشق الاغنياء ، ومركزها هنا كـمركز نيس من فرنسا .

والسبب الثانى هو أنها أصبحت عاصمة للالعب السينما توغرافية في العالم كله فكانت لذلك موردا لجميع المشتغلين بهذا الفن من جميع جهات المسكونة ، ولاغرو اذا أصبحت بهذا كاه يوما من الايام نيويورك الغربية .

وتتصل أنجلوس بالاقيانوس بجهة اسمها هولى هود : وهي قطعة من أجل ما يمكن أن تراه العين نظاما في مساكنها التي جمعت الى لطافة الشكل جميل المنظر ، وهي وما أدراك ما هي : مقر النابغات والنابعين في هذا الفن . ومن ضمن مباني هذه الجهة واجهة تياترو مصرية قديمة آية في الجمال ، بحيث لم يكن عندنا بمصر ما يماثلها أو يقرب منها ، ويبعد عنها قليلا على الاقيانوس جهة اسمها بيفرلى هلز ، وقد ترى بها لشركات مختلفة ميادين جمعت أمثلة كثيرة من أشكال البناء المتغيرة في صور كثيرة : فمنها ماهو وجهات ، أو دخلات ، أو صالات ، أو غرف ، أو أبهاء ، وما هو مدخل كنيسة ، أو داخلها ، وما الى ذلك من أشكال كثيرة رومانية أو مصرية ، وما الى ذلك من أعمدة وإيوانات وغيرها . وكل هذا إما من الورق المغضوط ، أو من البغداد لى الذى لا يكون فيه كثير مصروف في اقامته أو ازالته . والى جوار



تیارو جومون المصری فی ہولی وود بکالیفورنیا ص — ۱۷۰

هذا كله كثير من القطع التي يمكن أن تتكون عنها أشكال متعددة مختلفة :
فاذا أرادوا تشخيص رواية وضعوا لها الاشكال التي تناسب أدوارها من هذه
المناظر والقطع كل على حدة . وفي كل شكل يأتي ممثلو الرواية فيمثل كل قطعه
على الوضع الخاص بها ، وفي أثناء تمثيله تؤخذ صورته الفوتوغرافية في مناظر متعددة
بحسب الاوضاع التي له فيها ، قليلة كانت أو كثيرة .

وفي هذه الجهة تؤخذ ٨٥ في المئة من الصور السماوية في العالم كله : ذلك
لان الجهة وافية بجميع الاغراض اللازمة لها ، ففيها البحر ، والنهر ، والرياض ،
والغابات ، والمغارات ، والصحارى ، والجبال ، والصخور ، وغيرها من المناظر
الطبيعية المختلفة ، مما لا يمكن أن تراه مجتمعا في صعيد واحد ، وعدا ذلك فهوؤها
وسماؤها وشمسها مما يوافق عملية الفوتوغرافية كثيرا .

بهذا كله كانت لوس أنجلوس مقرا للعمليات السماوية ومسكنا لمن
يسمونهم بنجوم السما .



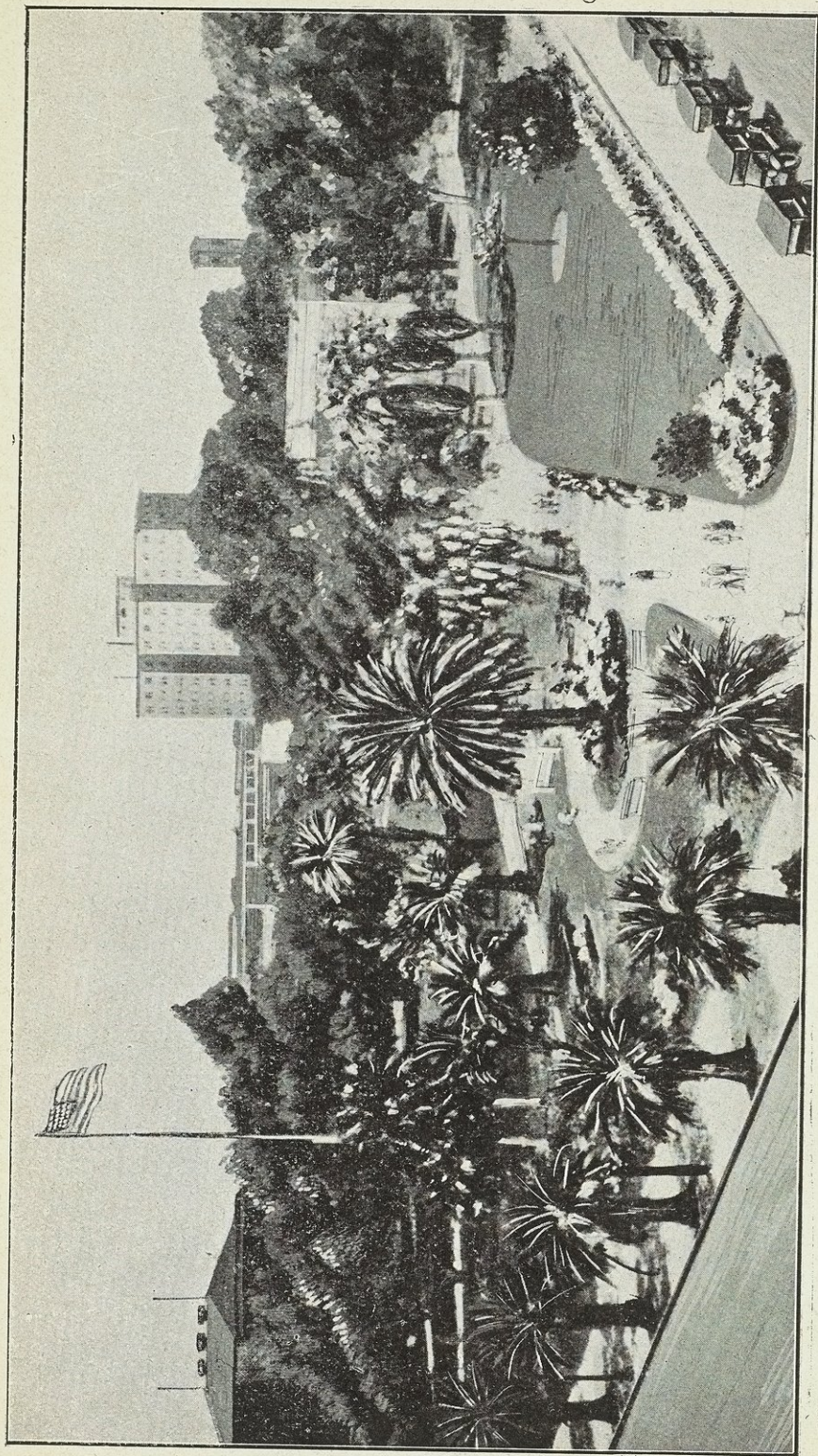
نعم قد ظهرت في سماء أنجلوس شمس الجبال من كل اقليم ، في العالمين الجديد
والقديم ، وهم خلاصة الخليفة في الحقيقة ، والذين جمعوا جمال الخلقة ، الى لطافة
الروح ، الى رشاقة الجسم ، الى حلو الحديث ، الى خفة الحركات ، بحيث أصبحوا
وفي وسطهم من الجنسين من كل في خلقه وخلقه حتى كأن الله تعالى أنشأه على
مايهوى ، وأوجده على مارسه لنفسه من حسن ابداع ، وجمال اصطناع !! لذلك لم
يجد لسان المدينة الراقية باوربا تسمية لهم إلا لفظ « نجوم السينما » ذلك اللفظ
الذي يطلقونه على المشخصين والمشخصات اذا طلعا في سماء وظهروا بين أرجائه :
ذلك لانهم يفيضون على الناس من أنوارهم مايكون حياة للنفوس ، وغذاء للارواح
فكم فيها من مشتر (نجم) يتتبع النفوس بكمال إحسانه !! ويستهوى العروس بسحر
بيانه !! وكم فيهم من زهرة (نجم) تحجل من جمالها الاقمار !! وتعنو لمثلها وتمثيلها

الاخيار والابرار !!

وبالجملة فهم أفراد جاد بهم الزمان على بنى الانسان ، فهم محاسن الحور العين ومتاع الدنيا والدين !! فيهم من كل بحر قطرة ، ومختصرات التاريخ والعبرة !! تدرس فى تشخيصهم من آداب الاجتماع ، مالم يخطه يراع ، وهل ترى فيهم الاناديا للاخلاق عليها وسليمها ؟ ومسبارا لقرارة النفوس صحيحها وسقيمها ؟ ترى فيهم كل ذلك فى قصة شهية ، تتقبلها النفوس بحسب ما ترى فيها من لذة للاشباح والارواح : لا يهيم الأولى منها الارواء المنظر ، وسناء المظهر ، أما الثانية فحسبها نصيبها من الخبرة والعبرة .

*
* *

ولو عرفت أن ليس فى الناس الآن كثير من أمثال « دلورس كوستالو » و « ديل ريو » و « ليلان جيس » و « ونكان سسترز » و « بروسكلادين » خفة روح ، وجمال خلق وكمال تكوين ، ودقة عمل ، ومقدرة على تمثيل العواطف ، وترسيم ماتكنه الخشاشات من دقيق الاحساسات ، ولو عرفت أن هناك أشخاصا مثل « شارلى شابلن » و « جاكى كوجان » و « أميل جنج » وهم افذاذ فى مهنتهم ، وأفراد فى دائرة صناعتهم ، وكأني بهم وقد تعلموا السحر من هاروت فاصبحوا فتنة للناس ، يتلاعبون منهم بكل عاطفة واحساس : إن شاءوا أبكوكم !! ثم إن أرادوا أضحكوكم !! حتى لكأن قلوب النظارة بين أيديهم يلعبون بها كيف أحبوا !! وكأني بك وأنت تشاهد شارلى شابلن على مسرحه ، ذلك التعس البائس فتعطفك عليه رحمة تكاد ترتفع بيدك اليه بدرهمات تسد من حاجته ! وما هو وأبيك إلا صاحب الملايين ، والذي فى قصره من الخدم والحشم من هم فى غبطة بخدمته . ولو عرفت أن ليس احد من الناس من يصل أجره فى عمله الى ٥٠٠ جنيه فى الاسبوع غير أمثال هؤلاء من ممثلى السينما ، لو عرفت هذا كله عرفت أن السينما قد أصبح الآن من أكبر العوامل على رقى المدنية ، إن لم يكن أكبرها .



منظر احدى الحدائق العمومية على المحيط الهادى ص — ١٧٢

ولقد وصلوا بالسينما الى وضع قواعد للعلم بما لا يمكن للنظريات شرحه وتبيينه : وما عسى أن تشرح نظرية حياة الاسماك في قاع البحار ؟ أو الصناعات المختلفة في مصانعها !! وهل يمكن لليراع أن يشرح أعاجيب التاريخ الطبيعي ؟ وأن يقرب الى خيالك تلك الميكروبات التي لا يمكن مشاهدتها الا بالمجهر ؟ كاني بالعلم من هذه الناحية كلام في كلام ، اذا دخل من أذن الطالب قل أن لا يخرج بسرعة من الأذن الأخرى ، اللهم إلا اذا أمسك به الشخص بكلايب جهاده واجتهاده . اما الصور السينماتوغرافية فهي عملية صرفة ، يراها الطالب قد ترتسم في مخيلته بحالها ويدون أدنى مشقة ، ولا تزول صورتها منه بسهولة مهما كان غيبا ، وعلى هذا الحال كاني بالسما اذا كان الآن مدرسة للأخلاق والعواطف وآداب الاجتماع — فيكون غدا الجامعة الكبرى للتعليم بما لا تتصوره الاحلام ، ولا تقوى على تمثيله الاقلام ، واذا كان الآن فيه بعض تسلية الأفراد ، فيكون له غداً كبير الشأن في تربية الجماعات ، واذا كان الممثلون الآن يتحركون في ثبات ويتكلمون في صمت ، فقد نسمع صوتهم على المسرح يوما ما ، لان اديسون أكبر علماء الطبيعة في أمريكا بل في العالم كله يعمل لذلك من زمن ، ويقال : إنه قد وصل في عمله الى ما يتحقق به أمله . (١)

* *

ولقد توجهنا الى الاستحمام في البحر في جهة تبعد ٣٢ كيلو مترا عن انجلوس . وعندما اقتربنا من هناك فاذا بنا نرى غابة من الأشجار العالية على تل كان يقطع علينا طريقنا ، فلما دنونا منها وجدنا تلك الأشجار إنما هي تخشب من حديد هرمية عالية ، وعرفنا أن كل تخشبية من تحتها بئر من البترول !! وطول هذه الغابة

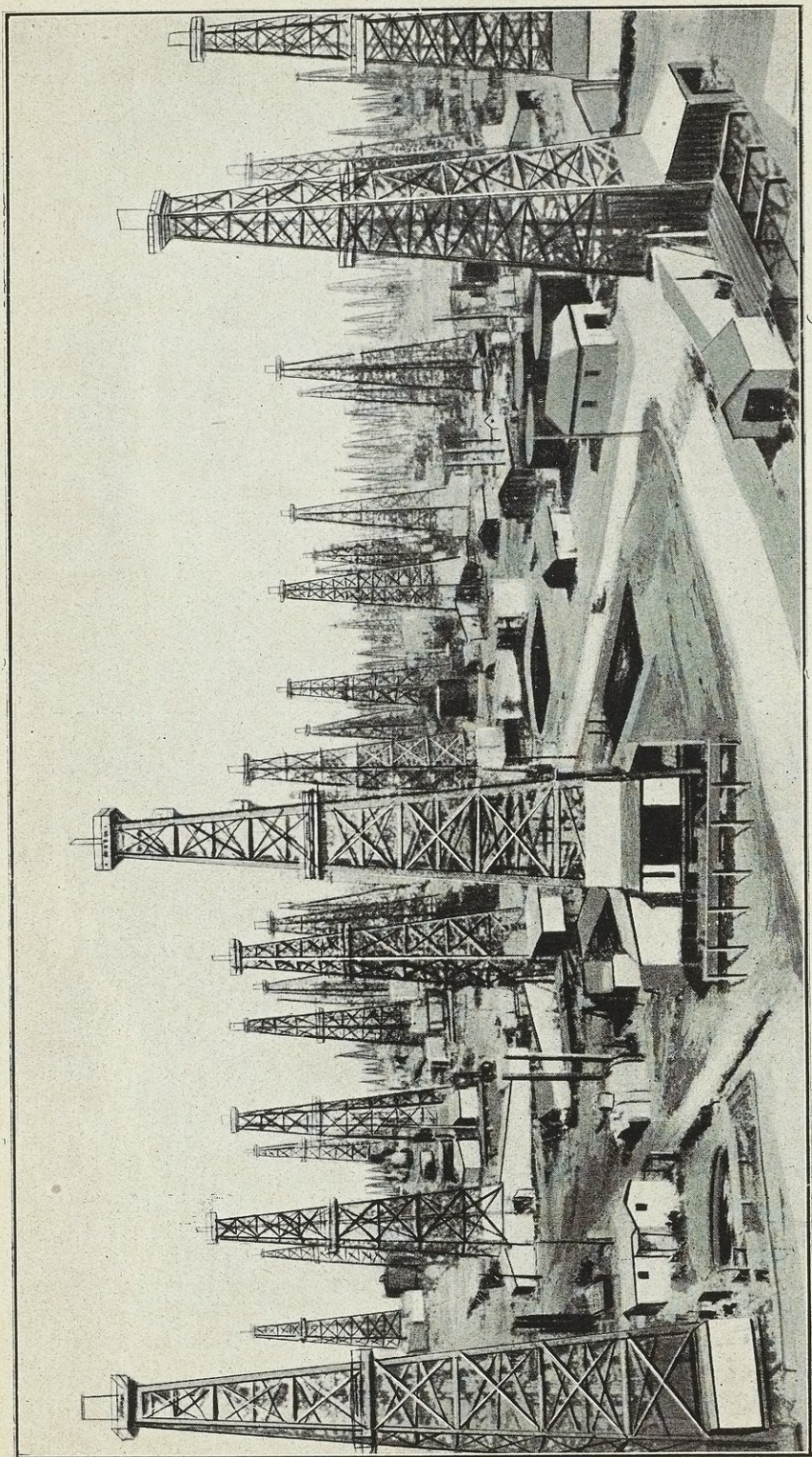
(١) وقد تحقق هذا الامل فعلا وأصبح التمثيل السينمائي نطقا بعبارات

المشخصين والمشخصات وبأغانهم الجميلة بما يقرب من درجة الكمال التي سيصل اليها قريبا من غير شك

عشرون ميلا وقد اكتشف البترول فيها في سنة ١٩٢٠ وهى لملاك كثيرين ، وقد ركبت على هذه التخاشيب طلمبات ماصة كابسة (لومبيدج) تدور بالآلات رافعة بالغاز ، وبين الطلبة والاخرى عشرة أمتار أو أقل ، وعدد هذه الآبار الآن ١٥٠٠ بئرا !! وقد صدروا منها فى السنة الماضية ٢٠ مليون برميل !! واذن أسألك الآن بعد أن عرفت مقدار ما استخرج فى سنة واحدة من آبار البترول التى بينك وبينها عشرات الآلاف من الكيلو مترات: أسألك عن مقدار البترول الذى يخرج من بلادك (مصر) فهل يمكنك ان تخبرنى ؟ اللهم انى اشترك معك فى الجواب وهو: كلا ثم كلا !!

وصلنا الى الجهة التى بها الحمامات وهى من ضواحي أنجلوس ، ويسمونها بشاطئ الباسيفيك ، وفيها بنية جميلة . وعلى الأقيانوس مباشرة ترى فيها اللوكندات الفخمة ، ومن دونها رصيف طويل فى جانب منه متسع رملى (بلاج) تحيط به ابنية الحمامات ، دخلنا بناء منها ولبسنا لباس الحمام ونزلنا الى الماء فى وسط جمع من الرجال والنساء والاطفال ، وحرية القوم فى البحر لا يحيط بها شرح ، واذا كان الله تعالى يقول : (ليس على الاعى حرج) فلمدينة الحديثة تقول « وليس على البصير حرج » اذا كان البصر يتحرك فى دائرته بكل ما يملك من حريته ، اما اذا اشتركت معه حاسة أخرى يظهر معها أثر قد تحرمه الآداب العامة ، فهنا لك يكون الخطر كل الخطر . وليس العيب هنا عيبا لذاته كما تراه الشرائع على اختلاف أصولها ، ولكن العيب لا يكون عيبا إلا اذا ظهر أثره لعين القانون .

وماء الأقيانوس هنا بارد جداً ، وفيه شئ من رائحة البترول وقد يعلق بجسم الانسان شئ متجمد منه لا يزول إلا بمادة الجازولين التى تجدها لهذا الخصوص فى بناء الحمام تحت طلبك . وبعد الحمام ركبنا عرباتنا الى أنجلوس ، ومنها الى القطار الذى قام بنا ليلا متجها الى الشمال حتى وصلنا الى مدينة (فريسنو).



بعض آبار البترول في سجنل هيل ص — ١٧٤

يوم ٧ يوليو

وصلنا الى فريسنو في الساعة التاسعة من صباح ٧ يوليو بعد أن قطعنا اليها مسافة ٢٧٨ ميلا ، وهى واقعة تقريبا في منتصف المسافة بين لوس انجلوس ، وسان فرانسكو ، وعدد أهلها ٤٦ الف نفس ، وتبعد عن الاقيانوس شرقا بأكثر من عشرة أميال . وقد رأينا سوقها النقالى فى ميدان بجوار حديقة جميلة ، يقيم التاجر فيه تحت خيمة صغيرة مثبتة على عصا مركززة فى الارض كالتى عندنا فى مثل هذه الاسواق إن كان لا يزال لها أثر ، ولم تقضى عليها الشركة حتى تختص بكل شئ لذاتها ! وأرض هذه الجهة من أحسن الاراضى الصفراء التى تنمو فيها على الخصوص بساكنى التين ، ولم أره هنا فى غيرها بهذه الكثرة ، وهو ينضج فى شهر أغسطس ، وماؤها كثير صيفا وشتاء ، وقد زرعوا القطن فى أراضيهم ولكنهم يقولون : إنه لا ينضج إلا إذا كانت الحرارة فى سبتمبر عالية .

وتكثر هنا مزارع الخوخ الجيد العظيم ، والمشمش الذى لا نظير له ، والعنب والزيتون ، وهم يرشون سوق اشجار الفاكهة الحلوة بماء الجير لائقاء المرض . ومع كثرة المياه هنا تجدد سواقى الهواء الحديدية بكثرة حول المساكن لرفع الماء من بعد ٢٠٠ قدم للشرب .

وقد أمضينا هذا النهار فى امتحان تربة الارض فى اماكن كثيرة ، وهى تربة من أحسن ما رأينا فى كل اراضى الولايات المتحدة . وفى المساء عدنا الى قطارنا فقام بنا الى مدينة (أوكلاند) .

يوم ٨ يوليو

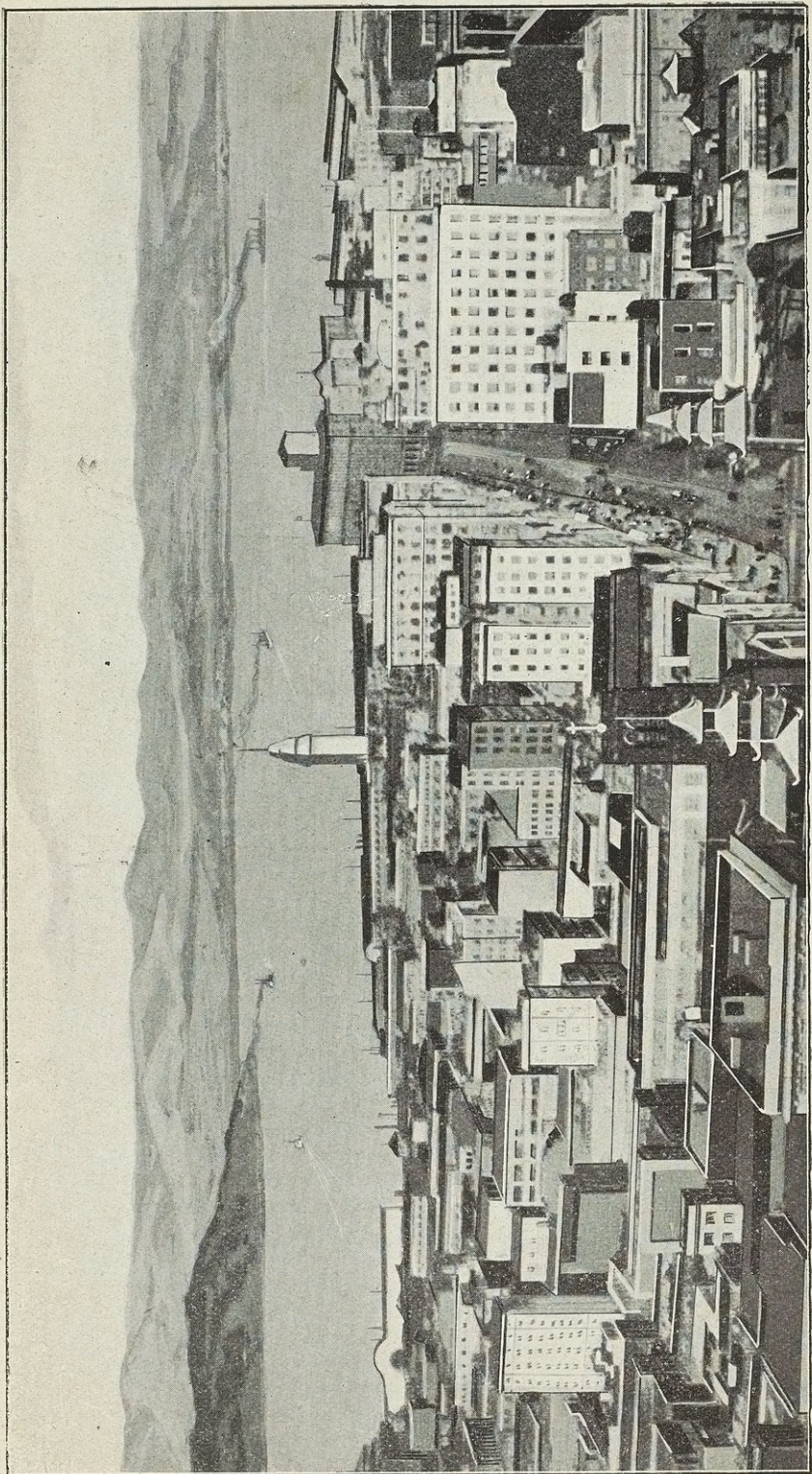
وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة أوكلاند بعد أن قطعنا اليها مسافة ٢٠٢ ميلا ، وهى مدينة كبيرة عدد سكانها ٢١٧ الف نفس ، وواقعة على خليج

سان فرانسيسكو ، وهذا الخليج يمتد من الشمال الى الجنوب على شكل بحيرة لها فتحة على الاقيانوس من غربها وفي وسطها ، وعلى طرف الفتحة من جنوبها مدينة سان فرانسيسكو وتجاهاها على حافة الخليج الشرقية مدينة أوكلاند ، وفي شمال هذه مدينة (بروكلى) .

سان فرانسيسكو

كانت هذه المدينة الى منتصف القرن الماضى صغيرة جدا ، وعدد سكانها ٨٠٠ نفس ، فلما اكتشفت معادن الذهب قريبا منها فى سنة ١٨٤٨ أخذ الناس يثبون الى هذه الجهة ، وأوى الى هذه المدينة كثير منهم ، وكانوا يقيمون لهم مساكن من الخشب فلما امتلأت جيوبهم أخذوا يشيدون بها القصور والعمارات ، ويمهدون بها الطرقات ، حتى اذا ضاق بهم رحبها ردموا منطقة كبيرة من الخليج مما كان يكتنفه من التلول ، وبنوا فيها كثيرا من المحال التجارية التى اتصلت مع الشرق الاقصى بعوامل التجارة المختلفة ، خصوصا مع الصين ، واليابان ، وشرق سيبيريا ، والفلبين ، وجاوه ، واستراليا ، بما ترى معه المدينة بعد سبعين سنة من عمرها وقد أصبحت من أكبر مدن الولايات المتحدة ، ولولا مصادفها من ذلك الزلزال الشديد فى سنة ١٩٠٦ . ذلك الزلزال الذى هدم أغلب مبانيها وأتى بعاليها سافلها ، لكنك تراها الآن أكبر وأضخم مما هى عليه . وبالجملة فهى أكبر ثغر تجارى فى غرب ولايات الاتحاد ، وتجارتهاعلى الخصوص فى الحرير والارز والسكر والبن ، وتصدر كثيرا من الحبوب والفاكهة والآلات الزراعية ، وعدد أهلها يبلغ ٧٠٠ ألف نفس ، وهم خليط من فرنساويين وألمان وصينيين ويابان ، وعلى هذا الجنس الاصفر الاول مدار الحركة فى الخدمة العامة ، وعلى الثانى الحركة فى الزراعة على الخصوص وكان اليابانيون يملكون فى سنة ١٩١٩ (٥٨٠٠٠) فدان من أراضى كاليفورنيا التى يبلغ مجموعها ٢٨٩٣٠٠٠ فدانا ، أعنى أنهم كانوا يملكون ثمن أراضها تقريبا

مدینه سان فرانسسکو ص ۱۷۶



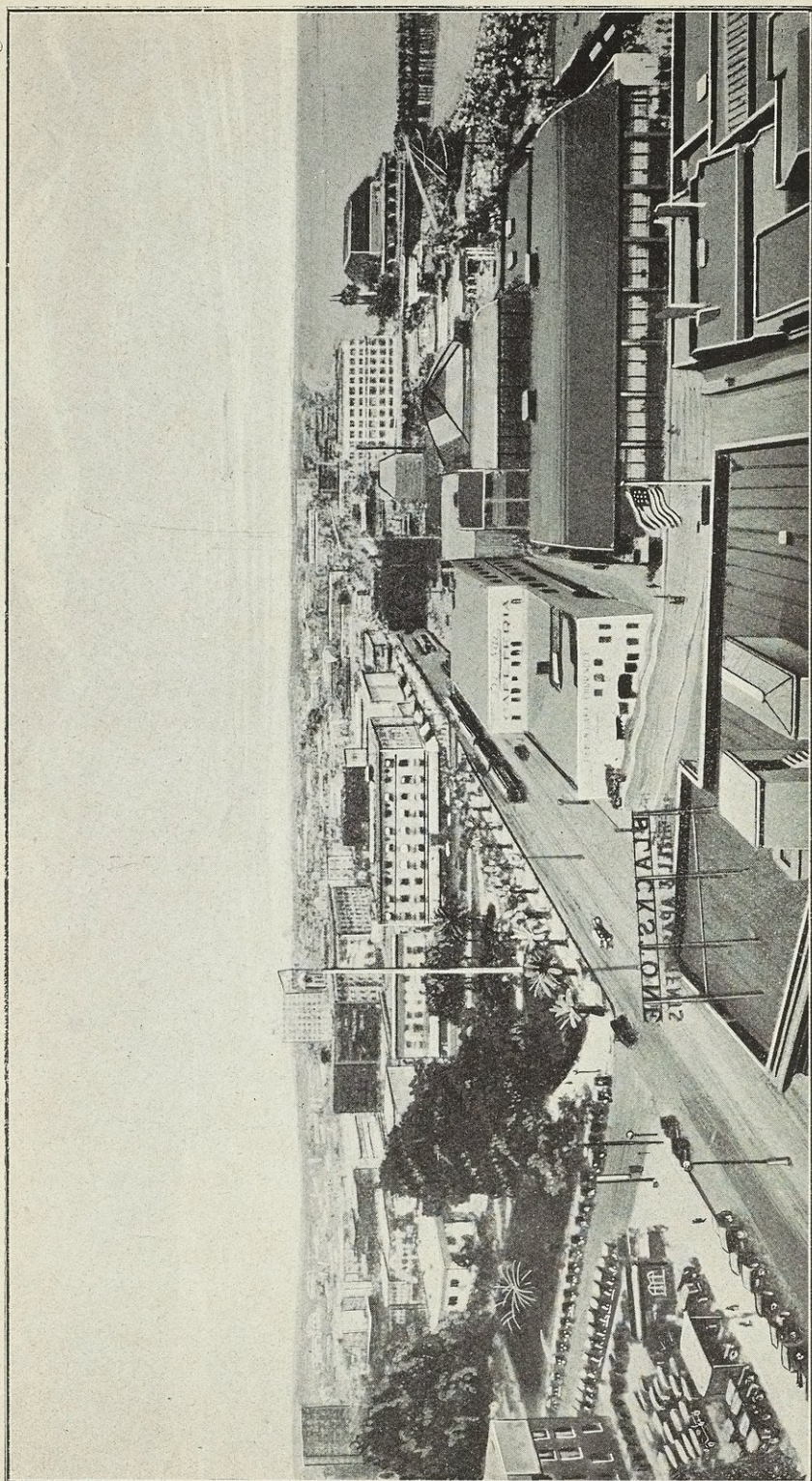
وكانوا يشتغلون في الزراعة بنشاط كبير حتى أصبحت مواردهم منها واسعة ،
 وصادراتهم لبلادهم كبيرة جدا مما حرك سخيمة الامريكان على الجنس الاصفر
 في عمومهم . على أن الصينى بوداعته ومروته أمكنه أن ينال عطف الرجل
 الأمريكى بعد أن وقف هجومه الاقتصادى على هذه البلاد ، وها هو الآن يتمتع
 بتجارته التى ترى لها شارعا مخصوصا فى سان فرانسكو من غير ماحق من مواطنه
 الأمريكى ، ذلك لأن خوف الأمريكان اتجه الى اليابانيين الذين كان عددهم
 بالولايات المتحدة كلها فى سنة ١٩٠٠ لا يزيد على ٢٤ ألف نفس ، فصبح فى سنة ١٩٢٠
 (١١١) ألف نفس ، منهم ٧٢ ألف فى كاليفورنيا وحدها !! وكان الرجل منهم
 يبدأ عمله صغيرا فلا يهتم أن يصير كبيرا ، حتى أصبح منهم أرباب المصانع والتجارات
 والاراضى الواسعة ، لانهم لم يجدوا أمامهم فى أول أمرهم قانونا يفهم عن الحد
 الذى وقف عنده الصينيون : ذلك أن اليابانى كان يعيش فى ظل دولته التى ظهرت
 بقوتها الحربية بانتصارها على الروس فى سنة ١٩٠٥ ، اضم الى ذلك جهاده فى
 طريق الحياة جهادا يفوق جهاد الأمريكى بكثير . فاليابانى يعمل فى مزرعته ١٦ ساعة فى
 حين أن الأمريكى لا يعمل الا بمقتضى قانون العمل (٨ ساعات) . واليابانى يعمل
 زوجته كل الاعمال المنزلية ثم تساعد زوجها فى مزرعته !! والمرأة البيضاء لا تعمل
 الا بارادتها . واليابانى مقتصد بطبيعته - بل أكثر من مقتصد - يرضيه القليل ، ويشبعه
 التافه من الغذاء واللباس ، أما الأمريكى فيعيش فى سعة بنظام لا يمكنه أن يتخلى
 عنه . ولو استمر الحال على هذا المنوال أصبح الجنس الاصفر وفى يده مرافق
 البلاد المالية كلها !! نظر الابيض الى هذا الخطر فبنى كل عاطفة الالعاطفة
 الاستبداد بهذا الاجنبى الفطيع ، فاستصدر قانونا فى سنة ١٩١٣ ثم فى سنة ١٩٢٠
 يحرم على اليابانيين امتلاك الاراضى ، ثم أعلن قانونا بتحريم الزواج بالجنس الاصفر
 لعدم الكفاءة بينه وبين الجنس الابيض ، وبعد قبول تغيير جنسيتهم الى الجنسية
 الأمريكية . وفى سنة ١٩١٧ أمرت حكومة الاتحاد ممثلها فى اليابان بعدم اعطاء
 (رحلة ١٢)

جوازات سفر الى اليابانيين ، وفي سنة ١٩٢٠ استصدرت قانونا يبيح لها طرد كل
اسيوى من بلادها السبب أو لغير سبب !! ولا يدرى الا الله ماهى فاعلة فى غدها ؟.

*
*

وفى سان فرنسكو قسم للصينيين يسمونه المدينة الصينية ، فهدت لنا الغرفة
التجارية زيارته مساء ، وهو الوقت الذى يزورونه فيه عادة ، وهو الوقت الذى
تتجلى فيه الطبيعة على سان فرنسكو فى عمومها . خصوصاً إذا كان الجو صحوً ، فركبنا
من أوكلاند المعدية البخارية وهناك رأينا الخليج غاصاً بالفلك التى تغدو وتروح
بين المدينتين ، ولما اقتربنا من سان فرنسكو ظهرت لنا بعض المباني العالية بماذا كرنا
بعض الشئ بمنظر نيويورك من جهة البحر .

نزلنا الى مرفأ المدينة ، ذلك المرفأ العظيم الواسع ، وركبنا الاوتوبائات الكبيرة
التي أعدت لنا لعمل دورة فى المدينة ، وكانت الساعة ٨ مساءً ، وكانت مصايح
الاعلانات المختلفة الأشكال والألوان تظهر المدينة أمامنا كأنها فى زينة هى حلتها
اليلية العادية . سرنا فى شارع « مارك » وأظنه أكبر شارع فى المدينة ، فكانت
المباني من جهتنا على أحسن ما تكون نظاماً ورواء ، وهى فى حلتها لا تريد أن تصعد
الى السماء كحالتها فى نيويورك ، ولكنها فى طبقاتها المعتدلة خمس أو ست طبقات
على الاكثر قد لبست بديع النظام ، وجمال الهندام . وفى أرضية هذا الشارع سكك
حديدية للترامواى بجوار بعضها البعض ، وتقطعه جملة شوارع لا تقل عنه جمالا ،
وأنوار الاعلانات فى جميعها على ما يأخذ بالابصار ، ومع ما وصفته لك من جملة
هذه الانوار فالحركة فى الشوارع معتدلة ، حركة عظيمة ولكنها هادئة مطمئنة
كالمدينة التى تعيش فى أكنافها ، حركة تميل أن تكون شرقية !! وهل قامت
سان فرنسكو الا على أيدي مهاجرى الشرق الاقصى ؟ هل ارتفعت مبانيها
وتخطيطت شوارعها وزرعت مجاهلها ودارت معاملها الا على أيدي اليابانيين
والصينيين والفيليبين ؟



تركنا المدينة التجارية ووصلنا الى حى المساكن — حى هادى ثقل فيه الحركة ، وتنعدم فيه الانوار لولا مائراه من مصابيح الاتوموبيلات التى تغدو وتروح فى طول الطريق ، أبنية صغيرة جميلة من ذات الطبقتين مما يسمونه بالفلات ، والمدينة مبنية على منحدرات جملة جبال ، فترى المباني على هذه المنحدرات الى الوادى هنا وهناك فى منتهى الجمال — وخصوصاً بالليل . وهذه الجبال يتصل بعضها ببعض على شبه نصف دائرة أقواسها متعرجة . صعدنا على الجبل من طريق حلزوني فى وسط المدينة !! فكنا حينما درنا نجد المدينة من تحتنا فى زينتها البديعة بما تخيلنا معه ان السماء اقلبت من تحتنا بما فيها من نجوم زواهر وكواكب بواهر !! وقد ظهر فيها شارع برودوى بأواره الحجة كانه الحجرة تشق كبد السماء باضواؤها المتألقة !!

مازلنا سائرين من منبسط الى منخفض ، ومن قمة الى قمة ، حتى وصلنا الى مايسمونه المدينة الصينية !! وهى حى فى الشمال الشرقى من سان فرانسكو ، طرقاته ليلا وهو هادى فى نومه وان لم يكن هادئاً فى ضميره . رأينا هذه المساكن على نظامها الصينى فى شكلها الخارجى ، مساكن كل منها على حدته ، ومدخلها من أحد جانبيها يصعد اليه بسلام من الخارج درجاتها فى اعوجاج بين ضيق وانفراج !! تركنا هذه الجهة الى جهة أخرى مساكنها أكبر وأظهر ، ونظامها خليط من الشرق والغربى — نظام ترى فيه صورة من البناء اليابانى والصينى والاوروبى (الا فى المباني الكبيرة نهى على النظام الجديد الأمريكى). وكأن الاذواق اختلط بعضها ببعض فتكون منها هنا ذوق واحد سرى فى نظام البناء العام . وبعد أن انتهينا من هذه الزيارة البديعة عدنا الى أوكلاند حيث قضينا ليلنا فى قطارنا الذى كان ينتظرنا فى محطتها .

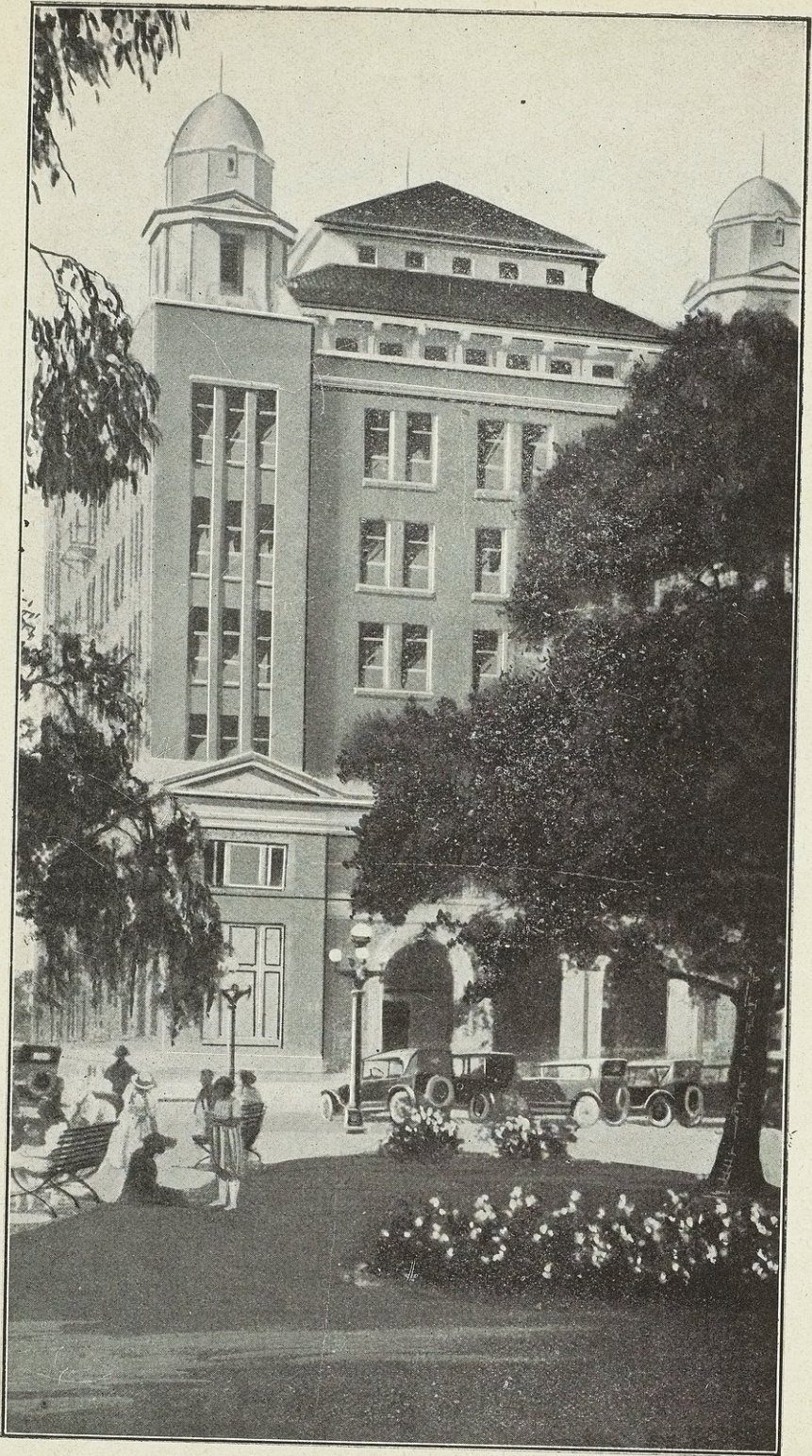
وفى سان فرانسكو كثير من المدارس والمتاحف والميادين والمكتبات وكله عادى فى بابه ، وقد أعجبنى فيها (نادى الاطفال) وهو نادى قام بتنظيمه أحد رجال هذه المدينة العاملين وهو مستر بكسوتو ، ترك عمله واشتغل بنظام جديد لتربية

النشء على قواعد متينة : فأقام ناديا للأطفال ، ودعا الى الاشتراك فيه بواسطة الاعلان في الجرائد على أن سن المشتركين من ١٢ الى ١٦ سنة !! وكان يدور على آباء الاولاد ويفهمهم الفائدة التي تعود من هذا العمل الجليل ، فامتلاء المكان بالمشاركين ففتح مكانا ثانيا ، ثم ثالثا ، ورابعا . وفي النادي جملة قاعات : واحدة للالعاب من دومينو الى شطرنج الى ورق كوتشينا الى بلياردو صغير ، وأخرى للمحاضرات يحاضرهم الرجل فيها بما يزيد في معلوماتهم العملية ، لا على نظام الدروس ولكن على نظام الحكايات التي تشوق الصبية ويتوجهون بكليتهم لسماع قصصها ، لا كما هو عندنا بالبيوت من حكايات الشاطر محمد ، وست الحسن والجمال ، وأبونا الغول وأمنا الغولة ، التي كلها سخافات يفسد معها فكر النشء من حيث لا يشعرون ولا يشعر بهم أحد !!

وقد يحاضر الاولاد أنفسهم في مواضيع يجهزونها بارشاد رئيس النادي مستر بكسوتو . وللنادي مجلة يكتب فيها الاطفال كلما ورد بخاطرهم من فكاهات أو مواضيع علمية على حسب مقدورهم ، وقد ترقى هذه الصحيفة بحيث أصبحت يقرأها كثير من الناس للتفكه بعباراتها الشيقة .

وفي حوش النادي العمومي ميدان للالعاب الرياضية يأتي اليه مشتركو النوادي الاخرى كل في وقت خاص به .

وللمشاركين في هذه الاندية رحلات خلوية في كل صيف مع هذا المربي الكبير فيأخذون ما يلزمهم من الخيم والغذاء الى الصحراء ، ويعيشون فيها اسابيع في زيارة الغابات والمزارع مما يزيد في معارفهم وينفعهم في صحتهم ، وقد أصبحوا به رجالا في ثوب طفولتهم ، والفضل في ذلك كله لهذا الرجل العظيم !!



مدهشات الطبيعة

وعلى بعد أربعين كيلو متراً من سان فرنسكو واد اسمه (اتوزوميث) ينتهى الى جبال سيرانوفادا ، فيه غابة كبيرة جداً ، فيها نحو ٣٠٠ شجرة عتيقة ، وفيها شجرة اسمها (سيكوايا جيكانتيا) يعنى السيكوايا الهائلة !! ومحيط هذه الشجرة ٢٩ متراً وقطرها تسعة أمتار وأربعون سنتياً !! وارتفاعها ٨٢ متراً !! وأكبر فرع فيها قطره متران !! ويبعد عن الارض بستين متراً !! ويقولون إن عمرها ٤٠٠٠ سنة !! وقرىبا منها شجرة اسمها النفق : ذلك أن القوم تقبوا فى ساقها نفقا ارتفاعه ٣ أمتار وعرضه ٣ أمتار ، وتمر من وسطه العربات الكبرى بكل سهولة ، ومع هذا فانه لم يؤثر على حيوية الشجرة التى فقدت بهذا النفق كثيرا من كتلتها الغذائية !! وإذا كان الاقدمون حصروا عجائب الدنيا فى سبعة أشياء ، فلا بد أن نضيف عليها بمثل هذه الشجرة عجيبة ثامنة . ويقال إنه كانت فى هذه المنطقة أشجار كثيرة من هذا النوع ، فسقطت عليها عاصفة أحرقتها ولم تبق منها الا هذه الشجرة ، وبها تذكرت تلك الشجرة التى بمطرية القاهرة « شجرة الجيز » والتى يزعمون انها أظلت السيدة العذراء وولدها عند ما حضرت الى مصر ؟ ؟

* *

وحيث انا نوهنا فى الكلام على سان فرنسكو عن معادن الذهب فى كاليفورنيا ، فيجمل أن أذكر لك شيئا عنها :

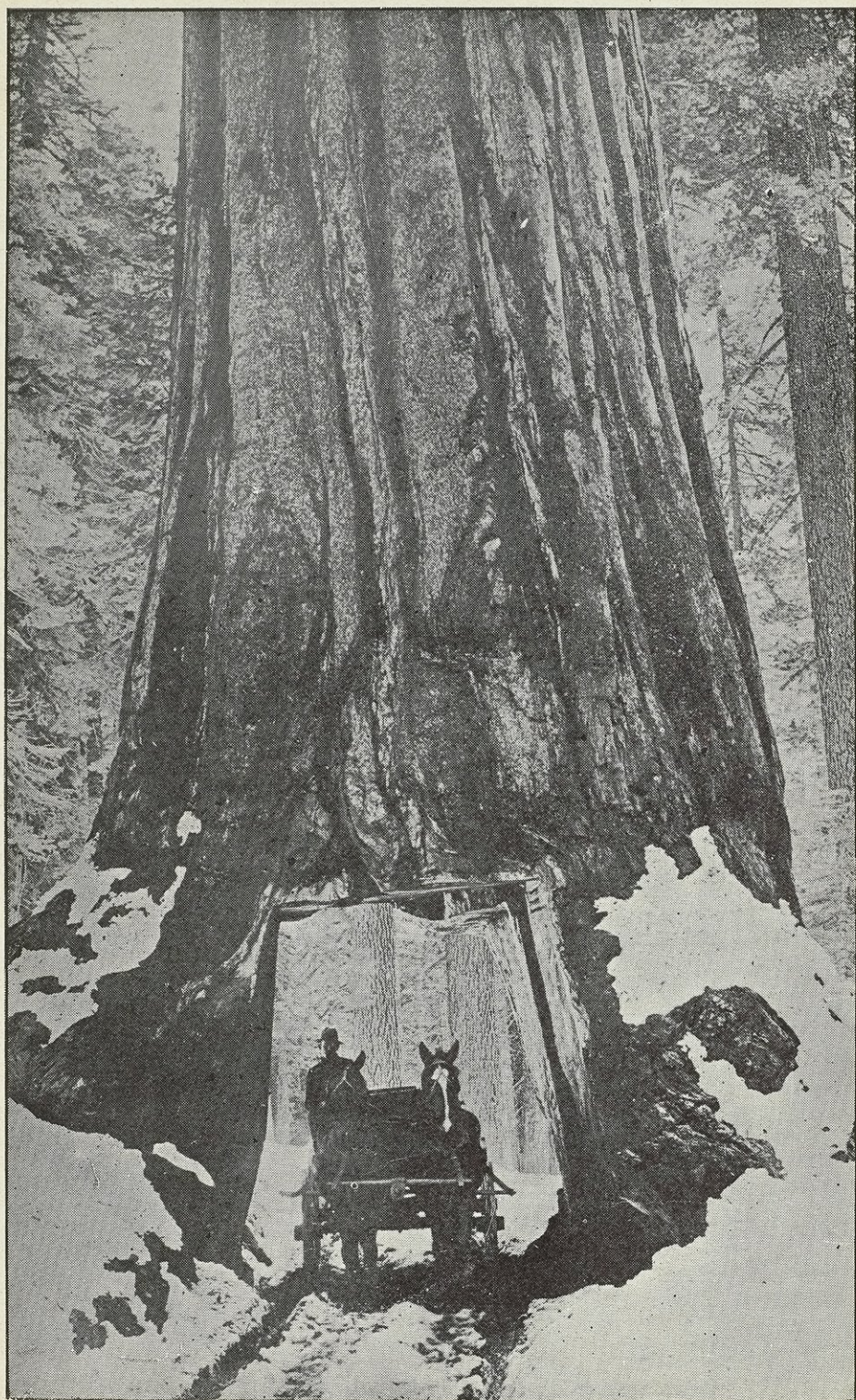
كاليفورنيا والذهب

كان عدد ولاية كاليفورنيا فى سنة ١٨٤٨م ١٣ ألف نفس ، حتى ساعد الحظ رجلا من المورمون اسمه مارشال وصل الى هنا هربا من الضغط والفظائع التى كانت تنصب عليهم من البلاد المجاورة لمدينة البحيرات المالحة التى وضعوا رحالهم

بها . اكتشف هذا الرجل بطريق الصدفة في مجرى ماء جاف شيئاً يباع ، فوجده تبر الذهب . ولما ذاع أمر هذا الاستكشاف العظيم ، هب الناس مرة واحدة من كل جهة يحفرون على طول النهر الى قرية كولورنا ، وحتى الجنود تركت ثكناتها ، وحتى البحارة تركوا مراكبهم وأنوا بملطهم وسيوفهم يحفرون بها مع الحافرين ، حتى بلغ عدد أهالى كاليفورنيا في سنة ٤٩ مائة ألف أو يزيدون . وفي سنة ١٨٥٠ كان الخبر وصل الى أوربا فآخذ الناس يهاجرون منها بالآلاف الى كاليفورنيا ، وأخذ الصينيون واليابانيون يهجرون بلادهم الى ساحل أمريكا الغربى للبحث عن هذا النضار الذى عم أمره جميع الاقطار . فكانت كاليفورنيا بابل جديدة اختلفت فيها الالسن ، وتغايرت الناس الى شعوب كثيرة : فمن أمريكان ، ومن فرنساويين ، ومن ألمان ، ومن انكليز ، ومن هنود ، ومن يابانيين ، ومن صينيين ، ومن عبيد . والكل قد أخذهم دوار البحث عن الذهب بحيث أصبح مرضا فسدت معه الاخلاق ، ولؤمت النفوس بعوامل الحسد لكل من كان فى جانبه شئ من الحظ ، بما أصبح معه الامن العام فى اضطراب شديد لكثرة اللصوص وقطاع الطريق الذين كانوا يهاجمون كل من آنسوا عنده شيئاً من هذا المعدن الثمين !! وكانت حكومة الولايات ترسل الجند لحفظ النظام والضرب على يد المفسدين ، فكانوا هم ضعفا على إباله لبحثهم هم أيضا عن ما يملأ منهم الجيوب بمادة الحياة والسعادة ، بل بمادة المجد والشرف (فى نظر الكثير من الناس) .

ولما كثر التبر فى أيدي الناس مع قلة النقود ، علت اسعار الحاجيات حتى بلغت أثمانها جملة أضعاف ثمنها فى أمريكا نفسها ، فكانت البيضة بريال ، والبصلة بريال ، وقدر العدس بعشرة ريالات ، ورغيف العيش بخمسة ريالات ، والزجاجة الفاضية بخمسة ريالات (لانهم كانوا يضعون فيها الذهب) !!

وقد طمع كل انسان فيما فى يدا الآخر ففشا فيهم لعب الميسر . فكانوا يجتمعون جماعات جماعات ، ويلعبون بزجاجات الذهب ، فمنهم من أفلس ومنهم من أثرى



شجرة سكوايا جنجانيتنا والنفق الذي يساقها لمرور العربات ص — ١٨٢

وانتهى الحال بان تألفت شركات لمشتري هذه الاراضى بعد أن انعدم ماعلى سطحها من هذا المعدن الثمين ، ومن ثم أخذ البحث عن هذه المادة مجراه الطبيعى الذى يرتكز على القانون فى دائرته ، وعلى العلم فى استخراجه ، وأصبح فى يد بعض الشركات .

وبالجملة فقد انتهى هذا المنام الذهبى باتصاله بمنام آخر ، هو توجه عناية الذين آثروا من الذهب الى مشتري الاراضى الواسعة فى كاليفورنيا ، وبعد ان مهدوها ، أخذوا يزرعونها ويغرسون بها الملايين من الاشجار المثمرة ، حتى أصبحت بهم جنة أشجارها عالية ، قطوفها دائية . وبذلك انتهى الحلم الثانى ، واستيقظ الناس وهم يقرؤن فى صفحة أفق هذه البلاد أن الحياة فيها للعاملين المجدين ومدارها على الزراعة والتجارة اللتين هما المطية الوحيد الموصلة للثروة فى هذا الزمان .

جامعة بروكلى

فى هذه المدينة جامعتان : واحدة تبرعت لبنائها سيدة أمريكية تسمى مسز هارست بمبلغ ١٠٠ ألف دولار !! والثانية أقامتها سيدة ثانية اسمها مسز اشبا نفورد بأن وهبتها بمبلغ ثلاثين مليون دولار !! والارض التى تخص هذه الجامعة هى ٣٣٦٠ فداناً ! وقد أقامتها هذه السيدة تذكراً لولدها الذى مات وهو على أبواب دراسته زرنا هذه الجامعة الاخيرة القائمة فى متسع من الارض بنيت فيه جملة مباني بعضها للجامعة الزراعية ، وبعضها للطب ، وبعضها لغير ذلك من العلوم المختلفة . والذى عتينا به هو الجامعة الزراعية ، فوجدناها تعنى بتربية النباتات ودراستها فى صوبات كثيرة حارة وباردة .

تزرع النباتات عادة فى الرمل الصافى فى اصص من الفخار - ولكنها هنا من البلور - ويوصلون الى جذورها بعض المواد المغذية الذائبة فى الماء بواسطة أنابيب زجاجية مغروسة فى احدى حوافى الأناء ، وهذه المواد يختلف بعضها عن بعض فى النوع

والكمية ، وبهذه التجربة يمكنهم أن يصلوا الى أحسن مغذ للنبات . ويجوار كل آنية ترمومتر ليتعرفوا به درجة الحرارة التي ينمو فيها أحسن من غيرها . هذه هي الطريقة العملية التي يعمل القوم بها هنا للعثور على أحسن ما ينهض بنباتهم ، ولا شك أنهم واصلون بها الى السكال الزراعى الذى ينشدونه . أقول السكال الزراعى ولا أقول ما فى ورائه ! لان العلم هنا أصبح من المدهشات ، بحيث ما نراه منه اليوم كما لا نراه غداً مبدأ لسكال آخر ، ولا يبعد أن يكون هذا مبدأ لغيره ، وهكذا مما لا يخفى عليك من مدهشات العلم الذى لم يقف عندهم عند حد ! !

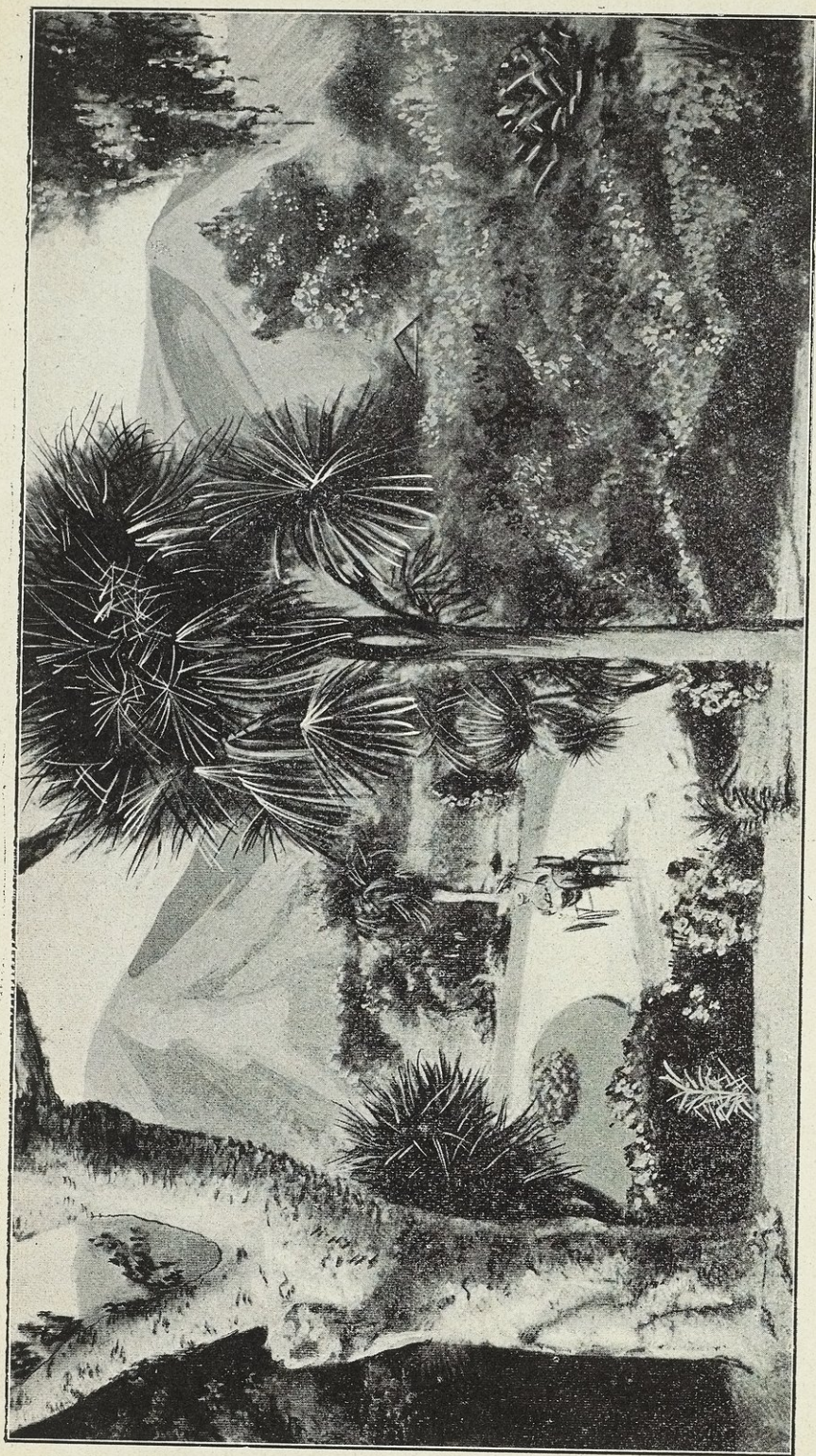
* *

قبل ستة وثلاثين قرناً علمنا الله درساً فى زراعة القمح بمصر ، اذ أوحى الى نبيه يوسف بأن يحتاط من القحط الذى سينزل بالبلاد — فأكثر من زراعة القمح الذى أبقاها فى سنبله ، وكان يأخذ منه مدة السنين السبع العجاف ما يدفع به غائلة القحط وكفى الناس شر بلائه ، وكانت هذه السياسة الالهية الاقتصادية فاتحة لما رأيناه فى سنى الحرب الأخيرة من إيجاد مصلحة للتموين ، كان عملها محصوراً فى تخزين الاقوات وتوزيعها على الناس كافة بحسب احتياج كل منهم . وضرب الله لنا مثلاً بسنبلة فيها مائة حبة ، ولم يضربه لنا عبثاً ، ولا شك اننا نستنتج منه درساً زراعياً جليلاً نصل منه ببجهاذنا الى مثل هذه السنبلة القيمة التى لم يصل الاهتمام الزراعى فى أيامنا الى أكثر من نصفها ، فهل يأتى يوم نصل منه الى ما أشار اليه الخالق فى مثله ؟

* *

وبعد زيارة أقسام الجامعة المتعددة ومكتبها التى رأينا فيها سرباً من الآنسات مشغولات بالقراءة والبحث ، ركبنا مركباتنا التى أعدتها لنا الغرفة التجارية ، وسرنا فى أهم شوارع المدينة نخترقها من شرقها الى غربها ، فما أنظف شوارعها ، وما أحلى منازلها ، وما أجمل مناظرها التى جمعت من كل شىء أحسنه ! !

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر عدنا الى قطارنا فقام بنا ونحن تنغدى به الى



حيث المعديّة التي تقلّتنا به الى الجهة الغربيّة من الخليج ، وهنا لك قسموا القطار الى ثلاثة أقسام ، حتى يتسع المكان له عرضا بالمعديّة ان لم يتسع المكان له طولا وبعد أن عدينا الى الشاطئ الآخر واتصلت أجزاء القطار بعضها ببعض ، سار بنا الى جهة الشمال يقطع مزارع واسعة جداً من القمح الذي تراه مضموماً عن قرب ، وأرضه فيها من أثر السيقان ما ينبئ بمجودتها . وكانت تتخلل هذه المزارع من آن الى آخر بعض غابات الزيتون والفاكهة ، وأكثرها من البرقوق وفصيلته .

وما زال القطار سائراً حتى وصل في صباح اليوم الثاني الى (ولاية اريجون) وكلها غابات جميلة جداً من الصنوبر ذكرتنا بمنظر سويسرا ، خصوصاً مع ما في جبالها من المثالج التي برد منها الجو بحال انتقلنا معها من حر شديد الى برد شديد !! وكان القطار يسير في هذه الجهة من نفق الى نفق ، ومن منحدر الى مرتفع ، حتى وصل بنا الى قمة الجبل ثم أخذ يسير نازلاً في الجهة الأخرى في طريق كثرت تعاريجه وزواياه حتى وصل الى أسفل الوادي بما ذكرنا طريق السمرنج بين تريستا وفينا . ويظهر أن هذه المنطقة كلها منطقة غابات الى حدود كندا ، إلا أنهم هنا يقطعون أشجار الغابات من غير أن يغرسوا بدلها ، لذلك يخشى أنه بعد بضع سنوات تنعدم الغابات من هذه الجهة . ولكن يبعد على حكومة الولايات إذا أهملت الغابات في هذه المنطقة فيما مضى أن تهملها في مستقبل أيامها : وهي مما يدر الخير الجزيل خصوصاً في المناطق الجبلية التي لا ينمو فيها ضرع ، ولا يصح زرع . ومازلنا في سيرنا حتى وصلنا الى (مدينة كورفاليس) بعد أن قطعنا إليها ٦٩٤ ميلاً .

يوم ٩ يوليو

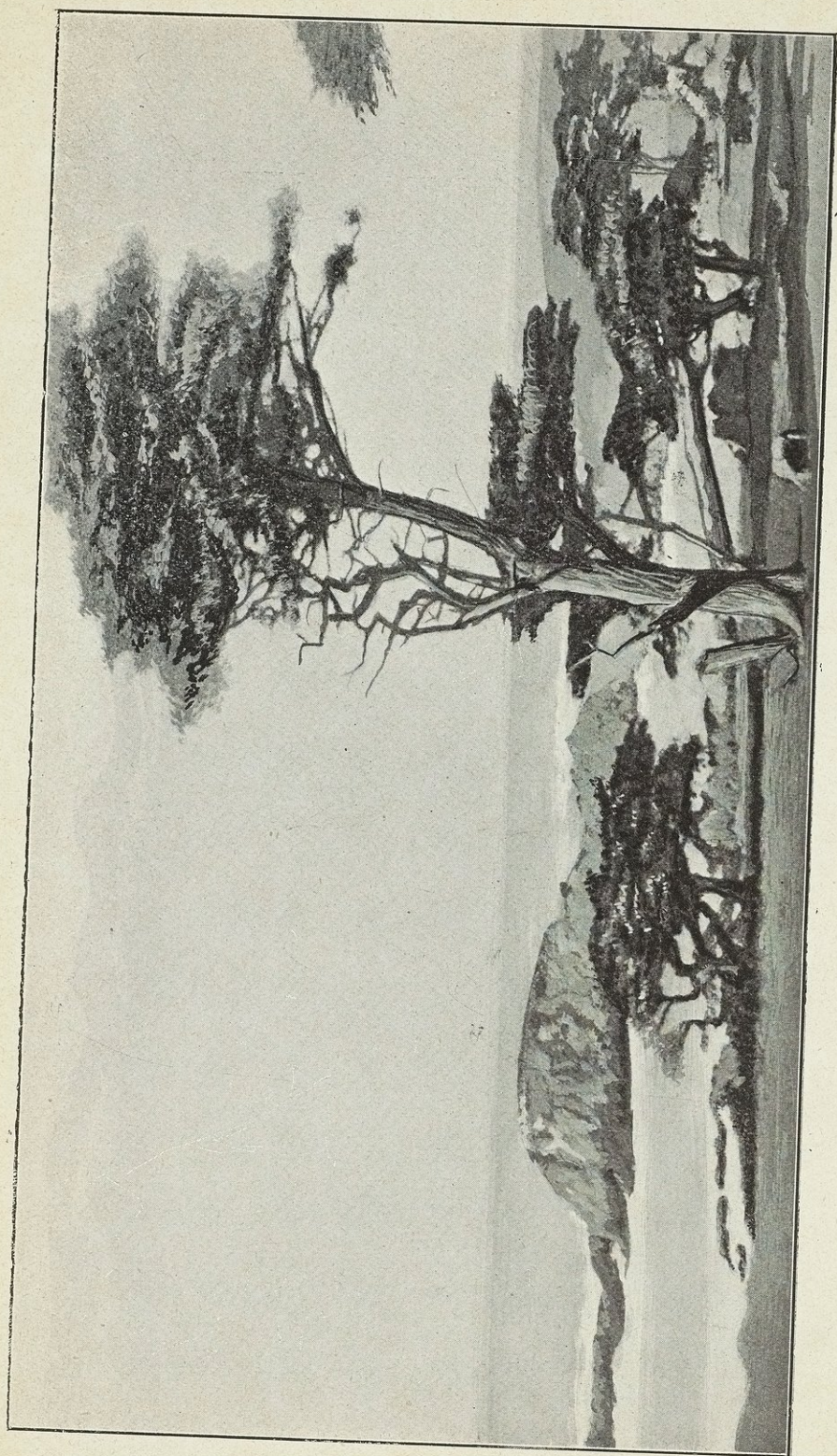
وصلنا الى هذه المدينة في الساعة الأولى بعد الظهر ، وعدد أهلها ٦ آلاف نفس ، وهي مشهورة بجامعتها الزراعية التي قصدناها بدعوة منها سابقة ، وتغدينا بها في ظلال أشجارها ، وبعد ذلك زرنا غرفها ومعملها الكيماوي ، ولا يمكن أن أحدثك

عنه بشئ إلا بما فيه من نظام . والذي لاحظته في الجامعة أن فيها خرائط لأرض هذه الولايات مرسوما عليها جميع الاراضى الزراعية بأنواعها ، يمكنك أن تتعرف منها العامر والغامر ، والطالح والصالح — ولعل عندنا من أثر مصلحة المساحة مالا يقل عن ذلك أو ما يقرب منه !!

بعد ذلك ركبنا السيارات الى مزارع المدينة فوجدنا أرضا كملتخلفة من الطمي عندنا ، ووجدنا القمح فيها يعلو الى متر ونصف ، وهو أحسن ماشاهدناه فيها . والاراضى التى من هذا القبيل تدفع من دولار الى اثنين كل سنة للحكومة بصفة ضريبة ، وكذلك يدفعون هنا عن الايراد فيما يزيد عن خمسة آلاف دولار شيئاً قليلاً جداً . وسقية الاراضى هنا من نهر ولامب الذى يتغذى من مثالج الجبال التى لا تبعد عن المدينة الا بنحو ثلاثين ميلا . وفى الساعة الرابعة بعد الظهر قام بنا القطار حتى وصل الى مدينة (بورتلاند) بعد أن قطعنا اليها ٩٢ ميلا .

يوم ١٠ يوليو

وصلنا إلى هذه المدينة التى عدد أهلها ٢٦٠ ألف نفس تقريبا ، وهى مدينة جميلة تبعد عن المحيط الهادى ببضعة كيلو مترات ، بنيت على جبل قد شقته الشوارع الافقية مستقيمة فى منظرها ، وقطعها الشوارع الرأسية مائلة نازلة بانحدار كبير إلى الوادى ، وقد يصل انحدارها إلى ١٠٠/٣٠ ومع هذا فانك ترى الاوتوموبيلات فيها صاعدة نازلة بسرعة عجيبة ، أما الترموايات فانها تسير فيها على قضبان مسننة . والذى أعجبنى فى الولايات المتحدة أن عربات الترموايات لكل منها كمسارى ولكن لا يحمل دفتر تذاكر منمرة كما هو الحال فى مصر يأخذها الراكب فى نظير الأجرة ، بل يجلس الكمسارى هنا على كرسى عند باب العربىة (وهى مقفلة فى الغالب) ويجواره صندوق مرتفع الى متر ونصف وفيه ثقب فى أعلاه يضع فيه الراكب القطعة المكونة للأجرة ، فاذا كانت أكثر من اللازم غيرها له الكمسارى



بعض الاشجار المتبقية على الاقياوس الهادي ص — ١٨٦

بنقود صديرة .

وبعد أن درنا دورتنا بالمدينة عدنا إلى القطار الذى قام بنا متجها إلى الشمال .
وفى الليل أخبرونا بأننا دخلنا حدود كندا ، فوقف القطار حتى عملت عملية التفتيش
الجركية المعتادة . ولكن بسهولة كبيرة . لأننا ضيوف كندا كما كنا ضيوف
ولايات الاتحاد .

ثم استأنف القطار سيره ماراً بمدينة ستيل ، وما زال حتى وصل إلى مدينة
وانكوفر بعد أن قطع إليها ٣٦٣ ميلا . وقبل أن نترك ولايات الاتحاد التى على
الاقيانوس الهادى نقول لك : إن الولايات المتحدة صدرت من هذه الولايات
الثلاث كاليفورنيا ، وواشنطن ، واراغون ، من الفاكهة وحدها فى العام الماضى
بخمسة وسبعين مليون دولار !! منها أربعون مليونا من التفاح وحده .

كندا

كندا هى قسم من أمريكا الشمالية واقعة فى شمال الولايات المتحدة ، استعمرها
الفرنسيون من سنة ١٥٣٤ إلى سنة ١٧٦٣ ، وفيها استولى عليها الانجليز . وعلى
مقتضى معاهدة باريس سنة ١٧٦٣ تركت فرنسا كندا بما فيها من الفرنسيين الذين
كان يبلغ عددهم ٣٠ ألف نفس ، وحولت عليهم ما كان عليها من الدين الذى كان
يبلغ ٣٠ مليون فرنك ، والعنصر الفرنسي إلى الآن يحافظ على لفته فى الغالب
وقد ساعدت كندا الانجليز فى حرب الترنسفال ، واشتركت معها فى الحرب
الاوربية ، ومن ثم استقلت فى جميع أمورها الداخلية ، وان كانت داخلية فى الاتحاد
الامبراطورى الانكليزى .

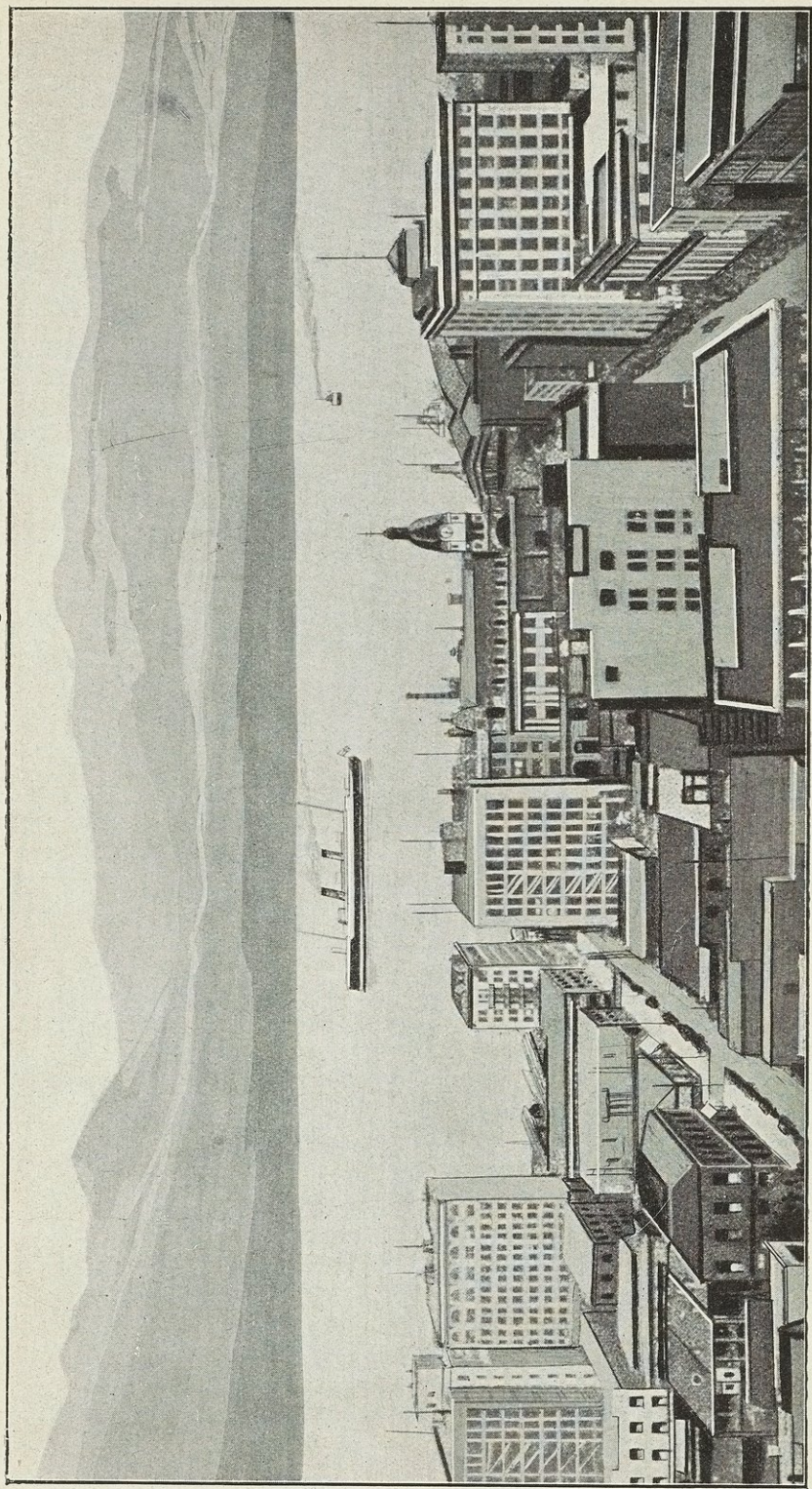
ومساحة كندا ٩٦٠٠٠٠٠ تسعه مليون وسماية ألف كيلو متر مربع ، وعدد
سكانها لا يزيد عن عشرة ملايين نفس ، وتنقسم إلى جملة ولايات عاصمتها العمومية
مدينة أوتاوا ، وفيها مركز الحكومة الاتحادية . وفى كندا غابات كثيرة ، وتكثر

في شملها حيوانات المنطقة الثلجية ، وفيها معادن كثيرة أهمها النحاس . والقصدير والحديد ، وهي التي تقوم بحياة أهلها في الغالب .
ومما يلاحظه السائح لأول وهلة إذا دخل أراضي كندا ، أن العملة هنا بالدولار ، حتى كأن لا فرق بينها وبين الولايات المتحدة التي تتصل حدودها بحدودها على طول نحو سبعة آلاف كيلو متر . واغرب من ذلك أن لكندا عملة فضية مقسمة على النظام المئوي (القاعدة المترية) كما هو في الولايات المتحدة مما لا يجده في إنجلترا : فالريال في كندا ينقسم إلى مائة جزء ، ونصفه خمسون جزءا ، وربعه خمسة وعشرون جزءا ، وهناك عدا هذا قطع فضية بعشرة أجزاء ، وقطع نيكل بخمسة أجزاء ، والجزء الواحد من المائة (سنت) من البرونز ، وكلها عليها رسم امبراطور الانكليز جورج الخامس . وإذا عرفت أن أموال الأمريكيان تزداد يوما عن يوم في كندا ، والامريكان يشترون كل يوم كثيرا من الاراضي الواسعة بها ، عرفت أنه لا بد وأن يأتي يوم يكون للولايات المتحدة شأن معها خصوصا والعنصر الفرنسي في يميل إلى الامريكان .

يوم ١١ يوليو

وصلنا فيه إلى هذه المدينة وانكوفر وتعدادها ٢٥٠ ألف نفس تقريبا ، وهي عاصمة ولاية برتش كولومبيا ، وهي الثغر الكندي على المحيط الهادي ، وتصل كندا بالشرق الاقصى ، وتغلب فيها السحنة الصينية واليابانية ، وكل الخدمة فيها على هذا اللون من بنى الانسان .

زرنا هذه المدينة وهي تنقسم إلى قسمين : أحسنهما القسم الجنوبي ، وتغلب في تجارتها الانواع الشرقية من صينية ويابانية على الخصوص . ومن أحسن مشاهدناه في المدينة بستانها النباتي وفيه كثير من حيوانات المنطقة الباردة مما لا تراه كثيرا في جهات أخرى . وقد رأينا بها أنواعا كثيرة من الورد المختلفة في ألوانها



وارتفاعاتها ، ولكن الذى ادهشنا هى تلك الغابة الهائلة التى تتصل بهذا البستان : اشجار عالية جدا يبلغ قطر ساقها نحو مترين ، وارتفاعها أكثر من خمسين مترا ، وهى من فصيلة الارز ، وفيها سبع شجرات هائلة قريبة من بعضها البعض يسمونها بالسبع الاخوات ، وقد رأيت بها شجرة ساقها على شكل مثلث طول كل ضلع فيه نحو مترين ونصف متر وارتفاعها نحو ستين متر . ويظهر أن هذه الجهة مشهورة بغاباتها الكثيفة العتيقة ، ولكن بلغنى أن التوم يجثونها وقد يتركون لها أصولها فتنبت من جديد ، وبهذا يعوزها الزمن الطويل لوصولها إلى حالة صالحة للصناعة .

ومما يلاحظ هنا اختلاف الجو اختلافا كثيرا عما كان عليه في الولايات المتحدة ، فقد اتعلمنا من حر كان يشوى الوجوه ويكاد يحجف منه الماء في الآفاق والاحداق الى برد شديد ومطر متدافع التزمت ان اشترى لهما عدتهما من هنا وأنا أترجم بقول الشاعر الجاهلي :

يتمنى المرء في الصيف الشتا واذا الصيف أتى أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد قتل الانسان ما أكفره

وفي ظهر هذا اليوم ركبنا قطارنا فسار بنا في طريق بين جبلين تعلوها غابات الصنوبر ، وكان نهر فريزر يسير عن يسارنا تارة ، وأخرى عن يميننا ، وكانت تغذيه بعض الشلالات التى كانت تنزل من الجبل من آن الى آخر . وفي هذا الطريق تكثر الانفاق ، فكانت تضايقنا بدخانها وظلامها وان كانت غير طويلة ، أنفاق كانت تمتنع عنا تلك المناظر الجميلة ، وتذكرنا بكتلة سوادها بحالتى الزمان ومره ، وخيره وشره !! وحتى في غربتنا هذه لا يريد الزمن أن يغفل عنا ساعة واحدة من غير أن يرينا من تأثيره وتكديره !

امضينا ليلتنا صاعدين الى الشمال ، ولما ظهر نور النهار رأينا الوادى قد انفرج قليلا ، والغابات كثرت وتكاثفت واتصلت خضرتها بناصع الثلوج التى على قمم الجبال بما لم يكن أحسن منه وفرة ونضرة ، وانعكست خضرتها في صفحة النهر

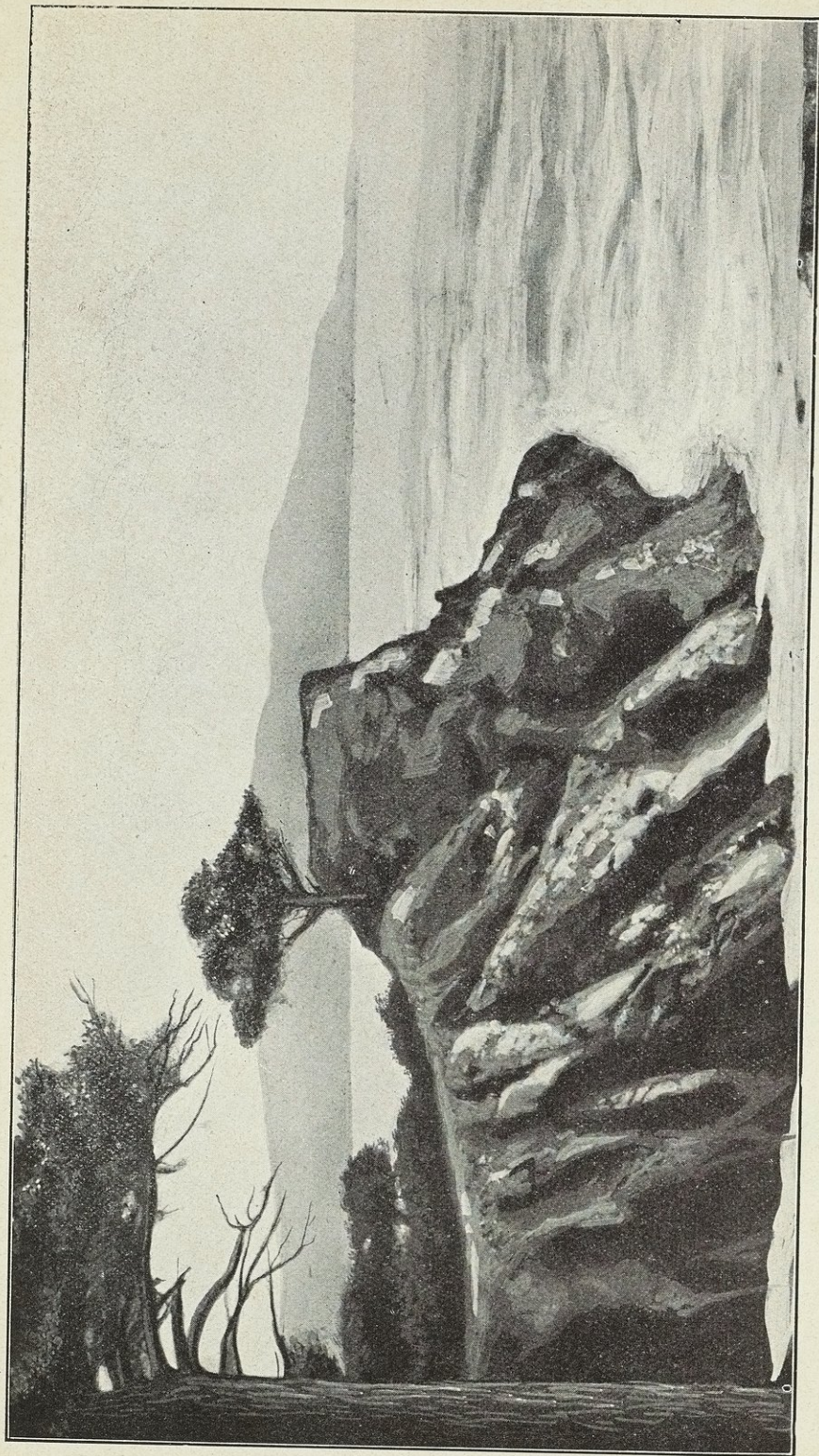
البلورية بما كان يتصاعد من جوانبها من تلك السحب التي تكاثفت واستحالت الى غيم انعقد في أفق السماء كان يحجب عنا ماعودناه من ضوء الشمس الذي منه حياة الارواح وانتعاش الجسوم ، ومازلنا حتى وصلنا في الساعة العاشرة صباحا من يوم ١٢ يوليو الى قرية (جاسبر) بعد أن قطعنا لها ٥٣٥ ميلا .

يوم ١٢ يوليو

بمجرد وصولنا الى قرية جاسبر، ركبنا منها الاتوموبيلات التي كانت في انتظارنا وسرنا في طريق مرصوف مقير ، وعلى جانبيه غابات من الصنوبر لاتزال في صبوته . وقد ضربت حولنا منطقة من الجبال تعلوها المثالج من كل ناحية حتى وصلنا بعد قليل الى لوكنده حديقة جاسبر - أو حديقة لوكانده جاسبر - وهي من الطف النزل في العالم : لان هذه الجهة مصيف سرة القوم في كندا . نزل حوى نظاما وترتيباً ونظافة ، نزل حوى من كل شئ الطفه ، ومن كل قبيل أظرفه ، فكنت ترى فيه جمال المكان بجوار جمال المسكين ، واذا أضفت الى ذلك ما إليه من بحيرة زرقاء قد انطبعت فيها صورة السماء بما فيها من سحب أبيض حتى لكأنك بين مماءين كليهما من لجين ، واذا لاحت منك التفاتة الى الحمام البحرى الذى يدخل فى البحيرة ويعلو ماؤه ماءها بيضعة أمتار ، شاهدت ما يغدو فيه ويروح من أشباح نشطت ، وأرواح لطف ، مما تخال معه ان أهل السماء نزلت الى الارض واختلطت باهلها لتفيض عليهم سلاما ورضوانا !!

من كل هذا يمكنك أن تتخيل صورة صادقة لهذا النزل الفخم ، فله لحظات قضيناها به قد أنستنا بجملها مصادفناه فى رحلتنا من شقاء وعناء ، أنستنا بما فيها من نسيم عليل ، وهواء بليل ما رأيناه فى ولايات الاتحاد الأمريكى من حر قد توقدت ناره ، واشتد أواره !!

ولقد أنسانا الله بما فيها من طبيعة راقية ، ومناظر شاقية ، مصادفناه فى سفرنا



من وجوه العذاب وضروب البلاء ii

وفي المساء قام بنا القطار الى جهة الشمال الشرق حتى وصلنا إلى مدينة (ادموتون) بعد أن قطعنا اليها ٢٣٦ ميلا . وعدد أهل هذه المدينة ٦٧ ألف نفس .

يوم ١٣ يوليو

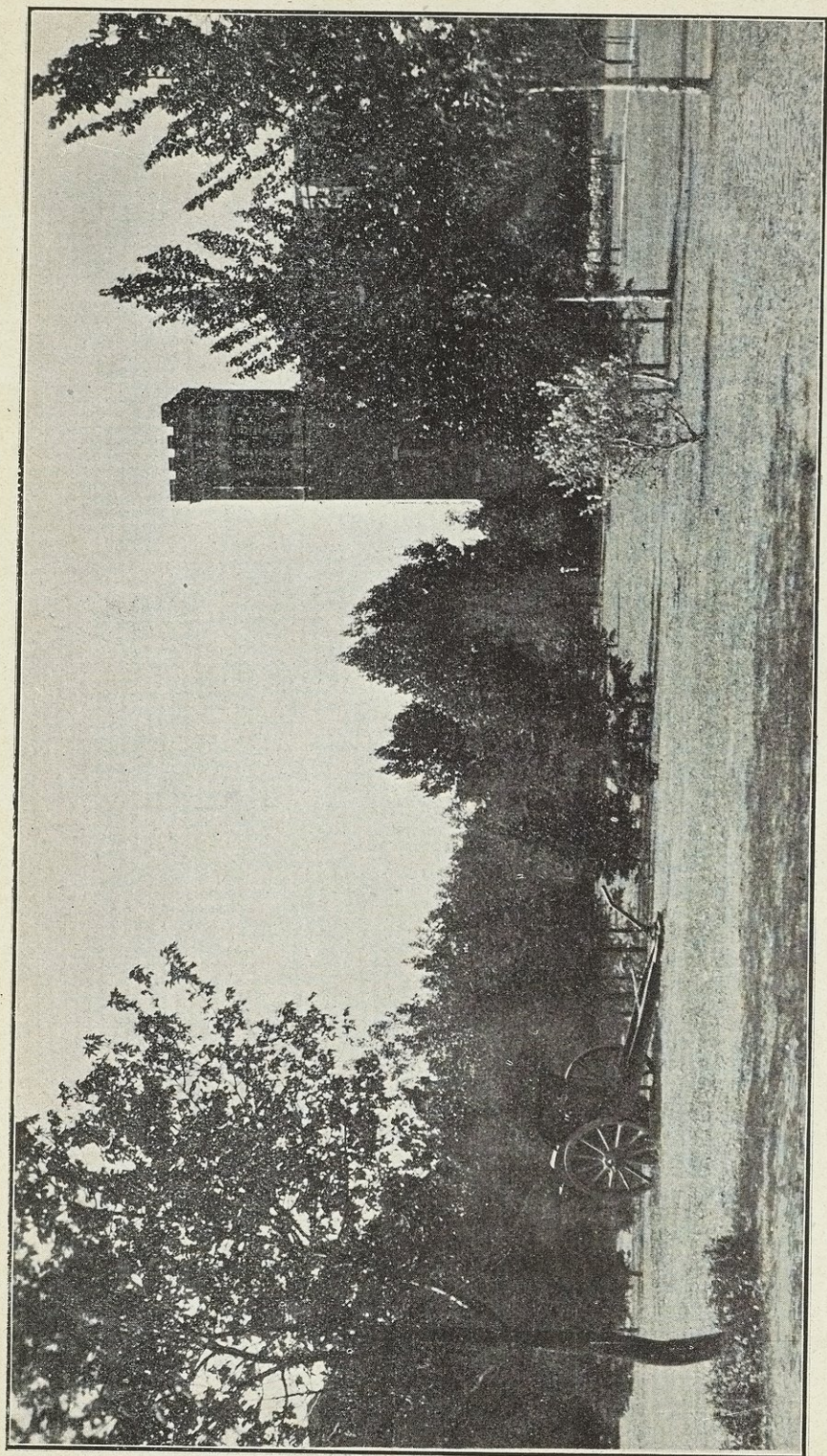
ركبنا في صباح هذا اليوم الاوتوموبيلات فسارت بنا في أرض منبسطة بعيدة الاطراف فيها زراعات مختلفة أغلبها القمح وبعض الخضر ، وقد زرعت فيها غابات جديدة من أشجار الصناعة . وعدد أهل هذه المدينة ٦٧ ألف نفس ، وأرض هذه الجهة سوداء ثقيلة كالتي في مديرية الشرقية . وبعد أن درنا دورتنا في المدينة التي ترى منازلها متفرقة بعضها عن بعض ، ويقطعها نهر سيسكا شوان وهو أشبه شئ بالرياح التوفيقى ، قصدنا إلى الجامعة بدعوة من رئاستها مع الغرفة التجارية ، فتناولنا بها طعام الغداء . وبعد أن زرنا معامل الجامعة عدنا إلى قطارنا الذي قام بنا متجها إلى الجنوب الشرقى في أرض يلوخ لنا أنها من أخصب أراضي العالم ، أرض خصتها الطبيعة بهذا الخصب البكر ، والزراعة تنمو فيها نموا هائلا رغم عدم الايدى العاملة !!

*
*
*

وهنا نقول : إن أراضي كندا على سعتها وتباعد أطرافها قليلة السكان إلى الدرجة التي على طول سيرنا في القطار ما كنا نشاهد في الطريق كله انسانا واحداً !! لان تعدادها يبلغ عشرة ملايين نفس كما قلنا إنهم من أصل أوربى ، ومنهم ثلاثة أرباع المليون من (الهنود) وهم الذين كانوا يسكنون البلاد قبل اكتشافها . وبهذه المناسبة نقول : إن هذا الجنس قد ضعف بكل عوامل الضعف الطبيعي والاضعاف الاستبدادى أو السياسى ، حتى وصل الى حال تنذر بالفناء والاقراض !!

أراك يا حضرة القارىء تجيل بصرك في كلمة الاضعاف السياسى ، وإنى أوفر عليك زمناك الغالى من التفكير وأشرحه لك بما يحتمله المقام :

دخل الافرنج إلى أمريكا شمالها وجنوبها فوجدوا ساكنيها من بنى الانسان الذين لم يتجاوزوا الدائرة الحيوانية إلا فيما كانت تحتاجه طبائعهم من آلة صيد وطبخ وفراء يتقون بها شدة القليظ وحدة الشتاء ، وأججار كانوا يأوون اليها من مطر أو خطر . ومع أن حياتهم كانت محصورة في هذه الدائرة الضيقة من العيش فانهم كانوا بحكم الفطرة الحيوانية تقوى عندهم سليقة الدفاع عن النفس الى حد لا فرق فيه بينهم وبين الحيوانات المفترسة . رأت الفرنجة هذا الحيوان الانساني فأخذتهم منه الرهبة ورأوا أنه لا يمكنهم أن يعيشوا معه تحت سماء واحدة ، فأخذوا يصطادونه بينادقهم من بعد حتى لا يصل اليهم منه سوء لحرمانه من آلات القراع والدفاع ، حتى افنوا الشيوخ والرجال ، ولم يبق الا صببة استخدموهم في مصالحهم !! وكأنهم خشوا من نمو عاطفة الانتقام فيهم فابعدوهم شمالا وغربا يعيشون من عشب الارض وصيد البر والبحر ، تحت سماء كلها رجوم ، وأوساط كلها سموم ، وليس من يعنى بهم ولا من يرشدهم الى مافيه خيرهم ، ولو كان للمحتلين للبلاد أية عناية بهم أو بعض الرعاية لهم ، لكانوا فتحوا لهم دورا للتكليف والتثقيف الذى كان ينهض بهم ويدخلهم فى دائرة العمل الذى كانت تحسن به حالهم : ولكن الدار لا تتسع للساكنين ، والحجرة لا تنفسح لساكنين ، وهكذا فعلوا بأهل استراليا وجنوب أفريقيا !! وعلى هذا القياس لو كانت الفرنجة استعمروا السودان شرقه وغربه من زمن بعيد ، لكان نصيب هذا اللون الاسود نصيب قريبه فى أمريكا واستراليا من الزوال والفناء ، ولكنهم جاؤوه وكلمات الحرية والمساواة والشفقة والرحمة والانسانية كانت قد اخترعت سلاحا لينا لطيفا يقتلون به الناس من حيث لا يشعرون ، بل وهم هاشون باشون وعنهم راضون !! كادة الكوكابين تقتل صاحبها وهو يمتد نحوها بكل جوارحه حنانا اليها وتلفاً عليها ! وهل يصح أن تكون للانسانية والرحمة والشفقة معنى فى ميدان حرب وكفاح حيوى غاية كل انسان منه الانتصار بأى عامل من عوامل القوة والقسوة والوحشية والدهاء ، والغش والخداع والكذب التى تنقلب عند الغلبة فضائل ويكسو



حدیقة فکتوریا فی مدینة ریجینیا بکندا ص — ۱۹۲

التاريخ فظائعها حللا منسوجة بمادة التحميد والتمجيد؟؟ لهذا كان لابد لكل أمة أن تنقش على قلبها هاتين الكلمتين — لتحي القوة — ليمت الضعف .

يوم ١٤ يوليو

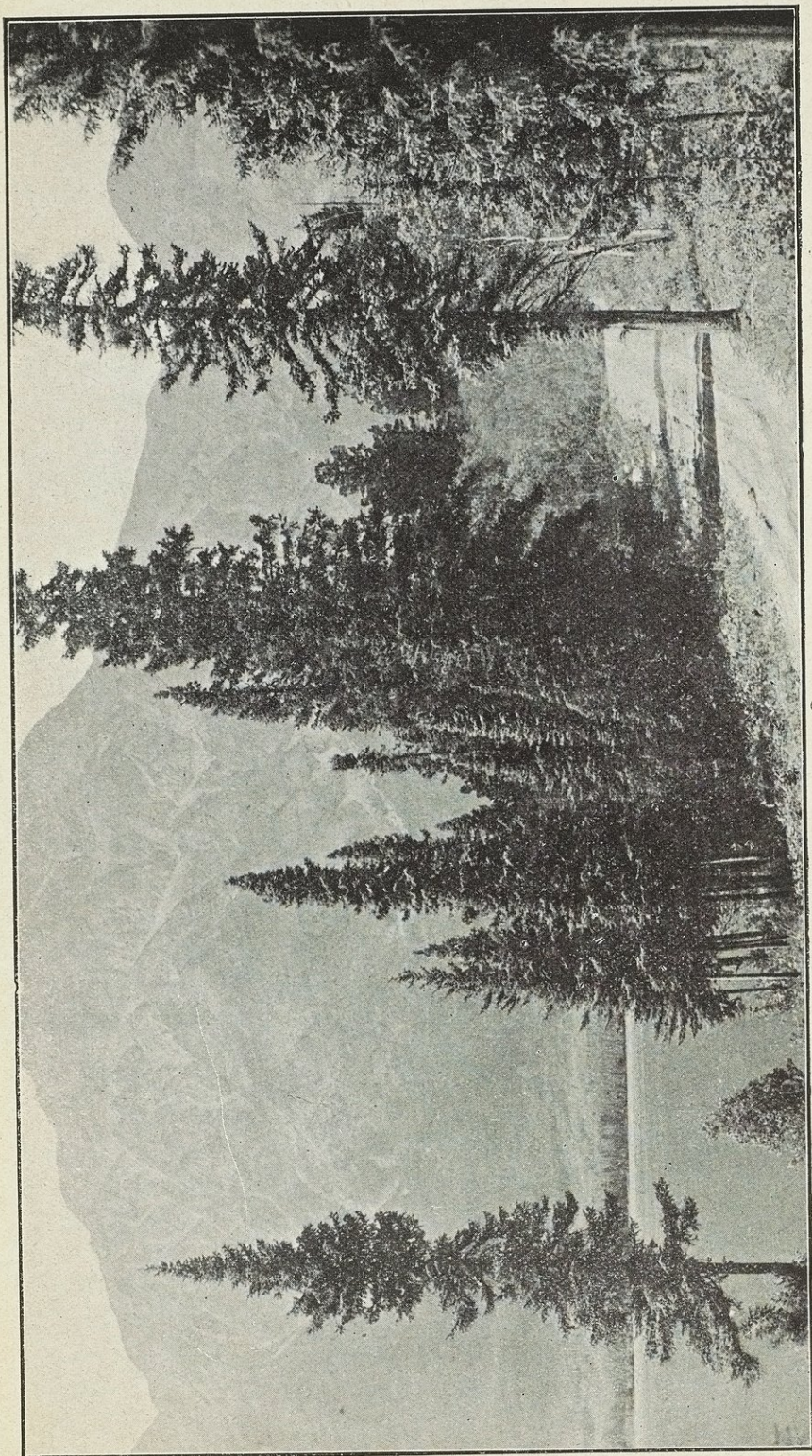
وصلنا في صباح هذا اليوم الى محطة (ساسكاتون) بعد أن قطعنا اليها ٢٢٦ ميلا ، وعدد سكانها ٣٣ الف نفس ، والذي تلاحظه بصفة عامة في كندا أن محطاتها فيها قاعتان للانتظار ، مكتوب على واحدة « استراحة للسيدات » وعلى الثانية « استراحة للرجال » وقد زرنا الجامعة فوجدنا فيها كما وجدنا في جميع الجامعات التي زرناها بكندا أبنية خاصة للبنات ، ولا يجتمعن في الدرس مع الشبان كما هو الحال في أوروبا والولايات المتحدة ، وهذا أبقى من غير شك لكرامة الجنسين وتصرف حكومة كندا ٥٨ في المائة من إيراداتها في سبيل التعليم ، وكله مجاني بمدارسها . وأبنية الجامعة كثيرة ومتفرقة عن بعضها البعض ، وغالبها من ذات الدور الواحد ، يحيط بها حدائق جميلة في منتهى النظام ، ومن ورائها مزارع التجارب التي يشتغل طلبة القسم الزراعي بها . والذي لفت نظري هنا كثرة الخيل العظيمة الجسيمة ، والخنازير الهائلة السمينة ، كما لاحظت أن شجر الفاكهة يقل في هذه الجهات قلة محسوسة ، ولكن تكثر فيها الغلال والبنجر والخضر خصوصا الطماطم . وأراضى هذه الولاية بصفة خاصة من خير ما خلقه الله ، ولا ينقصها غير اليد العاملة وهي سوداء كانوا مخلوطة بهباب المداخن . ومن خير ما رأينا هنا ١٢٠ فدانا لزربية الاشجار تابعة للحكومة ، وهي مقسمة الى آلاف الأقسام ، وكلها مزروعة من الاشجار المختلفة ، كل قسم على حدته . ففيها أشجار الغابات ، وأشجار الفاكهة من كل نوع وشكل ، والذي يدهشنا أنها في نظامها كالحسن البساتين ترتيبا وعناية ، لا ترى بها حشيشا ولا مرضا ولا ضعفا ، وقد انشئت من عشر سنوات فقط . وكل سنة يزيدون عليها أربعة ملايين شجرة !! .

والمهم هنا أن الحكومة تسلم لاي طالب ثلاثمائة وعشرين فدانا بدون ثمن ، وتعطيه الف شجرة من أى نوع يطلبه بدون ثمن ، فاذا زرعها وطلب غيرها تعطيه الفا آخر بغير ثمن ، وهكذا يجد الزارع فى خزان الحكومة الزراعية ما يطلبه من الشجر مجانا ، وكل هذا للترغيب فى زيادة صفحة الاراضى المنزرعة غابات وهى مالا تحتاج الى عناية فى مبدأ أمرها ، ثم تتولاها عناية الله وجودة الأرض . وليس لهذه الارض من واسطة للرى إلا المطر ، لانها ترتفع عن مياه النهر كثيرا . ومقدار ما ينزل من المطر فى هذه الجهة ١٤ إنش ، ويبدأ من يونيه ، وتنزل درجة الحرارة فى الشتاء — وخصوصا فى يناير — الى الصفر لمدة شهر تقريبا ، وفى هذه المدة يكسو الثلج سطح الارض وتبطل الحركة العمومية .

وهناك أرض للزراعات المنظمة تحت تصرف من يطلبها بالثمن بنسبة ٤٠ ريالا للفدان ، وقد كانوا يعطونها بلا ثمن من عشرين سنة . ومحصول القمح فى هذه الاراضى من ١٨ بشلا الى ٥٠ بشلا (والبشلا ٢٩ كيلوجراما) وبين الزراعة والمحصول ٤ أشهر ، فيزرعون من أول مايو ، ويحصدون فى أول سبتمبر ! وأجرة العامل فى اليوم هنا خمس ريالات .



ولهذه المناسبة أقول : إن وزارة الزراعة عندنا فكرت يوما فى الاكثار من الاشجار بعد أن قضت الحرب على ما كان منها فى البلاد مما كان له ظل ممدود وثمره ومنفعة متغيرة للفلاح ، فكرت فى ذلك أيضا مصلحة الزراعة ، وتبعها مجالس المديرىات ، وعملوا المشاتل المختلفة ولكن لا لمساعدة المصلحة العامة ، ولا لاكمال النقص الذى وقع فى هذا النوع من الشجر مما هو ضرورى للبلاد الحارة . ولكن لتجعله مورد كسب جديد ، وأخذت تبنيه بأثمان عالية حالت بين رغبة الناس فيه . وهامم الآن يعطون المشاتل أو يختصرونها بدعوى أن وجودها فيه بعض الخسارة . أو بعبارة أخرى ليس فيه من مكسب . إنا نفهم أن تهتم الوزارة أو مجالس المديرىات



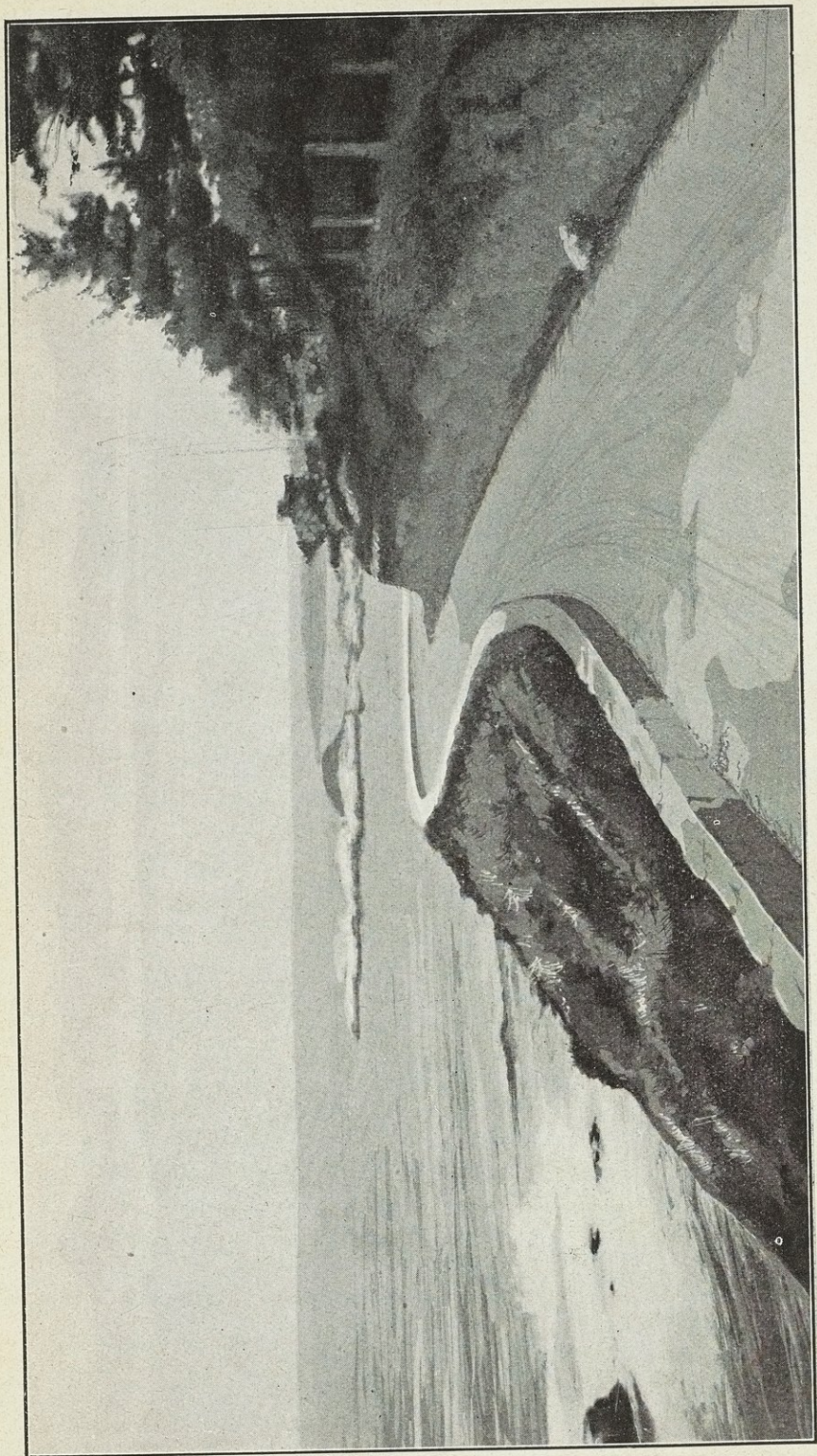
بالاكثر من الاشجار النافعة ، وتخير الاصلح منها ، وتستورد من الخارج كلما يصلح في هذه البلاد من الاشجار التي تنفع للصناعة ، ثم تباع ذلك على الناس بما صرفته عليه ، ولا تجعله تجارة تنافس فيها الافراد ممن جعلوه مورد رزق لهم ، وبذلك يكون لها فضل العناية بالاكثر من الاشجار ، وباختيار الاصناف الجيدة التي بكثرتها تكون من احسن الغلات التي تدخل ضمن إيراد البلاد الهامة ، وبذلك تنخفض من تلك الاشجار العتيقة وخصوصا اشجار الفاكهة التي تركزت في عصارتها المكروبات الضارة ، والتي سيكون لها يوما ما أثر سيئ في أحداث وباء زراعى لا يمكن تقدير مافيه من الضرر ، ولا يمكن أن نقف في وجهه باى حال من الاحوال .
فهل الوزارة مقلعة عن فكرة الكسب الى فكرة المصلحة العامة ؟ ؟

وهنا أقول إن أغلب الاشجار المثمرة في البلاد استوردها محمد على من الشام بعد انتصاره فيها على جيوش العثمانيين ، وكذلك من موره بعد انتصار ابراهيم فيها على الجيوش المختلطة من يونان وانكليز وروس ممن كانوا يساعدون اليونان في سبيل استقلالهم ، وقد مضى على ذلك نحو قرن ونحن نستولدها ، وليس من تجدبد ولو من طريق التلقيح الذى يخفف من شيخوختها إن لم يرجعها الى شبابها (على رأى فورونوف) .

نحن لانريد أن تكون لبلادنا الزراعية وزارة زراعة لا تجد لها غير كلمات طيبات لتسمع من نعمتها تلك العبارات الرقيقات : نتائج ساحرة ! فوائد باهرة !! إيرادات وافرة ! أو ما في معنى ذلك مما تهتم به الأذن بسرعة من غير أن يكون له أثر محسوس ، ولكننا نريد أن تكون لبلادنا الزراعية وزارة عمل ليس الغرض منها أن يقضى العامل فيها شظرا من النهار في ختم آلاف الاوراق التي كثيرا ما تدور دورتها وهي إن تغيرت في مبناها لا تتغير في معناها !! لم لا يكون في وزارة الزراعة مجلس زراعى علمى عملى يجتمع في الاسبوع مرة على الاقل للبحث في كل ماله أثره الحسن في الرقى الزراعى ؟ لم لا تهتم الوزارة في تحسين نتاج الماشية ؟ لقد فكروا من زمن

في تحسين نتاج الخيل وأوجدوا في بعض المديرية حصانا من حياد الخيل لهذا الغرض. فما للوزارة لا تجعل في كل مركز ثوراً وخلقاً من أحسن شيء في نوعها: حتى إذا أتى الفلاح بماشيته يجد أمامه ما يضمن تحسين النوع، وبهذه الطريقة لا تمضي عشر سنوات حتى نرى أمامنا ماشية بحالة عامة من أحسن وخير ما يوجد من نوعها في العالم كله؟ لم لا يكون للوزارة نشرة أو مجلة زراعية لا تتكلم فيها بلغة العلم — بل بلغة دينه وبين ما يفهم الناس منه، ويوزعونها باشتراك بسيطة لا تتجاوز ما يصرف على طبعها وورقها، وحسبها من ذلك أن يكون لها فضل البحث والنشر والتعليم؟ يزعمون أن وزارة الداخلية لها رجال يجولون في البلاد للنصح والارشاد فيما يتعلق بالآداب والاخلاق، فما بال وزارة الزراعة لا تجعل في كل مديرية مرشداً يتجول في أنحائها على الدوام أو على الأقل قبل كل زراعة لارشاد الناس لما فيه مصلحتهم وخيرهم؟ أمام الوزارة من ذلك شيء كثير، فيمكنها أن تفكر وتتمشي فيه مع الإصلاح ولها أجرها عند الله وشكرها من البلاد. وإذا كان مدار الزراعة في العالم الجديد على الآلات فلم لا تبحث الوزارة في العائق الوحيد عن استعمالها في أرضنا؟ لا بد هناك من سبب يمكن بطبيعة الحال تذليله بعد دراسته. ويعمل عن الآلة رسم يرسل به إلى بعض الفابريكات، وبعد عمل مثال منه وتجربته فإن أتى بالغرض منه حسن استعمالنا له وإلا فلا تزال به حتى تصل منه إلى نتيجة صالحة. لم لا تجعل الوزارة لها معملًا متسعًا لتحليل كل نوع من أنواع الأراضي العامة بأجر زهيد جداً لا يقعد بصاحب الأرض عن تعرف حال أرضه؟ ويكتب تحت التحليل « صالحة لكذا » أو « ينقصها كذا لتكون صالحة لكذا » أو تضع تحتها جدولاً بسيطاً بنوع السماد الذي تصلح به كل زراعة رئيسية في كل نوع من أنواع التربة.

إنك تعرف من مؤتمر دراسة التربة بالولايات المتحدة اهتمام العالم كله بهذا الامر. فهل لوزارة الزراعة عندنا أن تفكر في دراسة أراضي القطر وتعمل بها خريطة مصحوبة بالنصائح العامة لإصلاح كل نوع من أنواع تربتها؟ عندنا القسم



طريق الاوتومبيلات على شاطئ المحيط الهادى ص — ١٩٦

البكتريولوجى لم يظهر للناس شئ من عمله !! وقد يكون له عمل ولكنه محصور بين جدران معمله ، ولكن ما الفائدة من ذلك ؟ يقولون : إن نتائج التجارب فى مزارع الوزارة مرضية جدا ولكن ما فائدة الناس منها اذا كانوا يجهلون ؟ وهلا تكون هذه النتائج الباهرة نتيجة مصروف كبير لا تفى به كمية المحصول وهو مالا يفيدنا ؟ نحن نريد أن نصل الى نتيجة نحارب بها أمراض النبات من غير مصروف كبير ، وهذا لا يكون إلا نتيجة بحث ودراسة صحيحة ، فهل للوزارة أن تعنى بذلك ولو تستقدم من الخارج من يصلح ويصلح . نحن نرى وزارة المعارف تستقدم بعض العلماء الاجانب لالقاء بعض المحاضرات فى جامعها بلغة غير اللغة التى تعرفها طلبتها مما لا يكون له فائدة قليلة أو كثيرة ، مع ما يصرف فى ذلك من جم مال الوزارة وعزيز وقت الطلبة !! فما لوزارة الزراعة لا تستقدم رجالا ممن لهم شهرة فى العلم الزراعى يذللون ما عندها من الصعوبات ، ويحللون ما فى صفحتها من المشكلات ؟ أظن ان قد جاء الوقت لذلك — فهل هى عاملة ؟ .

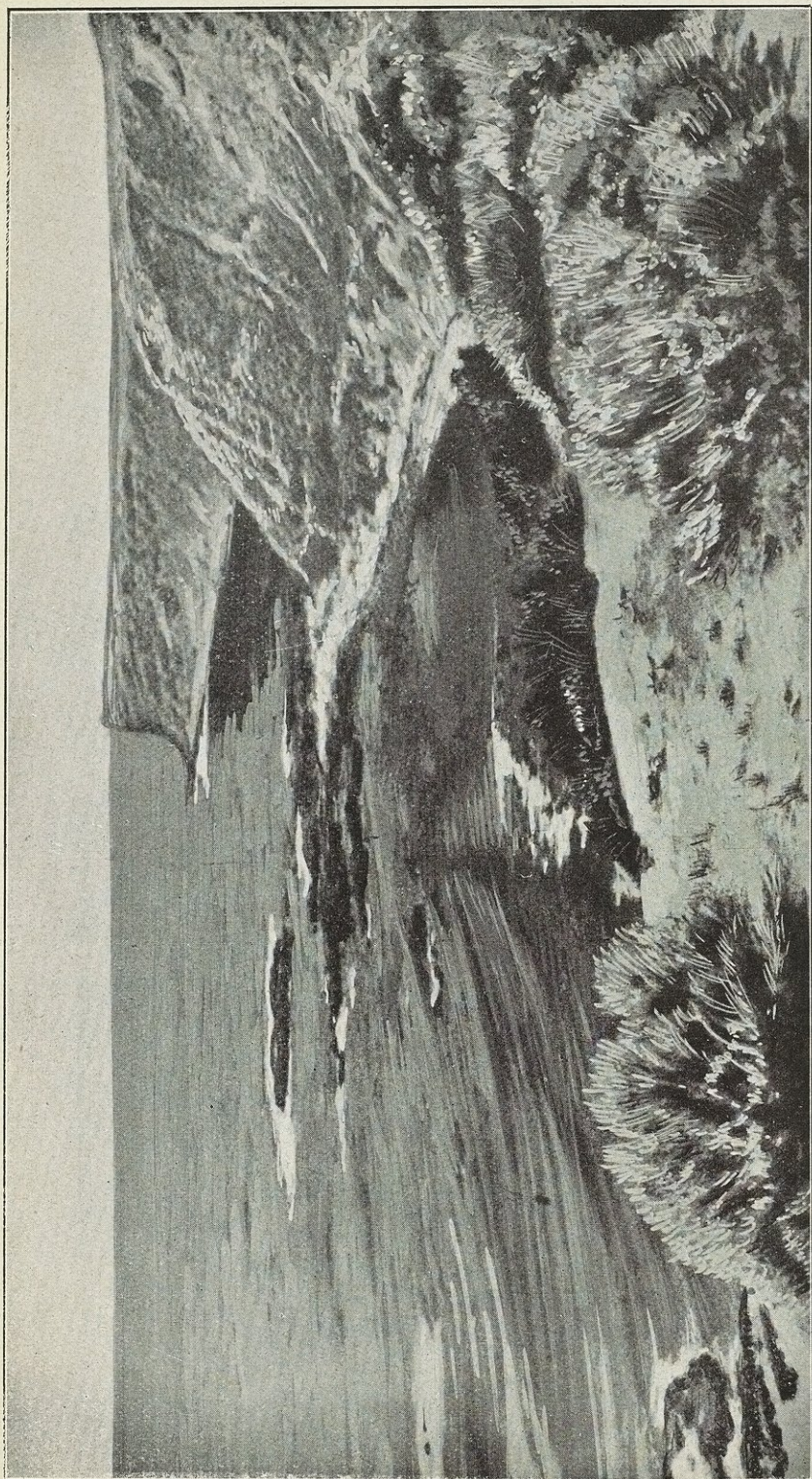
عدنا الى قطارنا فقام بنا الى مدينة (ريجينا) والمسافة اليها ١٦١ ميلا ، وعدد أهلها ٤٠ الف نفس . ثم توجهنا منها الى مدينة (اندريا) وهى على بعد ٤٢ ميلا ، وشاهدنا ما فيها من زرع ومن ضرع . وأحسن ما رأينا تلك الخيل المسومة التى يستولدونها من الخيل الانجليزية والسكندية ، وبعد ذلك عدنا الى قطارنا الذى عاد بنا الى ريجينا ، ثم اتجه بنا نحو الشرق حتى وصلنا الى مدينة براندون فى ولاية ماينتوبا والمسافة بينهما ٢٢١ ميلا .

يوم ١٥ يوليو

وصلنا في صباح هذا اليوم الى (براندون) وعدد سكانها ١٧ ألف نفس .
وركبنا العربات التي كانت في انتظارنا الى المزارع فوجدناها جيدة ، والغلال فيها
كما لو كانت عندنا في شهر يناير - اعني في ارتفاع عشرين سنتي متر تقريبا - والارض
هنا سوداء ، وطبقتهما في كندا تكاد تكون واحدة . ومع اننا نزلنا كثيرا الى جهة
الجنوب فان الاشجار هنا لاتزال من القلّة بحيث لاتراها الاحول المدن ، وتكاد
الارض تخلو من نوع الانسان - بل ومن الحيوان - ومما يلاحظ في حالة كندا أن
الذرة لاتنمو فيها بحال جيدة تناسب مع حالة القمح ، مع جودة الارض وكونها
غنية بمواد الانتاج مما يدل على أن الحرارة ضرورية لتكوين نبات الذرة . وهنا
وجدنا أيضا مزارع زرع فيها القمح من اسبوع فقط حتى اذا تقدم الشتاء كان
غذاء للماشية !!

رجعنا الى قطارنا فقام بنا الى مدينة (ونيبيج) بعد أن قطع اليها ١٣٤ ميلا ،
وعدد سكان هذه المدينة ٢٨٣ ألف نفس ، فركبنا عرباتنا وقطعنا المدينة فوجدنا
شوارعها واسعة ونظيفة ، وابنتها لطيفة ، وأهم شيء فيها البرلمان . ثم خرجنا الى
المزارع ، وبحشنا - أو بحث القوم - في التربة ، وهي كسابتها من الخصوبة بمكان
عظيم . والروس يقولون إن أرض كندا كأرضهم في سوادها وجودتها وتركيبها -
فهل أراضي المناطق الباردة كلها على هذا الحال ؟ أو انها كانت تكوينها بحال
واحدة ؟ - نترك الحكم في هذا لاهله من علماء الجيولوجيا .

وقبل أن نترك أرض كندا نقول : إن الشوارع في جميع مدنها عظيمة
الاتساع بحيث لاتنقص عن ٦٠ م - ترا : ذلك ان المدن فيها جديدة ، وتخطيطها
حديث بحيث أن المدينة وضعت على الرسم الكروكي الذي أيسح للناس البناء على
نظامه لذلك لاترى فيها بوجه عام دخولا ولا خروجا . بل هو ترتيب كالذي تراه في



الشاطئ الصخري على المحيط الهادي ص — ١٩٨

حلوان والزمالك القبلية . وكذلك المدارس فانها مع قلة الطلبة تراها مشيدة كما هي في أحسن البلدان ، ولا أبالغ اذا قلت إنى أراها هنا أحسن منها في أوربا ، وعلى الخصوص في فرنسا ، وقد ترى في المدينة الصغيرة عشرات من المدارس من أولية ، وثانوية ، أو عالية ، وكلها أبنية فخمة كلفت القوم بدون شك مصاريف هائلة . وبهذا تجد العمار عندهم لا يعتوره خراب ، ولا يعتريه زوال ، مادامت عناية القوم به كما ترى ، ومنه ترى أنهم انما يبنون للمستقبل .

وبعد زيارتنا للجامعة توجهنا إلى لو كندة « فورت جارى » بدعوة من رئاسة الجامعة ووزير الزراعة للعشاء فيها ، وقد اجتمعت بحضرة الوزير وتكلمت معه في شئون شتى ، خصوصا عن إيرادات الحكومة ، وعلمت منه انها من ضرائب على المشروبات الروحية ، والأتوموبيلات ، ومما يباع من الأراضى ، وما ينقص عن المصروفات تدفعه الولاية العامة سلفة الى أن يمكن أن تغطى إيراداتهم بمصروفاتهم . وعرفت منه أن الحكومة رغماً عن جودة الارض موجهة اهتمامها الى استئصال الحشائش الطفيلية في مبدأ امرها ، لتكفى نفسها شر كثرتها في المستقبل . وليت عمال الزراعة عندنا ينصحون الى المزارعين بالعناية باستئصال هذا النبات المضر قبل أن تتكون تقاويه . وعرفت من جناب الوزير ، أن الحكومة وشركات السكك الحديدية والنقابات تملك كثيراً من الاراضى ويمكن لأى انسان أن يشتري ما يريد مادام معه ثمنها الذى هو عبارة عن ١٥ ريال للفدان !! وما دام معه من المصروف الزراعى ما يشتري به حصانين للحرث وبعض بقرات تساعد بالإنها على غذائه وغذاء عائلته .

وبعد العشاء ركبنا قطارنا فصار بنا متجها إلى الجنوب حتى دخل في حدود الولايات المتحدة من (ولاية مينيزوتا) وهناك أتى عمال الجمارك عند الحدود وفقدوا كثيراً من الأمتعة خوفاً من أن يكون مع الركاب شئ من المشروبات الروحية الممنوع دخولها إلى أرض الاتحاد ، ثم استأنف القطار مسيره حتى وصل إلى مدينة (مورهد) والمسافة التى قطعناها إليها ٢٢٧ ميلاً .

يوم ١٦ يوليو

وصلنا في صباح هذا اليوم الى مورهد وعدد سكانها ٦ آلاف نفس ،
ومساكنها كلها من الخشب ، وشوارعها واسعة وان كانت أقل بكثير مما شاهدناه
بكندا . وبعد ان افطرناني نزل كل من ركبنا عرباتنا تحت المطر قاصدين رؤية
التربة في جملة جهات منها : وهى أرض كلها قوية ، وتربتها من أحسن ما رأينا من
نوعها ، والغلال تنمو فيها نمواً عظيماً ، ويمر في هذه الولاية نهر مابل ، ولكن ليس
له أثر في نظام الري لأن الري هنا على المطر ويبلغ ٢٣ إنشا . والبرسيم عندهم ينمو
نمواً عظيماً جداً ، وخصوصاً النوع الذى يسمونه « الفا الفا » وهم يقطعونه ثلاث مرات
ويجففونه للشتاء !! ومع هذا فثمن القدان هنا لا يزيد في متوسطه عن ١٢٠ ريالاً .
وقد تكثر هنا زراعة البطاطس والكتان ، وقد شاهدنا في بعض المزارع غيظاً
من البنجر فيها مرض ، ورأينا القوم يحاربون هذا المرض بواسطة عربة صغيرة
عليها برميل (كعربات الغاز التى تسير في طرق الارياف بمصر) ومن اسفل العربة
من خلفها انبوبة يظهر منها نحو نصف متر من على يمين وشمال البرميل — وفي
اسفل الانبوبة رشاشات من نوع الحنفيات الرشاشة ذات الثقوب الرفيعة التى
لغسيل الايدى ، وهذه الرشاشات مثبتة في الانبوبة على نسبة ابعاد الخطوط
المزروع فيها النبات ، فاذا سارت المركبة (بمحاصنين) فتحت حنفية الانبوبة
فتنزل المادة المجهزة التى في البرميل الى الرشاشات فتغمر النبات من كل جهاته ، وهذه
المادة لم يتيسر لى معرفتها .

وهذه العملية تنفع عندنا في امراض الخضراوات ، ولا ادري اذا كانت
تنفع في دودة ورق القطن ؟ لأن هذا الفراش الذى ظاهره فيه الجمال ، وباطنه فيه
العذاب ، ككثير من المخلوقات الضارة لا يضع بويضانه إلا في اسفل الورقة !!
ولكنها تنفع من غير شك فيه عند القس وانتشار الدود على الورقة . وبعد دورتنا

ركبنا قطارنا الذى سار بنا إلى مدينة (افوكا) بعد أن قطعنا إليها ٢٢٠ ميلا ، ومنها إلى مدينة (سان بول) والمسافة بينهما ٢٨ ميلا .

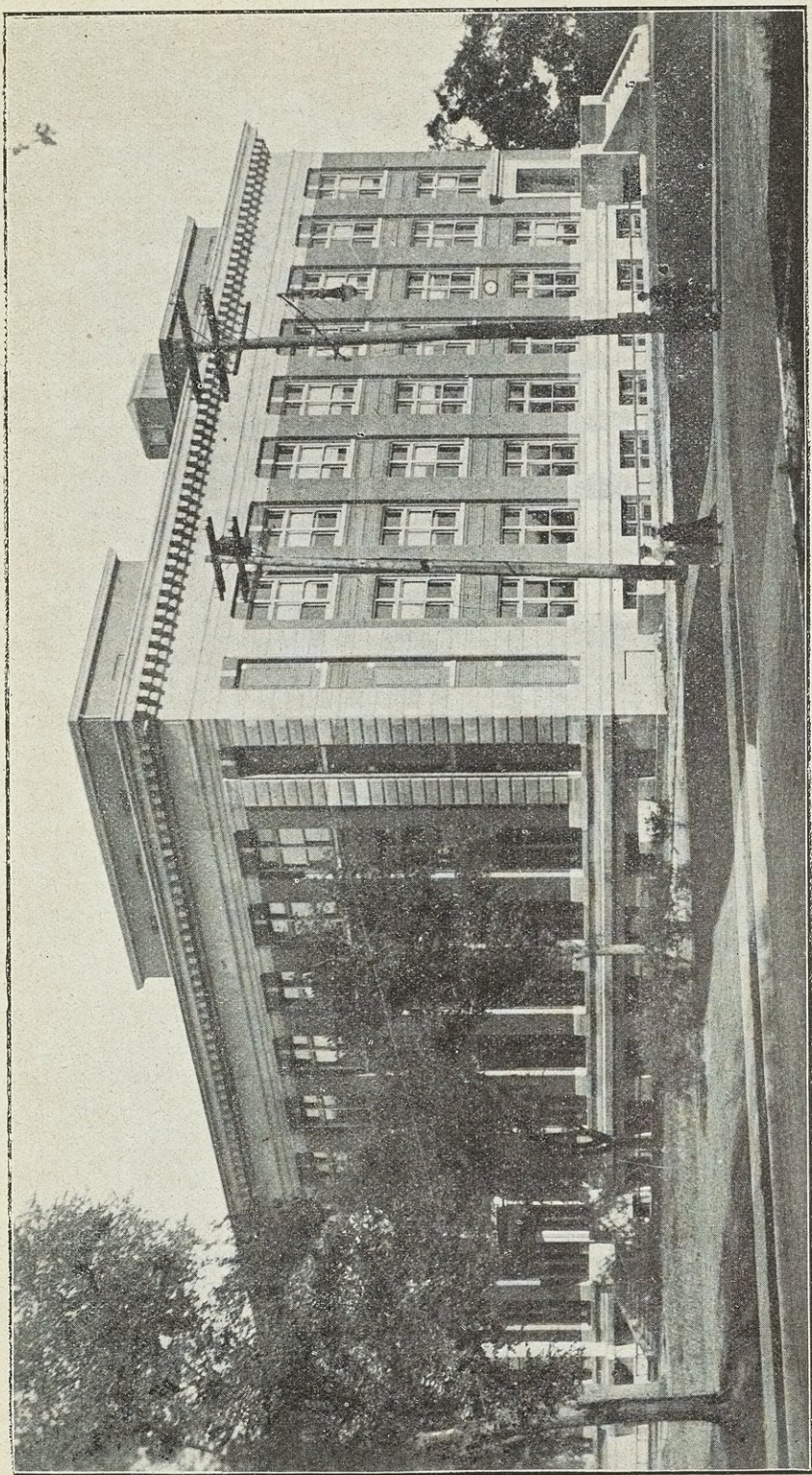
يوم ١٧ يوليو

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى محطة (سان بول) بعد أن قطعنا إليها مسافة ٢٤٨ ميلا . وتعداد هذه المدينة ٢٣٥ ألف نفس . وهى عاصمة ولاية مينزوتا ، وهى على نهر الميسيسيبى ، وتجاهها من الشاطئ الآخر مدينة (مينا بوليس) . وبعد افطارنا ركبنا العربات وشققنا المدينة فوجدنا أبنيتها فى غاية الجمال ، وغالبها من الطوب الاحمر ، وقليل فيها بالخشب . وفى المدينة حدائق عمومية كثيرة غاية فى النظام . ومازلنا سائرين بين مناظر جميلة حتى وصلنا الى حديقة عمومية كبيرة جده على نهر الميسيسيبى ، وتكاد تكون فى دائرتها غابة بشجرها الملفوف ، والقوم يذهبون إليها فى أوقات نزهتهم — وخصوصا فى أيام الاحاد — فيجلسون على الجازون الاخضر ، ويأكلون ويشربون فى ظلال أشجارها الوارفة ، وهم مطلون على ذلك النهر العظيم الذى ينخفض عن الحديقة بعشرات الامتار .

وهنا بدا لنا الميسيسيبى بماء الصافى وهو قرب منبعه هادئ مطمئن ، ليست فية أية علامة من علامات الاضطراب التى أزعج بها العالم كله من أشهر مضت بما أحيأ به أناسا وأمات آخرين ! وسعته من هذه الجهة ضعف رياح المنوفية ، وبعد أن استرحنا هناك زمنا تمتعنا فيه بهذه المناظر الباهرة ، ركبنا عرباتنا وسرنا على ضفته الشرقية ، وكان مجراه يخفى عنا أحيانا بما على شاطئيه من الاشجار الكثيفة العالية ومازلنا فى سيرنا نخترق رياضاً بعد رياض ، وغياضاً بعد غياض ، حتى وصلنا الى جامعة مينزوتا : وهى أبنية كثيرة فخمه بنى بعضها بعيدا عن بعض بعشرات الامتار ، وسط حديقة غناء ، وليست كلها على نظام واحد ، بل لكل بناء نظام يتناسب مع صفة العلم الذى بنى من أجله . ومن ضمن هذه الاقسام : القسم الطبى ، والجيولوجى

ومدرسة خاصة لطب الاسنان ، وقسم للصور والفنون الجميلة ، نقشت على واجهته أسماء من ظهر في العالم في هذه الفنون مبتدئين باسم «دانت» منتهين باسم «فيدياس» . ثم قسم للبسيكولوجيا ، وقسم للصيدلة ، وقسم للهندسة العمومية ، وقسم للهندسة الميكانيكية ، وقسم للحقوق ، وقسم للتعاليم الدينية ، وبجوار هذا وذاك معامل مختلفة كياوية وطبيعية ، ثم كنيسة فخمة هي كنيسة الجامعة ، ثم دار كتب عظيمة فيها عشرات من آلاف الكتب في مختلف العلوم والفنون تحت تصرف طلبة الجامعة !!

ولقد يخيل اليك أن هذه الأبنية كلها قسم كبير جميل من مدينة أريستقراطية تتخللها الشوارع التي لا تقل في عرضها عن ٢٠ مترا ، وليس فيها مكان غير صالح لشيء مما وجد من أجله !! وفي وسط هذه المباني بناء عظيم على ثلاثة أدوار ، فيه قاعات كبيرة جدا آية في النظام جعلت للاجتماعات العلمية ، وهي التي استقبلونا فيها وجعلوها تحت تصرفنا للاستراحة جملة ساعات . وقد تغدينا في هذا القسم بدعوة من الجامعة . وبعد الظهر زرنا مكان التجاريب الزراعية ، ومما لفت نظري نوع من البرسيم (الفا الفا) يبلغ ارتفاعه مترين ، وساقه مثل ساق الفول قبيل زمن غلته !! ومررنا ونحن في طريقنا من بعد على شيء غريب في بابه : هو اسطوانات كبيرة جدا من الحديد ، قطر الواحدة نحو ثلاثة أمتار ، وارتفاعها نحو عشرة أمتار ، ولها فوهة من أعلاها يرفعون اليها الغلال بواسطة آلة رافعة ، فيخزنونها فيها ولا منافذ فيها إلا باب صغير في أسفلها يفتحونه عند الحاجة الى الخزون !! وهي أشبه شيء بالزوااليع التي نراها على الخصوص عند فلاحي قبلي فيضعون فيها غلالهم الى زمن تتاويهم مدة ثمانية شهور ، ونحن نضحك من سذاجتهم ولا نفهم أن العلم لم يصل في حفظ الغلال الى أبعد من ذلك ! ولا شك أن هذه العملية وصلت اليهم من زمن قدماء المصريين ولأن يعثرون في المقابر على زوااليع صغيرة مملوءة بالغلال لم يمسه سوء طول هذه المدة إلا اذا تعرضت فيها للهواء .



مدرسة الهندسة في مينيا بوليس بالولايات المتحدة ص — ٢٠٢

وبعد أن تمشيننا في الجامعة ركبنا عرباتنا إلى القطار الذي قام بنا في الساعة الحادية عشرة مساءً ، وما زال في سيره حتى وصل في الصباح إلى مدينة (نافارا) بعد أن قطع إليها ٢٢٤ ميلاً .

يوم ١٨ يوليو

وصلنا إلى هذه المدينة التي هي من ولاية « أيبووا » وعدد سكانها ٣ آلاف نفس ، وبعد إفطارنا ركبنا مركبات إلى مكان التجارب الزراعية وهي على بضعة أميال من المدينة ، وكانت تنمو على جانبي الطريق زراعة الذرة نموًا عظيمًا جدًا ، وقد رأيتها تكثر في هذه المنطقة كثرة تأخذ منها أنها هي الزراعة الرئيسية فيها ، وعلى ذكر الذرة هنا نقول : إن جميع مدن الولايات يستعملونه بكثرة مفسرا ، ويضعون عليه جانبًا من السكر ويبيعونه في دكاكين خاصة به !! والأرض هنا كالتى يعبرون عنها بالسوداء ، وزراعتها كلها على المطر الذي يبلغ ٣٠ إنشًا ، أما زراعة الغلال الأخرى - حتى في امكنة تجاربها - ليست كغيرها من النمو ، ومحصولها يصل في القمح والذرة إلى ٣٠ بشل (والبشل ٥٦ رطلا) . ومن الشعير إلى ٥٠ بشل . والذي أعجبني هنا مكنة لضم الغلال : تضمها وتربط حزمها وترمي بها إلى جانب واحد ، وهذه المكنة تعمل نحو عشرة فدادين كل يوم !! والذي شاهدته أنها تعمل في غلال سوقها كالتى في أرض الباق عندنا .

وبعد أن أخذنا غذاءنا في الهواء الطلق ، ركبنا مركباتنا إلى القطار الذي قام بنا إلى محطة (دوموان) فوصلناها في الساعة الرابعة ، وفيها زرنا مكانًا عظيمًا للنشر به مطبعة من أحسن شئ في نوعها ، والذي رأيناه من آلاتها :

١ - آلة تايبيرتر تكتب عليها فتجمع أحرف الطبع من جهة أخرى منها .

٢ - آلة تايبيرتر تكتب عليها فتطبع ما تكتب من جهة أخرى منها .

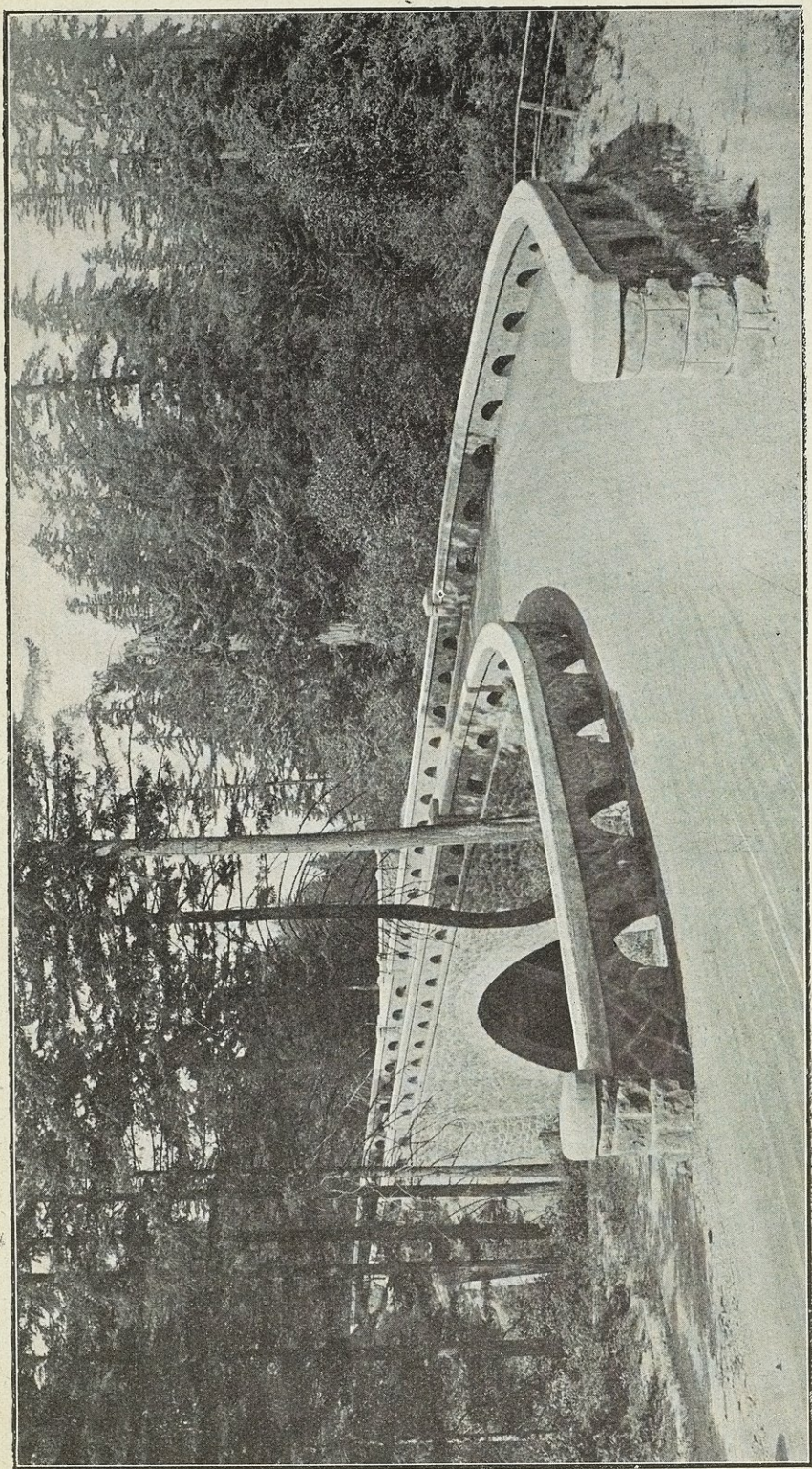
٣ - آلة تقطع صفائح الرصاص وتكتبها أحرفًا للطبع .

وفي هذا الدور ٢٠ مكتبا للعمال وإن شئت فقل للعاملات !!
أما الدور الثاني ففيه آلات الطبوع : تقدم المجلة مثلا للطبع فتطبع ، ثم تسير الى
آلة تحزمها ، ثم الى آلة تغلفها ، ثم الى آلة تقطعها من طولها ومن جانبيها ، ثم
الى آلة تغلفها بغلاف العنوان ، ثم الى آلة تضع عليها ورق البوستة والعنوان .
وبجوار هذا عشرات العاملات لتجهزها من آلة الى أخرى . وهناك آلة لطبع الوان
الغلافات مثلا ! وهي تطبعها على حالها مرة واحدة ، لا كما هو الحال عندنا في مطابع
الحجر كل لون على حدة ، وآلة الطبوع تطبع ٤٠٠٠ نسخة من المجلة كل ساعة !!
وهناك سكة حديدية صغيرة متحركة على الدوام لجمع الملازم — فكل ما طبعت
ملزمة تسير على سلك متحرك إلى عاملة تضعها على التي قبلها حتى اذا انتهت الملازم
المكونة للمجلة أولسكتاب أخذت للتغليف أو للتجليد بهذه السرعة الهائلة وهذا
النظام العجيب !!!

وهذه المدينة على صغرها جميلة جداً ، وهي في الليل كأنها قطعة من أهم المدن
الأمريكية لكثرة ما فيها من انوار الشوارع الكهربائية ومظاهر الاعلانات . وبعد
أن تناولنا العشاء في نزل سيفرى بدعوة من جمعية النشر ، وقام الخطباء يتناولون
المواضيع المختلفة التي انعشنى منها ما كان لمصر في قديم الزمان من الفضل على المدينة .
وفي المساء توجهنا إلى القطار الذي قام بنا نصف الليل حتى وصل الى محطة (مولين)
وهي في ولاية « ألنوا » بعد ان قطع إليها ١٧٨ ميلا .

يوم ١٩ يوليو

وصلنا في صباح هذا اليوم الى مدينة مولين ، وعدد سكانها ٣١ ألف نفس .
وكان بروجرامنا دعوتنا الى الافطار في نزل لوكير ، وهو نزل جميل في داخل المدينة .
وفي منتصف الساعة التاسعة ركبنا الاتوموبيلات المعدة لنا وقطعنا المدينة من غربها
الى شرقها ، وهي وإن كانت كبيرة إلا أن منازلها صغيرة ، وكلها أو جلها من



قنطرة حجرية في ولاية برتش كولومبيا بكندا ص — ٢٠٤

الخشب ، ويندر ما كان فيها من الآجر : ذلك لانها مدينة عمل وصنائع . زرنا فيها مصنع جون ديزل لعمل الآلات الزراعية ، وفيه بضعة آلاف من العمال ، ومكانت دهشتى عند مازرت المكان الذى يصهرون به الحديد الزهر ويضعونه فى قوالبه المختلفة !! لم كانت دهشتى عند ما رأيته وقد فتح باب قزانه الهائل وأخذت كتملته الهائلة تنزل منه ، كأنها الماء استحال الى نار موقدة ، الى أناء كبير حتى اذا أمثلاً سيربه معلقا فى قضب سكة حديد فى الهواء ، حتى اذا وصلوا به الى قوالبه أخذوا يصبونه فيها ، وبعد دقائق يخرجونه منها قطعة متجمدة مما تكون منه قطع الآلة الزراعية ، ثم ينزل بها الى آلة التهذيب (الخرطة) والصقل !! ومكانت دهشتى عند ما رأيت العامل يتناول العجلة الحديدية وهى قطعة من نار وينقلها بيديه وليس فيهما غير قفازان ، لا أدري اذا كانا من الجلد أو من مادة لاتأكلها النيران . ومكانت دهشتى عند ما رأيت بعض الآنسات يعملن فى هذا الوسط !! آنسات يعملن فى النار وجسمهن من نور !! وربما كانت هذه هى الرابطة الوحيدة بين هذين النوعين من مخلوقات الله ، ومكانت أقول فى نفسى : ياناركونى بردا وسلاما !! نزلنا الى آلات الثقب بالماء ، وهى أنواع كثيرة بحسب ما يتطلب العمل ، ثم رأينا آلات قطع الحديد ، ووصل الحديد ، وثنى الحديد ، وكلها من الهول بحيث لا يمكن وصفها . ثم رأينا آلات الصقل أو الخرط بواسطة الماء والصابون ، أو الزيت أحيانا وبعد ذلك زرنا الاحواض التى ينزلون فيها بعض هذه الآلات لتلوينها ، ثم دخلنا الى عنبر لعملية الاخشاب من قطع ، ونشر ، وتهذيب ، وثقب ، وتلوين ، ثم الى الجهة التى تكون فيها الآلات مركبة جاهزة للعمل ، وهو معرض فيه جميع الآلات الزراعية من محاريث ، وآلات ضم ، وغير ذلك . وبعد ذلك خرجنا الى عرباتنا للتنزه على ضفاف نهر الميسيسى الذى يمر من شرق المدينة وهو هنا واسع الاطراف كأنه النيل فى وفائه وجمرة مائه . ثم عدنا الى قطارنا الذى قام بنا الى مدينة (شيكاجو) بعد أن قطع اليها ١٧٩ ميلا . فوصلنا اليها فى

يوم ٢٠ يوليو

شيكاغو

شيكاغو مدينة من مدن الولايات المتحدة على بحيرة ميشيجان ، وعلى مصب
نهر شيكاغو الذي يمر من وسطها ، وعدد سكانها ٢٧٠٢٠٠٠ نفس . ولا تزال
في زيادة مستمرة مدهشة ، ويكفي أنك تعرف أن هذه المدينة العظيمة لم تكن
في سنة ١٨٠٤ غير قلعة بسيطة هاجمها الهنود واستولوا عليها في سنة ١٨١٢ ، وفي
سنة ١٨٣٣ أصبحت قرية بسيطة عدد سكانها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ نفس ، وفي سنة
١٨٣٧ كان عددهم ٤١٧٠ نفسا ، ومن ثم أخذ عمرانها في الزيادة حتى أصبحت
من المدن الشهيرة ، غير أن الحريق أتى عليها جميعها في سنة ١٨٧١ ، وقد بنيت
في سنة ١٨٧١ ، وكان بها في سنة ١٨٩٣ معرض الآلات العام . وهي الآن من
أكبر عواصم البلاد ، ومن أكبر مراكزها التجارية والصناعية والعلمية ، وتسمى
بمخ ملكة المدائن ، ومدينة الاعاجيب والمدهشات ، ترى فيها النشاط شديدا ،
والحركة مستديمة في سكانها على اختلاف أجناسهم من بيض ، وحم ، وسود ،
وتكثر فيها قطر الترام الكهربائية ، والبخارية ، والقطر الحديدية التي تذهب الى
قلب مافيها من المعامل والمصانع ، ويشقها نهر شيكاغو وعليه عدد كبير من
الكبارى المتحركة ، ومن تحته كثير من الاتفاق تصل أقسام المدينة بعضها ببعض
وتكثر فيها الحدائق العمومية ، وما الى ذلك من الميادين التي تساعد على تنقية
الهواء ، وسلامة الصحة ، خصوصا في مثل هذه المدينة التي ترى على الدوام دخان
مداخن مافيها من آلاف المصانع منعقدا في سماءها ، وفيها من الكنائس ما يربى
على السماء كنيسة ! أما مدارسها وبنوكها ومصانعها فشئ لا يحصى العدد .

وكانى بك إذا سرت قليلا في شوارعها التي على النهر وعلى الاخص التي
تقرب من بحيرة ميشيجان رأيت تلك الأبنية الشاهقة التي تذكر بناطحات السحاب
بنيويورك لولا أن أبنية شيكاغو متناسبة في ارتفاعها مما يزيد جمالها وإن كانت

لا تصل الى أكثر من ٢٠ طبقة . وأبنية هذه المدينة بصفة عامة أذ كرتى بحى الافرنج وحي العرب بيورسعيد، أو بالاحياء الافرنجية والوطنية بالقاهرة والاسكندرية بما بينها من تلك الفوارق فى نظامها ونظافتها : كذلك ترى فى شيكاجو حى الأغنياء - وحي الفقراء - والاول فى عظمتة وجلاله ، والثانى فى أثرته وأحواله !! وقصارى القول أنها من أكبر مدن العالم تجارة وخصوصا فى الحبوب واللحوم المجهرة ، واختلاف الصناعة والآلات البخارية والموبليات الفاخرة والسيجار والمطابع والجلود المدبوغة ، وفيها أكبر بورصة للحبوب فى العالم لأنها أكبر موارد الحبوب فى أمريكا، وهى تأتيها من كل جهة بواسطة البحيرة والنهر والسكك الحديدية ، وتنصرف منها إما جنوبا وإما دقيقا .

بورصة القمح بشيكاجو

إذا كانت الولايات المتحدة تنتج من القطن ثلاثة أرباع ما تنتجه المسكونة من هذا النوع — فهى لا تنتج من القمح إلا ربع محصول العالم منه : لذلك كانت السياسة التجارية للولايات المتحدة فى القمح أهم منها فى القطن ، لأنها إنما تسيطر على هذا الصنف الاخير ولها وحدها الكلمة فى أسواقه العالمية — أما القمح فترى اهتمامها به عظيما جدا :

وإذا كانت توجد بالولايات المتحدة أكثر من ألف وخمسمائة غرفة تجارية منتشرة فى ولايات الاتحاد ، وتمثلها جميعها الغرفة التجارية الوطنية التى مركزها فى واشنطن ، والتى لها نفوذها لدى الحكومة واحترام رأيها فى سياستها الاقتصادية . ففي شيكاجو للقمح أكبر غرفة تجارية فى العالم كله . ولهذه الغرفة الاخيرة علاقة بملايين الزراع والتجار فى ولايات الاتحاد ، فيتعرف أعضاؤها حالة الجو فى كل الجهات التى تزرع القمح سواء فى ولايات الاتحاد أو فيما وراءها : فتراهم يستفسرون عن حالة الفيضان فى الارچنتين ، والمطر فى صيف فرنسا ، والبرد فى هونجياريا .

وحالة الجراد أو الجفاف في فصل الشتاء بشمال افريقيا، والجفاف في ربيع أستراليا، وعما إذا كانت الاخبار السياسية في روسيا أو الشرق ملبدة بالغيوم، فإذا تحققوا من شئ من ذلك من وكلائهم في هذه الجهات - وهم على اتصال دائم بهم - عرفوا أن الغلال في هذه الجهات كلها أو بعضها ستكون قليلة فيرتفع سوقها بطبيعة الحال (والعكس بالعكس) : هنالك يتخذون له عذته - التي يبنونها على صحة الارشادات التي وصلت اليهم من مندوبيهم في جهات العالم - هذه الارشادات التي ينصحون بها عملاءهم بسرعة البيع خوف سقوط الاسعار لما ينتظرونه من كثرة العرض القريب أو بانتظار التحسين الذي يوشك أن يأتي حسب تقديرهم، وهم في كلتا الحالتين يبنونه على الارقام الثابتة لا على التخمين الكاذب، والاهام التي لا تتركز على شئ ثابت كما هو الحال فيما تعودناه من الحكم على تصريح محاصيلنا : ومع الاسف الشديد فانك لا تعدم من الفلاح البسيط عندنا ولا من التاجر الصغير رأيا هو على الدوام حول صعود الاسعار يبنيه كل منهما على (١) أو هام لا نصيب لها من الحقيقة !!

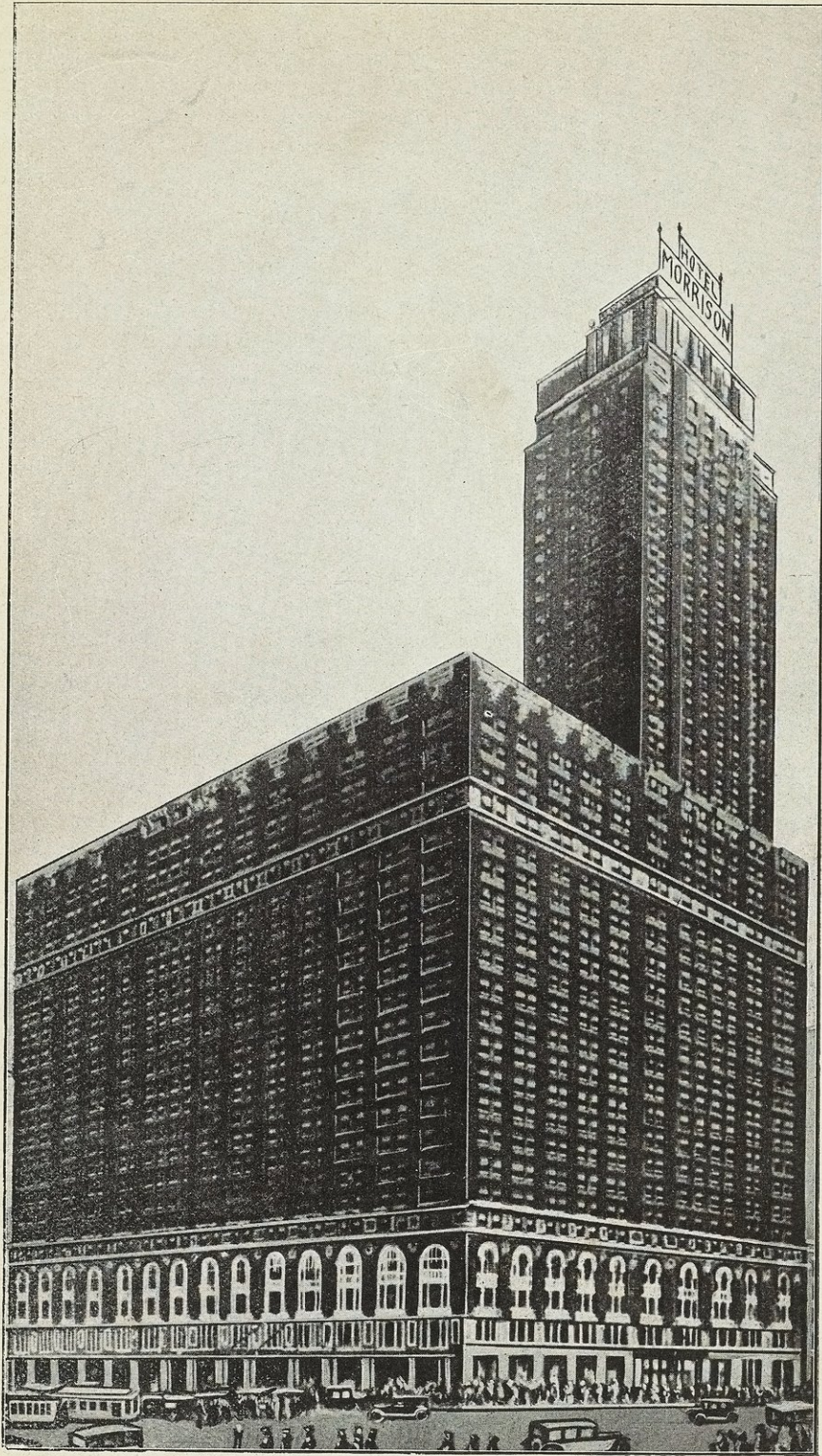
ولارشادات النقابة في شيكاغو أثرها في بورصتها، فترى القوم يندفعون في الشراء أو البيع بالتخريف - بالاسلوكي - بالتلفون سواء في دائرة الاتحاد أو في غيرها من المسكوتة .

وهنا ألفت نظرك الى مامنى به القمح في جميع أسواق العالم في السنة الماضية والحالية (١٩٢٩ - ١٩٣٠) إنما هو أثر لما أصاب سعره من التدهور في بورصة شيكاغو .

* *

ولقد زرنا في هذه المدينة محل ادارة شركة « سويفت » فتناولنا بها طعام

(١) وإنا نرجو أن يكون اهتمام حكومتنا الان بتعميم النقابات الزراعية فيه كل الضمانات لمصلحة المزارعين في تصريح محاصيلها على أساس معقول يكون من ورائه الخير العام ان شاء الله .



لوكنده موريسون في شيكاغو ص — ٢٠٨

الافطار ، ثم زرتا مصانفها وبها أكبر مجازر للحيوانات فى العالم كله ، فانه يذبح فيها كل يوم ٣٠٠٠ خنزير ، و ٢٥٠٠ خروف ، و ٢٠٠٠ ثور !! وقد شاهدنا مذابحها جميعا ورأينا كيف تجهز الى عليها — ويكفى ان أحدثك عن مذابح الثيران : يأتون بالثيران فى عربات سكة حديدية خاصة بالمذبح ، وهى مائلة من احدى جهتيها الى ذلك الفناء الذى يذبح فيه ، والذى يشرف عليه النظارة من إيوان مرتفع ، حتى اذا وقفت المركبات الى آخر هذا الفناء ، يقف عشاؤها من الطرف الآخر ، ذلك الرجل الذى تقرأ فى وجهه آيات القسوة بحسمة بارزة ، وفى يده مطرقة من الحديد ، فيضرب بها الثور على أم ناصيته ضربة يجر منها فاقد الحياة !! او قد تكون الضربة غير قاتلة فيتلوها بغيرها ! وعندها يفتح الباب فتتدحرج الجثة الى هذا الفناء حيث يتناولها احد الجزارين وهم كثيرون ، فيربط رجلها الخلفية اليسرى فى حبل يرفعها بحركة ميكانيكية الى نحو متر فوق الارض ، وهنالك يضربها بسكين فى منحرفها فيسيل دمها على أرضية المكان الذى تراه فيه كالنهر يسير الى بالايى فى جوانب هذا المكان ، وترى هذه العملية فى آن واحد فى عشرات من الثيران ، حتى اذا ذبحت أخذ الجزارون فى سلخها بسرعة هائلة ، ثم تسير بحركة أوتوماتيكية الى حمام ساخن تغسل فيه غسلا تاما ، ثم تنقل الى مكان آخر بنفس الحركة ، فتقطع فيه أربعا ثم يلقى بها الى من يفصلها أشلاء ، ثم الى من يجهزها قطعاً ، ثم الى أفران تطبخ فيها ، ثم الى أفران أخرى تعقم فيها ، ثم الى من يضع عليها ورقة الاعلان أو البيان ، ثم الى من يضعها فى صناديقها ، ثم الى من ينقلها الى مركبات السكة الحديدية ، وهذا كله بحركات ميكانيكية سريعة جداً بحيث تتحد فيها حركة الآلات بحركة العمال ، حتى كأنها كلها أعضاء آلة واحدة !!

* *

تركنا معمعة هذه المجازر الى زيارة بعض مصانع الآلات ، فزرتا مصنع «ماك فورميك» وهو خاص بعمل الآلات الزراعية ، ولا تخرج فى عملها عن المصنع (١٤ رحلة)

الذى شرحناه فى مدينة مولين ، إلا أن هذا المصنع أكبر وأوسع ، والحركة فيه أعظم .

* *

وبعد ذلك زرنا مصنع « أنترنا سيونال هارفرستر » وهو لعمل وابورات الجر أو الحث مثل وابورات « فوردسن » وهى معامل كبيرة فيها ٣٠٠٠ عامل !! فإذا دخلت الى قسم الحديد ترى السنة التيران فيه متأججة من كل جهة الى سماء المصنع ، وكفى بها هنا تتكلم بلغة فصيحى لا كما يقولون « ليس فى الامكان أبدع مما كان » ولكنها تقول بعبارة أوضح « إن قدرة الانسان قد تصل الى مالا يخطر بالذهان » وكل هذه التيران المتأججة لاعمال مختلفة ، هذه لتحمية الصلب الى درجة الاحمرار ، وتلك لقطعه على أشكال متنوعة — حسب القدر المطلوب للعمل — ومن أعجب ما رأينا عملية أذرع الوابورات التى تراها مفرطحة من جهتيها ، ثم مسحوبة بشكل أسطوانى من طرفها ، ثم مقوسة من الوسط ، مما كنت أتصور قبل ذلك أنها مركبة من جملة قطع ، ولكن أرجو أن تسمع ما رأينا : يأتون بقطعة من الصلب كبيرة وأطول من القطعة المراد عملها (الذراع) ثم يضعونها فى موقد كبير كأنه قطعة من جهنم ، أو كأن جهنم قطعة منه !! حتى اذا احمرت وضعوها بواسطة آلة رافعة تحت مطرقة زنتها ٥٠٠٠ طن !! وهى من أسفلها محفورة على شكل نصف الذراع الاعلى ، والقاعدة التى يوضع عليها الذراع محفور فيها شكل نصفه الآخر ، ولا يزالون يطرقونه بهذه المطرقة الهائلة من ارتفاع مترين حتى يتداخل الصلب فى بعضه ويأخذ الذراع شكله تماما ، ثم يرفعونه الى آلة الثقب ، ثم الى آلة التهذيب والصقل (الخرطة) فإذا به لما عابرا يأخذ سنه بالابصار . وبعد تكوين جميع القطع طرقا وثقبا وصقلا وتهذيبا ، ترسل كلها الى مكان آخر فتركب على بعضها البعض ، وتلون بعض أجزائها ، ثم يوضع فيها البترول ويركب السائق فإذا بها تسير على وجه الارض بنظام وإحكام لا يتوردهما قصص ، ذلك أن عملية القطع كلها مصنوعة بدقة تامة ، وقد ركبت أمامنا عشر قاطرات فسارت كلها

واحدة بعد الاخرى لا ينقصها شئ مطلقاً من آيات الكمال .

وهذا المعمل يصنع كل يوم مائة قاطرة ويرسلها الى الاسواق الامريكية !!
ويقولون إن هذه الآلات أمتن من فوردسن ، ولكنها لا تنفع في مصر لأنها إذا
تعطلت لا تجد ما ينهض بها لعدم وجود محل لها عندنا في مخزنه ما يعوض التالف منها .

* * *

وبجوار هذا المعمل مصنع لقتل الاحبال من الياق الصبار التي يأتون بها من
بلاد المكسيك على اشكال مختلفة ، منها ماهو رفيع (دوبارة) ومنها ماهو غليظ على
حسب العينات المختلفة التي تراها في اسواق التجارة .

* * *

ومن أكبر معامل الحديد في الولايات المتحدة مصنع جراى على بعد ٢٥ ميلا
من شيكاغو على بحيرة ميشيجان ، وله عندها مرفأ يتصل بالمصنع قد جعلوا عمقه
بحيث تقف فيه المراكب التي حمولتها ١٢ الف طن ، وعلى رصيف المرفأ آلات
الشحن والتفريغ بحيث يفرغ الف ومائتين وخمسين طناً في الساعة !! وهذا المصنع
يدور بفحم الكوك ، والغاز الذي يتخلف منه ! يستعملونه في توليد الكهرباء اللازمة
للمصنع ، فترى هناك بطارية هائلة يديرها خمسة وأربعون موتور ، قوة كل واحد
٢٥٠٠ حصان ، وقوة مجموعها ١١٢ الف حصان !! فيأخذ المصنع منها ما يلزمه
وما يبقى يوصل الى مصانع أخرى للغير لادراتها في نظير أجر معلوم .

وهذا المصنع يعمل كل يوم ٤ آلاف طن من قضبان السكة الحديدية ، وما
أشد عجبك اذا نظرت يمينا وشمالا وأماما وخلفا وفوقاً وتحتاً فلا تجد أمملك غير
أربعة أو خمسة من العمال في وسط هذه الحركة الجهنمية ، كل منهم جاثم أمام رافعة
يحررها عند الزوم ، أو بجوار زر كهربائى يضغط عليه عند المقتضى ، بما تتخيل معه
أن هذا المعمل الهائل إنما يديره نفر من الجن يرونك من حيث لا تراهم !! ومسطح
هذا المصنع أكثر من الف فدان ، في حين أن مسطح معامل كروب في ألمانيا لا يزيد

على ٨٠٠ فدان !! والزائرون لهذا المصنع تقلهم عربات كهربائية تسير على قضبان تتخلل المصنع جميعه . ومدينة جرای يسكنها الآن أكثر من ٥٠٠٠٠ الف صانع ، وهي مبنية على آخر رسم وأجل هندام ، فن شوارع واسعة لا يقل عرضها عن ثلاثين مترا ، وحارات نظيفة يسير فيها الترمواى الكهربائى ، وفيها أنابيب الماء ، والغاز ، وأسلاك الكهرباء . وفيها مايلزمها من مدارس وحمامات ، وفيها مكتبة عظيمة للعمال أهداها اليها المستر كارنجى ، وفيها لو كندة يستريح اليها زوار المصنع فيها معدات الراحة جميعها .

وعلى بعد ١٤ ميلا من شيكاغو مصانع بولمن التى تعمل مركبات السكة الحديدية ، منها ماهو للنوم ، أوللركوب ، أوللبضائع ، وأظنك سمعت عنها بمصر لوجودها فى بعض القطر المفتخرة . وسعة هذه المصانع مع المدينة التى بناها المستر بولمن للصناع ٣٥٠٠ فدان !! أما المدينة ففيها شوارعها الجميلة ، وفيها كل لوازم الحضارة والرفاهية ، من متنزهاة ، وتياترات ، ومساكنها على أحسن نظام صحى .

وتستنفذ هذه المصانع سنويا أكثر من سبعين الف طن من الفحم ، ومائة وخمسين الف طن من الحديد ، و ٧٥ مليون قدم من الخشب ، وتصنع فى كل أسبوع عشر عربات نوم ، و ٢٠ عربة للركاب ، و ٥٠٠٠ عربة للبضائع ، وهى كل يوم فى زيادة مستمرة فى عملها وعماها .

وأغلب مباني مدينة شيكاغو بالطوب الاحمر والابيض والحجر ، ويلوح على الابنية مسحة من دخان المصانع مما يدل على كثرتها فيها . ومن أحسن مبانيها وأخفها وأعظمها بناء الجرنال « تريون دو شيكاغو » . والى بحيرة ميشيجان متنزه كبير جدا ، وفيها مراكب تجارية تغدو وتروح بالركاب والبضائع الى جهات كثيرة ، واذا نظرت اليها وجدت كالببحر الخضم لا حدود لها ظاهرة وعليها كثير من المصانع والمعامل التى لاحد لها ، وقد ترى القوم مهتمين بردم قسم منها ليزيد

في مساحتها من تجاه محطتها العمومية « سنترال استيشن ». وعلى البحيرة بناء عظيم جدا هو متحف المدينة ومن خلفه حديقة واشنطن ، وفيها تمثاله على حصان أشبه شئ بتمثال ابراهيم باشا عندنا ، وفي يده سيف مشهور كأنه يترنم بقول المتنبي :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
وفي جانب من هذه الحديقة مكان للالعاب الرياضية (انفتياترو) بمدرجات رخامية يسع ١٢ ألف نفس !!

ومن وراء الحديقة أبنية الجامعة : وهي كبيرة جدا وهي أحسن من كثير مما رأيناه من نوعها ، وقد زرت بعضها مع سكرتير عمومي المؤتمر مستر ما كول .
ومن أحسن ما زرنه كلوب الطالبات ، وما أدراك ما هو ؟ بناء فخيم لطيف يسترحن اليه وقت الفراغ من العمل وفيه جملة غرف منها ماهو للمطالعة ، أو للاستراحة ، أو لأخذ الشاي ، أو للاستحمام ، وهذا الأخير عبارة عن بحيرة من الرخام طولها نحو عشرين مترا في عرض عشرة ، وفيها تتعلم الطالبات العوم . وعلى كل حال فهو مما ترتاح له النفوس خصوصا في وقت الحر الذي لا يطاق في هذه البلاد .
وقد زرنا مكتبة الجامعة فوجدت فيها بعض الطالبات يشتغلن بالبحث والمطالعة ومنهن حمر وسود ، يظهر عليهن أثر النعمة مما يدل على أن شيكاجو لا تضغط على هذين النوعين من بني الانسان كغيرها من ولايات الاتحاد الجنوبية ، وربما كان السبب في ذلك احتياجهم اليهم في الصناعات المختلفة .

وبعد ذلك زرنا كلوب الطلبة فوجدناه من أغزر شئ في بابه ، جمال شكل ، في فخامة رياش ، وتجاؤه المطعم الذي يأكلون فيه ، وقد جمعت أصنافه بين الجودة ورخص الثمن . وهذا المكان هو الوحيد الذي يجتمع فيه الشابات بالشبان من الطلبة . وتكثر الاثوموبيلات في هذه المدينة بحيث ترى لكل أربعة من أهلها أوثوموبيل ، وترى الطرق غاصة بها واقفة الى أفاريزها طول النهار ، حتى اذا أتى المساء ركب كل عربيته سواء من العمال أو غيرهم وانصرف الى حيث أراد .

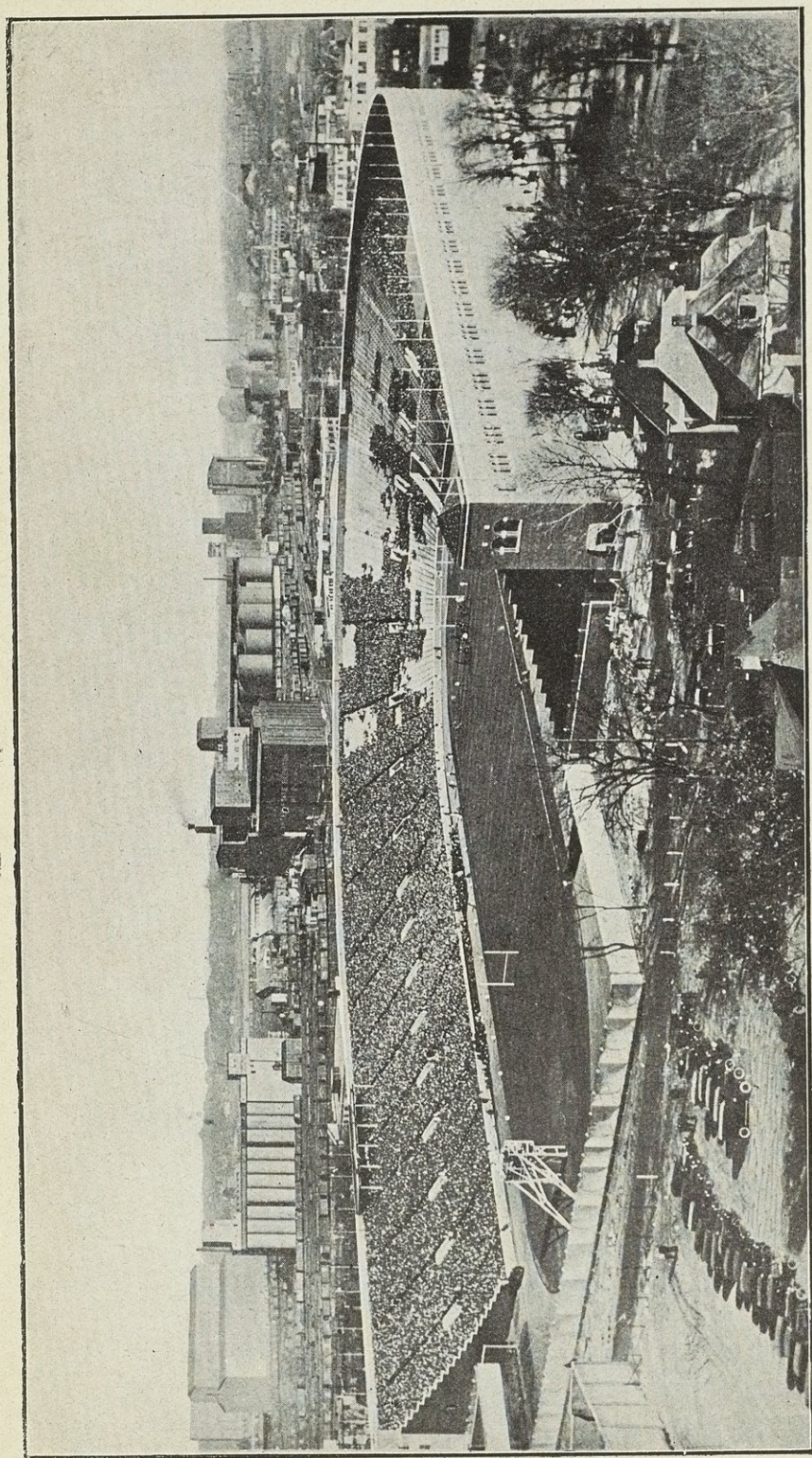
وما زلنا نتمنزه في انحاء المدينة الى نصف الليل ثم قصدنا قطارنا الذي قام بنا الى مدينة (لا فيت) .

* *

وقبل أن نترك الكلام على جامعة شيكاغو التي هي من أهم جامعات الاتحاد نقول : إن القوم عندهم لجان في وزارة المعارف للبحث في بروجرامات جميع الدول الأخرى ، وتقدم ماتراه منها موافقا لبلادها الى لجنة خاصة تبحثها بحثا دقيقا وتدخل فيها ماثبتت التجربة بصلاحيته ، وتوجد لجان أخرى تدور في الأرياف وتبحث في كل متعلقات مدارسها من بروجرامات وغيرها ، وتنظر في أحوال الطلبة وما يصلح من شأنهم ، حتى اذا رأت تخفيض مصاريف تعليمهم في هذه المدارس اقنعت مديرها بهذا التخفيض وتعوض عليهم ذلك باعانات ترتبها لهم الوزارة .

وعندهم أسبوع يسمونه (أسبوع التعليم) يجتمع فيه كل سنة في كل عاصمة من عواصم الاتحاد رجال التعليم من جهة الحكومة برجال التعليم في الأرياف ومعهم رجال النقابات العلمية ، ويبحثون في كل مامن شأنه أن يعلى حالة التعليم والمتعلمين والمعلمين ، سواء من الوجهة العلمية ، أو الوجهة الاقتصادية ، وتذاع نتائج هذا المؤتمر في انحاء الولايات المتحدة بالراديو حتى يطلع عليه جميع الناس .

وللفلاحين أسابيع للتعليم أيضا : تفتح الجامعات الزراعية أبوابها للفلاحين الذين يقصدونها في وقت معلوم ، ويجلسون في العراء رجالا ونساء وأطفالا ثم يأتي المدرس ويلقي عليهم درسا عمليا في الزراعة الخاصة ببلادهم . وكثيرا ما يكون هذا بواسطة السما أو الفانوس السحري ، فيتعلم الفلاح بهذه الوساطة ما يفيد في عمله ، ويرقى به في صناعته ، في جانب سروره من هذه المناظر الجميلة اللطيفة التي لا تختلف في نظره عن مناظر التيارات وما يشبهها . وقد يتوجه الأساتذة الى البلاد البعيدة عن الجامعة لألقاء هذه الدروس على عامة الناس . وكل هذه الدروس العملية انما تهتم بها الجامعات للمنفعة العامة ، فهي لا تجعل تعليمها محصورا بين أركان



ميدان الالعاب الرياضية بمدينة مينابوليس — ٢١٤

مبانها لطلبها، ولكنهما ترى أن مأموريتها أبعد من ذلك وهو اتساع دائرة الارشاد الى حدود الافادة العامة .

*
* *

وعلى بعد ٣٦٠ كيلومترا من شرق شيكاغو توجد مدينة (دوترويت) وهي واقعة على الخليج الموصل لبحيرة سنت كلير الى بحيرة أريا ويقابلها من الطرف الشرق لهذه البحيرة مدينة وشلالات نياجرا . وفي دوترويت جملة مصانع مختلفة فيها ما هو للحديد ، وللالوان ، وللأقشة . وكانت الى سنة ١٨٩٠ لا يزيد عدد سكانها على ٢٠٠ الف نفس . فلما ظهر تحت سمائها فورد واخترع أوتوموبيله ، وأخذ في اشادة معاملته في أول هذا القرن أخذ سكانها في الزيادة الهائلة الى أن أصبحوا الآن لا يقلون عن مليون وربع من النفوس !!

ومصانع فورد داخلية في بناء يشغل مائة فدان مستقوفة بالحديد ، وهذا الفناء كله مشغول بالآلات التي تشغل في قطع عربات فورد وتخرج كل يوم عشرة آلاف أوتوموبيل !! تنقلها السكة الحديدية الى جهات توزيعها يوميا . والذي خرج من هذه المصانع الى آخر سنة ١٩٢٦ لا يقل عن سبعة عشر مليون عربة !!

وجميع المواد الأولية لهذه المركبات من أملاك فورد ، فهو يملك غابات من أشجار الصناعة ، ومناجم من الحديد ، والنحاس ، والبتروول ، والفحم ، ويمتلك كثيرا من فروع السكك الحديدية ، ومن مراكز النقل التجارية . ومصانعه لا تعمل في صنف الأتوموبيل فحسب - بل هناك بجوارها مصانع لاستخراج الغاز من دخان الكوك ، واستخراج مافيه من سلفات التوشادر والقطران والزيت ، وعنده مصانع للزجاج ، ومصانع للجلد ، ومصانع للكواوتشوك ، بحيث لا يحتاج في عمل عرباته الى شئ من الخارج .

وعنده معامل خاصة لعمل وابورات فورد سن بالاشتراك مع ولده ، ويصدر منها عدد هائل الى كندا والى جهات العالم كله ، وعندنا في مصر كثير منها .

ولقد أردت زيارة هذه المعامل ولكنى بكل أسف رأيتها مقفلة في وجه الزائرين لاشتغالها بتغيير الشكل المعروف من عرباتها ، الذى يرى نموذجها الجديد بعد شهرين من هذا الزمن . ولعل قاطرات فوردسن (١) تدخل في هذا الإصلاح حتى يكون النفع بها أتم .

يوم ٢١ يوليو

وصلنا في صباح هذا اليوم الى مدينة (لافيت) بعد أن قطعنا إليها ١٢٩ ميلاً ، وعدد سكانها ٢٣ ألف نفس . وهذه المدينة سميت باسم الجنرال لافيت الفرنسي الذى ساعد الولايات المتحدة بجيشه في حرب استقلالها . وهى مدينة لا بأس بها ، شوارعها جميلة وإن كانت ضيقة ، والارض هنا وإن كانت جيدة إلا أن الزراعة بها ليست على مايرام لقلة ماء المطر الذى لا يزيد على ٢٥ إنشا ، مع أن حرارتها كانت وقت وجودنا بها ٣٠ سنتجراد !! وفيها مصانع كثيرة لاصلاح الآلات الحديدية ، وللسلخانات ، ولقياس الغاز ، وللكاوتشوك ، ويمر بجوارها نهر ووباش ، وفيها جامعة للزراعة ، والهندسة ، والطب ، والعلوم ، وفيها مدرسة للآلات الزراعية ، وللجامعة الزراعية قسم لتربية الفراخ بناؤه جميل جداً .

وقد زرنا بها عربة فرأينا مواشها جيدة ، ولكن الذباب هنا يكثر لدرجة مقلقة لذلك تراهم يلبسون قميصاً يكاد يغطى كل الجسم . وهم يعطون المواشى عليقافى الصيف من دقيق بذرة القطن لمدة ثلاثة أشهر فقط ، ويتولون إن الاكثار منها يجفف جلد الماشية ، وربما أصابها بالعمى .



وهنا انتهت مهمة مؤتمر التربة الذى كان الروس هم العضو العامل فيه : فقد

(١) وقد تحقق فآلنا ووصلت الى مصر فى أول هذا العام قاطراته ومحارثته الجديدة وهى بطبيعة الحال أحسن من سابقتها .

كانوا سباقين الى تعرف التربة ، ويفيض كثير منهم بملاحظات عليها والسكل سماعون له حتى السير جون رسل ذلك الرجل العظيم . لذلك كان الروس موضع احترام الجميع لعالمهم ، ولقد رأيت من كثيرين منهم أدبا ولطفا كانا يميلان بي أحيانا الى سؤالهم عن حقيقة البولشفية : هذه الكلمة التي لم نرها وجودا في الولايات المتحدة ، ولكنهم كانوا يهربون من الاجابة متشاغلين بشئ آخر ، وكأني بهم قد أتوا الى هنا مبشرين بعالمهم لا بمذهبهم حتى يجعلوا لهم من تحت سماء هذه الاوتوقراطية البحتة ذكرا جميلا ، وفضلا أثيلا ، ويدخلون من أبوابها الى حيث يسيطون عن بلادهم ذلك اللباس الخفيف ، وتلك الصورة المزعجة التي يرتعد من ذكرها العالم المتمددين .

تناولنا غداءنا في الجامعة ، أو بعبارة أخرى في مطعم الجامعة ، وعند دخولنا من الباب أعطوا كلامنا شيكاً بأكاة واحدة كما يعطى للطلبة ، إلا أن ما أعطى لنا بغير ثمن وقفنا صفا الواحد تلو الآخر وقد تناول كل صينية صغيرة ، ثم دخلنا الى غرفة يحيط بها من الداخل مائدة عليها أغذية مختلفة ، ومن ورائها آنسات لطيفات ، يمرر كل صينيته على افريز للمائدة من جهته ، ويشير الى احدى الآنسات بما يرغب فيه مما هو في دائرة توزيعها ، حتى اذا انتهى من الاخيرة حمل غداءه الى حيث يجلس في أى مكان خال بين الطلبة من الجنسين . أخذنا مقاعدنا في هذا الوسط الذى ذكرنا تلك الأيام : أيام الشباب !! أيام السعادة !! وإن كانت أنظمة الجموع في الشرق لاتسيغ هذا الجمع الذى قد يكون من الموجبات التي قد تلبس الشباب حلل الآداب ، وتنمى فيه عاطفة التهذيب والترتيب ، لانه لا يريد أن يكون ناقصا في عين هذه التي يريد أن يتقرب منها ويتعجب اليها ، وقد تتصل روحه بروحها ، وجسمه بجسمها يوماً من الايام بعامل الزوجية .

تذكرت هنا تلك الايام السعيدة — أيام القوة — أيام الفتوة — أيام كل مسئولية فيها كانت على عاتق غيرى ! من غير أن أشعر بما فيها من فداحة أفعال

ومرارة أحوال !! ولكن هل فى الحياة متسع لعمل هذه الدورة ؟؟ وإن كانت كهولتنا وشيخوختنا كلها فى بلاء — وشقاء فى شقاء !! وهل يرجع إلينا ذلك الشباب فنخبره بما فعل المشيب ؟؟ لا لا أنا لا أريد أن أنقص عليه وقته بسور المفزعات ! وصور المهربات !! ولكن لأمتع النفس بعظيم شأنه — وأسعدها بذلك التاج الذى لم يكن للشبان معرفة بسلطانه : تاج مملكتى العافية والهناء .



وبعد الغداء توجهنا الى القطار الذى قام بنا فى الساعة الواحدة بعد الظهر الى واشنطن ، فوصلنا إليها ظهر اليوم الثانى بعد أن قطعنا إليها ٧٦٥ ميلا . وبعد أن تغديت بمحطتها أخذت قطارا آخر مع بعض أعضاء المؤتمر الذين لم ينزلوا الى واشنطن ، وسرنا الى نيويورك فوصلناها الساعة السابعة من مساء ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٧ وبها انتهت سياحة المؤتمر : هذه السياحة التى يمكننا أن نسميها بحق سياحة أمريكانية ؟

العودة الى نيويورك

عدت الى هذه المدينة ولا أكذبك إذا قلت لك : إنى كلما عثر بصرى على تلك الصروح العاليات ، وتردد طرفى بين هذه المباني الشاهقات ، لم تقف دهشتى منها عند حد ، بل أخذ خيالى يصور لى أن علامة الاتصال وهو مايسمونه عند الافرنج « تريدنيون » قد صاغ الأمريكان منها هذه الصروح لتكون صلة بين الارض والسماء . نعم تجلت لى هذه العظمة التى أنستنى ماجاء فى التاريخ من عظمة النمرود — تجلت لى هذه العظمة الحقة التى بنيت على قواعد العلم ، والتى صغرت أمامها فى عيني عظمة قصور فرساي ، والتويلرى ، وبكنجهام ، وغيرهما مما يمثل عظمة الافراد ، تلقاء تلك التى تمثل عظمة الشعوب .

ولقد وصل الشعب الأمريكانى الى عظمتهم بمجد العمل لا بمجد التاريخ :

شعب وصل الى ما وصل اليه من تلك القوة الهائلة فى ماليته ، فى علومه ، فى مدنيته التى يعجب منها كل من رآها أو سمع بها . ولا غرو فان هذه المدينة التى وصل اليها فى قرن ونصف وهو عمر فرد من أفراد الانسان ، لجديرة بالتمجيد والتمجيد ! ! وإنما وصل الأمريكان الى هذه المدينة الرائعة ، وتلك الثروة الهائلة فى هذه المدة الوجيزة بالعمل ، وتقديرهم لقيمة الزمن . وعدم حصرهم بمجد أشخاصهم فى شارات الاوسمة ، وفخامة الالقاب التى لا أثر لها فى حكومتهم ، اللهم الا هذا القلب العلمى الوحيد « دكتور » الذى تمنحه الجامعات للذين ينالونه منها بجدارة واستحقاق .

أينما سار الانسان فى بلاد الاتحاد يرى الناس كالتقطع التى تتركب منها الساعة كل فى عمله : فالأفراد يعملون وبهم يعمل المجموع . وهذا معنى صحة جسم الشعوب والذى به وحده عظمتها ومجدها . وهل نظام الشعوب شيئاً آخر غير نظام الفرد مكرراً أو مضاعفاً ؟ انظر الى الانسان تجد نسبة ما فيه من القوة بنسبة ما فيه من سلامة أعضائه والعكس بالعكس . وعلى هذه النظرية فتقوة الشعوب إنما هى بقدر سلامتها من العاطلين الذين لا عمل لهم ، والذين هم عالة على غيرهم ! ! (١) وما منهم إلا كمثل الحشائش الطفيلية التى تخنق ماحولها من النباتات النافعة مهما كانت قوتها .

والشعب الأمريكى شعب عامل سواء فى أفراده ، أو فى مجاميعه . أو بعبارة أخرى بما يمثل أفراده من نواب ، وتقابات ، وشركات . ولكل طائفة من هؤلاء

(١) نعم ذكرت الجرائد الأمريكية أخيراً أنه يوجد الآن (سنة ١٩٣٠) نحو خمسة ملايين نفس من العاطلين فى الولايات المتحدة على أثر الصدمة الاقتصادية الهائلة التى أصابت العالم كله وأمريكا بصفة خاصة ! ! وقد أعلنت وزارة العمل بولايات الاتحاد أنها ستضع مشروعاً لاستخدام عدد كبير من هؤلاء العاطلين فى القريب العاجل .

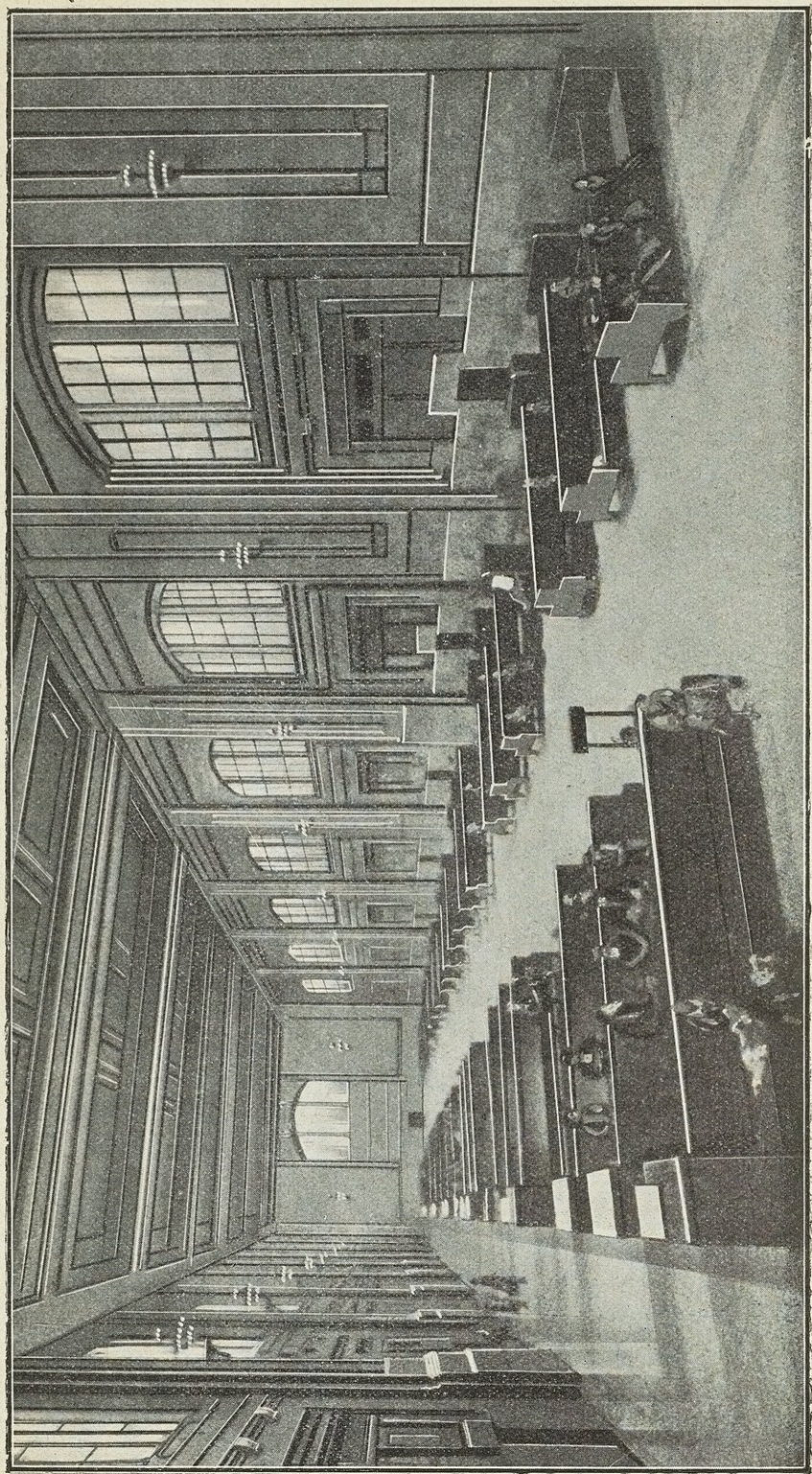
جهادها في دائرة عملها ، ولكل اجتهادها في خدمة ممثليها ، ولكل اعتبارها سواء عند الشعب أو عند الحكومة .

مهما سرت في بلاد الاتحاد لا ترى غير عظمة الشعب التي تستمد منها الحكومة قوتها وعظمتها !! فترى الحكومة لا تتكلم إلا باسم الشعب ، ولا تعمل إلا لاسم الشعب . أما في الشرق فاعتبار الحكومات فوق كل اعتبار !! وعظمة الافراد هي الهيكل الذي تنحني أمامه رؤوس الشعوب !!

وحكومة الولايات : لاداب لها إلا التفكير في كل ما يرقى شعبها ، سواء في علومه أو فنونه ، أو صناعاته ، أو تجاراته . فهي بقوة شعبها لا تقتأتر حرج ما في طريقه من الموانع ، وتمهد له السبيل الى العمل والكسب ، سواء في داخليتها أو فيما هو أبعد من ذلك . وتراها على الدوام مندججة في شعبها ، وشعبها مندمج فيها ، ولكن لكل حدوده وأنظمته التي لا يتعداها ، والشعب على كل حال لا يشعر من الحكومة بضغط ولا بسلطان ، ولكنما السلطان هو لمعنى القانون وروح الدستور : وهنا فقط يشعر الناس بان هناك حاكم ومحكوم ، أما في الشرق : فالسلطان كله للحاكم مهما لبس لباس الدستور ، وتظاهر بمظهر القانون

* *

وفي ثلثي يوم من وصولي الى نيويورك أخذت تذكرة السفر الى فرنسا على مركب تبخر في يوم ٦ أغسطس ولما كانت نيويورك شديدة الحرارة جدا خطر بيالى السفر الى مدينة نياجارا لمشاهدة شلالاتها : هذه الشلالات التي قطعت اليها ذهابا وجيئة أكثر من ألفي ميل لا شئ إلا لمشاهدتها !! وفضلت السفر اليها ليلا حتى لا أشعر بمشقة نهارا ، وركبت القطار من محطة سنترال استيشن بعبدة النوم ، فسار بنا في الساعة التاسعة ، وفي الصباح وصل الى مدينة نياجارا التي أقمْتُ بها يومين في جو لطيف جدا يختلف كل الاختلاف عن جو نيويورك .



قاعة الانتظار — إحدى محطات السكة الحديدية بالولايات المتحدة ص — ٢٢٠

شلالات نياجارا

إذا نزلت من محطة السكة الحديدية بمدينة نياجارا ، فسر قليلا الى الجنوب ثم انعطف الى جهة الشرق في حديقة غناء قد فرشت أرضها ببساط سندسى نضر رواؤه ، وزهت أرجاؤه ، في ظلال تلك الاشجار الياقة التي كلما قتها الهواء العليل سمعت لاوراقها أصواتا كالتي تسمعها من عاشقين قد اجتمعا بعد غياب طويل !! هنالك ترى بحيرة أريو التي يبلغ طولها ٤٩٠ كيلومترا ، وعرضها ١٠٠ كيلومترا ، قد انبسطت أساريرها ، وصفا أديمها ، وأخذت خطرات النسيم تعبت بصفحتها فتماوج تماوج مادة الجمال في وجنة الحسناء !! وقد استأنس بها الطير فحنى عليها وهوى اليها وأخذ يغدو وروح بين يديها ، مما تحكم به بان هذا المخلوق الهادئ قد جمع بين صفحتيه من آيات الحسن ، والجمال واللفظ ، مالم يتيسر جمعه في مخلوق آخر ، وتشعر في وجودك بقربه بالسعادة التامة والنعيم المقيم .

فإذا وليت وجهك الى الغرب وقد اتخذ الماء له مجرى الى الشلال ووقفت عند القناطر التي تجمع بين شاطئيه رأيت عجا !! رأيت هذا المخلوق الذي كنت تراه من برهة كحمل اليسوع في وداعته ، أو هو الجمال واللطافة بكل معناها ، وهو يمدو عدو الوحش المفترس قد لمح من بعد فريسته . ولا يزال يشب من صخرة الى صخرة ومن عالية الى هاوية ، وهو يغلى غليان القدر ، والشرر يقدح من عينيه ، والزبد يتطاير من شذقيه ، يضطرم اضطراماً ، ويحتدم احتداماً ، وقد علا زئيره ، وصرخ نذيره بما في طريقه من خطر !!

وما كنت أعرف قبل هذا الوقت أن هذه الطبيعة التي هي أرق من النسيم ، والطف من التسنيم ، وأصفى من أيام النعيم ، هذه الطبيعة التي جعل الله فيها حياة خلقه تنقلب هنا الى هذا الخطر الجسيم .

وما زال الماء في هيجانه وثورانه يقصم كل شئ في طريقه ، حتى اذا وصل الى

غاية الجب أخذته معها رعدة ، وكانى به وقد أحجم قليلا يريد النكوص على عقبه .
فرعا منها ، ولكنه لم يلبث أن سقط فيها سقوطا مروعا من ارتفاع ٧٠ مترا ،
واصطدم بما فى قاعها من صخور تناثرت منها اعضاؤه ، وتطايرت اشلاؤه ، فلات
الجو رذاذا كان يصل الى وجوهنا ونحن على أكثر من مائة متر عن مسقطه !!
وقد تكون من فضلاته ومن فضلات الشلال الذى فى جنوبه مهر نياجرا الذى
يصب بعد قليل فى بحيرة أوتاريو .

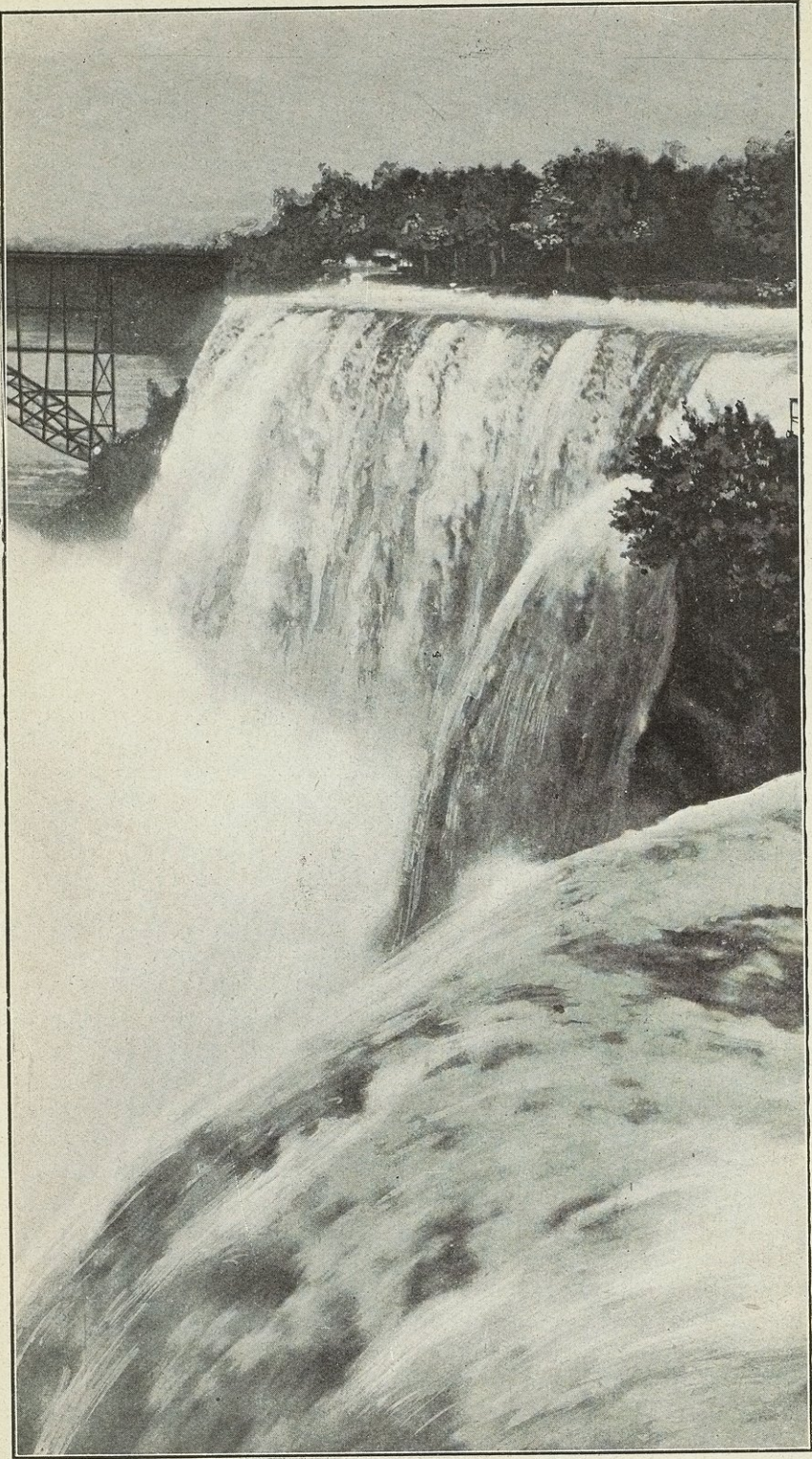
وهذا الشلال الاخير ينزل من مجرى آخر تفصل بينهما جزيرة جميلة كلها فى
أرض كندا ، قامت على أرضها غابة أشجارها المخضلة ذات ظلال وارفة ، وطرق
مشرفة على مسقط الشلال .

وهذا الشلال فى متهى الوادى الذى يبدأ منه النهر ، وسقوط الماء منه على
شكل علامة الجزر عند الرياضيين ، أو هى شكل رقم سبعة منفرجة من ضلعها
الأيمن ، ومع أن مسقط الماء هنا أوسع منه فى الشلال الأول ، فان كتلة الماء فيه أقل ،
وارتفاعه ٦٧ مترا . واذا اتجهت الى طريق هذا الشلال الأخير ، وجدت مايسمونه
الجزر الثلاث : وهى ثلاث جزر صغيرة قامت وسط شلالات صغيرة كثيرة ، وهى
تشبه فى حال من الاحوال شيئا عندنا فيما وراء حلفا يسمونه الشلال !!

وشكل الماء فى سقوطه من الشلالين الكبيرين لا يمكن أن أقربه اليك إلا
برجاء واحد ، هو أن تتصور دولابا من دواليب حليج القطن بسعة الشلال
وبقوة تتناسب مع سعته ، والقطن ينزل منه مندوبا منفوشا بسرعة الى الهاوية ، بشرط
أن تكون كتلته لا تقل فى حجمها عن ٥٠ سنتيمترا .

وهذان الشلالان الكبيران يغذيان النهر بما مقداره ٧٠٠٠ متر مكعب فى الثانية
الواحدة ، وبما ينتج عنه قوة خمسة ملايين حصان عملية !!

سار هذا النهر بين ضفتين شاهقتين أقل ارتفاع لهما مائة متر ، وقد أقيمت على
ضفتيه معامل الكهرباء الكبرى تدور بقوة الماء الذى يرتب لادارة جملة من



الترابن التي تحرك موتورات هائلة بما يتولد عنها ملايين الكيلوات . وقد زرت من هذه المعامل اثنين مجموع ما ينتجانه من الكيلوات في كل يوم نحو عشرين مليوناً أو تزيد !

وهذه القوى الكهربائية تسير قاراتها الى جهة مدينة (بافلو) لتشغيل ما فيها من معامل الحديد ، والأوتوموبيلات ، والموتوسكلات ، والدقيق . وهي على بعد ٢٠ كيلو مترا من نياجرا ثم تسير الى مدينة (أري) . وهي على بعد ثلاثين كيلو مترا من بافالو ، ثم الى (سراقوسه) وتبعد عن نياجرا بنحو خمسين كيلو مترا لإدارة ما فيها من معامل الصناعات المختلفة .

لقد كنا نفهم من قوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » أن ذلك خاص بما في طبيعة الحياة من حيوان ونبات ، ولكننا اليوم عرفنا أنه حياة لهذه الجمادات التي تنتجها المعامل ، والتي أصبحت من أهم الضروريات للإنسان والحيوان والنبات جميعا ، سبحانك ما أقدرك ! ! وما أكبر ما وراء هذه الطبيعة من خلق لا نفعله ! !

* *

وبمناسبة الكلام على شلالات نياجرا أقول لك : إن أعظم شلالات العالم هي شلالات الزمبيز في شرق أفريقيا الجنوبية ، وشلال ريوسان فرنسكو في البرازيل ، وشلالات نياجرا نصفها في الولايات المتحدة ونصفها في كندا ، وشلال أجوازو في أمريكا الجنوبية ، ثم شلالات جافاروني في جبال الألب العليا .

كلمة عن أمريكا

تاريخ الأرض الجديدة يتغلغل في ظلمات الماضي ، ويظن علماء الشعوب أن أصل سكان هذه البلاد نزحوا إليها من آسيا من بوغاز بهرنج في وقت لا يعلم ، ويزعمون أن صور سكان الاسكا (وهي في الشمال الغربي من أمريكا الشمالية) تشبه صور السيبيريين .

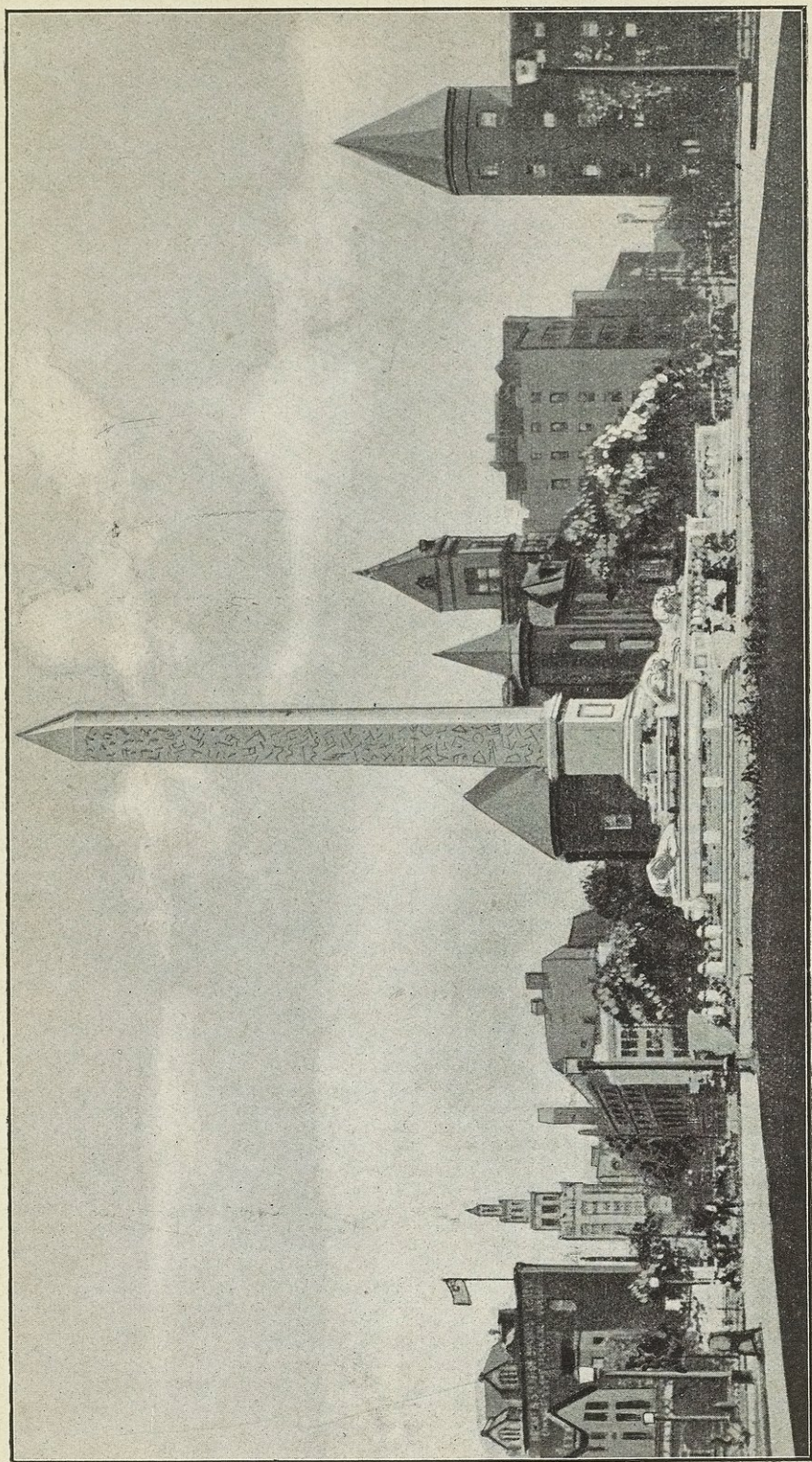
وسكان العالم الجديد الاصليون ينقسمون الى قبائل اسمهم (اتوس) وقد كانوا يلجأون الى الحصون الطبيعية ، أو الى ما كانوا يحفرونه منها فى المناطق التى كانوا يعيشون فيها لتحميمهم من الحيوانات المفترسة ، أو من هجوم بعضهم على بعض : ولذلك يسمونهم (بناء الحصون) وبحكم ضرورة العمران كانوا ينتقلون من ضرورى الى آخر بما كانت لهم منه مدينة أخصها فى بلاد المكسيك التى وجدوا بها أخيرا كهوفا كانوا يحفرونها فى الصخور لايوائهم أحياء ، ثم لا يداع جشعهم بها أمواتا . وفى هذه الحفريات عرفوا أن قد كانت لسكان أمريكا فى غابر الزمان مدينة تتصل بالاجيال الحجرية ولكنها أقل منها فى العالم القديم .

أما تاريخ الاستعمار فيها فقد بدأ فى القرن الحادى عشر الميلادى على يد النورفيجيين وأول ما استكشف من هذه البلاد جزيرة وىفلانده ، استكشفها البحار النورفيجى كانجورن ، ثم هاجر اليها بعض سكان جزيرة أسلاندا وبعض السكندنافيين ولكن الاسكيمو طردوهم وبقيت هذه الجهة بعيدة عن كل عمران الى سنة ١٧٢٤ حيث استعمر شواطئها الهولنديون .

أما الأسبان فانهم لم يستكشفوا جزائر خليج المكسيك الا فى آخر القرن الخامس عشر ، ثم اتبعهم الفرنسيون والانجليز فى منطقة الولايات المتحدة ، وكان هذان العنصران على الدوام فى حرب مع بعضهما البعض .

ولما زاد الضغط الدينى فى أوروبا فى القرن السادس عشر بدأ الناس يهاجرون الى أمريكا ، وأخذت الهجرة تزداد اليها شيئا فشيئا ، وكان كل قبيل يتجه الى جهة خاصة به ، فاستولى البورتغاليون على البرازيل سنة ١٥٥٩ ، ثم تغلب عليها الأسبان ثم استولت عليها هولندا ، ثم استرجعتها البورتغال فى سنة ١٦٥٤ . واستولى الفرنسيون فى سنة ١٥٣٤ على كندا الى نهر الميسيسيبي ، الى أن طردوهم منها الانكاييز فى سنة ١٧٦٣ .

وفى سنة ١٧٧٠ كانت أمريكا كلها فى يد ثلاث دول : فأمريكا الشمالية كانت



ميدان نياجرا في مدينة بنالو — ص — ٢٢٤

مع الانكاييز، وكانت البرازيل مع البورتغاليين، والمكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية مع الأسبان.

وكانت البلاد الأمريكية التي في جنوب كندا تنقسم الى جملة ولايات: اتحد منها ١٣ ولاية قامت ثورتها ضد الانكاييز لكثرة الضرائب التي كانوا يأخذونها منهم. ولقد احة الجمارك التي كانوا يحصلونها على محاصيلهم. وفي سنة ١٧٧٥ أعلن الامريكان على الانكاييز حرب استقلالهم التي كانت تساعدهم فيها فرنسا، فالفوا جيشا تحت قيادة واشنطن. وفي سنة ١٧٧٦ وضعوا لهم دستورا أساسه حفظ كل ولاية لاستقلالها الداخلي استقلالاً تاماً. وما زال الامريكان مع الانكاييز في حرب انتهت بانسحاب هؤلاء من الولايات المتحدة، واعترفهم في معاهدة فرساي سنة ١٧٨١ باستقلالهم. وفي سنة ١٧٨٩ انتخب واشنطن رئيساً عاماً لجمهورية الولايات المتحدة، وبقى في رئاستها الى سنة ١٧٩٧. وفيها ترك مركز الرئاسة لغيره ثم ذهب للاقامة في مزرعته حتى مات سنة ١٧٩٩. وفي مدته قُح الدستور، وأنشئ بنك للبلاد لتنظيم ماليتها التي أنقلت كاهلها محاربة الانكاييز، وهامى الآن بعد قرن وربع من استقلالها تسير دفة العالم بالمال الذي هو أساس كل رقي وتقدم.

وما زالت الولايات الأخرى تنضم الى هذا الاتحاد واحدة بعد الأخرى، حتى تم اتحادها في سنة ١٨٤٨ وهي ٤٨ ولاية كل واحدة مستقلة في داخليتها استقلالاً تاماً. ومجموع مسطحها جميعاً ٣٦٠ ر ٣ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ١٢٥ مليون نفس !!!

ولقد اتصلت نيران الثورة التي قامت بها ولايات الاتحاد الى الجهات الأخرى من أمريكا، فاعلنت البرازيل استقلالها في سنة ١٨١٠، ثم تبعها المكسيك في سنة ١٨٢١، ثم جاء بعد ذلك اتحاد جمهوريات هندوراس، وسان سلفادور، ونيكاراجا ثم اتحاد كولومبيا، وفانزوئلا، وجوبان. ثم استقلال جمهوريتي باراجيه وأوراجيه. ثم استقلال الشيلي والارجنتين واستيلاؤهما معا على أراضي باثاغونيا (١٥ رحلة)

الى رأس ماجيلان الذى فى جنوب القارة الأمريكية .

وبقيت اسبانيا فى جزر الاتيل حتى طردها منها الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ بعد حرب قضت على البحرية الاسبانية التى لم تقم لها من بعدها قائمة . وأصبحت حكومات أمريكا كلها جمهوريات ليس فيها ذكر لملك من الملوك ، اللهم الا فى كندا وحدها لدخولها فى الامبراطورية الانجليزية .

وقد انضمت الولايات المتحدة الى الحلفاء فى الحرب الاوربية التى انتهت فى مصلحة الحلفاء ببركة شروط الرئيس ولسن التى كانت تدور حول شرطين أساسيين : أولها عدم أخذ المنتصر شيئاً من أملاك المنكسر ! ! ثانيهما حرية الشعوب الضعيفة ! تلك الشروط التى لم يتحقق منها شئ خصوصاً فيما يختص بالشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها !!!

وأمرىكا بصفة عامة أرضها خصبة فتيه لانها لم تشغل بالزراعة إلا من مدة قرن تقريباً ، ولا تزال على حالتها من الخصب ، خصوصاً فى الاراضى التى يمر بها نهر الميسيسى ، وكذلك الاراضى البركانية التى تكثرت فى الجهات الشرقية من الولايات المتحدة ولا تزال برا كينها نثرة لم تخمد ، وهى فى خط الاستواء وما يليه من المناطق . وليس فى أمريكا كلها من الاراضى الغير الصالحة للزراعة إلا نحو ١٥ من ١٠٠ من مساحتها ، وهى أرض حجرية متبلورة . وأراضها الخصبة بصفة عامة متكونة من المواد التى تحملها اليها أنهارها العظيمة ، كنهر الميسيسى الذى يخرج من بحيرات ايتاسكا فى كندا ، ويخترق الولايات المتحدة حتى يصب فى خليج المكسيك وطوله ٤٦٢٠ كيلومتراً . ونهر مسورى الذى يصب فى الميسيسى ، ونهر هيدسون ، ونهر فرجان ، وكنكيتكون ، ودلاور ، وأسكونهانا ، وجنس وكلها تسير فى مناطق سهلة ! ويقدر أن مساحتها باكثر من مليون وربع ميل مربع !!

أما أمريكا الجنوبية : فأعظم أنهارها الامازون ، وسان فرانسكو ، وريودو لابلاتا وأكثر محاصيل أمريكا الشمالية الذرة والحبوب على اختلافها ، خصوصاً القمح ،

وأهم محاصيل الولايات المتحدة القطن الذى يزرع فى ولاياتها الجنوبية .
أما أمريكا الجنوبية فاهم محاصيلها الذرة والبن وقصب السكر ، وعلى الاخص
القمح الذى يصدرون منه كميات هائلة الى العالم القديم وخصوصا من الشيلي التى يسمونها
مزرعة العالم ، وذلك لانبساط أراضيها ، وتوفر مواد الخصوبة فيها ، وكثرة ما فيها
من معادن نترات الصودا . أما أحواض الامازون فغالبا غابات كثيفة ، ويصدرون
منها كثيرا من خشب العمارة ، ومنها الجنو ، والأبنوس ، والبليسندر . أما معادن
أمريكا فهى الذهب ، والفضة ، ويوجدان بكثرة فى كاليفورنيا ، و كولورادو ،
ومكسيكا ، وتكثر فى الولايات المتحدة معادن الرصاص ، والحديد ، وتنتج منها
أكثر مما ينتجه العالم كله . ومعادن الفحم كثيرة جدا فى أمريكا الشمالية ، ويقدرونه
بخمسة وثمانين فى المائة من محصول العالم كله !! وكذلك معادن البترول تكثر
فيها جدا ، ويقدرون لنفاد الموجود فيها الآن بثلاثين سنة ، وذلك لكثرة
ما يستهلكونه منه أو يصدرونه الى الخارج .

أما حيواناتها فكثيرة جدا ، وكثير منها يختلف فى شكله عن حيوانات العالم
القديم . أما ما فيها من البقر والخيول والاحير والاعنام ، فقد انتقل اليها مع المستعمرين
الذين عنوا بتربيتها حتى أصبحت فيها بكثرة هائلة ببركة عنايتهم بها ، وهم الآن
يصدرون من لحومها مجهزة وغير مجهزة بكميات كبيرة جدا الى العالم القديم .

معرفة الفضل لذويه

وهنا يجدر بى أن أشكر من كان يرافقنا فى رحلتنا من رجال الاتحاد ، كما أنفى
على رجال قلم الاستعلامات بوزارة الزراعة ، وكذلك رجال الغرف التجارية ، فقد
كنت الجأ اليهم فى تعرف كثير من المعلومات ، كما أشكر رجال مفوضيتنا المصرية ،
وعلى الخصوص حضرة صاحب السعادة محمود باشا سامى ورجال قنصلية نيويورك
خصوصا عسل بك على ما ساعدونى به من جم التحقيقات . أما صديقى المرحوم محمود

أبأظه بك أسكنه الله فسيح جناته فقد كان لى مادة قيمة فى المسائل الزراعية وكذلك المستر هو بسن المندوب الزراعى عن حكومة الاتحاد ، فقد كان لى نعم العون فى كل ما كنت الجأ اليه فيه جزاه الله خيرا .

*
*

وهنا أختتم كئى بالذكرى الحسنة التى احتفظ بها لحضرات أعضاء المؤتمر ، بصفة عامة لاسيما من تشرفت بمعرفتهم بصفة خاصة ، وعرفت فيهم العلم الجم ، والآداب الفاضلة ، والصفات السامية ، ولا غرو فهم زينة الزمان وخلاصة بنى الانسان .
أما الكتب التى أفادتنى فى معلوماتى العامة عن ولايات الاتحاد فهى :

Ies Etats Unis par And rë siegfried

« « « « larousse

« « « « cambon

En Amerique « jule hnret

*
*

وبعد عودتى الى مصر عثرت فى كئبخانه بنك مصر على التقرير الرسمى المقدم من المفوضية المصرية الى وزارة الخارجية المصرية فرجعت اليه فى كثير من التحقيقات والتدقيقات المالية والاقتصادية .



فهرس

صحيفة

- ٢ مقدمة الرحلة . الدعوة الى مؤتمر التربة الزراعية بالولايات المتحدة .
- ٦ السفر الى لوندرة . الابحار من لوندرة . وصف الاقيانوس الاطلانطى .
- ٩ كرسوف كولومب .
- ١٠ هل الحظ للحاسبين ؟ ؟ أمريك وتسمية العالم الجديد باسمه .
- خطر السفر فى الاقيانوس . الوصول الى نيويورك .
- ١٣ نيويورك . شارع وول إستريت أكبر مركز مالى فى العالم . بناء شركة وضع الامانات . ناطحات السحاب .
- ١٦ وول ورث بلنج . شارع بروودوى والحركة التجارية . السوريون وجرائدهم بنويورك . الصحافة واحترامها بالولايات المتحدة . كيف يبنون ناطحات السحاب .
- ٢٢ بورصة الاوراق المالية .
- ٢٣ بورصة القطن .
- ٢٤ بورصة المحاصيل .
- ٢٦ نادى المنتحرين
- ٢٧ قسم منها ثان : وهو القسم الجديد فى مدينة نيويورك .
- ٢٨ حركة البريد فى نيويورك . البريد الجوى .
- ٢٩ السكك الحديدية . الترام . التليفون
- ٣٠ حركة القوم فى نيويورك . آداب الاجتماع فيها .
- ٣٢ حدائق نيويورك . منتزه كوتى ألن
- ٣٣ الجامعات ودور التعليم . الفقراء والتعليم .
- ٣٤ اللوكندات بنويورك . لوكندة ولدورف .

صحيفة

٣٦	لو كندة مانجر . المطاعم في نيويورك . التياترات . السينما توغرافات . جو نيويورك
٤٠	نزهات حول نيويورك . مصنع الجواهر الطبية لأخوان جونسون . عزبة الابقار . جامعة نيوبر ونسويك .
٤٨	من نيويورك الى واشنطنجتون .
٥٠	مدينة بتسبورج . معامل الحديد بها . بعض مجلاتها الاسبوعية
٥١	مدينة واشنطنجتون . تاريخها . جورج واشنطنجتون
٥٢	المفوضية المصرية . السفارة الانجليزية .
٥٣	البيت الابيض .
٥٤	عمارة الصليب الاحمر . المكتبة العمومية . وزارة المالية .
٥٦	الكابيتول (البرلمان)
٥٨	لنبرج : البطل الطائر الأمريكي
٥٩	مسلة واشنطنجتون .
٦٠	أثر لنكولن . لنكولن وحربه لحرية العبيد .
٦٢	العبيد في أمريكا . بوكر واشنطنجتون . ونهضة العبيد . جامعة توسكاجي
٦٧	المتحف الجيولوجي .
٦٩	الشعب الأمريكي . جنسيته وعبقريته وجهاده في الحياة
٧٤	الرجل الامريكي . صفاته وأطواره وعقليته ونظامه .
٨٠	المرأة الأمريكية . حياتها العملية . سرعتها في الزواج وسرعة طلبها للطلاق
٨٢	العامل الأمريكي .
٨٥	العمال وأرباب الاعمال
٨٧	التربية النفسية عند الامريكان .
٨٩	كو - كلوكس - كلان

صحيفة

- ٩٠ الماسون . نظامها وأنديتها .
- ٩١ الثقافة في أمريكا .
- ٩٣ جامعة هارفارد .
- ٩٥ روكفلر وهباته لنهضة العلوم والطب .
- ٩٦ التعليم بالولايات المتحدة .
- ١٠٣ شركات السيكراته
- ١٠٤ النقابات في الولايات المتحدة . نظامها وفوائدها للفلاح والمستهلك .
- ١٠٧ التربة الزراعية بأمريكا وخصوبتها .
- ١١٠ مؤتمر التربة الزراعية الدولي . الذي انعقد بمدينة واشنطن سنة ١٩٢٧ .
- ١١١ افتتاح المؤتمر الدولي الاول للتربة الزراعية .
- ١١٥ احترام الثروة في الولايات المتحدة .
- ١١٨ الولايات المتحدة من الجهة الاقتصادية ،
- ١٢١ الاسلاك التلغرافية . مصلحة البريد الجوى
- ١٢٧ يوميات المؤلف التي كان يكتبها في رحلته اليومية . بعد انقضاء المؤتمر .
- ١٢٨ (يوم ٢٢ يونيه) وصف لمحطة واشنطن وقطارات السكك الحديدية
- ١٢٨ (يوم ٢٣ يونيه) الوصول الى محطة جرينسبورد ووصف ترتيبها الزراعية
- ١٣٠ (يوم ٢٤ يونيه) الوصول الى مدينة كنوكسفيل عاصمة ولاية « نيسى »
- ١٣٤ (يوم ٢٥ يونيه) الوصول الى مدينة اطلانطا عاصمة ولاية « جورجيا »
- ١٣٧ (يوم ٢٦ يونيه) الوصول الى مدينة منفيس ووصفها .
- ١٣٨ (يوم ٢٧ يونيه) الوصول الى مدينة هو برج ومنها الى قرطاجه .
- ١٣٩ اسطبل الابقار ووصف آلة الخليب .
- ١٤٠ (يوم ٢٨ يونيه) الوصول الى مدينة كانزاس سيتى ووصفها .

- ١٤٤ (يوم ٢٩ يونيه) الوصول الى مدينة لا كروس ووصفها .
- ١٤٥ (يوم ٣٠ يونيه) الوصول الى مدينة أوردوى ووصفها .
- ١٤٧ احصائية عن المساحة التى تزرع قطننا بالولايات المتحدة .
- ١٥٢ (يوم أول يوليو) الوصول الى مدينة كولورادو اسبرنج ووصفها .
- ١٥٣ (يوم ٢ يوليو) الوصول الى مدينة كامون سيقى ووصفها .
- ١٥٥ (يوم ٣ يوليو) الوصول الى مدينة سيلت ليك سقى (مدينة البحيرات الملحة) .
- ١٥٧ المررمون المسيحيون وتعدد الزوجات . دوى وادعائه النبوة فى شيكاجو .
- ١٦٢ (يوم ٤ يوليو) الوصول الى مدينة ريفرسايد فى ولاية كاليفورنيا .
- ١٦٥ أصل زراعة البرتقال فى ولاية كاليفورنيا .
- ١٦٧ ولاية كاليفورنيا وصف لثروتها المعدنية والزراعية ومحاصيلها .
- ١٧٠ (يوم ٥ يوليو) الوصول الى مدينة لوس انجلوس أكبر مدينة لعمل أشرطة السينما توغراف فى العالم . نجوم السما . كيفية أخذ الافلام .
- ١٧٥ (يوم ٧ يوليو) الوصول الى مدينة فريسنو ووصفها .
- ٠٠٠ (يوم ٨ يوليو) الوصول الى مدينة أوكلاند ووصفها .
- ١٧٦ سان فرانسكو، والحركة التجارية والزراعية بها . قسم الصينيين
- ١٧٩ نادى الاطفال فى سان فرانسكو .
- ١٨١ مدهشات الطبيعة . شجرة سيكويا جيجانثيا و عمرها ٤٠٠٠ سنة !
- ٠٠٠ كاليفورنيا . معادن الذهب .
- ١٨٣ جامعة بروكلى ،
- ١٨٥ (يوم ٩ يوليو) الوصول الى مدينة كورفاليس ووصفها
- ١٨٦ (يوم ١٠ يوليو) الوصول الى مدينة بورتلاند ووصفها
- ١٨٧ كندا . وصف لهذه البلاد المتسعة .

صحيفة

- ١٨٨ (يوم ١١ يوليو) الوصول الى مدينة وانكوفر عاصمة ولاية برتش كولومبيا
- ١٩٠ (يوم ١٢ يوليو) الوصول الى قرية جاسبر
- ١٩١ (يوم ١٣ يوليو) الوصول الى مدينة آدمونتون . الهنود الحمر سكان البلاد
الاصليين وحرب المستعمرين الاوربيين لهم .
- ١٩٣ (يوم ١٤ يوليو) الوصول الى مدينة ساسكاتون
- ١٩٨ (يوم ١٥ يوليو) الوصول الى مدينة براندون
- ٢٠٠ (يوم ١٦ يوليو) الوصول الى مدينة مورهد
- ٢٠١ (يوم ١٧ يوليو) الوصول الى مدينة سان بول
- ٢٠٣ (يوم ١٨ يوليو) الوصول الى مدينة نفارا
- ٢٠٤ (يوم ١٩ يوليو) الوصول الى مدينة مولين
- ٢٠٥ (يوم ٢٠ يوليو) الوصول الى مدينة شيكاجو
- ٢٠٦ شيكاجو . وصفها . عظمتها . محصولاتها .
- ٢٧٠ بورصة القمح بشيكاجو .
- ٢٠٨ زيارة شركة سويفت أكبر مجازر العالم .
- ٢١٠ » معامل وابورات الجر والحراث .
- ٢١١ » مصنع جرائ وهو أكبر معامل الحديد بشيكاجو .
- ٢١٢ » مصانع بوان جامعة شيكاجو .
- ٢١٥ مدينة دوترويت التي بها مصانع فورد .
- ١٢٦ (يوم ٢١ يوليو) . الوصول الى مدينة لافيت .
- ٢١٨ العودة الى نيويورك . عظمتها وفخامتها
- ٢٢١ شلالات نياجرا ووصفها ومديره من الآلات الكهربائي .
- ٢٢٣ كلمة عن أمريكا . جغرافيتها . محاصيلها . معادنها .
- ٢٢٦ معرفة النضل لذويه المصادر التي ساعدتني في رحلتي .



JAN 26 1978

DEMCO

MAR 22 1978

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU54125723

E169 .B35

al-Rihalah ila Amrik